

مكتبة دار الفکر

فارس مع عزة

عارف الجارف

الطبعة الأولى

كلمة المؤلف

الوجهة العربية والاستفهام تلك هي أسيتي التي حملتها بين أضلعي ،
وسرت على هداها في أغمالي ، مذ تعلمت وعرفت معنى (حب الوطن) . وإنه
ليسرني أن أرى هذه الأمنية التي كانت تعد في يوم من الأيام ضرباً من الخيال
أو حلماً من الأحلام ، أخفت في هذه الأيام تظل من وراء سحاب . وإني لا أشك
قط في أنها ستصبح عما قليل حقيقة واقعة لا ريب فيها ، وإن غداً لناظره قريب .
غير أنه لا يزال يتناوب بينها بعض العقبات لا مناص من اجتيازها ، وبعض
الصعاب لا بد من العمل على تذليلها . وتذليلها ليس بالأمر اليسير إذا ما عارفاً ،
وعرفنا مواطن القوة والضعف فيها . واليحكم البيان :

أنا امرؤ طوحت به يد الأقدار في هذه الديار : ديار غزة وبئر السبع . ولقد
عشت في هذه البقعة من البقاع العربية ردهاً من الزمن ، تيسر لي خلاله أن أدرسها
دراسة تامة . فرأيت من واجبي — كعربي يحب قومه وبلاده ، ووطني يتمنى من
صميم قواده أن تستقل بلاده وتوحد — أن أنقل ما عرفت عن هذه البقعة من المبادئ
الأخلاقية ، والفوارق الاجتماعية ، والعوامل الاقتصادية ، والحوادث التاريخية إلى أبناء
قومي الآخرين الذين يعيشون في سوريا وشرق الأردن والعراق ونجد والجزائر
والبحرين والكويت والبحرين وحضرموت ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر
وسائر انحاء البلاد العربية . وحبذا لو حدا كل قطر من هذه الاقطار هذا الحذو
لخذنا ابناءؤه الأحرار عن بلادهم اطرف الأحاديث وأصدق الأخبار .

أنا إذا ما اخترنا هذا السبيل القويم ، وسرنا فيه بقدم ثابتة إلى الأمام ، اهتدينا
إلى ضالنا المنشودة في أقصر ما يكون من الوقت . وإلا فإن دون الوصول إليها
خطر القتاد .

بهذه الروح كتبت كتابي الأول في (القضاء بين البدو) ، وبها أيضاً كتبت كتابي الثاني في (تاريخ بئر السبع وقبائلها) ، وبها لا غيرها وضعت كتابي هذا في (تاريخ غزة) . وليس لي من فضل فيما فعلت سوى أنني تصفحت من أجله عدداً كبيراً من الكتب والأسفار — عربية وأفريقية — وجمعت ما تبعثر في بطون هذه الكتب والأسفار من أحاديث وأخبار . فستفها بعد أن محستها ، وأوردتها حسب تاريخ حدوثها . ثم استطقت الطلول والآثار ، وقرأت ما حدثني به هذه عن مفاخر الآباء والأجداد — وهي الصادقة فيما تحدث — . ثم وضعت في آخر الكتاب فصلاً اسميته (غزة في يومنا هذا) .

فالفضل إذاً ، إن كان ثمة فضل ، يرجع إلى أولئك الأدباء والمؤلفين والكتاب للتقدمين الذين سبقوني في هذا المضمار ، وإلى الذين آزروني في عملي فأمدوني بصادق معونتهم وارشادهم ، وإلى أبناء غزة انفسهم الذين أجوني واحبتهم ، ووثقوا بي فعمروني بصادق عطفهم طيلة السنوات التي مكثتها بين ظهرانيهم . فلم أجد ما أقابلهم بمسوى هذا الكتاب الذي يبحث عن تاريخهم ، مثملاً بقول الشاعر العربي الكريم:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

هذا هو قصدي ، وتلك هي أمني . فإذا كنت قد أصبت المرمى كان ذلك ما أبغي . وإلا فشقيقي في خطئي أنني ما كنت لاقترفه لو لا حيي لبلادي . والله من وراء القصد .

عارف العارف

مصادر الكتاب

الكتب العربية

الرقم	إسم الكتاب	المؤلف
١	معجم البلدان	ياقوت الحموي
٢	معجم الادباء	ياقوت الحموي
٣	المعجم اليوناني	—
٤	صبح الأعشى	القلقشندي
٥	رحلة ابن بطوطة	ابن بطوطة محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي
٦	سوانح الانس ورحلي لوادي القدس	مصطفى أسعد اللقمني
٧	خطط الشام	محمد كرد علي
٨	فتوح الشام	محمد الواقدي
٩	فتح مصر الحديث	أحمد حافظ عوض
١٠	المحفوظات الملكية المصرية	أسد رستم
١١	حروب ابراهيم باشا المصري	مؤرخ مجهول
١٢	تاريخ الكتاب المقدس	—
١٣	تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية	شجادة خوري ومقولا خوري
١٤	تاريخ الناصرة	أسعد منصور
١٥	تاريخ عمرو بن العاص	حسن ابراهيم حسن
١٦	تاريخ خالد بن الوليد	ابو زيد شلبي
١٧	تاريخ ابن خلكان	شمس الدين بن خلكان
١٨	تاريخ بئر السبع وقبائلها	عارف العارف
١٩	تاريخ شرق الاردن وقبائلها	فرديك بيك
٢٠	تاريخ سيناء	نعوم شقير
٢١	تاريخ نابليون	الياس الخويك
٢٢	اسلام نابليون	يعقوب العودات
٢٣	السامريون	الياس مرموره
٢٤	حياة محمد	محمد حسين هيكل

الكتب العربية

الرقم	إسم الكتاب	المؤلف
٢٥	جغرافية فلسطين	خليل طوطح وحبيب خوري
٢٦	بلادنا - فلسطين	مصطفى مراد الدباغ
٢٧	المصور القديمة	برستد
٢٨	العهد القديم	-----
٢٩	العرب قبل الاسلام	جورجي زيدان
٣٠	رحلة الهلال	جورجي زيدان
٣١	رحلة المقتطف	فارس عمر ويعقوب صروف
٣٢	رحلة المشرق	-----
٣٣	رحلة النعمة	عيسى اسكندر معلوف
٣٤	الانس الجليل في تاريخ القدس والجليل	محير الدين الحنبلي
٣٥	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	محمد بن عبد الرحمن السخاوي
٣٦	شذرات الذهب في اخبار من ذهب	عبد الحلي بن العماد الحنبلي
٣٧	زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك	غرس الدين الظاهري
٣٨	الاخبار السنية في الحروب الصليبية	سيد علي الحريري
٣٩	كتاب الملوك لمعرفة دول الملوك	تقي الدين المقرزي
٤٠	النظام الاقتصادي في فلسطين	سميد حماده

الكتب التركية

عدد	كتابك اسمي	مؤلفي
١	اوليا جلبي سياحاته سي	اوليا جلبي
٢	فلسطين جبعه سي	دوقه كين زاده فريدون
٣	قاموس اعلام	شمس الدين سامي

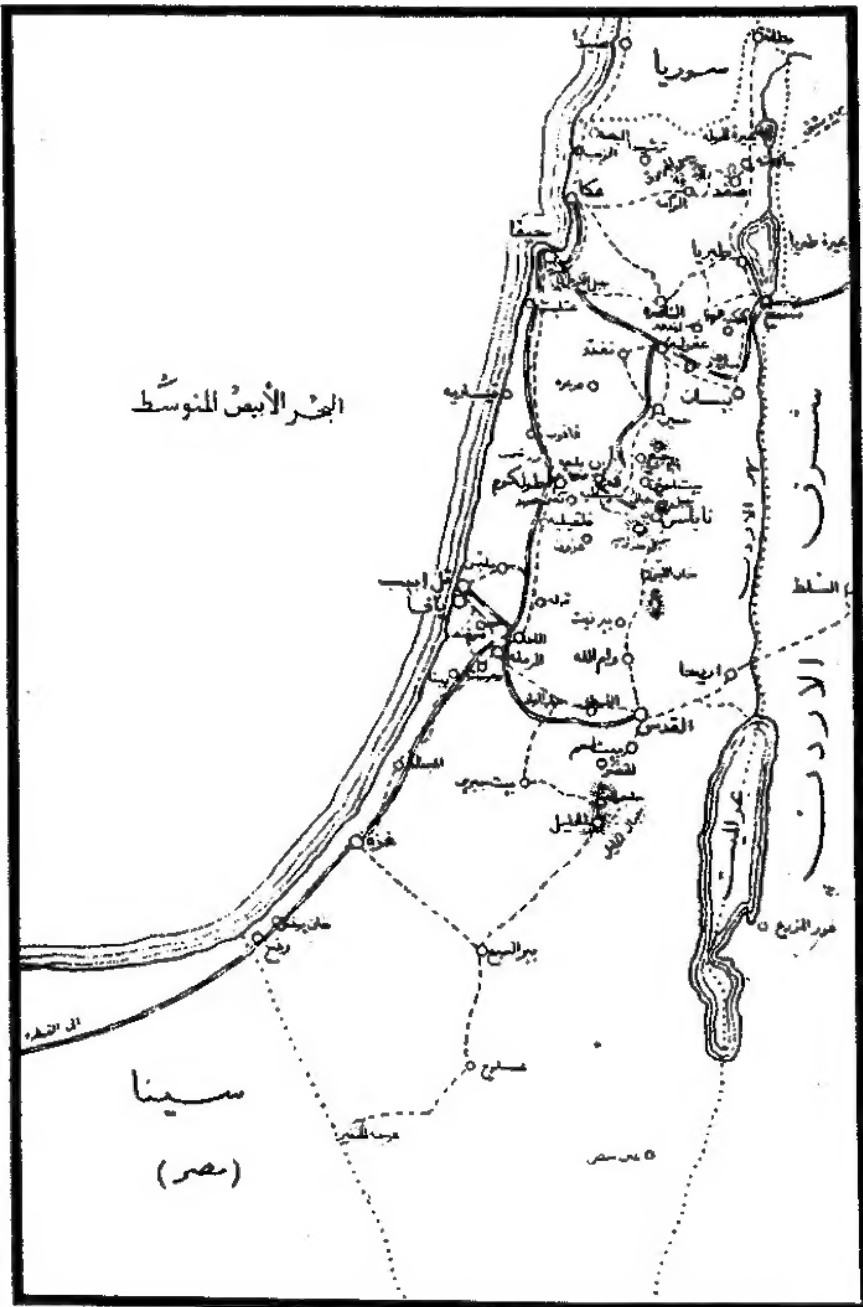
- ٥ -

الكتب الانكليزية

S. No.	Name of Book	Name of Author
1	History of the City of Gaza	M. A. Meyer
2	Gaza a City of many Battles	T. E. Dowling
3	Ancient Gaza	Sir Flinders Petrie
4	Soundings at Gaza	W. J. Adams
5	Arabic Inscriptions of Gaza	L. A. Meyer
6	Samaritan Inscription from Gaza	W. R. Taylor
7	The Works of Josephus	Flavius Josephus
8	Encyclopaedia Biblica	-----
9	Encyclopaedia Britannica	-----
10	The Encyclopaedia of Islam	-----
11	Dictionary of the Bible	-----
12	English Dictionary on Historical Principles	J. A. H. Murray
13	Archaeological Researches in Palestine	Charles Clermont-Ganneau
14	A History of Egypt	J. H. Breasted.
15	A History of Egypt	Sir Flinders Petrie
16	The Royal Archives of Egypt	Asad J. Rustum
17	History of the Jews	H. Graetz
18	The Seleucid Era	H. Graetz
19	The Hand-Book of Palestine	E. Keith-Roch & H.C. Luke
20	The Historical Geography of the Holy Land	G. A. Smith
21	The Ancient East and its Story	James Baikie
22	The Palestine Campaign	Colonel A. P. Wavell
23	Sinai & Palestine	H. S. Gullett
24	Palestine Exploration Fund (1918)	D. Mackenzie
25	Palestine Exploration Fund (1920)	J. Garsting

الكتب الافرنجية

Nombre	Le Nom du Livre	Auteur
1	Géographie de la Palestine	L. Abel
2	Dictionnaire de la Bible	-----
3	Revue Biblique Internationale	L'Ecole Biblique et Archéologique Française, Jerusalem
4	Inscription Samaritaine de Gaza	Charles Clermont-Ganneau



غزة

اهميتها التاريخية . اسمائها المختلفة . معناها . أين كانت في العهود الغابرة ؟

(غزة) مدينة تاريخية قديمة . لا ، بل انها من اقدم المدن التي عرفها التاريخ . انها ليست بنت قرن من القرون ، او وليدة عصر من العصور ؛ وإنما هي بنت الأجيال المنصرمة كلها ، ورفيقة العصور القائمة كلها : من اليوم الذي سطر التاريخ فيه صحائفه الاولى إلى يومنا هذا .

وإنه لتاريخ مجيد ، تاريخها . ذلك لانها صمدت لنواب الزمان بجميع انواعها ، وطوارىء الحداث بجميع ألوانها . حتى انه لم يبق فاتح من الفاتحين ، أو غاز من الغزاة المتقدمين والتأخرين الذين كانت لهم صلة بالشرق إلا ونازلته : فاما أن يكون قد صرعها ، أو تكون هي قد صرعه .

٢ — ولقد تبدل اسمها بتبدل الامم التي صارعتها . فقد كان العرب ولا يزالون يسمونها (غزة) أو (غزة هاشم) . والعبرانيون (غزة) *Gaza* . والكنعانيون (هزاتي) *Hazzati* . وللصوريين (غازاتو) *Ohasatu* ، و (غاداتو) *Ghadatu* . والآشوريون (عزاتي) *Azzati* . واليونانيون *FAZA* . وقد جاء في المعجم اليوناني انها اعطيت في العصور المختلفة عدة اسماء منها *إبوني* ، و *مينووا* ، و *قسطنديا* . والصليبيون *Gadres* . والأتراك (غزة) . والانسكليز (غازا) *Gaza* . وكذلك قل عن كثير من الامم في يومنا هذا .

٣ — ولقد تضاربت الآراء واختلفت التفسيرات في معنى كلمة (غزة) : فهناك من يقول أن هذه الكلمة مشتقة من (الغزة) والنعة والقوة . ومن القائلين بهذا القول المؤرخ اوسابيوس *Eusabus* في كتابه *Onomostica Sacra* . وكذلك ويليام سمث في قاموس العهد القديم . ويعلل هذا الفريق قوله بالحروب الكثيرة التي جرت فيها وحولها ، والتي صمدت لها صمود الجبارة . وهناك من يقول أن معناها (الحزينة) أو (الثروة) . ومن القائلين بالقول الثاني من يعزو ذلك إلى أصل فارسي وهو المتربوليت صفرونيوس في كتابه قاموس العهد الجديد المطبوع في مطبعة

البطركية الارثوذكسية بالإسكندرية سنة ١٩١٠ . ويقول أن (غازا) كلمة فارسية معناها الكنز الملكي . وهناك من يقول انها يونانية الاصل ، وأن معناها باللغة اليونانية أيضاً هو الثروة أو الخزينة . ويعمل هذا الفريق رأيه برواية وردت في كتب التاريخ من أن ملكاً من ملوك الفرس دفن فيها ثروته ، وغاب عنها ؛ ثم رجع إليها ، فوجدها فيها . وعلى قول أن هذا العمل تكرر في عهد الرومان . وقد جاء في معجم البلدان عند تفسير كلمة (غزة) أن « العرب تقول قد غر فلان بفلان واعتز به إذا اختصه من بين اصحابه » . ومعنى ذلك أن الذين بنوا غزة قد اختصوا هذا الموقع لبنائها من بين المواقع الاخرى الواقعة على حوض البحر الابيض المتوسط . وقال ابو النذر أن « غزة » كانت امرأة صور الذي بنى مدينة صور . وإياها اراد الشاعر بقوله :

ميت بردمان وميت بسا مان وميت عند غزرات

وعندي أن الرأي الاول هو الاصح . وأما الآراء الاخرى فانها ضعيفة للغاية . ولا صحة في نظري للقول القائل بأن هذا الاسم اطلقه المهاجرون وجوابو الامصار على القبائل النازلة بالقرب من غزة لشدهم وبطشهم اثناء الغزو : إذ أن (غزة) ذكرت بهذا الاسم قبل أن يحتلها الفرس واليونان والرومان بأحقاب ، وقبل أن يدفن هذا الملك أو ذاك فيها ثروته ، وقبل أن يكون ثمة سياح وجوابو امصار يعرضون انفسهم لخطر الغزو .

٤ — ولا بد لي بهذه المناسبة من الإشارة إلى أنه يوجد فوق الكرة الارضية ثلاث مدن بهذا الاسم : الاولى في جزيرة العرب . وهي التي ذكرها ابو منصور ، فقال : ورأيت في بلاد بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم رملة يقال لها غزة ، فيها احياء جمّة ونخل . وقد نسب الاخطل الوحش الى غزة ، فقال يصف ناقته :

كانها بعد ضم السير خيلها من وحش غزة موشي الشوى لحق

والثانية بلد بافريقية ، بينها وبين القيروان نحو ثلاثة أيام . تزلها القوافل القاصدة الى الجزائر . وقد ذكرها ابو عبيد البكري ، والحسن بن عبد المهدي في كتابيهما . والثالثة : (غزة) من أعمال فلسطين ، وهي موضوع كتابنا هذا .

٥ — ترى هل المدينة الحالية قائمة على انقاض المدينة القديمة ، أم أنها بنيت على بقعة من الارض غير البقعة التي انشئت فوقها من قبل ؟ هنا أيضاً تضاربت الآراء :

فمن قائل وهو العالم الاثري المشهور السر فلندرس بيري أن غزة القديمة انشئت قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وانها كانت يومئذ قائمة فوق التل المعروف بتل المعجول وأن سكانها الاقدمين هجروها بسبب الملاريا التي اجتاحتها يومئذ ، لخطوا رحلهم في بقعة من الارض تبعد عن الاولى ثلاثة اميال ، وانشأوا غزة التي نعيش فيها في يومنا هذا . ويقول واضع هذه الفكرة أن المراكب كانت ترسو على شاطئ غزة القديمة ، وأن البحر عندما انسحب بسبب الجزر تكونت هناك مستنقعات عشش البعوض فيها ، فسطا على سكانها ، وراح قسم كبير منهم ضحية الملاريا والامراض الفتاكة الاخرى ؛ الامر الذي جعل البقية الباقية منهم يترشحون إلى المكان الذي فيه غزة الآن . وهناك من يؤيد هذا القول ويضيف اليه أن ذلك جرى على عهد الهيكسوس (أو الملوك الرعاة) الذين سيطروا على هذه البلاد قبل المسيح بألفي سنة . وقد أيد هذا القول الباحث ستاركي ، والقديس ايرونيموس ، ودنكان ماكزني Duncan Mackenzie وغيرهم .

وهناك من يدحض هذا الرأي ويقول أن غزة كانت من القديم في موقعها الحالي ، وأن تل المعجول لم يكن يومئذ سوى ثغرها التجاري الذي كانت ترسو فيه السفن والمراكب التجارية . ومن قائل أن غزة الجديدة وإن كانت لا تقوم على أساس المدينة القديمة بالضبط إلا أنها لم تنشأ في مكان بعيد عنها كالبعد الذي يتصوره السر فلندرس بيري . وزعيم هذه النظرية هو سترايون . وهو يقول أن غزة الجديدة انشئت بالقرب من المدينة القديمة التي راحت طعمه الحراب في عهد الاسكندر ، يوم فتحها هذا وخربها (عام ٣٣٢ قبل الميلاد) . ولكن ديودوروس وارمانوس وغيرهما من المؤلفين يدحضون هذا الرأي أيضاً ، ويقولون أن غزة ظلت قائمة في مكانها الاول ، لم تنتقل عنه لا إلى مسافة بعيدة ولا إلى مسافة قريبة . ومن القائلين بهذا القول الراهب النساوي الاب جورج غات الذي قضى في غزة ثلاثين عاماً ، درس خلالها تاريخها دراسة تامة ، وأسس الدير المشهور بدير اللاتين ، ونشر لأول مرة الرسالة اللاتينية فيها .

ويعتقد الاستاذ غارستغ^(١) أن القسم القديم من مدينة غزة الحالية هو المكان الذي كانت تقوم عليه غزة القديمة في عهد الفلسطينيين من القرن السادس إلى القرن الثاني قبل الميلاد .

بناء غزة الاقدمون

المينيون .. السبائيون .. العربيون .. الكفتاريون .. العنقبيون ..
البريتانيون .. الرومانيون .. العموريون ..

كانت غزة ، على مر الدهور ، ذات صلة وثقى بالعرب والحياة العربية . وإذا لم يكن (المينيون) هم الذين وضعوا الحجر الاساسي فيها ، فانهم أول من ارتادها وغشي اسواقها من العرب الازائل الذين وصلت إلينا اخبارهم . فقد كان هؤلاء يحملون إليها بضائعهم وسلعهم التجارية : كالطبيب ، والبحار ، والبخور ، واللبان ؛ فينقلونها عبر الصحراء إلى غزة . إذ كانت هذه أهم فرصة تجارية واقعة على شواطئ البحر الابيض المتوسط . وكانت البضائع والسلع المتقدم ذكرها تصرف فيها ، فلما أن ينهلكها أهلها أو يصدرونها إلى البلاد المجاورة . وكانت مصر في مقدمة تلك البلدان ، لأن المصريين كانوا يستعملون اللبان والتوابل والاافويه في طقوسهم الدينية وفي تخطيط أجساد موتاهم .

٢- أضف إلى ذلك أن غزة كانت واقعة على الطريق الصحراوية التي تربط مصر بالهند . ذلك لأن الملاحة في البحر الأحمر كانت صعبة للغاية ، ولا سيما في القسم الشمالي منه . ولهذا كانت أفضل طريق تجارية في العالم القديم هي التي تبدأ من جنوب بلاد العرب ، في حضرموت واليمن ، حيث تجتمع تجارة البلاد وتجارة الهند . ثم تير شمالاً إلى مكة وللدينة والبراء . ومن هنا كانت تنفرع إلى فرعين : ينتهي أحدهما في غزة على البحر المتوسط ، ويمتد الثاني في طريق الصحراء إلى تباه ودمشق وتدمر .

٣- ولقد عرف المينيون هذه الطرق كلها ، ولا سيما الطريق الاولى . وعرفوا قيمتها التجارية ، فارتادوها ؛ فكان من وراء ارتيادهم لها أن تأسست مدينة (غزة) واكتسبت شهرتها التاريخية الاولى . فمن هؤلاء يا ترى ؛ ذكرهم^(١) مؤرخو اليونان قالوا انهم من الامم العربية التي كانت تعيش في القسم الجنوبي من جزيرة العرب ،

(١) العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان .

وكانت عاصمتهم في بادىء الأمر (معين) الواقعة شرقي صنعاء ، ثم صارت (قرنا) . ذات تجارة واسعة وشأن كبير . جاءوا من العراق إلى اليمن . وقد كانوا امة عظيمة ، وأسسوا فيها دولة امتد نفوذها وسلطانها إلى شواطئ البحر المتوسط (٣٧٥٠ ق م) وشواطئ خليج العجم . وظلوا يتعاطون التجارة زمناً طويلاً حتى فقدوا استقلالهم ، وغلبوا على أمرهم من قبل بني سبأ .

٤ - و (السبائيون) أيضاً من الامم العربية التي كانت تعيش في القسم الجنوبي من جزيرة العرب . إنهم من العرب المتعربة . ويرجعون بنسبهم إلى قحطان . وقد كانوا امة عظيمة ، ذات تجارة واسعة وشأن كبير . وأسسوا دولة سبأ التي كانت عاصمتها (مأرب) . وقد استدل الأستاذ غلازر من نقش أثري عثر عليه في جنوب جزيرة العرب على أن السبائيين حاربوا المينيين ، وغلبوهم على أمرهم . وكان ذلك في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد .

ولقد وصلت هذه الدولة إلى أوج عزها ومجدها التجاري في اواخر القرن العاشر قبل الميلاد . وذكرت ملكة سبأ في ايام سليمان أي في القرن التاسع قبل الميلاد ، وظلت قائمة حتى (سبيل العرم) . وأن غزوة من أمم المدن التي كان السبائيون يؤمنونها بقواظهم التجارية . ولم يكن عالم التجارة ليستغني عنهم . فزهت بلادهم ، واتسعت ثروتهم ، وامتدت سيادتهم إلى اطراف الجزيرة شمالاً وشرقاً ؛ فحفروا الترع ، وبنوا السدود ، وحولوا الرمال إلى تربة خصبة ، وبنوا القصور والمخالف والمهاكل ، وشادوا حولها الاسوار ، وعمرسوا الحدائق ، حتى صارت الاديبة جنة عامرة . وما زالوا كذلك في عز وثروة إلى أن أتى سيل العرم . ثم تحولت طرق التجارة من البر إلى البحر ، فزال دولتهم من الوجود .

٥ - ويقول المستر غلازر أن المينيين وحدوا في غزوة وما جاورها من البلاد حوالي القرن السابع عشر قبل الميلاد . وأن بني سبأ جاءوا من بعدهم فاحتلوا ديارهم . وقد استنتج مما تقدم أن المينيين وبني سبأ ، هم أول من أنشأ غزوة ، أو أنهم أول من احتلها من العرب الأوائل الذين وصلت إلينا اخبارهم . وقد أبدى في استنتاجه هذا الأستاذ ماير الذي درس تاريخ هذه المدينة دراسة مطولة . وفيهم من هذا كله أن غزوة العربية كانت قائمة في هذا الوجود حوالي سنة ٣٧٥٠ قبل الميلاد .

٦ - ومن أقدم الامم التي استوطنت غزوة (المويون) الذين ذكرهم موسى ،

فقال انهم مقيمون بالقرى إلى غزة . وقد ابادهم (الكفتاريون) ، إذ جاءهم هؤلاء من الجنوب ، فاكسحوا بلادهم ، وارجعهم إلى الشمال ، وأقاموا مكانهم . وعلى قول أن الكفتارين جاؤا من كريت واحتلوا القسم الجنوبي من فلسطين منذ القديم ، وانشأوا المدن الكبرى فيها .

ثم نزع (العناقيون) عن مساكنهم في الجبال ، وهبطوا الساحل واستوطنوا غزة . وقد اشتهر هؤلاء بطول قلمتهم وبأسهم في الحروب ، حتى أن بني اسرائيل كانوا يرهبونهم ويخافون شرهم . ويقال أن العميين وبني عناق هم الفلسطينيون القدماء الذين جاء ذكرهم في أسفار العهد القديم بأنهم هم أول من استوطن غزة . وقد استوطنها أيضاً (اللدانيون) أحفاد إبراهيم ، و (الآدوميون) و (العموريون) و (الكنعانيون) وغيرهم كثيرون سنأتي على ذكرهم في الفصول التالية .



غزة في عهد الكنعانيين

حاء في سفر التكوين (١٠ : ١٩) أن غزة من أقدم مدن العالم . سكنها أولاً الكنعاني من نسل حام . وفي رواية أخرى أن غزة كانت قائمة في هذا الوجود عندما احتلها الكنعانيون وأخذوها من العموريين ، وكانت واقعة على أقصى تخومهم من الجنوب .

٢ — قال ابن جرير ان القبائل الكنعانية من العرب البائدة ، وانهم يرجعون بأنسابهم إلى العماقة . وقد أخذ ابن خلدون عنه هذا الرأي . ويعتقد الاستاذ مصطفى الدباغ (١) أن هجرة الكنعانيين من اللوجات السامية التي اتخذت طريقها إلى هذه البلاد حوالي سنة ٢٥٠٠ ق . م إذ كانت معظم بلاد الجزيرة العربية صحراء قاحلة ، وكان أهلها يضطرون للرحيل عنها كلما ازداد عددهم . فهاجروا إلى البلاد المجاورة التماساً للرزق ، وطلباً للعيش . وعلى هذا السوال حدثت هجرات عديدة منها وأهمها الهجرة الكنعانية التي اتخذت طريقها إلى فلسطين .

ويرى البعض أن الكنعانيين أتوا من خليج العجم ، والبعض الآخر من البحر الأحمر . وأياً كان أصلهم فانه مما لا شك فيه انهم استوطنوا هذه البلاد قبل خمسة آلاف سنة تقريباً . وعندي أن الكنعانيين نزحوا غزة في عهد لا يعرف له تاريخ .

٣ — يعتقد السرفلندرس بيري أن قسماً كبيراً من سور المدينة التي عثروا على بقاياها بالقرب من الجامع القديم انشئ في عهد الكنعانيين ، وأن اللقيين لم يعمثوا على حجارة ضخمة بهذا الحجم بعد الكنعانيين . ويقول الاستاذ غارستغ أن تاريخ بناء هذا السور غير معلوم بالضبط . وإنما هو يظن أنه بني حوالي القرن الخامس ،

أو السادس ، أو السابع قبل الميلاد . ولا على أن يكون فل ذلك ويستدل على ذلك بقطع الفجار التي عثر عليها الأب فنان Pere Vincent وفي الطرف الجنوبي من تل المحول عثروا على اطلال مديمة كنعانية كانت على ما يظهر تحت سلطة الهيكوس ، وعلى مقابر يعود تاريخ بعضها إلى العصر البروري (٤٠٠٠ ق . م)

٤ — كانت هذه البلاد تدعى (أرض كنعان) . وكانت عرة الحد الجنوبي لهذه الارض . وأما في الشمال فقد شملت ، فصلا عن القسم الساحلي من فلسطين الذي كان يمتد من غزة في الجنوب إلى عكا في الشمال ، القسم الواقع بين هذه وصيدا أيضاً .

٥ — كان الكنعانيون في بادئ الامر متفرقين متخاذلين . ثم اتحدوا فكونوا قوة ، وكان باستطاعتهم بعدئذ أن يغزوا مصر . وقد أسسوا لهم فيها كياناً ومجداً داما حيناً من الدهر .

وقد كانوا أيضاً بناة مدن ، وسكان مدن . وكانت أكثر مدنها محاطة بالأسوار . وكانوا ماهرين في فن البناء ، وفي قطع الحجارة الضخمة . إنهم أول من عرف زراعة الزيتون في هذه البلاد . وقد تعلم بنو اسرائيل عنهم هذه الزراعة . وكذلك قل عن صناعة النسيج والفخار . وقد عرفوا أيضاً المعادن والتعدين . واخترعوا الحروف المعنانية . وسوا الترائع والقوانين . فأخذ بنو اسرائيل عنهم كثيراً من سنتهم ، وشرائعهم ، وأفكارهم ، ومبادئهم . حتى وحاصرتهم . وكانت غزة في عهدهم من المراكز التجارية الهامة .

٦ — كانوا يعبدون الاصنام . ومن اصنامهم (بعل) ومعناه الرب او السيد . وهذا هو إله الشمس الذي اشتهر بعدئذ في غزة يوم كانت هذه غارقة في عادة الاوثان ، وكان لإله الشمس (هيليوس) فيها المقام الاول .

٧ — وكان الكنعانيون ماهرين في فن الحرب أيضاً . فقد حدثنا التاريخ عنهم ، وعن مهارتهم في الحروب ، وعن وقوفهم حمر غزة في وجود المصريين كلما أراد هؤلاء احتياح أرض كنعان . وقد كانوا من المرأة بدرحة أن تاروا على رعمسيس الثاني للشمور ماسم (سينوستريس) أو (رعمسيس الأكبر) . وهو أعظم من ملك مصر بالحكمة والبطش مدة طويلة . وكان المصريون يسمونهم (كنعان) أو (كنعاني)

وقد عثر الملقبون في مقابر بني حسن في إحدى الجبر على صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء واطفال وفدت من فلسطين إلى مصر في أيام الملك (سنوسرت الثاني) .

٨— وقد كان لهم مع بني اسرائيل أيضاً حوادث جمة . ذكرت كلها في أسفار العهد القديم . ومنها أنهم حاربوا بني اسرائيل سنة ١١٨٦ ق . م وصدوهم عندما أراد هؤلاء عبور فلسطين من هذه الناحية . وظل النزاع قائماً بين الكنعانيين وبني اسرائيل حتى عام ١٠٠٠ ق . م . حيث تمكن بنو اسرائيل من استلاب الحكم والسيادة منهم . وما كان هؤلاء ليوفقوا لو لا تفرق كلمة الكنعانيين : فقتلوا ملوكهم ، ودمروا مدنهم ، واستعبدوا من لم يقتل منهم . وكان في أرض كنعان يومئذ ١١٨ مدينة ذكرت كلها في جدول عثر عليه في هيكل الكرنك من صعيد مصر . إن النصر الذي ناله داود ، وابنه سليمان من بعده قضى على الكنعانيين والعموريين ممّا قضاء تاماً . فلم يعد التاريخ يذكر أن هذين الشعبين كونا كياناً قوياً ذا سيادة وسلطان بعد ذلك التاريخ .

ولقد أشارت أسفار العهد القديم إلى هذا الحادث ، فجاء في الاصطاح العاشر من سفر التكوين ما يأتي :

« وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني . وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما نجى . نحو جرار (١) إلى غزة »

وجاء في الاصطاح الثاني من سفر صفنيا ما يأتي :

« ان غزة تكون متروكة ، واشقلون للحراب ، واشددود عند الظهيرة يطردونها ، وعقرون تستأصل . ويل لسكان ساحل البحر امة الكريبتين . كلمة الرب عليكم . يا كنعان أرض الفلسطينيين إني اخربك بلا ساكن »

غزة في عهد الفراعنة

كانت غزة ولا تزال حلقة الاتصال بين مصر والشام . إنها ذات قيمة حرية واقتصادية في نظر الجيوش التي تعبر الصحراء . ولطالما اعتبرت في التاريخين: القديم والحديث ، المحقر الامامي لمصر وافريقيا وباب آسيا . ولهذا كانت ولا تزال موضع اهتمام جميع الملوك والسلاطين والغزاة والفاتحين الذين اعتلوا عرش النيل من أيام الفراعنة حتى يومنا هذا . وكان المصريون في عهد الفراعنة يسمونها (هازلي) و (عزاني) . كذلك ورد اسمها في الواح (تل العمارنة) . ووردت في بعض الاسفار الاخرى بهذا الاسم : (غاداتو) و (غزاتو) وما إلى ذلك .

٢ — ولقد كان المصريون أم عنصر من عناصر السكان الذين استوطنوا غزة على مر الاحقاب . وإذا كنت في شك من قولي هذا فاعليك إلا أن تقلب صفحات التاريخ ، أو تقوم بجولة قصيرة في شارع من شوارع غزة في هذه الايام : تشابه في الرداء ، واللهجة ؛ وفي العادات ، والسننات ؛ وفي الافراح ، والمآتم ؛ وفي السحن ، وقاطع الوجه ؛ وفي الابنية ، والمساكن ؛ وفي كل شيء .

ولا غرابة في ذلك . فكما أن الجيوش التي كانت تعبر الصحراء من مصر الى سوريا كانت تترك اثناؤها اوتبها الى مصر عدداً من رجالها هنا في غزة ، فقد كان المصريون في زمن السلم أيضاً يؤمنونها مستمرئين العيش فيها . ولئن صعب علينا استجلاء التامض من هذه الناحية في عهد الفراعنة فان لنا في التاريخ الحديث خير دليل على ذلك ؛ ولا سيما عندما رجع ابراهيم باشا الى مصر بعد حروبه في هذه البلاد تاركاً وراءه عدداً غير قليل من بني قومه .

٣ — وإليك اسماء ملوك مصر وفراعنتها الاقدمين الذين مروا منها ، او فتحوها وكان لهم شأن فيها : —

مرن رع (٣٢٣٥ ق . م) مر هذا من غزة اثناء فتحه الشام .



تاهوتيس الثالث

سنوسرت الثالث (٢٤٦٥ ق. م)
غزا المصريون في عهده جنوب سوريا .

أحمس (١٥٧٣ ق. م) هذا هو
القائد الذي غلب (ملوك الرعاة) .

تاهوتيس الاول (١٥٣٩ ق. م)
فتح غزة وسار بفتحاته حتى الفرات .

تاهوتيس الثاني (١٥١٤ ق. م)
اخضع سوريا برمتها : شمالها وجنوبها .

تاهوتيس الثالث اشتهرت غزة في زمنه .
هبطها (عام ١٥٠١ ق. م) بعد أن قطع
مئة وستين ميلا في البداية في اثني عشر
يوماً . ثم سار شمالاً فاخضع سوريا وحاربها
مراراً .

امين حوتب الثاني استأنف حملة ابيه في سوريا ، ومر من غزة (١٤٤٩ ق. م) .

تاهوتيس الرابع (١٤٢٣ ق. م) اثار على سوريا .

امين حوتب الثالث (١٤١٣ ق. م) اخضع ملوك الرعاة . وامتد سلطانه من
مصر الى شمال سوريا ومن الحبشة حتى ما بين التبرين .

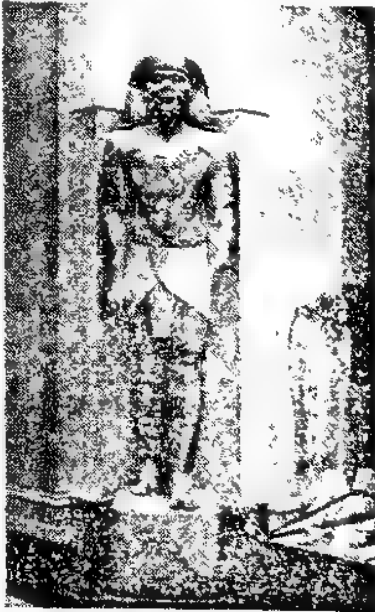
توت عنخ آمون (١٣٥١ ق. م) عثر النقبون على آثار استدلوا منها على أن
سوريا كانت تدفع الجزية لمصر في عهده .

سيتي الاول (١٣١٧ ق. م) طارد قبائل الشاسو ، وادمدم عن حدود مصر ،
ثم اكتسح البلاد حتى وصل الى اقصى الشمال في سوريا . وبما هو جدير بالذكر في
عهده انه بحث عن المياه في طريقه وسبر غور البادية ، ثم انشأ الصهاريج والقنوات في
رحلته قبل أن يفتح هذه البلاد .

رعسيس الثاني غزا سوريا (١٢٩٥ ق. م) وحارب الحيثيين والكنعانيين

حرباً دامت عشرين سنة ، ثم حالف (ختسارو) أمير الحيثيين على أن يساعد كل من

الفرقيين الآخر إذا ما أراد هذا ان يؤدب العشار النازلة على الحدود . وكان معروفاً عند اليونان باسم (سيزوستريس) .



مرن بتاح (١٢٢٩ ق.م) هناك اغنية مصرية قديمة تذكر الظفر الذي ناله هذا في غزة وعسقلان من ارض كنعان .

رعسيس الثالث (١١٩٥ ق.م) تحالف سكان هذه البلاد من عموريين وفلسطينيين ضد السلطة المصرية في عهده ، فاقضهم . وقد عثروا على كتاب له جاء فيه : هاجت سا آرو (١) ، وازلت بلاتي على العشار الشاسو غربت ديارم ، واهلكت رحلهم واموالهم حتى الابقار ، واسرتهم ، ثم اجبرتهم على دفع الجزية الى مصر ، وقدمتهم الى الآلهة كعبيد في الابد .

امين هوتب الثاني

اوزرقون الاول (٩١٩ ق.م) نهب المدن التي حول جزار ومنها غزة ، وهدمها ، وجعل هذه المدن حداً لمصر .

بسامتيك الاول (٦٦٤ ق.م) استولى على فلسطين وجعل غزة حداً لمصر . نحاو الثاني (٦١٠ ق.م) قام بغزوة كبيرة على سوريا ، وافتتح عدداً كبيراً من مدن فلسطين ومنها غزة . وقد تغلب على بني اسرائيل ايضاً واقتل ملكهم ، ولكنه لم يقدر على ملك بابل (بنوخذ زور) فرجع إلى مصر .

٤ — ومن هذا ترى ان غزة كانت من الاهمية على جانب عظيم في عهد الفراعنة ، وانه ما فكر ملك من ملوك مصر بغزو سوريا إلا ورنما يبعثه الى غزة اولاً فاحتلها ؛ وانه حين يضعف الواحد منهم فيضطر للانكماش في مصر لا يهدأ له بال إلا عندما



رعميس الثاني

تكون غزة في ملكه . ويظهر أنها كانت على عهد الاسرتين اثامنة عشرة والتاسعة عشرة المقر الرئيسي للجيش المصري المحتل لهذه البلاد ، وإنها كانت يومئذ محاطة بأسوار حصينة عالية ، وكانت اسوارها هذه مبنية بالآجر على الطريقة المألوفة في مصر . وكذلك كانت يفعل القرارة الذين يأتون من الشمال كالأشوريين والبابليين ، فانهم كانوا يهتمون بغزة اولاً فيحتلونها . وبعد أن يستكملوا فيها عدتهم ، ويحشدوا قوامهم ، يبدأون منها بالزحف على مصر . وهذا ما جعلها تنفاسي الآلام والاهوال سنين طويلة تحت منابك خيل الفاتحين سواء أ جاء هؤلاء اليها من الشمال أم من الجنوب . ومما يستلفت الانظار بشكل خاص أن شؤون المملكة المصرية ما كانت تزدهر إلا عندما يتمكن المصريون من الاستيلاء على غزة . لأن الاستيلاء على غزة معناه السيطرة على طرق الحرب والتجارة بين آسيا وإفريقيا .

٥ — الآن وقد انتهت من مطالعة هذا الفصل يجدر بك أن تقرأ الفصل الذي يبحث عن (غزة في عهد ابراهيم باشا) ذلك الفصل الذي نعتبره تمة لحديثنا هذا .

غزة

في عهد الهيكسوس (الملوك الرعاة)

كانت غزة في عهد الهيكسوس (أو الملوك الرعاة) المدينة الرئيسية في هذه البلاد . ولكنها لم تكن يومئذ في موقعها الحالي . بل كانت قاعة ، على ما يقول العالم الاثري الشهير السر فلندرس بيري ، في المكان الذي يدعى في يومنا هذا (تل العجول) . ويقول السر فلندرس بيري هذا إن البحر كان في تلك الايام قريباً منها ، وان السفن كانت ترسو على شاطئها ، وأنه عندما انسحب البحر تكونت في تلك البقعة مستنقعات تمت فيها جراثيم الملاريا والامراض الاخرى . ففتكت هذه في الزين فتكاً ذريعاً . فاضطروا على أثر ذلك لمغادرة ذلك المكان ، وزلوا الناحية التي تكون منها غزة الحالية .

ذلك كله جرى في عهد الهيكسوس الذين حكموا هذه البلاد قبل المسيح بألfi سنة . فمن هم يا ترى ؟

٢ — اختلف المؤرخون في تعيين أصلهم : فمن قائل إنهم هم العالقة او العرب البائدة الذين أتوا من شبه جزيرة العرب . ومن قائل انهم من سلالة أربة أتت من بلاد ما بين النهرين . ومن قائل إنهم من أصل سامي ، وموطنهم الأصلي فلسطين .

ولقد اطلقت عليهم الاسماء التالية :

حفاخاسوت (١) ، ومنتيوت (٢) ، وعامو (٣) ، وشاسو (٤) . وكان مؤرخو اليونان (٥) يسمونهم هيكلوس (٦) . ويظهر من اسماء ملوكهم انهم يرجعون إلى

- (١) أي حكم مائل فلسطين . وكان هذا القبط يطلق عليهم قبل ان يحروا مصر .
- (٢) اسم القبائل التي كانت تسكن انحاء فلسطين الجنوبية .
- (٣) أي الاسويين او السامين .
- (٤) الاسم الذي كان يطلق على سكان الناحية الشمالية الشرقية من مصر .
- (٥) راجع كتاب العرب قبل الاسلام للرجي زيدان .
- (٦) يقول بوسينوس أن هيكل معناه الملك ، وسوس معناها الراعي . وأما بروكش فيقول ان هيكل معناه الملك ، وشاسو معناه اللادبة أو البدو .

أصل سامي كنعاني ، كـ (يعقوب إله) و (عنات إله) . وكذلك أسماء الافراد كـ (عبد) و (عابد) وما الى ذلك .

٣ — انك إذا رجعت الى تاريخ مصر القديم رأيت أن الشاسو كثيراً ما كانوا يسطون على المصريين في مدينتهم ، تارة من تلقاء انفسهم ، وطوراً بإيعاز من الجيدين . وكان المصريون يخافون بأسهم وبطشهم . ولما كانوا من الشدة والشجاعة على درجة قصوى فقد استعان بهم القراعة في حروبهم بعضهم على بعض في كثير من الاحيان . ولقد تمكنوا في أحيان كثيرة من الاستيلاء على مصر . كما حكموا مصر وفلسطين مما حقة من الدهر .

وكان مدير الخزينة العام (ها آل) يقوم بنفس العمل في القطين . وقد ساروا على هذه الخطة حيناً من الدهر . وظلوا في مصر (١) حكماً وملوكة مدة خمسة قرون ، وكونوا فيها ملكاً عريباً كان يوسف عليه السلام مستوراً فيه .

٤ — وكما أنهم شادوا غزة بالمكان المعروف الآن بتل النجول ، واستوطنوها قبل أن يعزوا مصر ، فانهم رجعوا إليها يوم غلبوا على امهم هناك ، وحالفوا المصريين (٢) على أن يخرجوا من مصر الى حيث يشاؤون . وقد كان عددهم يوم خروجهم من مصر ٢٤٠٠٠٠ نسمة ؛ هبط بعضهم غزة ، والبعض الآخر تل جمة ، وتل الفارعة ؛ وقسم آخر رحل إلى أجد من ذلك وتغلغل في البلاد السورية .

٥ — انهم أول من أدخل الخيل إلى هذه البلاد . وهم وإن كانوا قصار الاجسام ، حتى قيل إن قبر الرجل الميكسوسي كان يسع حصانه أيضاً ، إلا أنهم ماهرون في ركب الخيل . ليس هذا حسب بل كانوا ينظرون إلى الخيل نظرة إجلال واعتبار . حتى أن السر فلندرس بتري عثر في تل النجول على عظم حصان دفن مع صاحبه في قبر واحد .

(١) قيل إن ذلك حدث في زمن ابراهيم الخليل . ويقول جرجي زيدان ان الميكسوس منكموا مصر من اوائل القرن الثالث والعشرين حتى اوائل القرن الثامن عشر ق . م (٢٢١٤ — ١٧٠٣ ق . م) . وأما السر فلندرس بتري فانه يستنتج من الآثار التي عثر عليها في تل النجول انهم حكموا مصر من (٢٠٩٨ — ١٥٨٧ ق . م)

(٢) كان ذلك في عهد الملك احمس المؤسس الاول للأسرة الثامنة عشرة ١٥٧٣ ق . م .

٦ — ويظهر من القصور والآثار^(١) التي اكتشفها السر فلندرس بيري أن غزة كانت في عهد الميكسوس علمرة ومزدهرة ، وكان حولها يومئذ سور عرضه مئزر ونصف المتر وارتفاعه ١٥٠ قدماً . وكان هذا السور مبنياً من النوع المبن من الآجر بدرجة أنه كان يقاوم الأمطار والمواصف الشديدة . ويستدل من الأواني ، والحلى الذهبية ، والكنوز الثمينة التي عثر عليها في قبورهم أنهم كانوا على غاية قصوى من الثرف والذوة والذخ . كما عثروا على أواني من الفخار والنحاس ، وعلى حمامات ومجار للمياه . ويظهر أن الأمطار كانت يومئذ غزيرة ، وأنها ظلت غزيرة على مدى بضعة عصور . ومن هذه المواد والآثار التي وجدت في تل العجول مواد وآثار يظهر أنها من أصل عربي ، ولا سيما مظلمير الجيوب .

٧ — ومن أم الآثار التي اكتشفت في تل العجول أساور ذهبية ، وأقراط وخواتم يعتقد السر فلندرس بيري أنها ترجع إلى سنة ١٤٥٠ ق . م . ويستدل منها على أنه كان ثمة صلات تجارية بين هذه البلاد وإيرلنده . كما وجد ختم في قبر من القبور الذي يرجع عهده إلى زمن رعمسيس الثاني .

وهناك عظام محروقة لطيور وغزلان ؛ وطير موشح بالحليات الذهبية يظهر أنه اصطيد يومئذ وظلت عظامه مطروحة على الأرض حتى يومنا هذا ؛ وكثر طافح بالنحاس القديم وبعض القطع من الذهب والفضة يظهر أنها كانت لتاجر من التجار؛ وآباء مزخرف لآلهه (هاتور) ؛ ونجمتان ذهبتان كبيرتان ؛ وأقراط مرصعة بالذهب ؛ وخناجر ؛ وقبور كثيرة فيها عظام بشرية ؛ وغرق طوله ٥٠٠ قدم يتدلى عند باب المدينة وينتهي في الخلاء ، ويظهر أنه حفر خصيصاً ليتمكن السكان بواسطته من الفرار إذا ما ألت بمدينتهم كلثة ، أو حوصرت فمزت عليهم النجاة؛ واثنا وعشرون خنجراً نحاسياً ؛ وكثير من أواني الفخار ذوات الكموب المسطحة .

(١) ترجع هذه الآثار إلى العهود التالية :

الأسرة الثانية عشرة ٢٥٨٤ ق . م . والأسرة الخامسة عشرة ٢٣٧١ ق . م .
والأسرة السادسة عشرة ٢١١١ ق . م . والأسرة الثامنة عشرة ١٥٧٣ ق . م .
وهناك نقابا قصر يعتقد أنه شيد بعد العصر النحاسي الخاص بالأسرة الخامسة والسادسة أي أنه يرجع إلى ٣٠٠٠ عام ق . م .

وقد عثر في القصر على غرفة حمام رحة يستدل منها على ان حکام ذلك العهد لم يكونوا اقل اهتماماً بالنظافة من أبناء هذا العصر .

وهناك خاتم مبروم ؛ وحلى ذهبية مذابة (وجدت في حفرة فيها بقية رماد اسود اللون) ؛ وقطع ذهبية محطمة ؛ وشظايا رخام ؛ وآنية من العاج المحروق ؛ واسرة للنوم مصنوعة من الخشب الجميل باتقان ليس بعده اتقان ، ولها مشبكات ملائمة لراحة النائم ، ولها وسادة خشبية ملبسة بالفلين ، ومحفورة بصورة تتناسب مع العنق . وهي مريحة للمتوسد بها ، وملائمة للجو الحار الذي لا يحتمل الوسائد القطنية أو الصوفية .

والأغرب من هذا كله هو انهم وجدوا في القصر اوعية للدهان او الزايم الخاصة بتجميل الوجه ، كذلك التي تمتعملها سيدات عصرنا هذا . إن هذه الحلى الذهبية والالوان الجميلة التي وجدت في القصر تدل على انها كانت للملكة الميكسوس في ذلك العصر . وقد عثروا على ارتفاع ستة اقدام من عرصة القصر على مزار مبني بالأجر مربع الشكل يبلغ اتساعه ١٥ قدماً ، وفيه ٢٥٠ قطعة ذهبية مزخرفة . ووضعت هذه الحلى والالوان في الحجرة لا في القبر خشية ان تفسد .



غزة والفلسطينيون

فتح الفلسطينيون غزة من أقدم أزمنة التاريخ ، ويظن أنها دخلت في حوزتهم قبل زمن ابراهيم ، أي منذ نحو ٤٠٠٠ سنة ، وأخذوها حصناً منيعاً ؛ لأنها على حدود فلسطين عرضة لهجمات المصريين من الجنوب ، والعالمية من الشرق ، والامم الأخرى التي كانت تجاورهم كالآدوميين ، ونبي جديم ، ونبي كلاب .

٢ — الفلسطينيون هم الذين أعطوا فلسطين لقبها الحالي . كان لهم ملك ضخم ، ومدينة زاهرة عاشت ردياً من الدهر . وقد اشتهروا بتجارهم البرية والبحرية ، وحروبهم الفنية ؛ إذ كان جنودهم خوذ فولاذية ، ودروع حديدية ، وسيوف ، ونبال ، وسهام ؛ وكانوا هم يصنعون آلات القتال هذه بأيديهم ؛ كما كانوا في أيام السلم يصنعون الحارث والآلات المنزلية . وكان بنو اسرائيل يأتون اليهم ويشترون منهم مصنوعاتهم . وكانت لهم مراكب ، وعربات ، وخيول . وكانت لهم دبابة خاصة هي الوثنية وهيكل عظيمة أكبرها (داحون) ، واحتفالات طريفة . ومسكوكات خاصة

وما يمكن أن يقال عن الفلسطينيين بوجه عام ، يمكن أن يقال عن غزة بوجه خاص . لأن غزة كانت أهم المدن الفلسطينية الخمس التي ذكرها التاريخ وهي : غزة ، واشدود (٢) ، واشقلون (٣) ، وعقرون (٤) ، وجات (٥) . وكان ثمة اتحاد حكومي مؤلف من هذه المدن الخمس . وكان سلطانهم يمتد من جنوب عكا حتى عريش مصر .

٣ — اختلف في تعيين أصلهم : فمن قائل إنهم أتوا من شمال سوريا ؛ ومن قائل إنهم من جزيرة حكرية ، أتوا إلى فلسطين عن طريق آسيا الصغرى أو عن

(١) مجلة الهلال الجزء ٧ ص ٤٤٢

(٢) هي اليوم اسدود من قرى غزة

(٣) هي اليوم حورة عسقلان من قرى غزة

(٤) هي اليوم عفر من قرى الرملة

(٥) لا يعرف أحد بالضبط موقعها الحالي ، وإنما يظن أنها عاق المشاة من قرى

عرقاوا لن الاصطاعى أو عريش من القرية المذكورة . وهذا هو معنى ما جاء في عمالة بيوت .

طريق مصر عندما قاتلهم رعمسيس الثالث وفهرهم (١٣٤٠ ق . م) واسكنهم الساحل ما بين يافا وغزة ؛ ومن قاتل إسمهم ساميو الأصل ، وأن الساميين جاءوا من الحبشة ، وعبروا إلى جزيرة العرب من باب الدب ، فزولوا اليمن وهناك تكاثروا وانتشروا إلى الحجاز ونجد والبحرين ، ثم نزحت طائفة منهم إلى فلسطين وفهسا الفلسطينيون القدماء .

٤ — ولقد اخضعوا الحثيين وكان ذلك حوالي عام ١٤٠٠ ق . م . . . ولكنهم بعد ذلك ردوا على أعقابهم من قبل المصريين بقيادة رعمسيس الثالث . فاضطروا تحت ضغط حيوشه الجارية للانسحاب إلى الشمال (سوريا) وكان ذلك حوالي عام ١٣٤٠ ق . م .

٥ — وعندما تضعف حكم رعمسيس الثالث عاد الفلسطينيون إلى بلادهم وتقدموا حتى تمكنوا من احتلال سهل فلسطين الساحلي كله : من الكرمل إلى غزة . وقد كانوا في ذلك الوقت ، ينظرون إلى انفسهم كستعمرين يعيشون في وسط سكان البلاد الأصليين ، كالميتيين وبني سبأ الذين ذكرواهم قبلا ، وقلنا عنهم إسمهم هم الذين انشأوا غزة . ولكنهم مع الزمن تسربوا عوائد هؤلاء السكان ، ولغتهم ، حتى ومعتقداتهم ، فصبجوا منهم وإليهم ، لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء ؛ حتى أن بني اسرائيل كانوا في عهد ملوكهم ، يذكروهم (أي الفلسطينيين) والعرب معاً كأنهم من أصل واحد .

٦ — عثر النقبون على جور كبيرة محفورة في الأرض حول غزة ، وفي تل حجة وما حولها من الأراضي ؛ وقالوا أنها حفرت في زمن الفلسطينيين لأجل خزن الحبوب وشحنها إلى كريت والبلاد الواقعة في حوض البحر المتوسط . وهناك بالقرب من تل حجة خربة تدعى (أم الجرار) هي حرار المذكورة في التوراة عاصمة الفلسطينيين القدماء . إن هذه الخربة ملك لعشيرة من عشائر الترابين تدعى الحسنات ، وأن فريقاً من هذه العشيرة يكنى : (ابني معيلق) . ولا شك عندي انه من أحفاد (ابني مالك) ملك الفلسطينيين الوارد ذكره في الإصحاح ٢١ من سفر التكوين .

٧ — حارب الفلسطينيون بني اسرائيل عويلا . وقد كان بنو اسرائيل في تلك الأزمنة يعيشون في الجبال ، والفلسطينيون في السهول . وكان بين الفريقين

دوماً خصام . وهذا ما حدا بهم للاحتفاظ بقوة عسكرية هائلة لئلا يبطش بهم بنو اسرائيل . وما كان هؤلاء يستطيعوا أن يسيطروا على المدن الفلسطينية إلا في عهد داود وسليمان ؛ وبالأحرى عندما فقد الفلسطينيون الشيء الكثير من سجاياهم الحربية بسبب غزو القبائل التي كانت تغزوهم من الانحاء الشمالية لجزيرة العرب .

٨ — إنك إذا رجعت إلى أسفار العهد القديم وجدت أمثلة كثيرة تدل على ما كان بين بني اسرائيل وبين الفلسطينيين من كره وخصام ؛ ولاحظت أن كره بني اسرائيل كان موجهاً بشكل خاص إلى مدينة غزة . وإذا كنت في ريب من قولي هذا فإليك البرهان :

٢ — جاء في سفر صموئيل الأول (١٧ : ٦) ما يأتي : « وهذه هي بواسير الذهب التي ردها الفلسطينيون قربان إثم الرب : واحد لاشدود ، وواحد لقرية ، وواحد لاشقلون ، وواحد لجات ، وواحد لعقرون »

ب — وفي الاصحاح (١٨ : ٨) من سفر الملوك الثاني : « كان حزقيا بن آحاز ملك يهوذا ... وعمل المستقيم في عين الرب ... ولم يكن مثله في جميع ملوك يهوذا ... وكان الرب معه ... وضرب الفلسطينيين إلى غزة ونغومها ... »

ج — وفي الاصحاح (٢٥ : ٢٧) من سفر أرميا : « هكذا قال لي الرب إله اسرائيل : خذ كأس خمر هذا المخط من يدي ، واسق جميع الشعوب الذين أرسلتك أنا إليهم إياها . فيشربوا ويترنحوا ويتجنتوا فأخذت الكأس من يد الرب ، وسقيت كل الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم : اورشليم ومدن يهوذا وملوكها ورؤسائها ... وفرعون ملك مصر وعبيده ورؤسائه وكل شعبه ... وكل ملوك أرض فلسطين واشقلون وغزة وعقرون وبقية اشدود وكل ملوك العرب وكل ممالك الأرض التي على وجه الأرض وتقول لهم هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل . اشربوا واسكروا وتقيأوا واسقطوا ولا تقوموا »

د — وفي الاصحاح (٤٧ : ١-٥) من سفر أرميا أيضاً : « كلمة الرب التي صارت إلى أرميا عن الفلسطينيين قبل ضرب فرعون غزة . هكذا قال الرب . ها مياه تصعد من الشمال وتكون سيلاً جارفاً فتغشى الأرض وتغلا المدينة والسالكين فيها . فيصرخ الناس ويولول كل سكان الأرض ... »

بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور . أتى الصلح على غزة . اهلكت اشقلون مع بقية وطأنهم »

٩ — وليس ثمة برهان أنصع من البرهان الوارد في حكاية شمشون الجبار ودليله الفلسطينية على ما كان بين الفلسطينيين وبني اسرائيل من كره قديم ؛ إذ أنت شمشون رضي بالموت مادام في موته موت لأعدائه الفلسطينيين ، وقال كلمته المشهورة : (بي وبأعدائي يا رب !) تلك الكلمة التي راحت منذ ذلك اليوم مثلاً على شدة الكره والحقد الذي ينمو في قلب المرء ضد خصمه ، حتى يرغب في اللوث إذا كان في ذلك هلاك الخصم . وإليك حكاية شمشون منقولة عن سفر القضاة من أسفار التوراة لما لها صلة ببحثنا هذا :

الاصحاح (١٣) : — « ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عين الرب . فذفعهم الرب ليد الفلسطينيين اربعين سنة . وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانين اسمه منوح وامراته عاقر لم تلد . فترامى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدي . ولكنك تحبلين وتلدن إبناً . والآن فاحذري ولا تشربي خمرآ ولا مسكرآ ولا تأكلي شيئاً نجساً . فها إنك تحبلين وتلدن إبناً ولا يصل موسى رأسه . لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن . وهو يبدأ يخلص اسرائيل من الفلسطينيين . فدخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة : جاء إلي رجل الله ، ومنظره كنظر ملاك الله مرهب جداً . ولم أسأله من أين هو ولا هو أخبرني عن اسمه . وقال لي ها أنت تحبلين وتلدن إبناً والآن لا تشربي خمرآ ولا مسكرآ ولا تأكلي شيئاً نجساً . لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم موته . فصرخ منوح إلى الرب . وقال أسألك يا سيدي أن يأتي إلينا أيضاً رجل الله الذي أرسلته وعلما ماذا نفعل للصبي الذي يولده . فسمع الله لصوت منوح . فجاء ملاك الله أيضاً إلى المرأة وهي جالسة في الحقل ومنوح رجلها ليس معها . فأسرعت المرأة وركضت وأخبرت رجلها . وقالت له هوذا قد ترامى لي الرجل الذي جاء إلي ذلك اليوم . فقام منوح وسار وراء امراته وجاء إلى الرجل . وقال له : أأنت الرجل الذي تكلم مع المرأة . فقال أنا هو . فقال منوح : عند هجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته . فقال ملاك الرب لمنوح :

من كل ما قلت للمرأة فلتحفظ ، من كل ما يخرج من جنة الحار لا تأكل ، وخرأ ومكرأ لا تشرب ، وكل نجس لا تأكل ، وتحذر من كل ما أوصيتها. فقال منوح للملاك الرب دعنا نموك ونعمل لك جدي ممزى. فقال ملاك الرب لمنوح ولو عوقني لا آكل من خبزك ، وإن عملت محرقة فلرب اصمدها . لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب . فقال منوح للملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك. فقال ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب . فأخذ منوح جدي الممزي والتقدمة واصمدها على الصخرة للرب . فعمل عملاً عجيباً ومنوح وامرأته ينظران . فكان عند صعود الالهيب عن الذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب للذبح ومنوح وامرأته ينظران . فسقطا على وجهيهما إلى الأرض . ولم يعد ملاك الرب يترأى لمنوح وامرأته . حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب . فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأننا قد رأينا الله . فقالت له امرأته لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ، ولما أَرانا كل هذه ، ولما كان في مثل هذا الوقت اسمنا مثل هذه . فولدت المرأة ابناً ، ودعت اسمه شمشون . فكبر الصبي وباركه الرب . وابتدأ روح الرب يحركه في حلة دان بين صرعة واشتاوول ... »

الاصحاح (١٤) : « ونزل شمشون إلى تمة ورأى امرأة في تمة من بنات الفلسطينيين . فصعد وأخبر أباه وامه . وقال قد رأيت امرأة في تمة من بنات الفلسطينيين ، فالآن خذها لي امرأة . فقال له أبوه وامه : أليس في بنات اخوتك وفي كل شعبي امرأة حتى أنك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف . فقال شمشون لأبيه : إياها خذ لي لأنها حسنت في عيني . ولم يعلم أبوه وامه أن ذلك من الرب لأنه كان يطلب علة على الفلسطينيين . وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون متسلطين على اسرائيل .

فنزّل شمشون وأبوه وامه واتوا إلى كروم تمة . وإذا بشبل أسد يزجر للقاءه فخل عليه روح الرب ، فشقه كشق الجدي ، وليس في يده شيء . ولم يخبر أباه وامه بما فعل . فنزل وكلم المرأة حسنت في عيني شمشون . ولما رجع بعد أيام لكي يأخذها مال لكي يرى رمة الأسد ، وإذا ببر من الحل في جوف الأسد مع عسل فاشتار منه على كفيه ، وكان يمشي ويأكل ، وذهب إلى أبيه وامه ، وأعطاهما

فأكل ، ولم يخبرها انه من جوف الأسد اشتار العسل .

ونزل أبوه إلى المرأة ، فمسل هناك شمشون وليمة لأنه هكذا كان يفعل الفتيان فلما رأوه احضروا ثلاثين من الأصحاب فكانوا معه . فقال لهم شمشون لاجبيكم احجية . فاذا حللتوها في سبعة أيام الوليمة واصبتموها اعطيكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . وإن لم تقدرُوا أن تحلوها لي لنعطوني اثم ثلاثين قميصاً وثلاثين حلة ثياب . فقالوا له حاج احجيتك فنسمعها . فقال لهم من الأكل خرج أكل ، ومن الجوف خرجت حلالة . فلم يستطيعوا أن يحلوا الاحجية في ثلاثة أيام . وكان في اليوم السابع أنهم قالوا لامرأة شمشون تملقي رجلك لكي يظهر لنا الاحجية لكلا نخرقك وبيت أبيك بار . التسلبونا دعوتونا أم لا . فبكت امرأة شمشون لديه وقالت إنما كرهتني ولا تحبني . قد حاجيت بني شعبي احجية وبني لم يخبر . فقال لها هوذا أبي واممي لم اخبرها فهل إياك اخبر . فبكت لديه السبعة أيام التي فيها كانت لهم الوليمة . وكان في اليوم السابع أنه أخبرها لأنها ضايقتة ، فأظهرت الاحجية لبني شعبي . فقال له رجال المدينة في اليوم السابع قبل غروب الشمس أي شيء أحل من العسل وما أجني من الأسد . فقال لهم لو لم تخبرونا على عجائي ، لما وجدتم احجيتي . وحل عليه روح الرب ، فنزل إلى اشقلون ، وقتل منها ثلاثين رجلاً ، وأخذ سليم وأعطى الحلل لمظهري الاحجية . وحمل غضبه ، وصعد إلى بيت أبيه ، فصارت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يصاحبه .

الاصحاح (١٥) : « وكان بعد مدة ، في أيام حصاد الحنطة ، أن شمشون انتقد امرأته بجدي معزي . وقال ادخل إلى امرأتي إلى حبرتها . ولكن أباه لم يدعه أن يدخل . وقال أبوها إني قلت أنك قد كرهتها ، فاعطيها لصاحبك . أليست اخي الصغيرة احسن منها ؛ فلكن لك عوضاً عنها . فقال لهم شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا عملت بهم شرأ . وذهب شمشون وامسك ثلاثمائة ابن آوى ، واخذ مشاعل ، وجعل ذنباً إلى ذنب ، ووضع مشاعل بين كل ذنين في الوسط ، ثم اصرم للمشاعل ناراً ، واخلقها بين زرع الفلسطينيين ، فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون . فقال الفلسطينيون من فعل هذا . فقالوا شمشون صهر التقي ، لأنه أخذ امرأته ، واعطاها لصاحبه . فصعد الفلسطينيون ، واحرقوها وأباه بالنار . فقال لهم شمشون ولو فعلتم هذا فاني انتقم منكم ، وبعد اكف . وضربهم ساقاً على

غذ ضرباً عظيماً ثم نزل واقام في شق صخرة عيطم .

وصعد الفلسطينيون ، ونزلوا في يهوذا ، وتفرقوا في الجلي . فقال رجال يهوذا لماذا صعدتم علينا . فقالوا صعدنا لكي نوثق شمشون ، ولنفعل به كما فعل بنا . فقتل ثلاثة آلاف رجل من يهوذا إلى شق صخرة عيطم ، وقالوا لشمشون : أما علمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا ، فماذا فعلت بنا . فقال لهم كما فعلوا بي هكذا فعلت بهم . فقالوا له نزلنا لكي نوثق ونسلمك إلى يد الفلسطينيين . فقال لهم شمشون احلفوا لي انكم اتم لا تقومون علي . فكاموه قائلين كلا . ولكنتا نوثقك ونسلمك إلى يدهم ، وقتلا لا تقتلك . فأوثقوه بحبلين جديدين ، وأصعدوه من الصخرة . ولما جاء إلى حلي صالح الفلسطينيون للقاءه . غل عليه روح الرب . فكان الجبلان اللذان على ذراعيه ككتبان احرق بالنار ، فأعمل الوثاق عن يديه .

ثم عطش جداً ودعا الرب . وقال إنك قد جعلت بيد عبدك هذا الخلاص العظيم . والآن اموت من العطش ، وأسقط بيد التلف . فشق الله الكفة التي في حلي ، فخرج منها ماء ، فشرب ، ورجعت روحه فانتعش ، لذلك دعا اسمه عين هفوري التي في حلي إلى هذا اليوم ، وقضى لاسرائيل في أيام الفلسطينيين عشرين سنة . «
الاصحاح (١٦) — « ثم ذهب شمشون إلى غزة ، ورأى هناك امرأة زانية ، فدخل إليها . فقيل للغزيين قد آتى شمشون إلى هنا . فأحاطوا به ، وبكثروا له الليل كله عند باب المدينة ، فهدأوا الليل كله قائلين عند ضوء الصباح تقتله . فاضطجع شمشون إلى نصف الليل ، ثم قام في نصف الليل ، وأخذ مصراعي باب المدينة ، والقائمتين ، وقلمهما مع العارضة ووضعهما على كتفيه ، وصعد بهما إلى رأس الجبل (١) الذي مقابل حبرون . »

« وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادي سورك اسمها دليلة ، فصعد إليها اقطاب الفلسطينين ، وقالوا لها علقيه وانظري بماذا قوته العظيمة ، وبماذا تمكن منه ، لكي نوثقه لإذلاله ، فنعطيك كل واحد ألفاً ومئة شاقل فضة . فقالت دليلة لشمشون أخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لإدلائك . فقال لها شمشون إذا اوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف ، أضعف ، وأصير كواحد من الناس . فاصعد لها

أقطاب الفلسطينيين سبعة أوتار طرية لم تحف ، فأوثقته بها ، والكين لابت عندها في الحجرة . وقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون . فقطع الأوتار كما يقطع خيل المشاقة إذا شم النار ولم تعلم قوته . فقالت دليلة لشمشون ها قد خلتني وكنتي بالكذب . فأخبرني الآن بماذا توثق . فقال لها إذا أوثقوني بحبال جديدة لم تستعمل أضعف ، وأصير كواحد من الناس . وأخذت دليلة حبالا جديدة ، وأوثقته بها ، وقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون ، والكين لابت في الحجرة ، فقطعها عن ذراعيه كخيوط . فقالت دليلة لشمشون حتى الآن خلتني ، وكنتي بالكذب ، فأخبرني بماذا توثق . فقال لها إذا خضرت سبع خصل رأسي مع السدى ، فكنتها بالوند ، وقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون . فانتبه من نومه ، وقلع وتد النسيج ، والسدى . فقالت له كيف تقول احبك وقلبك ليس معي . هوذا ثلاث مرات قد خلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة . ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه نأقت نفسه إلى الموت . فكشف لها كل قلبه ، وقال لها لم يعمل موسى رأسي لأنني نذير الله من بطني ابي . فان خلقت تفارقتي قوتي ، وأضعف ، وأصير كأحد الناس . ولما رأت دليلة انه قد اخسرها بكل ما في قلبه أرسلت ، فدعت أقطاب الفلسطينيين ، وقالت لهم أصدوا هذه المرة ، فانه قد كشف لي كل قلبه . فصد إليها أقطاب الفلسطينيين وأصدوا الفضة بيدهم . وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه ، وابتدأت بادلاله ، وفارقه قوته . وقالت الفلسطينيون عليك يا شمشون . فانتبه من نومه . وقال اخرج حسب كل مرة ، وانفض ، ولم يعلم أن الرب قد فارقه . فأخذته الفلسطينيون ، وقلعوا عينيه ، ونزلوا به إلى غزة ، وأوثقوه بسلاسل من نحاس ، وكان يطحن في بيت السجن . وابتدأ شعر رأسه ينبت بعد أن حلق .

« وأما أقطاب الفلسطينيين فاجتمعوا ليدبحوا ذبيحة عظيمة لداجون إلههم ، ويفرحوا .. وقالوا قد دفع إلهنا ليدنا شمشون عدونا . ولما رآه الشعب عجدوا لإلههم . لأنهم قالوا قد دفع إلهنا ليدنا عدونا الذي خرب أرضنا ، وكثر قتلانا . وكان لما طابت قلوبهم أنهم قالوا ادعوا شمشون ليلعب لنا . فدعوا شمشون من بيت السجن . ولعب أمامهم . وأوقفوه بين الأعمدة . فقال شمشون للثلام الناسك بيده دعني أمس الأعمدة التي البيت قائم عليها ، لأستند إليها . وكان البيت مملوءا رجالا ونساء . وكان



شمشونه الجبار

هناك جميع أقطاب الفلسطينيين ، وعلى السطح نحو ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون
للعب شمشون . فدعا شمشون الرب ، وقال يا سيدي ائزب اذ كرني وشددني بأفقهذه
للرمة فقط ، فانتقم رقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين . وقضى شمشون على
العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما ، واستند عليهما يمينه والآخر
يساره . وقال شمشون لمت نفسي مع الفلسطينيين ، وانحى بقوة ، فسقط البيت على
الأقطاب ، وعلى كل الشعب الذي فيه . فكان للوثى الذين اماتهم في موته أكثر
من الذين أماتهم في حياته . فنزل اخوته وكل بيت أبيه ، وحملوه ، وصعدوا به ،
ودفنوه بين صرعة واشتاؤل في قبر منوح أبيه . وهو قضى لاسرائيل عشرين سنة .»

غزة واليهود

من أيام بني إسرائيل متى برزنا هذا



موسى (كليم الله)

إن أول كيان قومي لبني إسرائيل أسسه موسى يوم جمع شعبهم ، واقدمهم من بطش فرعون وقومه ؛ فأخرجهم من مصر ، وأتى بهم إلى أرض كنعان . وقد ذهب بعضهم إلى أن ذلك حدث عام ١٤٨٦ ق . م ، وقال آخرون أنه ١٢٢٧ ق . م . وفي عهد فرعون مصر النهر رعميس الثاني . لقد تاه بنو إسرائيل في الصحراء ، إذ أنها حرداء لا زرع فيها ولا ماء (١) . وقد راد في

بلوائهم ، أنهم لم يستطيعوا أن يسلكوا الطريق التي سلكها القراعنة من فلسطين ، أو المهاجرون والغزاة الآخرون من بعدهم ، تلك الطريق التي تنتهي عند غزة . ذلك لأن فيها (قوماً جارين) (٢) ؛ بل سلكوا ، بعد أن اجتازوا صحراء (٣) سيبا ؛ طريق

(١) اقرأ الآية ٦١ من سورة البقرة : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أنستمدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم . وضررت عليهم القلة والمسكنة وباءوا بنصب من الله . »

(٢) اقرأ الآيات ٢١ — ٢٢ — ٢٤ من سورة المائدة : « قال يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم . ولا ترتدوا على أدباركم ، تتقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى إن فيها قوماً جارين . وإننا لن تدخلنها حتى نخرجوا منها . قال فخرجوا منها فاما داخلون . إنما لن ندخلها أبداً ما داموا فيها . فادع أب و ربك فقاتلا إنما ها هنا فاعدون . »

(٣) تلك الصحراء التي تهاو ، فيها اربعين عاماً .

آدم ، وموآب ؟ ومن هناك دخلوا أرض اليماد .

وعندما دخلوها رأوا فيها مقاومة شديدة من العالفه ، والفلسطينيين ، والكنعانيين ، والعناقين ، والمديانيين ، وغيرهم من سكان البلاد . وقد زاد في بلوائهم تفرق كلتهم وتشقت أسباطهم .

٢ — ولقد تولى قيادتهم ، بعد موسى ، القائد بهوشع بن نون . وكان هذا أحد الرواد الذين أرسلهم موسى لارتداد البلاد قبل دخولها . فأتاه بأخبارها ، وقال له إن فيها قوماً جبارين . وبعد وفاته تولى قيادة بني قومه ؛ فنجح ، وتمكن من إخضاع عدد من المدن الكنعانية (١١٨٩ ق . م) . إن غزاة وإن كانت قد اعتبرت في عهدهوشع بن نون هذا ، من أملاك سبط يهوذا ، إلا أن اليهود لم يتمكنوا يومئذ من إخضاعها وإذلالها ، فظلت بعيدة عن قهوذهم .

٣ — وبعد بهوشع جاء حكم القضاة وعددهم ١٤ . وكان تاريخهم عبارة عن مشاغبات وانقسامات . وظلوا كذلك حتى صار (شاؤول) ملكاً عليهم (١٠٩٥ ق . م) كان هذا يدعى طالوت . وقد حارب الفلسطينيين وانتحر في إحدى معاركهم .

٤ — ولما اعتلى داود عرش الملك (١٠٥٥ ق . م) على أثر موت اشبال بن شاؤول حارب الفلسطينيين واتصر عليهم واستولى على (غات) ، وسار في فتوحاته نحو الشمال . انه من الأنبياء المرسلين . وهو أنبغ رجل قاد اليهود بعد موسى . كان بطلاً ، وكان شاعراً ، وكان موسيقياً ملحناً . هذا بالإضافة إلى أنه كان ملكاً .

٥ — وأما (غزاة) فانها لم تدخل في حكم بني اسرائيل إلا في أيام سليمان (١) الذي اعطى منحة الحكم بعد أبيه داود (٩٦٠ — ٩٣٠ ق . م) . فقد كان له جيش جرار (٢) ، ودانت له هذه البلاد من الفرات حتى النخوم المصرية . وعلى قول

(١) يعتقد الفريزون أن سليمان هذا ولد بفترة . ولم يرد في الكتب والأسفار ما يؤيد ذلك .

(٢) انظر الآية ١٧ — ١٨ من سورة التل : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فم يوزعون . حتى إذا أتوا على وادي التل قالت نملة يا أيها التل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وم لا يشعرون . » وقد جاء في معجم البلدان أن وادي التل هذا واقع بين بيت حبرين وعسقلان . وقيل انه يظهر عسقلان .

أن فرعون أهداها إلى سليمان^(١) في عرس ابنته. وقد أنشأ في ابنة^(٢) للراكب البحرية، فتمت له السيطرة على الطرق التجارية، بين الشام ومصر من جهة، وبين بلاد العرب وغزة من جهة أخرى. لم يحارب كثيراً كما حارب أبوه داود. ولكنه عمر وأنشأ وفرض الضرائب الكثيرة. وكانت هذه على عهده تحج من الماشية والغالل. ويظهر أنها كانت من الكثرة بدرجة جعلت شعبه يتبرم. فكان هالك تبرم، وكان انقسام، وكان ذلك قاعة تحادل وانهمزام لبني إسرائيل.

٦ — وفي زمن (رجعهم بن سليمان) ضعفت شوكتهم. وما هي إلا برهة، حتى انقسموا إلى شيع وأباط، وانقسمت البلاد إلى مملكتين: «إسرائيل» في الشمال و«يهودا» في الجنوب. ومع أن غزة كانت من نصيب يهوذا^(٣) إلا أنها سرعان ما شقت عصا الطاعة عليهم، فناصرتهم وناصروها المدا. وعاد الفلسطينيون فاستولوا عليها.

٧ — إن بني إسرائيل وإن كانوا عند احتلالهم هذه الناحية من البلاد، قد تمكنوا من تشتيت شمل الكنعانيين^(٤) والفاقيين^(٥)، إلا أنهم لم يتمكنوا من قهر المديانيين^(٦) والفاقة والفلسطينيين..

(١) «وكان سليمان مسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى بحور مصر..... من تفسح إلى غزة على كل ملوك عبر النهر. وكان له صلح من جميع جواربه، وسكن يهوذا وإسرائيل آمنين كل واحد تحت كرمته وتحت تينته من دان إلى بئر سيم كل أيام سليمان» ملوك الأول ٤ : ٢١ — ٢٥.

(٢) القبة.

(٣) «وأخذ يهوذا غزة وتخومها، واشقلون وتخومها، وعمرون وتخومها.»

قصة ١ : ١٨

(٤) «وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانيين. وكانت تخوم الكنعانيين في صيدون حينما تحجهم نحو جرار إلى غزة.» سفر التكوين ١٥ : ١٩.

(٥) «وجاء يشوع في ذلك الوقت وفرض الفايقيين من الجبل من حبرون ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل حرمهم يشوع مع مدتهم فلم يبق عبايون في أرض إسرائيل لكن بقوا في غزة وحد واشدود.» سفر يشوع ١١ : ٢١ — ٢٢

(٦) «وعمل منو إسرائيل النهر في عيني الرب. فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزت يد مديان على إسرائيل. وإذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والفاقة وبني المشرق ويتركون عليهم ويذلون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة، ولا يتركون لإسرائيل قوة الحياة ولا غنماً ولا غراً ولا حميراً فذل إسرائيل دماً من فل المديانيين.» سفر القضاة ٦ : ١٦ — ٦.

ولا سيما الفلسطينيون قد قاومهم أشد مقاومة عرّضها التاريخ . وكانت غزّة من أمهات المدن الفلسطينية التي وقعت سداً منيعاً في وجوههم ، وأبت الخضوع لحكمهم . فكان عداً ، وكان خصام ، وكانت الحرب سجالات بين الفريقين : تارة تغلب غزّة وطوراً تغلب على أمرها . وكذلك كان الحال مع اشقلون واشدود وعقرون من المدن الفلسطينية . وكثيراً ما كان الغزويون يحتالون على بني اسرائيل ، ويعتدون على أولادهم فيسبونهم ويبيعونهم لعرب الجنوب سكان آدوم . وكان هؤلاء يحملونهم إلى اسواق مصر . ولا عجب إذا غضب بنو اسرائيل على غزّة . إذ كانوا يمدونها شوكة في جسم ملكتهم . ولذلك حمل عليها انبياء بني اسرائيل حملة شمواء ، وراحوا يصبون عليها جام غضبهم ويتمنون لها الخراب والدمار .

وإذا كنت في شك من قولي هذا فإليك أسفار العهد القديم ، إن فيها من الأمثلة ما يعني عن البيان : —

أ جاء في الإصحاح الأول من سفر عاموس ٦ — ٧ ما يأتي : « هكذا قال الرب . من أجل ذنوب غزّة الثلاثة والأربعة لا أرحم عنه . لأنهم سبوا سبياً كاملاً لكي يسلموه إلى آدوم . فأرسل ناراً على سور غزّة ، فتأكل قصورها ؛ وأقطع الساكن في اشدود ؛ وماسك القضيب من اشقلون ؛ وأرد يدي على عقرون ، قهلك بقية الفلسطينيين . »

ب وفي الإصحاح الثاني من سفر صفنيا ١ — ٦ : « اجمعي أيها الأمة غير المستحية قبل ولادة القضاء ... قبل أن يأتي عليكم يوم غضب الرب . لأن غزّة تكون متروكة ، واشقلون للخراب ، واشدود عند الظهيرة يطردونها ، وعقرون تستأصل . ويل لساكن ساحل البحر أمة الكريبيين . كلمة الرب عليكم . يا كنعان أرض الفلسطينيين إني أخربك بلا ساكن »

ج وفي الإصحاح التاسع من سفر زكريا ٣ — ٦ : « وقد بنت صور حصاً لنفسها ، وكوت الفضة كالتراب ، والذهب كطين الأسواق . هوذا السيد يمتلكها ويضرب في البحر قوتها . وهي تؤكل بالنار . ترى اشقلون فتخاف ، وغزّة فتتوجع جداً ، وعقرون . لأنه يحزبها انتطارها . والملك يبيد من غزّة ، واشقلون لا تسكن ، ويسكن في اشدود زميم ، واقطع كبرياء الفلسطينيين . »

٨ — وقد ظل النضال مستمراً بين بني اسرائيل والفلسطينيين ، من زمن شمشون

الجبار (أي حوالي القرن الحادي عشر قبل المسيح)، إلى عهد المكابيين (أي حوالي القرن الثاني قبل المسيح)

وهنا لا بد لنا من الإشارة إلى قصة شمشون، هذا الذي كان يكرهه الفلسطينيون بوجه عام، وغزة بوجه خاص. تلك القصة التي ذكرناها بمخاديرها في مكان آخر من هذا الكتاب منقولة عن سفر القضاة، والتي تلخص في أن شمشون المشهور، ذهب إلى غزة، ورأى امرأة زانية، فدخل إليها، فقيل للغزيرين: قد آتى شمشون إلى هنا. فأحاطوا به، وكنوا له الليل كله عند باب المدينة، فهدأ الليل كله قاتلين عند ضوء الصباح فقتله. فاضطجع شمشون إلى نصف الليل، ثم قام في نصف الليل وأخذ مصراتي باب المدينة والقائمتين وقلمهما مع العارضة ووضعهما على كتفه وصعد بهما إلى رأس الجبل (١) الذي مقابل حبرون.

وقد تمكن الفلسطينيون بعدئذ من أسره بمساعدة (دليلة) الغزية، إلا أنه قتل نفسه وقتل معه عدداً كبيراً من أعدائه الفلسطينيين تحت انقاض الهيكل. وكان يعرف أنه بعمله سيفتل، لكنه رضي بهلاكه ما دام في ذلك هلاك لأعدائه أيضاً. وراحت كلمته المشهورة يومئذ (بي وبأعدائي يا رب!) مضرب الأمثال! ...

٩ — ظل اليهود في تساحن وانقسام، وظلوا انهباً متقسمين بين الملوك المجاورين لهم من الشمال والجنوب، إلى أن قلب (سرجون) الثاني الآشوري عليهم سنة ٧٢٢ ق.م. وسبي اسباطهم. ثم تمكن (بخت نصر) الكلداني من اخضاعهم؛ ففتح القدس، وخربها. ثم أمر سبي اليهود إلى بابل. وكان ذلك حوالي عام ٥٨٦ ق.م. وبذلك زال استقلالهم، وزالت دولتهم.

١٠ — وظلوا على هذه الحال، من فقدان الحرية والاستقلال، أثناء الفتح اليوناني أيضاً. لا، بل قد ازداد يومئذ الاضطهاد للوجه إليهم. ولما بلغ السيل الزبى، وحاول السوقيون إرغامهم على ترك دينهم، والتدين بالديانة اليونانية على عهد انطوكيوس الرابع (١٧٤ — ١٦٤ ق.م) ثارت العائلة المكابية. وقامت، لالتدافع عن الديانة اليهودية لحسب، بل ولتسترد استقلال الشعب اليهودي. ذلك الاستقلال الذي فقدوه منذ السبي.

١١ — فاز المكابيون في بادئ الأمر ، واستقلوا (١٦٧ ق.م). وقد ظهروا منهم خمسة رؤساء وسبعة ملوك ، إليك اسماءهم :-

(أ) : الرؤساء . (ب) : الملوك

- ١ : متاتياس ١٦٧ ق.م :١ : ارسطوبولس الاول بن هركانس ١٠٥ ق.م
- ٢ : يهوذا (ابنه) ١٦٦ ق.م :٢ : اسكندر (اخو ارسطوبولس) ١٠٤ ق.م
- ٣ : يوناثان (اخو يهوذا) ١٦٠ ق.م :٣ : السكندرا (امرأته) ٧٧ ق.م
- ٤ : سمعان (اخو يهوذا) ١٤٣ ق.م :٤ : هركانس الثاني (ابن اسكندر) ٦٩ ق.م
- ٥ : هركانس الاول ١٣٤ ق.م :٥ : ارسطوبولس الثاني (ابن اسكندر) ٦٧ ق.م
- ٦ : هركانس الثاني أيضاً ٦٢ ق.م
- ٧ : انتيكانس (ابن ارسطوبولس الثاني) ٣٧ ق.م

١٢ — وقد جاء ذكر غزاة في عهد المكابيين مراراً عديدة . ويظهر أنها كانت قوية . وقال بعضهم انها كانت يومئذ أمنع مدائن فلسطين الجنوبية على الاطلاق . اسمع ما جاء عنها في العهد الجديد : « وخرج يوناثان (١) وطاف في عبر النهر وفي المدن . فاحتضمت مظاهرتة جميع جيوش سوريا . وقدم أشقلون . فلاقاه أهل المدينة باحتفال .

وانصرف من هناك إلى غزاة فأغلق أهل غزاة الأبواب في وجهه ؛ فحاصرها ، وأحرق ضواحيها بالنار ، ونهبها ؛ فآل أهل غزاة يوناثان الأمان ، فافدهم ، وأخذ أبناء رؤسائهم رهائن ، وأرسلهم إلى اورشليم . ثم جال في البلاد إلى دمشق (٢) . ويظهر أن هذه التدابير القاسية لم تجدد نفعا ، وانها لم تكن لتلين من قناة الفلسطينيين ، إذ أنه لم يتقص على ذلك يوم أو بعض يوم حتى احتلها شمعون (٣) ، وأراد أن يجعلها مدينة يهودية ؛ إلا أنه لم يفلح كثيراً .

اسمع أيضاً ما جاء عن غزاة في الاصحاح الثالث عشر ٤٣ - ٤٨ من سفر المكابيين : « نزل سمعان (وهو أخو يوناثان) الكاهن الاعظم لليهود وقائدهم على غزاة ،

(١) الكاهن الاعظم لليهود في القدس وقائد الجيش الاسرائيلي في ذلك الوقت .

(٢) مكابيين ١١ : ٦٠ - ٦٢

(٣) يقول الكاتب الاسرائيلي وبلثاني أن ذلك جرى عام ١٤٥ ق.م .

وحاصرها بجيوشه ؛ وصنع دبابات وأدناها من المدينة ؛ وضرب أحد البروج ، واستولى عليه ؛ وهجم الذين في الدبابة على المدينة فوقع اضطراب عظيم في المدينة وصعد الذين في المدينة مع النساء والأولاد إلى السور ممزقة ثيابهم ، وصرخوا بصوت عظيم إلى سحمان يسألونه الأمان ؛ وقالوا لا تعاملنا بحسب مساوئنا ، بل بحسب رافتك . فرق لهم سحمان ، وكف عن قتالهم ، وأخرجهم من المدينة ، وطهر البيوت التي كانت فيها أصنام ؛ ثم دخلها بالتسييح والشكر ، وأزال بها كل رجاسة . واسكن هناك رجالا من للتسكين بالثريعة ، وحسنا ، وبني له فيها منزلا . »

١٣ — ولما اختلف الاخوان السكايين (ارسطو بولس وهركاتس) من أجل الملك أخذ كلاهما يتقرب من القائد الروماني (بومبي) ويرسل إليه الهدايا ويقدم له الطاعة على أمل أن يموز على أخيه . فاهتبل بومبي هذه الفرصة وقضى على استقلالهم (عام ٦٥ ق . م) . ثم جاء إلى غزة التي كانت خاضعة للسكايين ، فأعاد إليها حريتها . وبمقتله هذا قضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاماً تلك الحرية التي لم تدم زمناً طويلاً .

١٤ — وكذلك فعل السكايون في زمن (يوليوس قيصر) فقد قدم إليه (اثيثيار)^(١) مستشار هركاتس جيشاً ليعاضده في حربه ضد المصريين . ولما انتصر يوليوس قيصر اقامه نائباً عنه في فلسطين سنة ٤٨ ق . م ولكنه قتل بإيعاز من هركاتس .
١٥ — ولما تولى اثيثيار امر البلاد تصرف بها كما شاء . وأقام اولاده حكاماً عليها . ومنهم هيرودوس الشهير .

١٦ — يقول المؤرخ يوسفوس أن اهالي قيسارية ذبحوا عشرين ألفاً من اليهود واخلوا المدينة منهم . فثار ثأر اليهود في الانحاء الاخرى انتقاماً لآخواتهم ، وازدادت نيران غضبهم ، عندما أراد الرومان إلحاق فلسطين بولاية الشام الرومانية . فتمردوا وقاموا ببعض الأعمال التخريبية في بعض المدن ومنها غزة . إلا أن الرومان قهرهم على يد (تيطس) وكان ذلك عام ٦٦ ب . م .

ويقول شورر Schürer مؤلف (تاريخ الشعب اليهودي في زمن المسيح) إنه لم يخرّب يومئذ من غزة سوى قسم منها . إذ لا يعقل أن تتمكن عصابة مؤلفة من فلول اليهود من تخريب حصن متين كحصن غزة في ذلك الحين .

(١) كان اثيثيار هذا آدمي الاصل يهودي المذهب .

١٧ — ولما كان قد خطر على اليهود دخول القدس في اواخر حكم الرومان ، فقد جاءوا إلى غزة لتأدية الصلاة (١) . وهناك من يقول انهم كانوا يفتشون اسواقها بقصد التجارة . غير أن المؤلف الانكليزي ماير يقول في كتابه (History of the City of Gaza) أن اليهود كانوا في ذلك العهد يتجنبون دخول هذه المدينة بسبب مبادئ سكانها ، وعقائدهم الدينية . إذ كانوا في تلك الأيام لا يزالون يعبدون الأوثان .

١٨ — ولم تقم لليهود قاعة في فلسطين بعد حادث تيطس (٢) المتقدم ذكره . كما أنهم لم يقيموا لهم في غزة كياناً اجتماعياً مستقلاً . وكل ما فعلوه بعد ذلك التاريخ ، أنهم كانوا يزورونها أفراداً وجماعات مفردة ولمدد قصيرة الأجل ؛ ثم لا يلبثون أن يغادروها إلى مكاتب آخر .

١٩ — وقد كان الفتح الاسلامي ، عهد سلم وبركة لليهود . إذ ذكر التاريخ أنه كان في غزة ، في القرنين السابع والثامن ، يهود كثيرون . ولما كان القرآن قد حظر صنع الخمر وشربه ، فقد احتكر اليهود هذه الصناعة في غزة خلال القرون الوسطى ، وظلت تجارتها بأيديهم زمناً طويلاً ، حتى أنه كان لهم (أي لتجار الخمر من اليهود) مستعمرة خاصة في ميناء ميوما .

٢٠ — وفي اوائل القرن التاسع عاش في غزة حاخام يهودي يدعى موسى هنقش المزاري **משה הנקש** وكان هذا رئيساً للطائفة اليهودية ؛ وقد هاجر يومئذ عدد كبير من أفراد هذه الطائفة إلى مصر ، فاستوطنوها . وكانت رئيسهم فيها اغرايم بن سمحا الفزي .

٢١ — وفي عام ١٠٢٦ م كان يعيش في غزة شاعر يهودي يدعى (يشوع بري ناتان) **ישועה ברי נתן** وقد ألف هذا كتاباً رثى فيه ابنه الذي لاقى حتفه في غزة . ويظهر أنه كان عضواً في محكمة كنائية شرعية يهودية ،

(١) **מדריך ארץ - ישראל** للكتاب اليهودي ويلباي .

(٢) قال (كلرمان غاتو) : « لا دخل للمسلمون أرض اليهودية لم يمجّدوا فيها يهوداً .

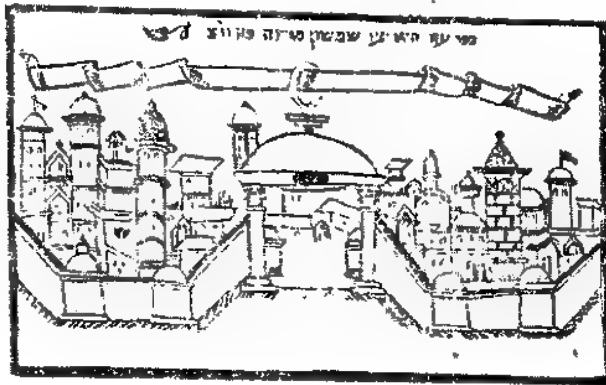
لأن حروب فلباسين ، وتيطس ، و تراجان ، وادريانوس ، واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية . وزالت من فلسطين جميع التقاليد اليهودية . »

بدليل أنهم عثروا على كتاب في مصر موقع من قبله ، بصفته عضواً في محكمة . وقد بعث بكتابه هذا إلى الجمعية اليهودية في مصر جاء فيه أن عدداً كبيراً من يهود غزة رحلوا إلى مصر . وتألفت جمعية كبيرة لليهود هناك رئيسها افرام بن شماريا **אפרים בן שמריה** الفري . وقد جاء في الكتاب المذكور أيضاً أن حاكم غزة مستبد ، وأن الفريزين هربوا من ظله . وفيه بيان للأسباب التي حدثت بالناس ولا سيما اليهود لمغادرة غزة .

٢٢ — وقد مر من غزة عام ١٢١٦م الشاعر اليهودي المشهور يهودا الحريزي **יהודה אל-חריזי**

٢٣ — قال الكاتب اليهودي ويثاني أنه كان في القرن الرابع عشر في غزة طائفة يهودية ، وإن هذه الطائفة هي التي اكتشفت منزل شمشون الذي هدم .

٢٤ — وفي عام ١٤٨١ زار غزة الخاقام ميشولام **מישולם** فقال عنها « إن فيها خبزاً ، ونبذاً جيداً ؛ وإن اليهود فقط هم الذين يصنعون النبيذ ؛ وإن فيها ستين عائلة يهودية ، وكنيساً صغيراً ، ولكنه جميل للغاية . »



مدينة غزة — عام ١٥٩٨

٢٥ — وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر أيضاً ، كان في غزة طائفة يهودية ، وكان أكثر أفراد هذه الطائفة يشغلون بالصناعة والتجارة . وكانت تجارتهم مع مصر . وهناك في إيطاليا صورة لعمارة رسمها باليد رسام يهودي عام ١٥٩٨ ، وقد كتب عليها هذه الكلمات . (غزة بلد شمشون مدينة جميلة) ويظهر أن فئة قليلة

من هذه الطائفة كانت يومئذ تحترف الزراعة ، بدليل أن رجالها سألوا الحاخام الأكبر قائلين : (أجب علينا أن ندفع ضريبة الاراضي ؟) .

٢٦ — وقد مر من غزوة عام ١٦٦٠ م شتاي تسفي ^{ה'תשנ"ו} في طريقه من مصر . ورافقه في رحلته تلك ناثان ^{נחמן} النبي الغزي (١) الذي كان من أخلص تلاميذه . وقد اتخذها شتاي بعد ذلك مركزاً للدعاية التي كان يقوم بها .

٢٧ — وعندما احتل نابليون غزة عام ١٧٩٩ م ، غادرها الشطر الأكبر من اليهود الذين كانوا فيها ؛ حتى أنه لم يبق واحد منهم في عام ١٨١١ . وظل كنيسهم مهجوراً ، ينمق فوقه وفوق المقبرة اليهودية يوم الحراب .

٢٨ — ولما احتل ابراهيم باشا غزة عام ١٨٣١ م أمر بأن يبنى سور عقلاّن من أقاض الكنيس اليهودي للتقدم ذكره .

٢٩ — وفي عام ١٨٨٠ م ابتدأ اليهود يعطنون غزة من جديد .

٣٠ — ولما زارها الحاخام يحيى ثيل بريل ^{הרב יחיאל טייל} عام ١٨٨٢ م وجد فيها يهوداً تجاراً ؛ وكان أكثرهم يتعاطون تجارة (الحنضل) ، فيصنعون من جذوره الأدوية ، ويصدرونها للخارج . وقد زار هذا حارة اليهود ، ورأى على بعض الأبواب (الكلمات العشرة) وفوقها كلمة (^{עשרה}) إشارة إلى الله . ورأى جماعة من الكاثوليك يبنون كنيسة لهم حيث كان الكنيس اليهودي المتهدم (٢) ، مبنياً من قبل . وقد قرأ على حجر من الحجارة التي رفعها العمال عند حفرهم أساس تلك الكنيسة الكلمات التالية مكتوبة باللغة العبرية :

« ليرسلني الإله الذي أهدني من كل سوء إلى اورشليم ! »

(١) מדרוך ארץ - ישראל للكتاب اليهودي ويلناي

(٢) يقول أنكتاب اليهودي ويلناي أن قسماً من أعمدة المسجد العمري الكبير بغزة من بقايا الكنيس اليهودي المتهدم . ويقول كامل افندي المباشر من أعيان غزة أنه كان للكنيس اليهودي المتهدم هذا باب يمكن فكه إلى شقف متعددة . وأن اليهود نقلوا هذا الباب إلى الحليل وركبوه على باب من أبواب كنيسهم هناك .

وهذاك حجر آخر وجدوه في غزة من بقايا هذا الكنيس .



مجرمه بقايا كنيس يهودي

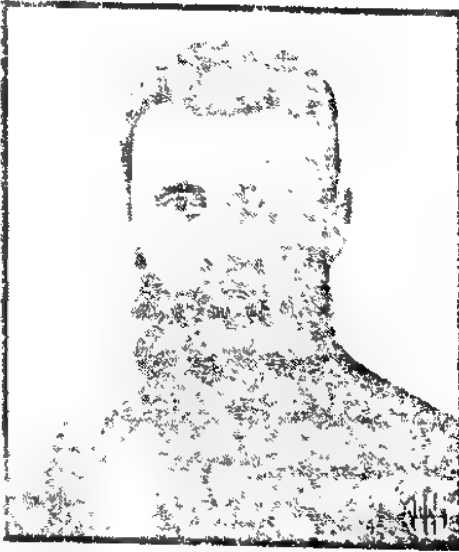
٣١ — وقد كان في غزة عند الانقلاب الثاني وعلان الدستور عام ١٩٠٨ م مئة وستون يهودياً ، ثلاثون منهم كانوا من السفراء .

٣٣ — واستوطن غزة عدد قليل من العائلات اليهودية قبيل الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) ؛ وكان فيها ثلاثون (١) عائلة يهودية ، ومدرسة ، وكنيس (٢) ، وحمام ؛ وكان يطلق على شارع البحر (السبتية) . وكانت حارة (٣) من حارات غزة بأسرها تسمى (حارة اليهود) .

(١) من هذه العائلات اليهودية (آل كاتيم) אל-קיים ، وايمان יסמן ، آرواس ארוס . أما عائلة آل كاتيم فقد كانت تتعاطى تجارة الحبوب ، ثم هاجرت من غزة بعد الحرب . وأما عائلة وايمان فقد كان لها طاحون لطحن الحنطة والحبوب . وأما عائلة آرواس فانها كانت تتعاطى تجارة الحبوب والصرافة ، ورئيسها اسحق آرواس .

(٢) تقرير ملز عن الاحياء بـ فلسطين عام ١٩٣١ .

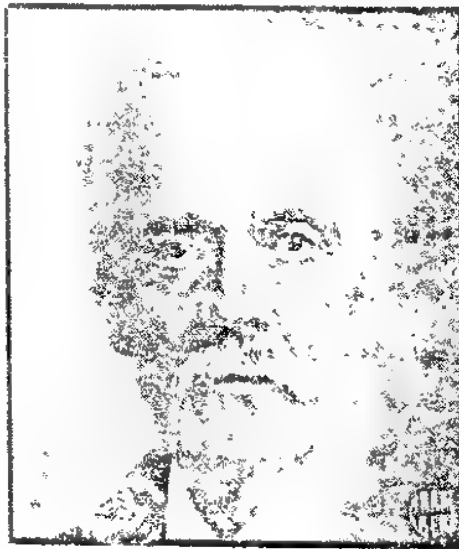
(٣) قسم من حي السكالية في الوقت الحاضر ، وهو ملك من املاك عائلة المباشر .



تيودور هرتسل

فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك . على أن لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية

٣٣ - وقصارى القول ، كان اليهود يمشون والعرب في حارات غزة جنباً إلى جنب ، إلى أن وضع تيودور هرتسل الفكرة الصهيونية وأسس الجمعية الصهيونية ١٨٩٧ وأصدر اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية وعده المشهور فقال في كتاب أرسله إلى اللورد روتشيلد بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ ما يأتي : « عزيزي اللورد روتشيلد ! يسرني جداً أن ابفكم باليابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالتة تنظر بعين الرضى إلى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في



اللورد بلفور

واللدنية لغير اليهود في فلسطين أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان . » عندئذ أخذ العرب ينظرون اليهم نظرة بغض وازدراء . وراحوا يفكرون في التخلص منهم ، ومن وعد بلفور . وقامت في البلاد الفلسطينية ثورات عديدة ضد اليهود ، وصد الانتداب . واشتركت غزة في جميع هذه الثورات بمقدار ما سمحت به ظروفها الخاصة . ولقد خرج موقف اليهود في غزة بسبب ثورة عام ١٩٢٩ فقادروها . وعلى قول أن الحكومة ارغمتهم على مغادرتها . وكان فيها يومئذ ستون عائلة يهودية ، فقادروها فعلاً وبمحرقة الجند . ولم يرجع اليها منهم أحد بعد ذلك التاريخ .

غزة في عهد الآشوريين

استولى الآشوريون على غزة في عهد ملكهم (تيفلات بلازر^(١)) الاول، وكان ذلك في سنة ٧٣٤ ق. م. وكانوا يسمونها يومئذ (عزاتو). وقد ضربوا عليها الجزية، فتحالت مع مصر ضد. فعاد فرعون اليها، ثم جاءها (سرجون) بجيوشه الجارية، فاقضها، وأسر ملكها (حانوت) عام ٧٢٠ ق. م. لانه طلب حماية الفراعة. وسرجون هذا هو الذي نقل اصابم غزة ووطد سلطة الآشوريين فيها، فأخذت تدفع الجزية بانتظام واستمرار الى آشور. وسميت غزة على عهده (مارنا) او (سيدنا). وظلت راضخة لسلطة الآشوريين في عهد ولده (سنخريب) عام ٧٠٥ ق. م، ثم في عهد ولده (اسرحدون^(٢)) عام ٦٧٤ ق. م، ثم في عهد حفيده (آشور بانيبال) عام ٦٥١ ق. م. وظلت كذلك حتى عام ٦٠٩ ق. م حيث جاء اليها (نيخو الثاني) واعادها الى حظيرة المملكة المصرية بقوة السلاح.

وبعد ان اخضع نيخو غزة، سار نحو الشمال بجيش جرار. وفاجأ الآشوريين عند الفرات قبل ان ينهأ هؤلاء ويستعدوا لمقاومته. وبجارية افصح كان الآشوريون يومئذ من الضعف والانهلال على حال لم تمكنهم من مقاومة المصريين. فانسحبوا من امامه، ولما لم يجدفهم، رجع الى مصر بعد ان احتل جميع سوريا وفلسطين، وفرض عليهما الجزية. ولكنه بعد برهة قصيرة اضطر ان يتخلى عن فلسطين وسوريا معاً، فانسحب منهما بالرة؛ ودخلت هذه البلاد تحت حكم البابليين.

٢ — لم يكن الآشوريون يرمون الى احتلال غزة نفسها. بل كانوا يطمحون الى ما وراءها من البلاد كعصر، وليبيا، والحبشة، والبلاد الواقعة في حوض البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط. ولذلك كان لهم دوماً جيش كبير. وكان جيشهم هذا دوماً على اهبة النزال والنضال. وكان مدبرياً، ومساحاً بادوات مصنوعة من

(١) ويقال له ايضاً (نخلات فلاصر) الاول.

(٢) غزا هذا قائل العرب، وقضى على ملك المصريين وسيطر على طرق التجارة.

الحديد . وكان رجاله مزودين بالسيوف ، والنبال ، والتروس ، والاقواس ، والرماح . وكانت لهم مركبات خفيفة ، يجر الواحدة منها حصانان ؛ وكانوا يستعملون هذه المركبات في ميادين القتال ؛ وكانت لهم وسائل نقل منظمة ؛ وكانوا يستعملون أجهزة متينة ومعدات متقنة للحصار كالسلاالم والمجنقيات وغير ذلك من الادوات التي تسهل لهم ذلك الاسوار ، واختراق الحصون . ولذلك كان العرب والفراعنة يستعبدونهم في حروبهم .

٣ — ولقد فاق الآشوريون البابليين والمصريين من حيث التنظيم الاداري (١) فقد سنوا الانظمة المتقنة للبلاد التي احتلها ، وكانوا يضيّقون نطاق الولايات مخافة أن تتقوى الواحدة فتفصل عنهم ، وكانوا حين نشوب ثورة في إحدى هذه الولايات يزلون أميرها الوطني ، وينصبون مكانه واحداً منهم . وكان من واجبات هذا الحاكم أن يحفظ النظام ، ويرسل التقارير عن حالة مقاطعته الى الحكومة المركزية ، وأن يجمع الضرائب ويرسلها الى العاصمة ، بعد أن يتي منها مقداراً يحتاج اليه في إدارة البلاد التي جمعت منها . ولم يهتموا بترقية الشؤون الصناعية ، والتجارية . وكان كل اهتمامهم موطوقاً نحو سلب هذه البلاد ، وجمع ما فيها من ذهب وقضه وأمتعة نفيسة .



(١) راجع كتاب (المصور القديمة) لبرستد

غزة وبابل

إن أول من اكتسح هذه البلاد من ملوك بابل هو (سرجون الاكاري) ، ثم ابنه (نارام سين) ، وهما من أصل سامي . ولكن حكم هذين للملكين لم يصر طويلاً ، إذ لم يكن المصريون ليتركوا لها مجالاً للراحة .

٢ — ولما تضعف الحكم الفرعوني في البلاد على عهد نينحو الثاني (٦٠٩ ق.م) ، اقسام خصومه البلاد التي كان قد احتلها . فكانت سوريا من حق (نابوبولصر) (١) ملك بابل . ولما كان هذا من الشيخوخة بدرجة لا يستطيع معها الحرب ، جاء ابنه (نبوخذرزور) (٢) فتولى الأمر . وقامت بينه وبين فرعون مصر نينحو الثاني ، عند الفرات معارك دامية (٦٠٥ ق.م) . فغلب البابليون ، وقهروا المصريين . وكان نصر البابليين هذا قوياً بدرجة أن نينحو لم يحاول الاشتباك معهم في حرب مرة أخرى . وتغلب المصريون عن سوريا وفلسطين معاً . فدخلت هذه تحت الحكم البابلي .

٣ — أراد نبوخذرزور أن يوطد أركان حكمه في فلسطين ، فلم يجد ثمرة وسيلة لذلك سوى سبي اليهود ، فسبهم ؛ وأقصاهم عنها إلى العراق . ثم هبط غزة (٥٦٨ ق.م) ، وأخذ يستعد لها بحماسة مصر . إلا أنه على ما يظهر ، أحس بالشيخوخة فانسحب إلى بابل قبل أن ينال بنيته . فانتدب ابنه (نختنصر) ليقوم بأكمال هذه المهمة . وأمدّه بجيش كبير . بيد أن الأب مات قبل أن يبلغ الابن غايته . فاضطر هذا أن يسرع في الرجوع إلى بابل ، على أمل أن يعود لأتمام مهمته في فرصة أخرى . ولقد أعاد الكرة فاحتل هذه البلاد ، واحتل غزة في طريقه إلى مصر . ثم احتل مصر ، وقتل ملكها ؛ وبعد أن أقام عليها عاملاً من امرائه عاد إلى بلاده .

٤ — وبعد وفاة نختنصر خلفه في الحكم (آمل مردوق) عام ٥٦١ ق.م. لكنه خلع بعد سنة ، فسلم زمام الملك من بعده (رجال شاروزر) . وظل هذا مترعباً في دست الحكم حتى عام ٥٥٦ ق.م غلفه ابنه بضعة أيام فقط . ثم ارتقى العرش

(١) وهناك من يسميه (نابولو نصر) ايضاً .

(٢) وهناك من يسميه (نبوخذ نصر) ايضاً .

البابلي (نبونيد) . وكانت هذا العرش يضم يومئذ تحت جناحه العراق ، وسوريا ، وشرق الاردن ، وفلسطين إلى التخوم المصرية في غزة . ولكن الفرس داهموه بقيادة ملكهم كورش الفارسي ، وقضوا عليه وعلى امبراطوريته .

٥ — لم يرتق عرش بابل بعد حمورابي^(١) حاكم مثل (نبوخذ نصر) . إذ لم تلعه حروبه مع المصريين ، وانتصاراته على الامم المجاورة لبلاده عن واجبه من حيث الممران : فقد فتح الشوارع ، وأنشأ القصور ، وشجع العلوم ولا سيما علم الفلك ، ونشر التجارة والصناعة ؛ ولو لم يكن له من فضل سوى الجنان للعلة التي تعد من عجائب الدنيا السبعة ، لكفى .

٦ — لم تكن فلسطين مستعمرة بابلية بكل ما في كلمة الاستعمار من معنى ؛ بل كانت مستقلة استقلالاً داخلياً ، تدفع ما عليها من ضرائب لبابل ، ثم تدير نفسها بنفسها كيف تشاء . ولم يدم الحكم البابلي في هذه البلاد سوى بضع مئات من السنين . وكان من آثاره أن اردادت العوامل التجارية والاقتصادية مع بابل ، وانتشرت الكتابة السامرية والبابلية ، وشاعت اللغة البابلية في السياسة والتجارة ؛ حتى أن المراسلات التي وجدت على ألواح تل العمارنة بمصر ، كتبت باللغة البابلية . وأما اللغة التي كانت دارجة بين سكان البلاد ، فقد كانت الكتفانية .

٧ — واعدت كانت غزة في عهد السيطرة البابلية مدينة كبيرة . غير أنها ما كانت يومئذ لتلعب دوراً كبيراً ، كالدور الذي لعبته فيما بعد في السياسة الدولية . وقد ذكرها المؤرخان هيكاتبوس وهيرودوتس فقالا عنها (أنها مدينة كبيرة) . تلك كانت حالها قبل أن يحتلها الفرس .



(١) انه من حكماء بابل ، ارتقى ارسكة الملك سنة ٢١٠٠ ق . م وهو واضع الشريعة المعروفة باسمه : (شريعة حمورابي) .

غزة في عهد الفرس

استولى الفرس على فلسطين عام ٥٣٨ قبل الميلاد ، وأما غزة نفسها فقد احتلها عام ٥٢٥ ق. م. وذلك في عهد ملكهم (قبيز)^(١) عندما سار هذا على رأس جحافل الجواراة لفتح مصر .

لم يرحب الفريون بالفرس بأذى ذي بدء ، بل قاومهم أشد مقاومة . ولكن هذه المقاومة لم تدم طويلاً فانظروا إلى الخضوع . ثم ائلفوا مع الفرس ائتلافاً عجيباً حتى انهم حاربوا والفرس معاً جنباً إلى جنب القامح القيدوني العظيم الاسكندر ، عند ما احتل هذا غزة (٣٣٣ ق. م) وانزعجوا من يد الفرس .

٢ — وعندما احتل الفرس غزة ، اتخذوها مركزاً حرياً لحركات جيوشهم التي اعدوها لفتح مصر . ويقال إن لقب النزوة والغنى الذي اطلق على غزة يومئذ ، نأثي عن العقيدة السائدة بأن ملك الفرس قبيز دفن ثروته فيها .

٣ — قبل أن ينادر قبيز غزة ، ويأمر جيشه بالزحف إلى مصر ليمتلك وادي النيل ، وطد ملامه مع الفريين ؛ ثم عقد تحالفاً مع رؤساء القبائل البدوية الضاربة خيامها على الطريق ، ليمدوه بالاء الذي يحتاج إليه . وبهذا تم له عبور البادية وافتتاح مصر .

٤ — وقد تولى الملك بعده داريوس الاول (٥١٣ ق. م) تقام هذا باجراء تشكيلات ادارية جديدة في الممالك والبلاد التي افتتحها ، وجعل فلسطين الخامسة بين هذه الممالك . وكانت غزة يومئذ عامرة ومزدهرة ، فجعلها ذات إدارة مستقلة .

٥ — واصل العرب ارتيادهم لغزة في عهد الفرس كما كانوا يفعلون من قبل^(٢)

(١) هو ابن كورش . ويقول الأستاذ ماير ان كورش هذا هو المعروف عند العرب بكسرى . وهناك من يقول ان غزة سقطت بأيدي الفرس في عهد كورش ، لا في عهد ولده قبيز .

(٢) قال هيرودوتس ان العرب كانوا في عهد الفرس ، مستوطنين البلاد الساحلية جنوب غزة ، وكانت مدينتهم الرئيسية يومئذ (Jenysos) . وقد اشير الى وجودهم هناك أثناء الفتح الفارسي . ولم يؤسس الفرس ، عند احتلالهم غزة ، قسلاً فيها . ولكنهم عندما رأوا زحف العرب المنذر نحوها أسسوا قسلاً . وبعد أن كانوا يعيشون عن سكان غزة كسورين صاروا يعيشون عنهم كعرب اقتحاح . وكان ذلك حوالي عام ٣٥١ ق. م.

ونابروا على رحلة الصيف التي اعتادوها ، وتجارهم التي القوها منذ سنين واحقاب . وكانت غزة لا تزال تعتبر في نظرهم مركزاً تجارياً هاماً يربط جزيرة العرب بئر الشام وشواطئ البحر الايض المتوسط . ودلّت الحال على هذا المتوال حتى تعربت غزة واصبح المؤرخون يعتبرون الفزيين عرباً اقحاحاً .

إن زحف العرب المستمر من جهة ، وثورة الفتيين من جهة أخرى ، جعلت الفرس يفكرون في تقوية حاميتهم الرابطة في غزة فبنوا فيها قشلاقاً وكانوا يسمونها يومئذ (هازاتو) . وكانت غزة في عهدهم مركزاً من المراكز الهامة لتجارة البخور .

٦ — ليس ثمة أي دليل على أن غزة أو أية مدينة من المدن الفلسطينية الاخرى قد اشتركت في الثورة التي اضطرت نازها ضد الفرس في سوريا عام ٤٤٥ ق . م ؛ وفي قبرص واليهودية وفينيقيا عام ٣٥٣ ق . م . إلا أنها ، على ما يظهر من روايات بعض المؤرخين ، كانت تعطف على تلك الثورة . وكانت البلاد النائرة تحسب لها حساباً ، وترضى أن تحتفظ بحيادها .

٧ — ذكرت غزة في فتوحات ارتنا كسر كس الاول (٤٦٦ ق . م) وداريوس الثاني (٤٦٤ ق . م)

وقد ظلت غلصة لحكامها الفرس خلال حروبهم مع المقدونيين . حتى أن الاسكندر المقدوني عندما حاصرها عام (٣٣٢ ق . م) قاومه وجنده شهرين كاملين . وقد كان المدافعون عنها يومئذ مزيجاً من عرب وفرس .

٨ — كان قائد الحامية التي تولت الدفاع عن غزة في حرب الاسكندر (بانس) أحد قادة الفرس المشهورين . وكان شجاعاً . فهد إليه ملك الفرس يومئذ داريوس الثالث بالدفاع عن غزة . فاستمد هذا الحصار طويل ، وملك الفزيين ، وحشد في غزة كميات كبيرة من الدخان والمؤن ، وعمر سورها ، وقد كانت محاطة بسور مرتفع لا تؤثر فيه المنجنيقات وآلات الحصار . حتى أن مهندس الاسكندر انفسهم اعترفوا بججز منجنيقاتهم عن تخريبه .

ولقد كان القسم الجنوبي للسور ضعيفاً فاختره الاسكندر نقطة مؤاتية لبدء الهجوم الذي أعده . وقد شيد بالقرب منه برجاً كبيراً أعلى من السور ؛ فوضع عليه آلات الحصار ، وأخذ يرسي غزة منه بالمنجنيق . ولكن الفرس وحلفاءهم العرب

الدافعين عن المدينة لم يأسوا ، بل قاموا بهجمات معاكسة ، وضيقوا الخناق على المقدونيين ، وعلى مهندسيهم . ويقال ان حربة من حراب الغزيين اخترقت درع الاسكندر فجرحته في كتفه ، وعلى قول في ركبته ، فانسحب المقدونيون ، ولم يظن قائد حامية غزة إلى أن انسحابهم هذا كان خدعة حرية .

وقد استحضر المقدونيون من سور عدداً من آلات الحرب ، فاستعملوها . وقد أتموا البرج الذي انشأوه حول المدينة . ثم قاموا بأرج هجمات متتالية ، فتمسكوا أولاً من هدم جانب من السور ثم احتلوا المدينة بأكملها .

وكان القائد المقدوني الكبير على جانب عظيم من الغضب يوم فتح غزة ولا سيما لما أصابه من جرح أثناء الحصار . فلم يكذب يدخلها ظافراً حتى أعمل سيفه في حاميها أولاً فذبحها عن بكرة أبيها . وكأن هذا لم يشف منه القليل ، فقد انتقم لنفسه من السكان . قتل منهم خلقاً كثيراً . وباع النساء والاولاد في السوق بيع العبيد . وقد ذكر المؤرخون انه قتل أثناء حصار غزة من الفرس والعرب عشرة آلاف رجل ، جلهم من العرب . ولقد شنع الاسكندر في جسم (باتس) قائد الحامية تشنيعاً عظيماً ، ثم طعنه بالرمح ، فخر صريعاً .

٩ — لم نثر فيما عثرنا عليه من اطلال وآثار في هذه البلاد على أثر الفرس إلا الجور والمهرابات التي حفروها في بطن الأرض . وإنك لتجد أينما سرت وحيثما حلت ، عدداً من هذه الجور التي وإن كانت محفورة في بطن الأرض ، إلا أنها متقنة الوضع بحكمة البناء . والمظنون انهم كانوا يستعملونها كمصاريج لجمع الماء ومطامير لحزن الحبوب . وأما من حيث السكان فانا لم نثره رغم البحث الطويل ، على جماعة من السكان أو اسرة من الاسر التي تعيش في غزة أو حولها من بقايا الفرس . إلا في قرية جباليا الواقعة على مسافة ميلين من غزة للشمال ، فإن أكثر سكان هذه القرية — إن لم يكونوا كلهم — من بقايا الفرس . بذلك على ذلك — جنهم ، وتركيب اجسامهم ، ولا سيما لهجتهم أثناء الكلام . إنهم وإن كانوا يتكلمون اللغة العربية إلا أنهم يعطون الكلام بشكل لا بدع مجالاً للريب بأنهم من أصل فارسي .



غزة في عهد اليونان



الفتح المقدوني الكبير — الإسكندر

قلنا في ختام ضل الفرس إن الفاتح للمقدوني العظيم (إسكندر الكبير) (١)

(١) إنه إسكندر الثالث ابن بيلب الثاني ملك مقدونيا وأولمبيا . ولد عام ٣٥٦ ق . م . وتعلم على يد الفيلسوف اليوناني المشهور أرسطوطاليس . وقد دخل الحرب لأول مرة عام ٣٣٨ ق . م . عندما قاد جيشاً أرسله أبوه لاحتلال التوار في الجبال . وكان يومئذ في السادسة عشرة من عمره . وقد جاء في نصيب القرطبي أنه (ذو القرنين) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم . انزأ سورة الكهف : « ويستلذك عن ذي القرنين قل سأنلو عليكم

استولى على غزة عام ٣٣٢ ق . م ، بعد حصار طويل ، وإن حاميتها كانت مزيجاً من العرب والفرس ، وإنه قتل في ذلك الحصار عشرة آلاف رجل جلهم من العرب .

٢ — اختلفت الآراء في مدة هذا الحصار : فمن قائل أنه دام شهرين ؛ ومن قائل أربعة شهور . ويظهر أن هذا الاختلاف في الرأي ناشئ عن الحقيقة التالية : بدأ الاسكندر حصاره في شهر أغسطس من تلك السنة (٣٣٢ ق . م) ولكنه انسحب في شهري ايلول وتشرين أول إما بسبب الحر الشديد أو لأجل استكمال وسائل الحصار . ثم عاد فضيق الخناق عليها في شهر تشرين الثاني ؛ وقد جاءها يومئذ من الناحية الجنوبية الغربية ، فاستولى عليها . ويعتقد السر فلندرس بتري أن الركام الكائن تحت القبة من تلك الناحية وحولها هو من بقايا غزة في ذلك العهد ، وأن شظايا القنار المبعثرة هناك هي من بقايا ذلك العهد أيضاً .

٣ — كانت غزة يومئذ تحت رعاية وأن أقامه فيها ملك الفرس داريوس ، واسمه باتس . وكان باتس هذا خصماً عنيداً فلم يشأ أن يسلم المدينة لخصمه ، بل حصنها . فحاصرها الاسكندر . إلا أنه لم يزل منها في بادئ الامر شيئاً . فغضب لذلك غضباً شديداً . وازداد غضبه عندما جرح من حربة اصابته أثناء الحصار في

منه ذكرآ . إنما مكانه في الأرض وآتيته من كل شيء سبأ . قالوا يا ذا القرنين إن يسأحوج ومأجوج مضبون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيتنا بينهما سداً . قال ما مكى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطراً . فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له قبياً . قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً . قال ابن اسحق نقلاً عن ثور بن يزيد عن خالد بن ممدان الكلابي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن ذي القرنين فقال : « ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب » . وفي حديث عقبة ابن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أهل الكتاب سألوه عن ذي القرنين : « إن أول أمره كان غلاماً من الروم ، فأعطى ملكاً ، فصار حتى آتى أرض مصر ، فاشتق بها مدينة يقال لها الاسكندرية . . »

وأما سبب تسميته (بذي القرنين) فقيل : إنه كان ذا صغيرتين من شعر فسمي بهما . وقيل : إنه رأى في أول ملكه كاهن قابض على قرني الشمس فقص ذلك ، فصر أنه سيطلب ما ذورت عليه الشمس ، فسمي بذلك ذا القرنين . وقيل : لأنه ملك فارس والروم . وقيل : لأنه كان يداً مائل قاتل يديه وركايه جيماً . وقيل : إن تاسمي ذا القرنين لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت سريش من بني أمية . والله هو لأرحم

كفنه . وعلى قول إنه أصابه سهم في صدره ، فاخترق الدرع وجرحه جرحاً بليغاً . فقام الممّا شديداً . ولذلك عندما حمل عليها حملته الأخيرة وافتتحها ، فك فيها وفي سكانها فسكاً ذريعاً ، وباعهم بالسوق يسع العبيد . وأما بانس فقد لاقى منه ومن تحذيه الأهوال ، مع أن الاسكندر كان قبل حصار غزة مصعباً به ، وبإخلاصه لمولاه . ويظهر أن السنتين اللتين قضاهما ، والأهوال التي لاقاها ، في الحروب جعلت قلبه كأنه قد من صخر ، فقال له عندما رآه لأول مرة بلهجة القائد للتصريح « إنك لن تموت الميتة التي تريغب فيها . بل ستعذب على أشنع وجه يعرفه الانتقام ، وستذوق الألم الشديد » . ولكن بانس لم يعبأ بهذا الوعيد ، كما أنه لم ينبس ببنت شفة . بل أخذ ينظر إليه نظرات تدل على الشجاعة والافتخار ورباطة الجأش . فأمر الاسكندر قواده بأن يتقبوا قدميه ، ففعلوا . ثم ادخلوا في القبرين حبلاً مربوطوه بعرية ، وأخذوا يجرونه من شارع إلى شارع ، ويطوفون به أحياء المدينة حتى قاصت روحه .

٤ — كانت غزة يومئذ أعظم مدينة في سوريا على الإطلاق (١) وقد وصفها مؤرخو اليونان (بالمدينة العظيمة) . وإن عظمتها هذه ترجع إلى الطيب واللبان من جهة ، ووقوعها على طرق التجارة والواصلات من جهة أخرى . أي إن غزة كانت في ذلك الحين مدينة ذات أهمية من جهات عديدة : زراعية ، وتجارية ، وحرية . ولما فتحها الاسكندر وجد في دورها ومخازنها كميات هائلة من النخائر واللؤلؤ ؛ ووجد فيها أيضاً كنوزاً عظيمة ، وحلى ومجوهرات لا تقدر بشئ ؛ ووجد فيها كميات كبيرة من الطيب ، واللبان ، والمر ، والبخور وما إلى ذلك من اللواد الغالية الثمن . فغنىها كلها . وأرسل قسماً كبيراً من غنائمه هدية إلى أصدقائه الكثيرين ، ومنهم اولمبياس ، وكليوبترا ، وإلى استاذة ومهذبه ليونيداس الذي كان ، قبل فتح غزة ، يؤنبه كلما رآه يسرف في استعمال الطيب والبخور . ولما تلقى هديته الثمينة أرسل إليه كتاباً يشكره فيه شكراً جزيلاً ، وينصحه في نفس الوقت أن يبذل كلها في وسعه ليظل سيطراً على بلاد خربة ذات إنتاج قيم كاللبان الذي أرسله له .

٥ — أدرك الاسكندر قيمة غزة الحربية والتجارية بعد فتحها، فاهتم بها أكثر من اهتمامه قبل فتحها . وبعد أن كان غاضباً على سكانها ، عاد قنفاً عنهم وعن الدين هربوا من وجهه منهم، وأمر ببناء مساكنهم التي تهدمت أثناء الحرب ، وإعادتها إلى سالف عزها . ثم أحضر على حسب عادة من اليونان وآسيا الصغرى عدداً كبيراً من اليونانيين (١) ليسكنوها ، كما أحضر إليها عدداً آخر من سكان القرى المجاورة ، وسمى لمزج بعضهم بالعض الآخر . وكان من عادة الاسكندر أنه إذا امتلك بلداً جعل عليها عمالاً من أصحابه ، وارقمهم بعدد كاف من الجند .

وبهذه الوسيلة ازداد التعامل بين غزة وبلاد اليونان ، ذلك التعامل الذي كان نشيطاً أثناء الفتح الفارسي أيضاً . وأصبحت غزة مركزاً من أهم للراكنز في الشرق لتقافة يونانية مزدهرة . واقتبس سكان غزة وباقي المدن الفلسطينية الأخرى الثقافة اليونانية ، والفلسفة اليونانية ؛ فخلت هذه محل الثقافة السامية ، والفلسفة السامية . وراجت بين سكان غزة النقود المسكوكة باسم الاسكندر .



عملة الاسكندر

٦ — ولما هلك الاسكندر (٣٢٣ ق . م) . قام قواده بقتلون من أجل استلاك فلسطين والسيطرة عليها . وكانت كل واحد منهم مدركاً لأهميتها الحربية والاقتصادية . وما كاد ولده (لأوميدون) يضع يده عليها حتى جاءه سوتر (بطليموس الأول) من مصر فبسطها منه ، واحتل غزة . وكان ذلك في عام ٣٢٠ ق . م .



سوزر (بطليموس الاول)

٧ - وفي سنة ٣١٥ ق. م أخذ (انتيفونوس) هذه البلاد من يد بطليموس ، لانه كان يعتبر نفسه الوارث الوحيد لالاسكندر . وفي ربيع عام ٣١٢ ق. م . التقى الفريقان المتخاصمان ، بطليموس وانتيفونوس ، يعيشهما في غزة . وهناب في غزة - تقرر مصير مصر وسوريا معاً . في الجهة الواحدة (مصر) كانت بطليموس ومعه قوة كبيرة من اللقدونيين واليونانيين وعدد من السكان الاصليين ، قسم

منهم مسلح وقسم غير مسلح ؛ وفي الجهة الاخرى (سوريا) ديمتريوس ابن انتيفونوس ، ومعه قوة كبيرة من الجند ، وعدد من القبيلة . وكان الجانب المصري قوياً بدرجة انه استطاع أن يتغلب على خصمه رغم وجود القبيلة في صفوفه . فكان النصر لحليفه . وغادر ديمتريوس غزة هارباً نحو الشمال ، بعد أن خسر في هذه المعركة ما يقرب من ٨٠٠٠ جندي .

إن (معركة غزة) هذه جدرة بالذكر والتدوين . لأن القائد للقدوني الذي كان يقود جيش بطليموس وهو الجنرال سيلوقس (Seleucus) أخذ منذ تاريخ تلك المعركة يدون وقائمه وانتصاراته ؛ فراح تدوينه هذا (تاريخاً جديداً) دعي فيما بعد بالتاريخ السلوقي (١) . أو اليوناني . وسأني على ذكر هذا التاريخ بالتفصيل في مكان آخر من كتابنا هذا .

٨ - ثم عاد انتيفونوس وولده ديمتريوس في خريف السنة نفسها ، فأخرجوا بطليموس منها . ولكنه قبل أن يئادرها ، ويغادر المدن الاخرى التي كان قد امتلكها بحكم السيف مثل عكا ويافا ، خرب حصونها . وفي عام ٣١١ ق. م عقد

الصلح بين الفريقين ، فأصبح انتيفونوس سيد غزة ، وسيد البلاد الساحلية كلها حتى مصر .

٩ — ثم جرت حروب عديدة بين مصر وسوريا ، وبالأحرى بين البطالسة والسوقيين ، كانت نتيجةها أن أصبحت غزة والبلاد الفلسطينية الأخرى بلاداً مستقلة تابعة للبطالسة في مصر .

١٠ — عرف البطالسة بمراعاة أهل البلاد ، وعدم التدخل في عاداتهم وتقاليدهم . غير أنهم اقبلوا كاهلهم بالضرائب . وما هو جدير بالذكر عن غزة في عهدهم أن بطليموس انتدب (١) رجلاً يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس) مديراً للمال ورئيساً للجباة (٢) في سوريا والبلاد الفينيقية . وخوله — بناء على طلبه — سلطة واسعة ، وارفقه بألني جندي مستأجر لهذه الغاية ، ليتمكن من تحصيل الضرائب بالقوة عند اللزوم . فأصبح مدير المال هذا هو الحاكم الفعلي للسيطر على جميع بلاد فلسطين . وظل كذلك مدة (٢٢٢ — ٢٠٦ ق . م) ذاق الناس خلالها مر العيش . إذ أنه جمع الضرائب بالقوة من جميع البلاد دون أن يجد أية مقاومة ، إلا في غزة ، فقد لاق مقاومة شديدة . وكان سكانها يومئذ مزيجاً من العرب واليونانيين . فاعمد هؤلاء في العمل ، واجتمعوا على كرهه ، وامطروه بوابل من الشتم والأذى . فأمر يوسف بقطع رؤوس عدد كبير من اغنيائهم وزعمائهم ، وصادر أموالهم وأملأهم باسم الملك .

١١ — لم يناعز البطالسة متازع حتى عام ٢١٩ ق . م . عندما جاء ماغنوس (انتيوخوس الثالث) من سوريا ليحاربهم . فاحتل هذا غزة وحصنها تحصيناً منيعاً ، وأخذها مقراً لحركاته الحربية ضد مصر . جرت معارك دامية بين الفريقين ، (انتيوخوس وبطليموس) ، عند رفح . وكان ذلك عام ٢١٧ ق . م . وكان النصر في هذه المعركة حليف بطليموس ، فاستولى على غزة والبلاد الفلسطينية كلها .

(١) « History of the Jews » by Professor H. Graetz

(٢) وعلى قول المؤرخ يوسفوس أن يوسف هذا ألزم جميع الضرائب من جميع البلاد إلزاماً ، مد أن حرص الملك بطليموس على زعماء البلاد وكان كل زعيم وزجل نافذ يلزم أموال بلاده ويقدم للدولة مبلغاً معيناً من المال :

١٢ — وفي عام ٢٠١ ق . م أعاد انتيوخوس الثالث الكرة فقام يسمى لغزو مصر . ولم يلق أية مقاومة في سوريا وفلسطين إلى أن اقترب من غزة . فهدته هذه ، وقاومته مقاومة عنيفة ؛ ولم يستطع الاستيلاء عليها إلا بعد حصار طويل .

١٣ — وقد حاول المصريون بعد ذلك بهام واحد أن يستردوا ما فقدوه في العام الذي قبله . ونالوا بعض النجاح ، واستولوا على غزة ، وعلى الشطر الأكبر من فلسطين . إلا أنهم بعد حين (١٩٨ ق . م) أصيبوا بالفشل ، فاضطروا لأن ينادروا هذه البلاد ، بعد أن قطعوا كل أمل فيها . وأصبحت منذ ذلك التاريخ تابعة لدولة السلوقيين في سوريا .

١٤ — ولقد زوج انتيوخوس بنته كليوبترا إلى ولي عهد المملكة المصرية ، وكان يرعى من وراء هذا الزواج إلى تمهيد السبيل لعهد سلمي ثابت . وكهدية لها في عرسها أعطاهما القسم الجنوبي من سوريا ، وكانت غزة آمنة قسم من هذه الهدية .

١٥ — وبعد وفاة كليوبترا قام اخوها ابيفانوس (انتيوخوس الرابع) ، الذي كان مترعاً فوق عرش سوريا ، يسعى لاسترداد هذه البلاد من مصر ، وإرجاعها إلى المملكة السورية . فخارب المصريين فعلاً في جنوب غزة ، وتطلب عليهم ، وأصبحت البلاد كلها ، (مصر وسوريا) ، خاضعة له . ولما خلا للسلوقيين الجو ، وصفا لهم الامر أخذوا يفكرون في توطيد دعائم ملكهم . وكان هدفهم يومئذ إدخال الحضارة اليونانية للبلاد . فنجحوا في هذا المضمار إلى حد كبير . حتى أنهم في عهد انتيوخوس الرابع هذا (عام ١٧٤ — ١٦٤ ق . م) أكرهوا اليهود على أن يتركوا دينهم ، وأن يتقوا الديانة اليونانية . وعهدوا بتنفيذ هذه السياسة إلى حكام منهم عرفوا بالشدة والبطش . فأدى ذلك إلى ثورة المسكانيين التي أثبتنا على ذكرها في غير هذا المكان .

١٦ — وقد اضطر انتيوخوس الرابع بعد فترة قصيرة من الزمن للانسحاب من مصر ، يوم استولى على الملك بطليموس فيسقون .

١٧ — ظل النزاع قائماً بين أحفاد الاسكندر ، لا يكاد فريق منهم يستولي على البلاد فترة قصيرة من الزمن ، حتى يأتي الآخر فينتزعها منه . ودامت الحال على هذا للنوال إلى أن جاء الانباط وأخذوها منهم . ثم جاء الرومان وضموها إلى امبراطوريتهم المترامية الاطراف .

١٨ — وقبل أن نختم هذا الفصل ، نرى لزماً علينا أن نقول كلمة في الطابع الذي تركه عصر اليونان في هذه البلاد ، والآثار القديمة التي وجدت فيها ، ولها صلة بذلك العصر .

أما محيزات عصر اليونان في هذه البلاد فهي :

أ ظهور العنصر اليوناني وانتشاره في جميع أنحاء البلاد بكثرة تلفت الانظار . حتى أنهم امتزجوا بسكان البلاد الأصليين ، وناسبواهم .

ب انتشار اللغة اليونانية انتشاراً أصبحت معه لغة البلاد الرسمية ، ولغة العلم والمدارس . وأما اللغة التي كان يستعملها أهل البلاد الأصليين فقد صكحت يومئذ اللغة الآرامية .

ج اقتباس أهل البلاد الصناعات اليونانية ، ولا سيما صناعة الفسيفساء التي انتشرت بكثرة في الأبنية سواء أكانت هذه في المدن أم في القرى .

د انتشار الحضارة اليونانية والثقافة اليونانية . فقد أسس اليونان المدارس ، وبذلوا كل ما في وسعهم لينشروا عن هذه الطريقة آدابهم وافكارهم ومبادئهم وتقاليدهم ، حتى ومعتقداتهم الدينية . وقد ظلت مدارس غزة محتفظة بصبورتها اجيالاً طويلاً . حتى أنها كانت في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد ممتازة في تعليم الفلسفة والبلاغة . وقال بعضهم ان طلاب المدارس في القرن الخامس للميلاد كانوا يتركون مدارسهم في اثينا ، ويأتون إلى غزة ليتموا تحصيلهم في مدارسها . وكما وأن الفرس كانوا يستعيرون استاذتهم من مدارس غزة ومعاهداتها . وقد انجبت هذه المعاهد عدداً كبيراً من الفلاسفة ومشاهير العلماء .

ه إنشاء مرفأ (ميومية) على شاطئ البحر بالقرب من غزة . فقد انشأه هذا المرفأ في عهد اليونان ، واتسع نطاقه ، وانشئت حوله المباني الجميلة ودور السكن ؛ حتى غدا بحمد ذاته (مدينة مستقلة) يحيط بها سور كبير .

و وقصارى القول ان عصر اليونان في غزة كان عصرها الذهبي ، وكان الناس يومئذ يسمونها (غزة القدسة) و (غزة المستقلة) و (غزة الضيئة) و (غزة العظيمة) . وفي الحقيقة كانت يومئذ أكبر مدن سوريا على الاطلاق .

١٩ — يقول الاستاذ (كليمان غاتو) في كتابه (الابحاث الآرية بفلسطين) (١)

إن غزة أغنى المدن الفلسطينية بآثارها القديمة ، وكتابات النقوشة على الحجارة والأعمدة والجدران وفي كل مكان . وإن هنالك مجالاً للدرس أمام كل من شاء التوسع في هذا البحث . وليس ثمة أية ضرورة للحفر والتقيب . بل إن نظرة بسيطة على بيوت غزة ومنزلها لتدلّك على مبلغ هذا القول من الصحة .

ومارآه الأستاذ غانوف في غزة (عام ١٨٧٠) تمثال صغير من الذهب الخالص في صورة إنسان تدل ملامحه على أنه ملك ، أو شخص ذو اعتبار ، أو ملك مؤله جالس على عرشه وعلى رأسه خوذة على غرار الخوذ المصرية ، وفي عنقه قلادة ذات صفين ، وبداه موضوعتان على ركبتيه . وفي ظهر الصورة حلقة يظهر أنها صنعت خصيصاً للتعليق . وأن هذا التمثال الذي لا يزيد طوله عن ٢٥ سنتيمتراً وجدته عند صانع من صاغة غزة ، إلا أنه لم يقدر على شرائه لقلته ما في يده من دراهم . وقد سمع مؤخراً أن السيودوصولسى M. de Saulcy اشتراه باسم متحف اللوفر بفرنسا .

وفي دار سليمان ظريفة عثر على قطعة من الرمر منقوشة نقشاً جميلاً ، وهي معرقة بعروق خضراء طولها ٥٨ سنتيمتراً . وهي بشكل حيوان وهمي كالحياوين الخيالية التي جاء ذكرها في أساطير اليونان (١) . وهذا المخلوق العجيب قائم على عمود قصير لا يعمه منه سوى مخالبه الخلفية . ويقال أن هذه القطعة الأثرية وجدت في الأصل في خربة واقعة على بعد ساعتين من تل النطار إلى الشرق .

وعثر على مرآة من البرونز في شكل علة مسطحة مستديرة الشكل . قطرها خمسة عشر سنتيمتراً . وهي مزودة بدوائر مستديرة ذات قرصين ، الواحد منهما متداخل بالآخر ، ولها حلقة تساعد على حملها . وعثر على شاطئ البحر بين الرمال والقرب من بناء المجر الصحي على مكان مستدير مبني من حجارة مربعة الشكل وبحكمة الصنع . وفي هذا المكان تابوت صغير وحوض لجمع الماء . وهذا التابوت والحوض مصنوعان من صخر كلسي ممزوج بالصدف والرمل للتكامل . ومساحة التابوت متر طولاً وأربعون سنتيمتراً عرضاً .

وهناك عند الصاغة وبين أيدي الأهالي قطع أثرية لا تعد ولا تحصى ، بعضهم

(١) كثيراً ما ذكرت الأساطير اليونانية حيواناً طريفاً نصفه أسد ونصفه آخر عقاب ، أو وحشاً له رأس أسد وجسم غزال وذنب تنين ، وهذا كالمول الذي جاء ذكره في الأساطير العربية .

النحاس والبعض الآخر من البرونز الصافي . وهذه القطع إما أن تكون قد وجدت في غزة نفسها أو في الأماكن المجاورة لها . منها صور صغيرة لحيوان ذي أربعة أرجل رأسه رأس إنسان . طول الصورة ستة سنتيمترات . غير أن اليدين والرجلين مهشمة نهشياً فظيماً .

وهناك تماثلان لشخصين يمثلان نصف جسدهما الأعلى ، ارتفاع كل منهما خمسة وعشرون سنتيمتراً . وفي رأس كل واحد من التماثلين حلقة صغيرة للتعليق . واحد منها يمثل بطلاً إذا احنحة مهشمة ، والآخر يمثل آلهة من الآلهة (إما آرتيمس أو عشتاروت) وعلى رأسه تاج .

وقد عثروا في دار عطا الله التريزي على بلاطة من رخام قيل إنها وجدت على شاطئ البحر وقد نقش عليها باللغة اليونانية العبارة الآتية :

— — هذا قبر للرحوم زينو ابن بالس وميكل الذي دفن في اليوم الثاني والعشرين من شهر هيربريتوس من سنة ٥٦٥ — —


والكتابات ، من هذا الشكل ، التي وجدت منقوشة على حجارة كانت في المتاجر كثيرة لا حد لها ولا حصر ، فلم نر يوماً تذكرها ، لأنها كلها كالكتابات الموجودة على حجارة القبور ، تدل على الشخص المدفون وتاريخ وفاته . وهذا ليس من الأهمية بدرجة تستحق الذكر .

وهالكتابة وجدت منقوشة على أحد الأعمدة الأربعة التي كانت قاعة في زوايا ميدان السباق (ميدان أبي زيد) (١) ذلك الميدان الواقع شرقي للدينة . وقد نقش عليه هذه الكلمات :

— — الأرض لله وكل ما فيها — — اقيم هذا الرصيف بإرشاد النحاس الكسندروس في سنة ٦٠٠ شهر بريتيوس

وقد استنسخ هذه الكتابة الليفنتات كيتشنر الذي صار بعدئذ وزيراً للبحرية

(١) ذكر المفريزي هذا الميدان في الجزء الثاني من خطته من ٣٩٧ وقال عنه أنه أسس عام ٧٢٣ هـ من قبل الأمير منجر الجاولي .

في انكلترا ، ونشر عنها بعض التفاصيل في إحدى المجلات العالمية عام ١٨٧٨ . وقد ابتاع هذه القطعة بعدئذ السيو شيفارير Chevanier وأهداها إلى متحف اللوفر بباريس . وقد عثروا على قطعة رصاصية اللون مربعة الشكل (٦٥ × ٦٣ س) ، يظن انها عيار للوزن ، منقوش عليها هذه الصورة  وهي علامة فينيقية .

والمعروف عنها انها تشير إلى مارنا إله غزة . وعلى وجهها الخلفي كتابة باليونانية على خمسة سطور ، معناها : « من مستمرة غزة (١) » . تحت هيروودس ديوفانتوس . وقد يكون هذا قاضياً من قضاة الصلح في المدينة . وتحت هذه الكلمات حرفان بهذا الشكل **IE** . ولا يعلم أحد بالضبط فيما إذا كان هذان الحرفان تاريخاً (السنة الخامسة عشر مثلاً) ، أو انهما يبران عن وزن ذلك العيار . وقد وزنوا العيار فوجدوا انه يساوي ١٧٨ غراماً ونصف غرام .

وعثر السيو لآبه شابوت (٢) (L' Abbé Chabot) في غزة عام ١٨٩٣ على قطع أثرية عديدة ، واحدة منها ، كالمسلة ، تقدم ذكرها ، رصاصية اللون مربعة الشكل وزنها (١٤٤) غراماً منقوشاً عليها الكلمات التالية : —



ومعناها سنة ١٦٤ (٣) ديكابوس . والمعتقد انها وجدت في بيت لاهيا . وفوق كل ذي علم علمه .

(١) ان هذه الصفة (مستمرة) اطلقت على غزة في عهد الامبراطور هادريانوس عند ما زارها هذا عام ١٣٠ م .

(٢) أحد تلاميذ الاستاذ كليرمان غاو .

(٣) لما كانت السنة الفزية (حسب التاريخ القديم) تبدأ في ٢٨ أكتوبر سنة

٩١ ق . م . فان هذه السنة (أي ١٦٤) تصادف ١٠٣ أو ١٠٤ بعد الميلاد .

غزة

في عهد الانباط

الانباط خلفاء الادوميين في البتراء، وفي شبه جزيرة سيناء ، وجنوب فلسطين . قهروهم ، واحتلوا بلادهم ؛ ثم انشأوا دولة الانباط العربية (١) . انهم عرب ، لغتهم آرامية ، وعاصمتهم البتراء وهي التي تدعى في يومنا هذا (وادي موسى) .

٢ — استقلت هذه الدولة الفتية الحروب التي قلمت بين خلفاء الاسكندر ، فقامت تسمى لثنتين بنيناها وتوسيع حدودها . وفيها كان البطالسة (في مصر) والسوقيون (في سوريا) يطمحون من اجل السيادة ، قام الانباط فشيّدوا دعائم ملكهم ، وساروا بفتوحهم حتى امتد سلطانهم من خليج القبة حتى حدود مصر ، ومنها الى غزة وشواطئ البحر الابيض المتوسط . ثم امتد حتى شمل حوران والعراق . وكانت ذلك حوالي القرن الرابع قبل الميلاد .

٣ — كان الانباط مسيطرين على طرق التجارة من الشام الى البحر الاحمر فبلاد العرب ومدائن صالح . وعن طريق هذه التجارة اصبحوا اسحاب الحول والطول في مصر والشام معا ، ردح كبير قليل من الزمن ، وتجارهم قائمة على الطيب والمر والقار والعطور . ولما كانت بلادهم جرداء لا زرع فيها ولا ماء ، فقد اشتغلوا من جهة بالتعدين فلستخرجوا النحاس والفيروز ، ومن جهة اخرى بترية المواشي . وكانوا يقتاتون بالحموم الابل والابلها .

٤ — ومن صفاتهم البارزة الميل الى الحرية . اذا اعتدى عليهم ممتد قاتلوه بكل ما أوتوا من قوة . فاذا تمكنوا من ردهه عاشوا فرحين ، والا فروا الى الصحراء القريبة منهم . وقد كانت هذه حصنهم الحصين .

٥ — ضربوا النقود باسماء ملوكهم . ومن الملوك الذين وصلت الينا اخبارهم : —
الحارث الاول سنة ١٦٩ ق . م وهو اول من عرف من ملوك الانباط .

زيد ايل ١٤٦ ق.م.

الحارث الثاني ١١٠ ق.م.

عبادة الاول ٩٠ ق.م.

الحارث الثالث ٨٧ ق.م. وهو اول من ضرب النقود من الانباط . واتسعت مملكته حتى شملت دمشق ، فحصل اول اصطدام بين الانباط والرومان .

عبادة الثاني ٦٢ ق.م.

مالك الاول ٤٧ ق.م. وقد كان هذا معاصراً لهيرودس الكبير ؛ وجرت بينهما حروب كان النصر فيها سجالاً بين الفريقين .

عبادة الثالث ٣٠ ق.م. وفي ايامه قام الرومان بمحنتهم على بلاد العرب ، فارسل اغسطس قيصر (عام ١٨ ق.م) عاملاً على مصر (اليوس غالوس) ، واستنصر النبطيين فظهروا رغبتهم في نصرته على يد وزيرهم (سيلوس) . ولكن هذا خدعهم وذهب بهم في طرق وعرة اعجزهم للورور منها . فقتلوا ابائهم فيها انواع العذاب . الحارث الرابع ٩ ق.م. وقد اتسعت مملكته في عهده ، ونصب على دمشق (٣٩ م) والياً من قبله يحكمها باسمه .

مالك الثاني ٤ ب.م. فقد انجذ هذا القائد الروماني فسباسيان في حربه مع اليهود سنة ٦٧ ب.م.

ريمال الثاني ٧٥ ب.م.

مالك الثالث ١٠١ ب.م. وفي عهده فقد الانباط استقلالهم ، واصبحت البتراء ولاية رومانية . وكان ذلك على عهد الامبراطور تراجان (١٠٦ ب.م) ففرض الرومان نفوذاً خاصه بذلك الفتح على سبيل التذكير .

٦ — بقيت البتراء ولاية رومانية ، تحرسها حامية من الجند الروماني إلى عهد الامبراطور فالنس (٣٧٨ ب.م) . ثم هجرت بالرة ؛ ولم يعد التاريخ يذكرها الا بآثارها القديمة ، وقصورها الفخمة التي لا يزال السياح يحججون اليها في كل عام .

٧ — لم يرد ذكر لفزة في عهد الانباط الا عند ذكر طرق التجارة ؛ لانها واقعة على شاطئ البحر الابيض المتوسط . وكان لا بد من ابرقيادها من اجل تصريف البضائع التي كان الانباط يأتون بها من الهند ومن جزيرة العرب الى مصر وفلسطين والى سوريا . وقد ركض الانباط لجدة العرب سكان غزة يوم حاصرها الاسكندر .

غزة وتدمر

بينما كانت مملكة الانباط تتراجع وتفقير ، كانت مملكة تدمر تترق وتقدم . واخذت هذه تنازع الانباط سيطرتهم التجارية . ثم انضمت إلى مملكة الرومان حوالي سنة ٣٦ ق . م . وقالت حقوق (مستعمرة رومانية)

٢ — نجح اذينة في التخلص من ربة الحكم الروماني ، فقام دولة مستقلة (٢٥٠ م) . وهذا الرجل هو ابن خيران بن وهلات بن منصور من بني السميع . قتلته القيصر الروماني ، وجاء قتله على يد قائده الذي خافه (كالستوس) .

٣ — وبعد مقتل اذينة تولى الملك زوجته زينب أو الزباء أو زنونيا . تولى بالنيابة عن ابنتها البكر (وهلات) . فارتقت حاضرة البلاد (تدمر) إلى أوج القمن في عهدها .

٤ — كان للزباء مجلس شيوخ ترجع إلى رأيه . ويقال ان نفسها كانت تحدثها بالاستيلاء على المملكة الرومانية . ففقدت مع (سابور) ملك الفرس معاهدة . وغصت عاصمتها باجناس الشعوبوا اكثرهم من العرب والنبط .

٥ — كان بنو السميع يسكنون بادية الشام في اوائل النصرانية . فظهر بنو غسان بعد خراب سد مأرب وسيل العرم ، واستولوا على جهات فلسطين ودمشق . وكانت سبقهم قبيلة بني سلبح من قضاة ، وسكنت البلقاء . فانتشروا في البلاد في اواخر القرن الثاني للمسيح . وفي خلال تلك المدة قدمت فرقة من بني لخم إلى جنوبي فلسطين ، وامتدوا إلى غربي بحيرة لوط . وبرز قوم من مضر يعرفون ببني كلب فامتدوا من انحاء الحجاز إلى جنوبي بر الشام وزلوا في جوار دومة الجندل (الجوف) فازغت بقايا هذه القبائل لزينب ، فاستأجرتهم وادخلتهم في جملة جيشها .

٦ — خاف غالبان قيصر عادية زينب فوجه جيشا لمقاتلتها ، فغلبت جيوشها .

٧ — ولكن الرومانيين عادوا فانتصروا عليها تحت قيادة القيصر اوريليانس حوالي عام (٢٧١) للميلاد .

غزة تحت سيطرة الرومان



بربروس قيصر

في سنة ٩٦ قبل الميلاد حمل
(اسكندر يانيوس) على غزة حملة
شعواء . غير انه لم يستطع فتحها إلا
بعد حصار سنة كاملة (١) ، وعندما
اكتسحها هذا خربها وجعل عاليها
سافلها . فأعد الرومان بناءها ،
ومنعوها إدارة مستقلة على عهد
الملك يوليوس (٢) قيصر . فأعطاهما
إلى هيروودس (٣) . وكان هذا
عجب غزة ، ويقول عنها (انها
مدينة عظيمة) .

٢ — وبعد وفاة هيروودس
أصبحت غزة مقاطعة رومانية ،
وازدهرت في العلم والتجارة

(١) مجلة الهلال الجزء ٤ ص ٢٤٣

(٢) المعجم البيروني

(٣) انه آدمي الاصل . اعتنق الديانة اليهودية ، ثم خرج على المكابيين انتقاماً
لايه الذي قتله هؤلاء . والتجأ الى الرومان ، فصب في عهد اغسطس ملكاً على فلسطين .
وقد أمدّه انطونيوس بالجند ، قضى على المكابيين ، وقتل آخر ملوكهم انتيكانوس بن ارسطوبولس
الثاني (٣٧ ق . م) . وكان اليهود يكرهونه بالرغم من انه جدد لهم بناء الهيكل ، وامدم
بالمال والحبوب اثناء المجاعة التي اصابتهم عام ٢٢ ق . م . وقد كانوا يتبرونه احتياجاً ، ذلك
لانه كان يحب التقاليد الرومانية . مات هيروودس (١٠٠ م) وله من العمر سبعون سنة .
ففرح اليهود لموته فرحاً عظيماً . وفي آخر سنة من سي حكمه ولد السيد المسيح عليه السلام .

والعمران . وقد ظلت مزدهرة ، وعاشت حرة مستقلة طيلة الحكم الروماني ، وكانوا يطلقون عليها اسم (مينوا) . وكانت عبادة الأوثان منتشرة فيها ، كما كان للفلسفة الافلاطونية فيها مدارس عديدة .

٣ - - وقد سك الرومان أثناء احتلالهم لهذه البلاد من زمن اغسطس حتى حكم ثيلاغالوس تقوداً في غزة ، وكانت لهم فيها مصانع لسك النقود ؛ وعلى هذه النقود ذكروا اسم المدينة غزة ، وعلى الوجه الآخر حرف (M) إشارة للصنم المسبود (مارنا) أو المبد الذي فيه الصنم مارنيون ، وعلى بعض القطع المسكوكة خرت صورة القيصر (انطونيوس) ، وعلى الوجه الثاني صنم الحظ (تيكاتور) يحمل على رأسه صورة غزة الحصنة ، واسم غزة . وعلى بعض النقود نجد صورة القيصر (هادريانوس) ، واسم غزة ، ومدخل هيسكل مارنا ، وما إلى ذلك مما يدل على أن غزة كانت يومئذ تحتل المقام الاول في تاريخ هذه البلاد .

٤ - - وقد بقيت غزة والبلاد الاخرى تحت حكم امبراطوريي الرومان الشرقية والغربية ، وازدهرت على اساس مبادئ الثقافة اليونانية ؛ وظل هذا الازدهار ملازماً لغزة طيلة أيام الحكم الروماني . ولم ينزع إليها في عهد الرومان إلا عدد قليل منهم . وكان هؤلاء من فئة الحكام والوظفين والتجار وأرباب العلم . وكانت اللغة الرسمية هي اللاتينية . وأما لغة الاهلين فصكانت الآرامية .

٥ - - وقد انقلبت الآية بعد ذلك ، فأصبحت مستعمرة عسكرية للرومان . وكثيراً ما ذكرت بهذا الوصف في الكتب والأسفار التي بحثت عن ذلك العهد . وكانت يومئذ تدار من قبل امبراطور روما رأساً بواسطة مندوب سام ينوب عنه ، ويدير المدينة باسمه . وما كان مجلس الاعيان في روما أي دخل في هذه الادارة .

٦ - - ويظهر انه كانت هناك مؤسسات (١) قومية محلية مستقلة في داخل المدينة . وكانت هذه التشكيلات معتبرة من قبل الرومان ، فكانوا يلقبونها : (Demos) وفي النقود التي سكنت في ذلك الحين إشارة إلى بعض هذه المؤسسات . وما كان لاحد ان يعتبر مواطناً في المدينة ، سوى العناصر الوطنية التي كانت تعيش في البلد منذ القديم . حتى ان الامبراطور (يومي) الذي منح هذا الحق للوطنيين الأصليين ، لم يمنحه اليهود .

وقد جاء في بعض الحالات ذكر لمجلس (١) قيل انه كان مؤلفاً من خمسة أعضاء. وكان هؤلاء ينتخبون على أساس المناطق الداخلية : من السكان ، ومن أحسن عائلات المدينة . وكانت العناصر الارستوقراطية ممثلة في الحكومة ، وكان بالإمكان أن يمنع الأجانب حق التجنس بالجنسية الغزية باقتراع الشعب .

٧ — ويظهر أيضاً انه كان في غزة في ذلك العهد (محكمة بلدية (٢)) . وكرسى القضاء في هذه المحكمة ، كان أعلى منصب يمكن أن يتوصل إليه ابن البلاد في ذلك الحين . وكان فيها موظفون مختصون بالمحافظة على النظام العام ، وصيانة الاخلاق . وكان يطلق على هؤلاء الموظفين Irenarchae أي (حنطة السلام) يقومون بوظائف الشرطة ، وينتخبون من بين عشرة رجال ترفع اسماؤهم إلى رئيس البلدية في كل عام . وكان في المدينة موظف يدعى (Defensor Populi) ، وهو مواطن ينتخبه مواطنوه ليصون حقوقهم في مدينة يسودها حكم الطبقات المتنازعة . وفي بعض الآثار ذكر لموظف عهد إليه بحراسة معابد المدينة وامكنتها المقدسة (٣) ، كما جاء في غيرها ذكر لموظف صغير كان مسؤولاً عن الاسواق (٤)

٨ — وعندما اعلنت (بلاد العرب) ايللة ، شعرت غزة بكثير من الامان وقطعت شوطاً بعيداً في سبيل العمران ، واستعادت تجارتها السابقة وصلاتها القديمة مع القبة والانباط في البتراء .

٩ — وعندما اشتعلت نار الحرب بين الرومان واليهود (٥) ذبح الرومان عدداً كبيراً من اليهود في أكثر المدن الساحلية ، فقتلوا في قيسارية عشرين ألفاً ، وفي يسان ثلاثة عشر ألفاً ، وفي عكا وعسقلان نحواً من اربعة آلاف نفس . ثم قام اليهود فثاروا لانفسهم وأحرقوا عسقلان وغزة . الأمر الذي جعل (نيرون) يستشيط غضباً فساق عليهم جيشين : واحداً جاءها من الشمال بقيادة (فسبسيان) ، والثاني جاءها من الجنوب بقيادة (تيطس) . وجاءت الجيوش المربية حليفة الرومان

(١) لعله مجلس الاعيان .

(٢) Meyer

(٣) كأمر الاوقاف في يومنا هذا .

(٤) كبلواذ البلدية في يومنا هذا .

(٥) بدأت هذه الحرب في ٨ تشرين ثاني ٦٦ م وانتهت في ٨ سبتمبر ٧٠ م .

بقيادة ملكها الحارث . فكانت النبله للرومان وحلفائهم العرب (٧٠ م) . ومرو منها تيطس في طريقه من مصر إلى فلسطين . وكذلك فعل أثناء رجوعه من القدس بعد سقوطها .

١٠ — اضطهد (تراجان^(١)) حوالي سنة ١٠٦ — ١١٤ للميلاد للمسيحيين في فلسطين . فاصاب اضطهاده هذا غزة^(٢) كما أصاب سائر المدن الفلسطينية .

١١ — زارها الامبراطور (اوريليوس هادريانوس) مراراً عديدة ١١٧ — ١٣٨ م . وكان أكثر الامبراطرة اعتناء بالنقود واللكوكات التي ضربت باسمه وقد نقش عليها اسم غزة . إذ كان يحبها حباً جماً . وفي زيارته الثانية



النقود الرومانية

التي سكّت باسم غزة في عهد الرومان

لها عام ١٢٩ للميلاد^(٣) وضع أساساً لتاريخ جديد عرف فيما بعد بالتقويم القري أو التاريخ الهجري^(٤) . وأخذ القريون بعد ذلك التاريخ يقيمون في كل سنة عيداً إكراماً له .

١٢ — ولما كان الرومان في عهد هادريانوس هذا قد ايقنوا ، أن الفتن والفتن في فلسطين ، إنما تنبعث من اورشليم عاصمة اليهود الدينية (إذ

(١) أول من اعتل عرش الرومان من أهل للتصنرات ، وهو من أصل اسباني . قام باصلاحات إدارية وترتيبات عسكرية لا عهد للامبراطورية الرومانية بتلقها من قبل . وما كاد ينتهي من هذه الاصلاحات حتى قام بضرب عصا التسيار في ميادين الفتن والاستعمار (تاريخ بئر السبع وقاتلها) .

(٢) Meyer

(٣) هناك من يرتاب في تعيين التاريخ الذي قام الامبراطور هادريانوس بزيارته الثانية هذه لغزة . ولكن روايات أكثر المؤرخين ولا سيما النقود التي سكّت في ذلك الحين تدل على أن هذه الزيارة وقعت في عام (١٢٩) للميلاد .

(٤) ان السنة الهجرية مساوية لسنة ١٩٠ الفرة ، وهذه مساوية لسنة ١٢٩ م .

كلما اجتمع شملهم فيها واعتزت قوتهم تحمسوا للثورة ضد الرومان طمعاً في الاستقلال) فقد عول القيصر هادريانوس على قهرهم . وجرت بينه وبينهم حروب ونزاعات وقلل كان النصر فيها حليف هذا مرة وذلك اخرى . وعندما تكون دفة اليهود هي الراجحة كانوا يكرهون المسيحيين على الدخول في دينهم ، والاشتراك معهم في الثورة . إلى أن تغلب عليهم هادريانوس بعد حرب دامت ثلاث سنوات فقتل منهم خلقاً كثيراً . ومات كثيرون . ولم تقم لليهود قاعة بعد ذلك التاريخ (١١٥ م) .

وبعد أن أخذ (هادريانوس) فتنة اليهود ، تلك الفتنة التي اشعلها (بارقوخبا) ، سبى نساءهم ، وباع الذين أسروهم من رجالهم بثمان بنخس ، هو حصان واحد عن كل رجل ، وأخذ الباقين منهم على قيد الحياة إلى غزة . حيث أقام النوادي والملاعب الرياضية . وفي هذه الملاعب أشار بمزيق أجساد اليهود الأسرى إرباً إرباً . ومن لم يمزق منهم باعه في سوق العبيد . وقد كان سوق غزة من الأسواق المشهورة ببيع العبيد في ذلك الحين .

١٣ — ولكن هادريانوس هذا كان يكره للمسيحيين^(١) أيضاً كما يكره اليهود . حتى أنه بنى في البلاد هياكل من شأنها أن تعيظ المسيحيين^(٢) . فتكونت في البلاد ثلاثة مراكز للديانات المختلفة : (قيسارية) للديانة المسيحية و (طبرية) للديانة اليهودية و (غزة) للديانة الوثنية . وقد كانت غزة يومئذ (وفرضتها ميومه^(٣)) من المدن الشهيرة في فلسطين (١٣٤ م) .

١٤ — وكان الامبراطور غورديانوس الثالث عام ٢٣٨ - ٢٤٤ للميلاد شغوفاً بإدارة الولايات التابعة له (سوريا ، وأفريقيا ، وبلاد العرب) . حتى أنه استوطن غزة برهة من الزمن . وقد حفرت على قاعدة النصب الذي أقامه الغزيون تخليداً لذكراه كلمات تدل على حبه لغزة ، وعطفه على أهلها . وظلت غزة تعامل من قبل قياصرة الرومان معاملة ممتازة حتى سنة ٢٤٤ للميلاد .

(١) (٢) راجع الوجه ٧ من تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية .

(٣) على بعد ميلين من غزة على الشاطئ .

١٥ — ومن ملوك الرومان الذين كان لهم شأن في هذه البلاد (قسطنطين) (١) ٢٨٨—٣٣٧ م ، و (ثيودوسيوس) (٢) ٣٧٩—٣٩٥ م ، وابنه (اركاديوس) (٣) ٣٩٥—٤٠٨ م ، و (جوستنيان) (٤) ٤٨٣—٥٦٥ م . ويمرّ إلى جوستنيان هذا أكثر الابنية والحصون التي شيدت ، والاصلاحات التي تمت في هذه الديار .

١٦ — يظهر أن جبل الأمن في هذه الديار ، كان مضطرباً قبل مجيء الرومان إليها ، وأنه استتب في عهدهم . وأنه كان لهم في فلسطين إذ ذاك ثلاثة عشر (٥) موقفاً حصناً ، تكنها وحدات من الجيش الروماني . وإن هذه الوحدات كانت تعمل تحت إمرة قائد فلسطين العسكري الروماني (Dux Palaestinae) . ومن الاعمال التي قاموا بها ، في سبيل توطيد الأمن في هذه الديار ، أنهم استرضوا البدو الرحل ، وجالقوم ، فنعوم الاقارب والرتب ، ثم استخدموهم في سبيل الأمن والعمران .

١٧ — وقطع الرومان شوطاً بعيداً في سبيل عمران هذه البلاد . فلا المعابد التي بنوها ، ولا الخافر والحصون التي شيدوها ، كانت لتلهمهم عن واجباتهم الاخرى . فقد عبدوا الطرق ، وحفروا الصاريح ، وانشأوا الماريح ، وأقاموا السدود ، وغرسوا الاشجار . فازدهرت التجارة والصناعة في عهدهم . وكان

(١) أول من اراح الاضطهاد عن المسيحيين ، وسمح النصرانية بالانتشار في الغرب ، بينما كانت هذه مضطهدة في الشرق . وقد قامت حروب بينه وبين لبيسيوس كان النصر فيها حليفه . وبذلك تم له ما أراد ، وأصبح القائد غير المنازع للمملكة الرومانية في الشرق والغرب . فأقام على انقاض (يزانس) القصرية مدينة جديدة (٣٣٠ ب . م) سماها القسطنطينية ، وجعلها قاعدة ملكه . وهو الذي اطلق اسم (قسطنديا) على ميومة ، فرضة غزة في ذلك الحين . (٢) أحد قيصرة الرومان في الشرق . وقد انتصرت العقيدة الارثوذكسية في عهده انتصاراً باهراً . ولا توفي اقسام ولداه (اركاديوس) و (هونوريوس) الملكة فجعلها مملكتين : واحدة في الشرق ، وعاصمتها يزانس ، واخرى في الغرب ، وعاصمتها روما . (٣) في عهده هُتمت معابد الوثنيين بغزة .

(٤) تقلب هذا على الفرس ، واسترد من البرابرة جميع البلاد التي اخذوها من الرومان . ونسخ في الامبراطورية الرومانية روح الحياة بد أن اشرفت ، على الهلاك . (٥) هي غزة ، وعسقلان ، ويافا ، وبيت لحم ، وبارناس ، وبيت جبرين ، وسبسطية ، وعكا ، وعمواس ، وجرش ، ويسان ، وبصرى ، وعمان .

خمر غزة وعسقلان مشهوراً . حتى لقد طار صيت هذا الخمر ليس في روما مخب ، بل وفي جميع البلاد الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط .
وهنا في داخل مدينة غزة عثر رجال البلدية على مجرى قديم لا شك انهم بقايا عهد الرومان ، كانت المياه القذرة تجري فيه . ولم يود المصلحون أن يكون لغزة الحديثة في يومنا هذا مجرى مثله .

١٨ — ولم ينقطع سيل المهاجرين والتجار من العرب في عهد الرومان . فقد ظلوا يفتدون إلى غزة من جميع أنحاء الجزيرة العربية ، كما كانوا يفعلون في اليهود النابرة . وظلت غزة في عهد الرومان أيضاً ، المدينة التي يؤمها العرب في رحلة الصيف ، وعملون إليها تجارتهم لتوزع منها إلى البلدان الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط . وقد انضم الرومان إلى هذا التكتل من السكان ، فأصبحت غزة من امهات المدن في الشرق الأدنى . وكان الكتاب يومئذ يصفونها بـ (المدينة الشريفة) و (المدينة الجميلة) و (المدينة الفنية) .

١٩ — وفي القرنين الخامس والسادس للميلاد كان في غزة مدرسة كبيرة للخطابة ، ذاع صيتها في فلسطين وسوريا وسائر بلاد الشرق ، وهي أشبه بسوق عكاظ . وكثيراً ما كان يتبارى في هذه المدرسة الخطباء من رومان ويومان وعرب .

٢٠ — وفي عهد (هرقل) ٦١٠ — ٦٤١ م . الذي استرد فلسطين من الفرس ، لبث غزة وسائر البلاد الفلسطينية التي كانت تحت حكم البيزنطيين دعوة الاسلام . فاحتلها العرب ٦٣٦ م . وأصبحت بعد ذلك التاريخ عربية مسلمة بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى . كما ترى ذلك في الفصول التالية .



غزة الوثنية

كانت غزة في الزمن القديم مقبلاً للوثنية . ولقد ذكرنا في بحثنا عن غزة في عهد الرومان أن الإمبراطور (هادريانوس) كان يكره المسيحيين (١) كما كانت يكره اليهود ، وأنه بنى في البلاد هياكل من شأنها أن تغيظ المسيحيين . فتكونت في البلاد ثلاثة مراكز للديانات المختلفة : (قيسارية) مركزاً للديانة المسيحية ، و (طبرية) مركزاً للديانة اليهودية ، و (غزة) مركزاً للديانة الوثنية (١٣٤ م) . ونظهر من هذا أن غزة كانت وثنية قبل أن تكون مسيحية ، وأن الصراع بين هذه وتلك بعد ذلك (٣٩٥ م) كان عنيفاً للغاية .

٢ — كان في غزة يومئذ ثمانية هياكل للوثنيين ، وكان الفريزيون يتعبدون آلهتهم في هذه الهياكل عبادة صادقة . ويظهر أن هذا هو سبب آخر من الأسباب التي جعلت العرب بوجه عام وبني قريش بوجه خاص يؤثرون غزة على غيرها من المدن المجاورة للحجاز . إذ كانوا إليها يشدون رحالهم في (رحلة الصيف) المشهورة ، وفيها يبيعون ما تحمله قوافلهم التجارية . ذلك لأنها كانت مركزاً مهماً على طريق القوافل ، وكانت وثنية ؛ كما أن العرب كانوا يومئذ وثنيين (٢)

٣ — وإليك أسماء (٣) الهياكل الثمانية التي كان الفريزيون يتعبدون آلهتهم فيها :
١ — هيلينوس (Helios) (٤) بعل ، إله الشمس

- (١) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية .
- (٢) إسمع ما يقوله الأستاذ عهد حين هيكلم في كتابه (حياة عهد) : « كانت العرب في عبادة الاوثان أفانين يشتى يصعب على باحث اليوم أن يحيطها . وكان لهذه الاوثان قبل الاسلام مكانة جليلة ، وكان لكل قبيلة صنم تدن له بالعبادة . ومن هذه الأصنام (اللات والمرى وهبل) . وكان هبل هذا كبير آلهة العرب ، فكان الناس يحجون إليه من كل فج عميق » .
- (٣) تدل أسماء هذه الأصنام على أنها من أصل يوناني .
- (٤) جاء ذكر هذا الصنم في الاساطير اليونانية ، يوم كانت الشمس مبدودة الجاهير ، وكان لآلهتها المقام الاول . ويزعم فوندر (Condor) وسايكس (Sayce) أن بعل معبود البكنعانيين والبابليين وبعض الشعوب السامية الاخرى ، ومعناه السيد ، ليس إلا إله الشمس هذا . وأما هي اسماء سميتوها .

٢ — افروديت Aphrodite (١) آلهة الجمال

٣ — أبولو Apollo (٢) إله النور

٤ — پرسيفون (Persephone) (٣) آلهة الخضر

٥ — هيكات (Hecate) (٤) إله القمر

- (١) (افروديت) آلهة الحب والجمال . وهي (فينوس) نفسها المعروفة عند الرومان ، و (عشتاروت) للمروقة عند الفينيقيين . وقد وجدت صورة هذه الآلهة ، آلهة الحب والجمال ، منحوتة على بعض القطع والتفرد القديمة التي وجدت في غزة . ويظهر أن بحارة غزة ، وصيادي السمك فيها كانوا ينظرون إلى منسبا كاله البحر أيضاً ، إذ كانوا يصرعون إليه كلما ثار البحر ، ويطلبون منه أن يمنحهم بحراً هادئاً . ويظهر أيضاً أن غزو آلهة الجمال هذه كان ظاهراً في حدائق غزة وبساتينها ، وبين أشجارها وزهورها . إذ ما ذكرت الحدائق والبساتين ، ولا ذكرت الزهور والرياحين مرة ، إلا وذكرت آلهة الجمال هذه معها . وكان لها أعياد خاصة يحتفلون بها احتفالات شائعة . ويقال أن منسبا كان منصوباً في أم بقعة في وسط المدينة . ولقد ذكره القياس (مرسي) الذي رافق الاسقف (برفريوس) في رحلته إلى القسطنطينية ، ورجع معه إلى غزة ، فقال : (دخلنا المدينة ، ووصلنا إلى المكان المسمى (ترامفودوس) ، أي الطريق المربع أو المصلب ، وكان منصوباً فوقه دكة عليها عמוד من الرخام هو (عمود افروديت) . وكان على هذا العמוד نصب امرأة غسورتها ظاهرها . وكان أهل المدينة يقدسون هذا النصب ويحفظون الرأس لإجلاله وتعظيمها . وكانت النساء يوفدن له المصاييح ، ويحرقن البخور ، ويذبن النذور ، ويعتقدن أنه يوحى لمن في منامهن فكرة الزواج ، فيتزوجن . وكمن زواج عقد على هذه الطريقة واستاداً على هذا الوحي الشيطاني ، فقد زواجاً تأساً للفاية . وكثيراً ما أفضى بالزوجين إلى الطلاق أو الياسة للمذبذبة المرأة .
- (٢) كان الفريزون يعتقدون أن هذا الإله يمنحهم ضياء النفس ، فيبهر لهم السبيل كما اعتزموا القيام بعمل جديد . وكانوا يذكرون من عبادته في فصلي الربيع والصيف . لأنه في نظرم إله الفنون الجميلة والقاب والواشي . ويقول المؤرخ يوسفوس أنه عندما سقطت غزة في يد (اسكنفريانيوس) عام ٩٦ ق . م كان خشيانه من أعيان المدينة مجتمعين في هذا العيد ، وأن اسكنفر هذا باقهم فيه . ويستند دولنج (Dowling) وماير (Meyer) أن السلوقيين الذين أدخلوا عبادة هذا الربسمهم ، يوم استولوا على غزة . إذ كانوا يبدونه في بلادهم .
- (٣) كان الفريزون يعتقدون أن هذا الرب ذو تأثير في حياة الحضار التي تردهم وتقبل كما اختفت المواسم . وكانوا يبدونه في الربيع وبعد الحصاد .
- (٤) إن آلهة القمر هذه ، وإن كانت معروفة في بلاد اليونان ، إلا أنها ليست من أصل هيليني . وهناك من يقول أنها آلهة السماء والأرض وما تحتها .

٦ — هيريون (Herion) (١) آلهة البطولة

٧ — تيتخاؤون (Tychaeon) (٢) إله الحظ

٨ — مارنيون (Marneion) (٣) معبد الرب العظيم

وكانت هناك أصنام كثيرة أخرى (٤) في بيوت غزة ومنازلها ، وفي القرى المجاورة لها . وهناك أيضاً « داجون » وهو إله من الآلهة التي كان يعبدها الفريزيون في المهود الغابرة ، ولا سيما على عهد الفلسطينيين القدماء . وكان الفريزيون يصورون إلههم هذا بشكل أعلاه إنسان له رأس وبدان ، وأسفله سمكة ذات ذنب (٥) .

وكان من هذا الإله انواع كثيرة اشهرها في غزة كما ترى ذلك في سفر القضاء .

(١) هيريون رب البطولة ، وكانوا يرمزون إليه كلما داهمهم الموت أو نزل بهم القضاء . وهناك من يسميه (جونو) .

(٢) أنه إله البحت والحظ ، ويشبه إله السعادة المعروف عند الرومان . وقد وجدت صورة هذا الإله منقوشة على كثير من النقود والمكوكات الفرية القديمة بشكل رأس امرأته متوجة بتاج ذي ثلاثة فروع .

(٣) هذا هو إله المدينة نفسها . إنه الرب الأكبر الذي كانوا يلجأون إليه في جميع الأحوال . ويظن أنه مشتق من الكلمة السريانية (ميرونا) ، ومعناها أميراً وسيداً ومولاً . ومعبد مارنيون كان أكثر العبادة تقدباً وتعظيماً لدى الفريزيين ، إذ كانوا يمتدحون أنه (إله غزة) الذي يده خيرها وشرها ، وكانوا يلجأون إليه في جميع الاوقات ولا سيما في أيام الشدة والقمط والجوع . وكثيراً ما ذكره القديس جروم (St. Jerome) في كتاباته عن غزة . ولقد وجدت صورة هذا الإله على سنن النقر التي سكنت في عهد الامبراطور هادريانوس ، كما سك عليها اسم غزة . وتصارى القول أن هيكل مارنيون هذا كان يناظر هيكل الاسكندرية . والعقيد أنه كان في نفس المكان الذي فيه (الجامع الكبير) الآن .

(٤) « ولم يكن العرب ليكتفوا بالأصنام الكبرى ، يقدمون لها الصلاة والفراين ، بل كان أكثرهم يتخذ له صنماً ونصباً في بيته ، يطوف به حين خروجه وساعة اوبته ، ويأخذه معه حين سفره إذا أدن له هذا القسم في السفر . وكانت هذه الاصنام جعاً تعتبر الوسيط بين عبادها وبين الإله الأكبر . » (حياة محمد) .

(٥) جاء في الاصباح الخامس من سفر صموئيل الأول ما يأتي : « فأخذ الفلسطينيون تابوت الإله ، وادخلوه إلى بيت داجون ، وأقاموه قرب داجون . وبكروا صباحاً في القد ، وإذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب ، ورأس داجون وبداه مقطوعة على القبة . » (حى بدن السمكة فقط . »

ولم يقف الباحثون بعد على أثر الهيكل داخون هذا ، غير ان بعضهم يذهب الى الظن بأن قبر شمشون الجار بين اطلال الهيكل القديم . واما الغزيون فانهم يستقدون ان اللقام المعروف : (ابي العزم) الآن هو قبر شمشون .

٤ — ولما ظهر الدين المسيحي في البلاد ، كان انتشاره في غزة بطيئاً في بادئ الامر . ولذلك لم يكن الصراع بين النصرانية والوثنية يومئذ عنيفاً . ولكن عندما ازداد عدد المسيحيين في غزة ، ارداد الصراع بينهم وبين الوثنيين ؛ واصبح الاصطدام عنيفاً ، ودام طويلاً . وزلت بغزة والفزيين من جراء ذلك مصائب وأهوال .

٥ — ولما تولى الأسقفية برفيريوس^(١) (Porphyry) عام ٣٩٥ م خلق في غزة جواً مسيحياً جديداً . فصاب الوثنيين العداء ، وكرهه هؤلاء حتى أنهم نسبوا إليه الهل الذي أصاب زروعهم في تلك السنة . فأخذوا يبونه ، وراحوا يصون عليه اللعنات ، ويدعون عليه في معبدهم مارنا . ثم تجمعوا ليهاجموا المسيحيين^(٢) فالتجأ هؤلاء إلى كنيستهم الواقعة غربي المدينة ، وضجوا الضحايا . ولكنهم عند رجوعهم من الكنيسة صدوا من قبل الوثنيين . ويظهر أن الناس كانوا يومئذ في حاجة إلى المطر ، فمثل مدراراً ، فساد الاعتقاد بأن الله أجاب دعوة السنين . عندئذ فتحت لهم الأبواب ، ونادى النادي في شوارع المدينة : « المسيح وحده هو الرب ! والرب قد انتصر ! »

ويقول التماس مرقس ، مرافق الاسقف برفيريوس ، انه قد انتصر من الفزيين ، على أثر ذلك الحادث ، مائة وسبعة وعشرون شخصاً : منهم ثمانية وسبعون رجلاً ، وخمس وثلاثون امرأة ، واربعة عشر ولداً وخمس بنات . ثم تبعم في نفس اليوم مائة وخمسة اشخاص .

٦ — وإذا كان حكام غزة في ذلك الحين وثنيين فقد كانوا يضطهدون المسيحيين ، ويؤذونهم . ومن ذلك انه أرسل (باروخاس) تابع القديس برفيريوس يوماً إلى قرية في اقضاء راتب كنائسي ؛ فانه الوثنيون ، وضربوه ضرباً مبرحاً كاد يلقى

(١) راجع ما كتبناه عن هذا الاسقف في فصل (غزة والدين المسيحي)

(٢) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية

حشفه من وراءه ؛ ثم كرنيليوس النحاس . ورآه بين حي وميت ، فحمله وأتى به إلى المدينة . عندها غضب الوثنيون ، وهجموا عليه ، وضربوه بحجة أنه أدخل ميتاً للمدينة . فبلغ الخبر القديس برفيريوس ، فأسرع إلى السكان الذي وقع فيه الحادث ، وأخذ يلاطف الآخرين ، ويتوسل إليهم . وتأبر على هذا التوال حتى تمكن من إخماد غيظهم ، وتسكين خواطرهم . ثم أعادوا الكرة ، فتشدت عزائم باروخاس الذي كانوا يظنونه ميتاً ؛ فتناول قطعة من الخشب ، وهجم عليهم ؛ فتشتت شملهم ، وطاردهم حتى هبكل مارنا .

وفي يوم من الأيام سار المسيحيون في جنازة رجل مات من رجالهم ، فدخلوا المدينة وراء الشمس . ويظهر أن ذلك كان مخالفاً لمادات الفريين في ذلك الحين ، إذ سكنت المقبرة خارج سور المدينة . ففضبوا لهذا العمل ، وراحوا يهاجمون المسيحيين . فقام على أثر ذلك (محافظ المدينة)^(١) مع عدد من رجال الشرطة ، واثنتين من الاعيان . وأتخى هؤلاء باللائمة على المسيحيين لسلوكهم الذي استوجب غضب الوثنيين .

٧ — لم يستطع اسقف غزة (برفيريوس) صبراً حيال الاضطهاد الذي كان يقع في كل يوم على ابناء طائفته ، فأرسل شماسه (مرقس) إلى القسطنطينية . واستصدر هذا أمراً من السلطات العليا لاجل إغلاق جميع المعابد الوثنية في غزة . واستعان على ذلك بكثية من رجال المراك المسيحيين جاءوا لتنفيذ الأمر من عسقلان بقيادة ضابطهم هيلاريوس (Hilarius) . فجاء هذا ونفذ الأمر شكلاً ولكنه لم ينفذه فعلاً . إذ أنه اكتفى بتبليغ الأمر للوثنيين محرماً عليهم عبادة الأصنام (٣٩٨ م) . ولكن هذا الأمر ظل يوشد جبراً على ورق ؛ فظلت المعابد قائمة ، وعادة الأوثان جارية ، نارة جهراً وطوراً بالحقاء . وقد قيل يومئذ أن هيلاريوس هذا قبض من الوثنيين مبلغاً كبيراً من الذهب لقاء سماحه للوثنيين بالاحتفاظ بمعابدهم والمثابة على عبادتهم .

٨ — وما برح اضطهاد المسيحيين قائماً في غزة رغم هذه التدابير كلها ، فاعتزم الاسقف برفيريوس القيام باحراآت أخرى . وقد سافر إلى قيسارية ليستشير رئيس

اساقفتها يوحنا ، قائلا له : لم يعد بإمكانني الصبر على ما يجري في غزة من مظالم ومنكرات .. ثم سافر الإثنان معاً إلى القسطنطينية (عام ٤٠١ م) . وبمعرفة امانتيوس (Amantius) الحاجب ترفقا على الامبراطورة افدوكسيا ، فمثلا بين يديها وقد كانت جالسة على سرير من ذهب ، وقال لها إن الفزين وثنيون ، وانهم يظلمون المسيحيين من غير خوف ولا وجل ؛ فيستعبدونهم ، ولا يسمحون لهم بتقلد الوظائف والناصب المدنية . كما انهم لا يسمحون لهم بفلاحسة اراضيهم التي يدفعون عنها ضرائب الحكومة . وإذا رأياها حاملا تنبأ بأنها ستلد غلاما ، فقرحت ونذرت أن تبني كنيسة في غزة ، وأن تحرر المسيحيين من اضطهاد الوثنيين إذا تحققت نبوءتهما . تحققت نبوءتهما ، فولدت الإمبراطورة غلاماً (١) . عندئذ أرادت تنفيذ وعدها ، فطلبت من الامبراطور أن يصدر إرادته باغلاق معابد الفزين كلها . تردد الامبراطور في بادئ الأمر لأسباب تتعلق بالدولة ، وقال لها : « إن غزة وإن كانت وثنية إلا أنها هادئة . وسكانها وإن كانوا يعبدون الاصنام إلا أنهم مسالمون ، يدفعون ما عليهم من ضرائب بانتظام ومن غير تأخير . فلا يجوز لنا أن نزعجهم في معتقداتهم . » ثم أضاف إلى ذلك قوله : « قد يهجر الفزيون مدينتهم بالمرّة فتخسر دخلا وافرا فيصيب غزة وتجارها الخراب والسمار . » هذا كان جواب الامبراطور الذي اقترح على الامبراطورة والتقيسين الذين توسلوا إليها ، أن يلجأ إلى أساليب معتدلة وطرائق معقولة أخرى لاكتساب قلوب الفزين وتقريبهم إلى النصرانية . وارتأى أن يبدأ قبل كل شيء بنزع الوظائف والخدمات المدنية من أيديهم . فاستاءت الامبراطورة من هذا الجواب ، وقالت له : « (إن الرب يساعد عبده المسيحيين ، إن شئنا نحن أو لم نشأ) » .

وقبل أن يفادر الاسقفان القسطنطينية اغدقت عليهما الامبراطورة المال ليشيدا به كنيسة في وسط المدينة ، ومنزلا للقرباء . فقال قائل انها أعطت كل واحد منهما ثلاث حفنات من الذهب ؛ وقال آخر انها أعطتهما قطارين . ولم يرض الامبراطور أيضاً عليهما بالهدايا الفاخرة . لأن الامبراطورة كانت قد غلبت عليه ، واقنعت بصواب رأيها . فنزل عند رغبتها .

سلك برفيروس عند رجوعه من القسطنطينية إلى غزة طريق البحر ، وقد قضى في سيره هذا عشرة أيام (خمسة إلى رودس وخمسة إلى ميومة قرصة غزة) فاستقبله أهل ميومة ، وكانوا كلهم مسيحيين ، والفريق الذي تنصر من أهل مدينة غزة ، استقبالا حسناً . وأما الوثنيون فقد تار ثأرهم ، ولا سيما عندما اتصل بهم أن الامبراطور احتق به ، وإن الأمر قد صدر بهدم معابدهم .

عهد الامبراطور الى كينجيوس (Cynegius) بتنفيذ إرادته ، فوصل هذا إلى غزة بعد رجوع اسقفها إليها بمشرة أيام ؛ وكان معه حاكم ، وأمير ، واعوان كثيرون ملكيون وعسكريون ، وكثيرة من الجند البيزنطيين ، وعدد من الموظفين ؛ فجمع السكان وقرأ عليهم الأمر الامبراطوري القائل باغلاق المعابد الوثنية .

فثار ثأر الوثنيين ، واحتجوا على هذا الأمر الذي اعتبروه تدخلا بشؤونهم الدينية . بيد أن مندوب الامبراطور لم يعبأ باحتجاجهم ، بل أمر بضربهم بالعصى والتأبيت ؛ ثم أمر الجند بتنفيذ الأمر فقام هؤلاء . وهدموا بأيديهم وبمساعدة المسيحيين من سكان المدينة ومخارمها (١) ، معابد الوثنيين كلها .

دامت عملية الهدم عشرة أيام ، لاق الجند خلالها أشد أنواع المقاومة ؛ ولا سيما عند معبد (مارنيون) (٢) فقد لاقوا مقاومة عجيبة . إذ سد رؤساء الدين جميع ابوابه ومنافذه بالحجارة الكبيرة . وعندما أيقنوا أن محاولاتهم لا محالة فاشلة ، وإن معبدهم لا بد وأن يدوسه الجند فيدموه ، حفروا حفرة اخفوا فيها الجواهر والكنوز الثمينة التي كانت لديهم ، ثم ولوا هاريين . فاحتل الجند المعبد ، وحرقوه . وكان عدد كبير من سكان المدينة قد غادرها قبل وصول جند الامبراطور ، فصادر كينجيوس املاكهم ومنازلهم . وفي نفس المكان الذي كان فيه معبد مارنا هذا انشئت (عام ٤٠٧ م) الكنيسة التي تبرعت بنقشاتها الامبراطورة افدوكسية ، وسميت على اسمها افدوكسيانة (Fudoxiana) وكانت أعظم كنيسة في ذلك الوقت .

٩ — ويظهر أن روح الكره والعداء قد اشتدت وتأصلت في قلوب

(١) سكان قرصة ميومة ، وقد تنصروا قبل هذا الحادث ، وكان بينهم وبين الفزيين عداء شديداً من جراء ذلك .

(٢) المكان الذي فيه الجامع السري الكبير في الوقت الحاضر .

الغزيين بسبب هذا الحادث ، فأخذوا يرتقبون الفرس لابقاع الأذى بالمسيحيين .
حدث مرة خلاف بين ايكونوم^(١) الكنيسة وبين الرعيم (سمسيخوس) حول
بعض المزارع ؛ فأهان الرعيم الاقنوم ، وشمته ؛ وشد باروخاس أزر الايكونوم
فوقعت مشادة عنيفة بين الفريقين أدت إلى ثورة عامة شملت المدينة كلها^(٢) . وراح
ضحية هذه الثورة خلق كثير .

١٠ — ولقد اشرف المسيحيون أثناء هذه الثورة الدامية على الهلاك ، إذ أن
الغيظ كان قد بلغ أشده في قلوب الوثنيين ، الذين حملوا النبايت واشهروا السيوف ،
وحملوا على الاسقفية فخطموا ابوابها . ثم دخلوها قاصدين الفتك بالاسقف برفيريوس ،
لو لا أن هذا كان قد هرب مع شماسه من الدار قبل مجيء الشعب إليها . فاختفى في
دار ارملة فقيرة مجاورة لدار الاسقفية ، واشترت له خبزاً وزيتوناً وجيناً وحبوباً
منوعة وخبزاً فأكل وشرب . وعندما أسدل الليل ستاره رجع إلى دار
الاسقفية ، فوجدها منهوبة ، وباروخاس جريحاً على وشك الموت . ولو لا
الشدة التي استعملها الوالي (الكليس) لما بقي من المسيحيين في ذلك اليوم ديار
ولا نافع نار .

١١ — واقد تشتت شمل الوثنيين بعد هذه الحادثة وتصر الكثيرون منهم .
والذين بقوا منهم على دينهم غادروا المدينة . ويقال انهم دفنوا في الارض قبل أن
ينادروها بعض الأصنام التي تمكنوا من انقاذها من يد المسيحيين بدليل الحادثة التالية :
بينما كان أحد العمال في اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٨٧٩ يحفر في الارض
على مسافة أربعة أميال ونصف ميل من غزة ، عثر على صنم كبير من الأصنام التي
كانت يعبدونها الغريون في عهد الوثنية .

وكان هذا الصنم بشكل آدمي من الرمر حجم رأسه فقط ثلاثة أقدام من قمة
الرأس إلى أسفل القفص ، و٢٧ إنشاً من الاذن إلى الاذن ، وثلاثة عشر
إنشاً ونصف إنش من أعلى الجبين إلى المم ، و٥٤ إنشاً بين الكتفين ،

(١) أي رئيس الدبر أو وكيل المخرج . وهي لفظة يونانية أصلها ايكونوم ومعناها المقتصد .

(٢) معظم النار من مستنصر الشرر .

وأربعة وخسون إنشاً محيط الرقبة ؛ وأما ارتفاع الصنم كله فانه خمسة عشر قدماً ؛ صفائر شعره مرخية على الأكتاف ؛ ذقنه طويلة ؛ ويفهم منها أنها لرجل متقدم في السن ؛ ذراعه اليمنى مكسورة ، وأما اليسرى فاتها ملتفة بالصدر حتى العكف الأيمن . وعند الكتف تختفي اليد في داخل القماش للعدل عليها . وهذا الهيكل وجد مدفوناً في الرمل على قمة تل قريب من البحر . ويظهر أن الوثنيين دفنوا إلههم هذا ليخفوه عن أعين أعدائهم المسيحيين يوم كان الصراع شديداً بينهم .

١٢ — إن الوثنية وإن كانت قد زالت من عزة بلرة ، وعبادة الأصنام وإن كانت قد اختفت — حتى أنك لا تجد لها أثراً فيها ، بدليل أن الغربيين في يومنا هذا من التعصب لدينهم الاسلامي بدرجة أنهم يكرهون أن يسموا أنهم كانوا في سالف الأزمان وثنيين — إلا أن بعض العادات الشائعة بينهم تدل على أنها من بقايا عهد الوثنية . وليس أدل على ذلك من القسم الذي اعتادوه ، والأيمان التي ألفوها كلها أرادوا أن يؤكدوا لك أنهم صادقون في اقوالهم . كقولهم مثلاً :

(وحياة عين هالشمس الحرة) (١)

(وحياة هالمسجة التي كلت ربها) (٢)

(وحياة هالكواكب) (٣)

ومن الحق أن نقول أن الحياة العلمية ازدهرت في غرة على عهد الوثنية ، وأن جامعتها اشتهرت فطار صيتها حتى أصبحت محجاً لطلاب العلم من أثينا وروما . وكان كثيرون يقدون إليها لدرس فن الخطابة .



(١) إشارة إلى معبد الشمس في زمن الوثنيين .

(٢) إشارة إلى النار . وذلك في الأصل دلالة على السجدة كواكب التي كانت تعبد من قبل الساميين الأصليين .

(٣) إشارة إلى المشتري الذي كانوا يبدونه في عهد الوثنية ، أو الزهراء (فينوس) أو افروديت (نجمة الصباح) و (نجمة المساء أيضاً) . وكان العرب في جنوب فلسطين حتى القرن السابع يقدمون لها قراين بصرية وذلك عند تلاؤم النجمة في البحر !!

غزة والدين المسيحى



الاسرة المقدسة

السيد المسيح . . مريم العذراء . . القديس يوسف النجار

كتب مرة إلى صديقي نيافة المطران بولس سلمان ، رئيس أساقفة شرق الأردن ، أسأله عما إذا كانت الاسرة للقدسة مرت بغزة أثناء ذهابها إلى مصر أو عند رجوعها منها . فصكتب إلي حفظه الله يقول :

« إن المسيحيين كانوا يكرمون غزة لمرور الاسرة للقدسة بها بعد عودتها من مصر ، وموت هيرودس الملك . والاسرة المقدسة مؤلفة من القديس يوسف والسيد

للمسيح والسيدة مريم العذراء،» والاعتقاد سائد في غزة، بأن الاسرة للقدسة قالت (١) تحت شجرة من الجوز لا يزال الزيتون يسمونها (جميزة صالحة) ، وهي كائنة تجاه القلعة القديمة وعلى بعد خمسة كيلو مترات من المدينة إلى الشمال .

٢ — ولقد دخلت للسيحية مدينة غزة في عهد الدولة الرومانية . ولكنها لم تقو على الانتشار إلا بعد تأسيس الدولة البيزنطية . ويقال إن أول من بشر فيها هو الرسول (فيلبس) (٢) تلميذ القديس بولس الرسول ، ثم توالى بعده الأساقفة الذين ناصبوا الوثنية . ومن أشهرهم الأسقف (سلوانوس) ٢٨٥ للميلاد . وعلى قول أنه أول أسقف ذكره التاريخ في غزة . وقد استشهد هذا مع تسعة وعشرين مسيحياً آخرين ، وكان ذلك عام ٣١٠ م . وعلى عهد الملك غلاريوس . ومن هؤلاء تيموثاوس وامرأته واسكندر وفلاتينا .

٣ — وفي عام ٢٩٠ للميلاد ، اشتهر القديس هيلاريون الذي ولد من أبوين وثنيين في ثاقانا بقرب غزة ، وقد درس الديانة المسيحية ، فتنصر . وصاحب القديس انطونيوس في الاسكندرية ، فتعلم منه طريقة التوحد . وانشأ منسكاً بين غزة وميمونا . فكان أقدم دير أسس في فلسطين إلى ذلك الوقت . فاهتدى بوعظه وسيرته الكثيرون من الوثنيين ، وقبائل برمتها من العرب الذين كانوا يقطنون جنوبي غزة ، والتف حوله ألفاناسك . والذي عمده هو البطريرك الاسكندري الكسندروس . وبعد اعتاده خلع الثياب العالمة ، وارتنى ثوب الرهبة ، وباشر عمله الديني بحرارة وشوق زائد ، وسكن الربة . ولما بلغه خبر موت والده عاد إلى بلده ، وأخذ ما تركاه ووزعه على الفقراء والمحتاجين . ثم سافر إلى أديار الشام ، ودخل أحدها ، وصار رئيساً للدير . وقد توفي وله من العمر ثمانون سنة . وذلك في سنة ٣٣٣ م . منها عشر سنين قضاها في منزل والده ، وسبع سنين في الإسكندرية ، وثلاث وستون سنة في العبادة . وقد كان ذا شهرة واسعة . ومدحه القديس يوحنا الذهبي الفم في مقالاته وباسيليوس الكبير في نكياته .

٤ — وأما القديس بطرس الرهاوي، فقد اقيم أسقفاً على غزة في اواسط القرن

(١) أي نالت في القائلة ، ويقال لها القيلولة وهي النوم عند الظهيرة .

(٢) أعمال الرسل : الاصحاح ٨ العدد ٢٦ .

الثالث . ولد هذا الأب (١) بمدينة الرها في أوائل الجيل الثالث من أبوين شرفي النسب . ولا بلغ من العمر عشرين سنة قدمه أبوه إلى الملك ناودوسيوس ، ليكون بمعيته . وإليه الفطري للنسك والعبادة ، ترك البلاط الملكي وترهب بأحد الأديار . ثم أقام أسقفاً على غزة وما يليها من الضياع . ثم ذهب إلى مصر ، وأقام فيها مدة قصيرة . ثم عاد ورجع لغزة . وسمع به الملك زينون . وكان يتمنى أن يراه . فلم يتمكن لأن هذا الأسقف كان لا يحب مجد العالم . ولذلك مضى إلى وادي الأردن (بين بيت القدس ودمشق) بفلسطين ومات هناك .

٥ — وقد تولى الاسقفية بعد ذلك الأسقف (اسكلياس) ، فحضر هذا المجمع للكوني الاول المنعقد في نيقيا سنة ٣٢٥ م .

٦ — وأما سكان (ميوما) ، تلك القرية التي كانت قاعة على الشاطئ ، بالقرب من غزة ، فقد اعتنوا الدين المسيحي قبل غزة (٣٣١ م) . ولذلك جعلت اسقفيتهم اسقفية مستقلة ، وسميت مدينتهم (قسطنديا) على اسم الملك قسطنطين . فشأ بين الدينيتين ، على اثر ذلك ، تناقص شديد .

٧ — وفي عهد الإمبراطور جوليان (٢) زاد الخصام (٣٦١ م) . فرفع أهل غزة قضية ضد سكان ميوما طالين لإرجاع الرفأ إلى المدينة . فنظر جوليان في هذه القضية ، وأصدر حكمه في صالح الفريين . ثم حكم بأن تكون للدينيتين تابعتين لحكومة مدنية واحدة ، وأن بقيتا من الوجهة الدينية منفصلتين . وعيناً حاول أساقفة غزة أن يسيطروا على ميوما من هذه الوجهة .

لم يقف الخصام في عهد جوليان عند هذا الحد . بل جرى اضطدام شديد في النصف الثاني من القرن الرابع ، بين سكان غزة الاصليين والسحيين . ويظهر أن سكان البادية المجاورة اشتبكوا في هذا العراك . فهاجموا السحيين وقتلوا منهم اوسابيوس ، ونستابوس . وزينون الاخوة الثلاثة ، بعد أن ابقوا في السجن برهة من الزمن ؛ ثم جروهم في الاسواق ، وقطعوا رؤوسهم ، وحرقوا

(١) راجع كتاب النكسار القبطي المطبوع بمصر سنة ١٩٣٥

(٢) المعروف عند العرب باسم (يوليانوس الجاحد) .

اجسادهم ؛ ثم دفنهم في مكان خارج للدينة^(١) حيث تدفن الحيوانات النافقة . ولم ينج ابن عمهم نسطور إلا بالعجوبة . ولكنه لم يستطع العيش طويلا بعد تلك الحادثة . سجن الحاكم بعض سكان المدينة لتعاليم الازهاوية هذه . بيد أن الامبراطور جوليان أقاله من منصبه ، بسبب سلوكه هذا ؛ إذ كان الامبراطور يتقد « ان الحاكم اخطأ في سجنه فريفاً من أبناء الوطن ، لا لسبب سوى أنهم اوقفوا في عدد من اتباع الناصري عذاباً قفت به آلمتهم ! »

٨ — وقد تولى الاسقفية بعد اسكليان الاسقف (ايرنيون) . فحضر هذا المجمع الانطاكي للتعقد عام ٣٦٣ م وفي زمنه بنيت كنيسة ايرني .

٩ — وبعد وفاته تولى كرسي الاسقفية (انياس) . ولكنه لم يعيش فيها طويلا . إذ ما كاد يتولاها حتى قضى نحبه . فتولاها من بعده (برفيريوس) الدائع الصيت .

١٠ — بقيت الوثنية بطنوسها وعبادتها حتى اواخر القرن الرابع . ولما مات (جوليان) وتوج ثيودوسيوس الاول (٣٧٩ م) خفت وضأة اضطهاد المسيحيين . فحدث بعد ذلك رد فعل . وراحوا هم ينتمون من خصومهم . فأقاموا الكنائس على اتناض معابدهم ، وشادوا الاديار ، وتنفسوا الصعداء . ولما كان ذلك كله قد جرى (عام ٣٩٥ للميلاد) وفي عهد أستف غزة (برفيريوس) ، فقد آثرنا أن ننقل فيما يلي نبذة من تاريخ حياته منقولة عن كتيب^(٢) وضعه شماس (مرقس) باللغة اليونانية ؛ قال : « ولد القديس (برفيريوس) في سلاتيك على عهد الملكين اركاديوس وهو نوروريوس . وسافر منها إلى مصر ، وبعد أن عاش (في دير السيق) راهباً خمس سنوات ، رحل إلى اورشليم ليجاور الاماكن المقدسة . كان مصاباً بمرض في كبده ، ولكنه شفي منه بعد حين . وهو يعزو شفاؤه للسيد المسيح الذي رآه في نومه وهو قائم في (القيامة) . »

(١) يقول اوسابيوس في كتابه (شهداء فلسطين) أن قد بنيت على عظام هؤلاء الاخوة الثلاثة كنيسة في خارج المدينة .

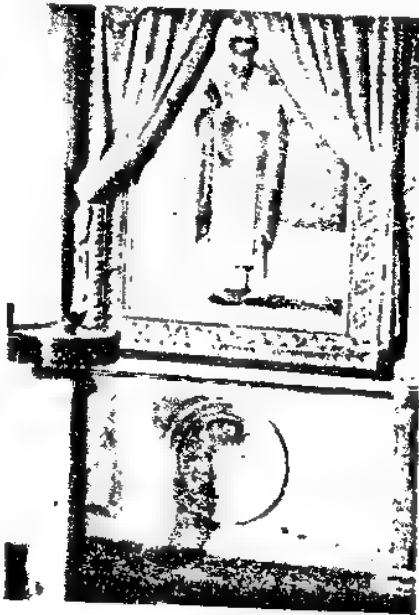
(٢) عرب هذا الكتيب الاديب وهبة الله صروف ، وطبع في مطبعة القبر المقدس باورشليم عام ١٩٠٠ للميلاد . وقد أهداني نسخة عنه قدس الأب الابيكوثوموس إلياس الرشماوي الرئيس الروحي للروم الارثوذكس .

« كان في باديء الامر يتعاطى صناعة السكاكين : يخل جلوداً ونعالاً ، ويغيطها . ثم أقامه ابرائيلوس بطريرك اورشليم قساً ، وله من العمر خمس واربعون سنة . وكان طعامه الخبز والخضار ، يفطر بها بعد غروب الشمس .

« كان برفيريوس رجلاً باراً ، وكان متضلماً في المرفة والحكمة ؛ وكان يحمي اليهود واليونان الوثنيين والمهرطقة في مناظراته . وروون عن كيفية اقامته أسقفاً لغزة المحصاية التالية :

« كان (ابرينيون) أسقفاً في غزة ، وكان يسير في أسقفيته سيرة اللاتكة . وبعد وفاته تولى كرسي الاسقفية (انياس) . ولكن هذا لم يكد يتولى كرسي الاسقفية حتى قضى نحبه . فاجتمع على أثر ذلك المسيحيون في غزة ، وكانوا اقلاء جداً . ولبثوا أياماً عديدة يتذاكرون في من يقيمون أسقفاً عليها . فلم يتفقوا ، بل اتقسموا حزبين : أحدهما أراد ان ينتخب واحداً من الاكليريكيين ، والآخر واحداً من العلمانيين . فانه كان بين العلمانيين رجال ذوو لياقة يسيرهم الفاضلة . وإذا اشتد

الجدال بينهم ، ولم يتموا الانتخاب ، أجمعوا على أن يتوجه خمسة من الاكليريكيين وخمسة من وجهاء العلمانيين إلى رئيس الاساقفة ، ويطلبوا منه أسقفاً . وكان رئيس الاساقفة إذ ذاك يوحنا . فلما حضره وقد غرزة ، قالوا له : إنا نريد أسقفاً قادراً على معارضة عبادة الاوثان قبولاً وفعلاً . فأمرهم هذا بالصيام ثلاثة أيام . وقد ألهمه الله بعد ذلك أن ينتخب برفيريوس أسقفاً لهم . فبعث في الحال بكتاب إلى ابرائيلوس بطريرك اورشليم . وقد تم الامر ، واقام أسقفاً على غزة بعد مساع حمة . »



الفرسي برفيريوس

وإليك حديث الشماس (مرقس) عن كيفية دخوله مع الاسقف برفيريوس

إلى غزة ، قال : « سافرنا من اورشليم إلى قيسارية ، ومنها إلى ديوبوليس (١) ، ومنها إلى غزة . فدخلناها بعد الغروب . وقد كابدنا دون الدخول إليها مشقات واكداراً كثيرة . ذلك لانه بالقرب من مدينة غزة ، وعلى الطريق ، قرى كثيرة لعبدة الاوثان . فوضع أهلها على طول الطريق عمداً ، اكداً من الشوك والعوج ، كي لا يستطيع المرء أن يمتازها . وصبوا على الاسكنداس اوخاماً واقذاراً ومواد كرهية الرائحة ، وأشعلوها ؛ فكبدنا نَحْتَق من شدة كراهية الرائحة ، وتسمى أبصارنا من كثرة الدخان . ولم نتخلص من ذلك بعد الجهد الجهد ، إلا نحو الساعة الثالثة بعد الغروب ، فدخلنا مدينة غزة .

« فتوجهنا تَوَّأ إلى دار الاسقفية التي كان الاسقف ايرينيون قد بناها هي والكنيسة للعدوة (ايريني (٢)) وقد كانت صغيرة .

« واتفق أن حبست الامطار عن غزة في ذلك العام ، فنسب أهل المدينة ذلك إلى برفيريوس ، وادعوا أن حضوره إليها كان شَوْماً عليها . وقد حزتوا لذلك واكتأبوا . ثم اجتمعوا في هيكل مارنا ، وقدموا له الضحايا ، وصلوا طالبين النيث . ومكثوا على هذه الحال سبعة أيام ولكن دون جدوى . وحلت مجاعة في المدينة . ثم دعا برفيريوس للسيحيين ، وقد كان عددهم يومئذ مائتين وثمانين نفساً بين رجال ونساء واطفال ، فقصوا الليل كله في الكنيسة بين صلاة وترتيل ، وسجود وتسبيح . « وفي صبيحة اليوم التالي خرجنا قاصدين الكنيسة القديمة (٣) وكانت هذه

غربي المدينة . وبعد أن صلينا هنا أيضاً زرنا مقام الشهيد تيموثاوس . ثم عدنا إلى المدينة . فوجدنا الباب مغلقاً وكانت الساعة التاسعة . وقد اغلقه عبدة الاوثان . وفيما كنا نعالج فتح الباب عصفت ريح قلبية ، تلبدت على أثرها الفيوم في السماء ؛ فقصف الرعد ، ولع البرق ، وأخذت الامطار تهطل بغزارة . عندئذ فتحت لنا الابواب ، واستقبلنا سكان المدينة بالسرور والترحاب . « ولقد ذكرنا في موضع

(١) اللد .

(٢) أي السلام . ولهذا الاسم سبيان : أحدهما زعم أهل غزة أنه استولى الاسكندر المقدوني على هذه المدينة غصب على سكانها وعمل فيهم البف ، ثم اتبع رأي مستشاريه فكف في هذا المكان عن القتال ، فسمى المكان (سلاً أو سلاماً) ، فبنى ايرينيون كنيسة في نفس الموضع . والثاني مجاعة اسمها لاسم بابنها ايرينيون .

(٣) يقال إن الذي بنى هذه الكنيسة هو الاسقف اسكلياس .

آخر (١) من هذا الكتاب وكيف سافر الاسقف برفيريوس إلى القسطنطينية ، واستحصل على إرادة ملكية بهدم معابد الوثنيين في غزة ؛ وكيف هدمت هذه للمعابد مما لم يكن ثمة لزوم لاعادته هنا . وكل ما تريد أن تقوله الآن : ان حياة هذا الاسقف كانت مليئة بالعمل لخير الكنيسة ، ورفع شأن المسيحيين في غزة . وقد نجح في هذا الضمار نجاحاً كبيراً .

فهو الذي بنى (كنيسة امدوكسية) التي نذرتها الامراطورة امدوكسية ، وانفقت عليها مبالغ جسيمة . وقد بناها بشكل مستدير ، وفقاً للخارطة التي أرسلتها إليه الامراطورة . وقد أرسلت إليه اثنين وأربعين علماً من الاعمدة (٢) الثنية ، وبلاطاً من الرخام ليستعملها في بناء الكنيسة . وقد بنيت في نفس المكان الذي كان فيه معبد مارنا . ورصفت ساحتها بالحجارة التي اخذت من هذا المعبد . حتى أن نساء غزة رفضن أن يدسن بأقدامهن على تلك الحجارة . وتم بناؤها في خمس سنوات . والمهندس الذي أشرف على بنائها (روفينوس) ، وهو انطاكي الاصل .

وقد احتفل برفيريوس بافتتاحها في اليوم الاول من عيد الفصح (٤٠٦ للميلاد) . كان هذا الاسقف يعظ أهالي غزة بأسلوب بسيط دون أن يلجئ إلى تعميق المبارات . وقد أوصى بمبلغ معلوم يصرف أيام الصوم الكبير على فقراء غزة (كما كان يفعل ذلك إبان حياته) . وحضر مجمع اللاسنة ٤١٧ م الذي عقد هناك لدحض اعتقادات بلاغيوس الباطلة .

وقد توفي برفيريوس في اليوم الثاني من شهر ديسنوس لسنة ٤٨٠ (٣) الفرية ، بعد أن أقام في أسقفية غزة أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وثمانية أيام . وبالرغم مما تقدم ، لم تبس النصرانية في غزة السيادة التي كان يري إليها اتباعها .

(١) راجع الفصل الذي كتبناه عن (غزة الوثنية) .

(٢) يقال أن هذه الاعمدة جيء بها من مدينة كارسوس في بلاد اليونان .

(٣) روت قبره في فبراير سنة ١٩٤٢ فرأيت مكتوباً عليه باللغة اليونانية أنه توفي في غزة عام ٤٥٠ للميلاد . وفي كتاب (السواحى) الكبير ما يؤيد هذا التاريخ . غير أن الاسناد عيسى اسكندر الطلوف يقول انه توفي عام ٤٢٠ للميلاد . وهذا ما يؤيد (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) أيضاً . ويقول صديقي البعثة الاستاذ اسطفان انه توفي في ٢٦ شباط سنة ٤٢٠ وهو اليوم المكرس لذكره في الكنيستين لصرقية والفرية .

بل ظل سهم الاضطهاد مصوباً نحو المسيحيين بعد ذلك التاريخ ، ولكن بقوة أقل من السابقة ، وبفترات متباعدة . إلى أن زال الاضطهاد بالمرة ، وأصبحت غزة كلها مسيحية . وكان ذلك في اوائل القرن الخامس للميلاد .

١١ — في عام ٤٣٦ م اقيم (نسطوريوس) أسقفاً على غزة . ولكنه سرعان ما اقيـل من منصبه ، بعد أن أدانته الجمع البطريركي بسبب سوء تصرفاته الدينية . وفي عام ٤٥١ م اقيم (بطرس ابيروس) أسقفاً على غزة وميـوماً معاً .

١٢ — وحوالي نهاية القرن الخامس للميلاد ، كان اينوس Enos الفري الاصل أسقفاً في غزة . وكان هذا افلاطوني المذهب ، وكان من اتباع هراقليوس ، ولكنه انقلب بعدئذ فصار مسيحياً . وقد ألف قصائد بليغة شروح فيها العقائد الدينية .

١٣ — وفي عام ٥٢٥ م اشتهر زخريا الخطيب (Zacharias Rhetor) وهو من ميـوما . فكتب كتابه المعروف عن (تاريخ أصعاب الطبيعة الواحدة) . ثم انتخب أسقفاً لجزيرة مدالي . وله كتاب في تاريخ الكنيسة حرره بالبريانية .

١٤ — وقد اشتهر بعد ذلك الاسقف مارقيانوس الذي رعى المسيحيين بغزة عام ٥٣٦ م . وكان أخوه والياً على المدينة ، فعاذه في أعماله الدينية . وفي عهده احتلت جنود الامبراطورية الرومانية غزة ، بأمر من الامبراطور جوستانيان . وذلك بسبب ثورة السامريين من سكان القضاء . فانزعج الفريون بسبب ذلك ازعاجاً كبيراً . الامر الذي حدا بهذا الاسقف إلى تأليف قوة مليه محلية ، عهد إليها بحل جميع المشاكل المتنازع عليها . فاستتب السلم ، وانجبت جنود الامبراطورية (١) . وقد شيد مارقيانوس في غزة عدداً كبيراً من الابنية كسراها وفتحاً وجالاً . ومن أسباب نجاحه أنه كان غزري الاصل ينتمي إلى اسرة كبيرة ، ودرس في المدارس دراسة عالية في الشعر والادب والفلسفة .

انه أعاد بناء سور غزة ، وأضاف إليه بعض الابراج ؛ وأعاد بناء كنيسة الرسل التي كانت على مقربة من السوق ، وأنشأ كنيسة أصغر من هذه في خارج المدينة . كما انشأ كنائس أخرى نذكر منها (كنيسة مار اسطفان) و (كنيسة القديس سرجيوس) وغيرها .

وقد جرى افتتاح هذه الكنائس والابنية باحتفالات شعبية رائمة ، اضيئت خلالها المدينة ، و اقيمت في جميع جوانبها أعلام الزينة . وقد دعي إلى هذه الاحتفالات جماعات كبيرة من المدن والدساكر المجاورة . فطار صيت غزة في عالم الادب والعمران والتجارة ، واكتظت شوارع المدينة بالجاهير والخطباء للتفنين الذين اخذوا يلقون من على المسارح ومنصات الخطابة خطباً متنوعة في الشعر والادب والدين والفلسفة . ولما أمر جوستانيان باغلاق مدارس اثينا سنة ٥٢٩ م كانت مدارس غزة مفتحة ابوابها ، تبث تماثيلها . وقد ظلت مبادئ الفلسفة الاقلاطونية تعلم في هذه المدارس حتى اواخر القرن السادس .

ومن اساقفة غزة للعصرين المارقيانوس (ناتراس) و (كيريلوس) .

١٥ — كانت اسما اساقفة غزة حتى ٥٣٩ م تدون في سجلات مجلس القدس . ولكنه تألف في غزة عام ٤٥١ م مجلس حضره الثماس بيلاكيوس (وقد صار بعدئذ بابا) مندوباً عن روما يحمل أمر جوستانيان القاضي باقالة بولس أسقف الاسكندرية . وقد نفذ مجلس غزة هذا الامر .

١٦ — وكان (بروقوبيوس) اكثر الرجال الذين انجبتهم غزة شهرة ونفوذاً في اواخر القرن الخامس . قضى الشطر الاكبر من حياته في مسقط رأسه ، إلا فترة قصيرة من الزمن قضاها في قيسارية ، إذ ذهب إليها ليتبارى مع منافسين في اكتساب جائزة من الجوائز . وكان مسيحياً مخلصاً ، وله مجادلات عنيفة مع خصومه في صور وانطاكية والاسكندرية . جمع مكتبة كبيرة . وقد راحت اقواله لمن بعده مضرب الأمثال . وقد ألف عدة فصول في تفسير أسفار العهد القديم .

١٧ — واشتهر في غزة نحو منتصف القرن السادس (قوموديان) . إنه كان شاعراً فذاً . إنه وإن كان ولد في غزة إلا أنه قضى الشطر الاكبر من حياته في آرلس بجنوب فرنسا . تهود في بادىء الامر ، ثم عاد فتنصر ، وأصبح من أكبر دعاة النصرانية . وقد نشر برور Brewer مؤخراً كثيراً من اقواله وكتابهاته .

١٨ — ومن تلاميذ بروقوبيوس (خوريشيوس) Choricus فقد ولد هذا في غزة وكان أدكى تلاميذ بروقوبيوس . لم يكن فيلسوفاً عظيماً ، إلا أنه كان ممتازاً في الذكاء وصوغ الكلام . وكان ضليعاً بوصف المناظر والأبنية وصفاً يفوق

حد الإنفاق . هذا أيضاً من الذين تركوا مذهبهم القديم واعتنقوا المسيحية . وقد وصف كنائس غزة وصفاً دقيقاً .

١٩ — ومن شعراء غزة (تيموثاوس) Timotheus فقد نبغ هذا في عهد انطاسيوس الأول . وكتب مقالات وأشعار في أربع مجلدات ، وله كتاب في (التاريخ الطبيعي) وفي (الحيوانات ذات الأربع أرجل) .

٢٠ — وقد زار غزة خلال عام ٧٥٠ م انطونيوس الشهيد فقال عنها : « إنها مدينة جميلة للغاية . رجالها شرفاء جداً ، واهرار سكل معنى الكلمة ، ومحبتون للحجاج . » وقد ذكر هذا ميمونة غزة أيضاً قائلاً عنها : « انها دار الاستراحة للقديس فيكتور الشهيد . »

٢١ — ومن متأخري أساقفة غزة الذين نبغوا في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد (سلمان بن محمد الغزي) العالم الشاعر والعربي الجنس واللغة . وقد كتب ترجمته الاستاذ عيسى اسكندر الملووف مقتبساً ذلك من ديوانه الذي نظمته قبل ترقيته إلى درجة الاسقفية .

ويظهر أن ديوانه كبير الحجم . وقد وجدت منه نسخ في حلب كتبت بيد بولس بن الحوري عيسى بن موسى بن حاتم الحمصي عام ١٥٥٧ م ، وفي مكتبة البطرك غريغوريوس الانطاكي (وفي هذه النسخة ٣٣ قصيدة) ، وفي مكتبة الآباء اليسوعيين بيروت خمس نسخ كتبت إحداها حوالي القرن الخامس عشر ، وفي مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر الملووف نسخة تحتوي على ٦٩ قصيدة فيها ٢٧٧٨ بيتاً ، وفي مكتبة القبر المقدس نسخة نسخت عام ١٦٩٠ م .

ويظهر من ديوانه المخطوط انه كان متزوجاً وأنه كان له ولد ، وحفيد اسمه ابراهيم ، ولما ماتا رثاها بقصيدة جاء فيها :

أقول للدار والسكان قد رحلوا	والدمع من مقلتي في الحذر ينهل
يا دار هل لك علم بالذين مضوا	وعينهم صروف الدهر ما فعلوا
فالحرث يجرح احشائي ويحرقها	فما تسر وإن طالت بها الطول
أصحت أسأل رماً لا أنيس له	وهل عجيبك عما سلكه الطلل
سقياً لأيماننا والعيش في دعة	أيام عهدي بهم والشمل مشتمل

وطالما بت مسروراً بإحبتها مع السعادة والإقبال متصل
أُمتت منازل خلى منه خالية بعد الأنيس عليها الدل منسدل
فان خلت وعفاها فقد ساكنها فالدار يوحنها من أهلها المعطل
يا ليل رد على عيني نومهما إن لك بالنوم صب هائم وجل
شككت من بعد إبراهيم والده فقد نعلت وأضى حسي الشكل

والظاهر من ديوانه انه كان ديناً ضليعاً في العقائد المسيحية ، حافظاً لآيات الكتاب المقدس ، حتى أنه رقي إلى أسقفية غزة . والظاهر أن انتقاله إلى الاسقفية كان بمدة قريية ، لأن ديوانه باسم (الشيخ سليمان بن حسن الثري) ومقالاته وتعاميده باسم (الطران سليمان الثري) . وقد أشار إلى ذلك بتعصيدة مطلعها :

النفس تسقى والجوارح تلف حسي يبيد الهيكل المؤلف
فيصير كالطفل الذي حركاته وقواه عن دفع الضرة تضعف
وتعود صورة وجهه مسودة عن مذهب كانت له تتكلف
حدث عن الفرد الذي أوصافه معدودة الفاضل تضعف
مثل الكتاب حروفه إن صحت فسدت ومعنى القول لا يتصحف
سبحان من خلق للكان فدلنا إن الاله عن اللكان يلطف
طوبى إن كنزوا كنوزاً في السما والكنز في أرض السما لا يتلف
والكنز في أرض الزوال تزيه أيامها وغلف للتخلف
والؤمنون شروا بملك الاقتضا ملك البقا وفقروا لم يأسفوا

ومن قصائده :

توبوا فاني وجدت الله تواباً ومن ترجاه للفران ما خابا
يأتيكم القوم في شكل الخراف وهم إذا تكشفت الأستار أذيابا
يعبرونكم بقول لا يصح لهم ويجمعون لفضل الشر احزابا
طوبى لكم إن طردتم أو أضربكم سي واعدمكم أهلا وأحبابا
ضيق الحياة يؤذيكم إلى سمة ووسعها قاطع للائم ارقابا
فلا تميلوا إلى عيش يلد لكم فكل إثم يدايه إذا طابا

٢٢ — ومن متأخري اساقفة غزة (ثيودوسيوس) القبرصي الذي ذكر

في برنامج المخطوطات بمكتبة القبر المقدس صفحة ٢٧ عدد ٢٢ باليونانية ؛ و (باثيسوس) السافري التوفي في روسيا سنة ١٦٧٨ م وهو مؤلف كتاب الرموز باليونانية ؛ و (خريستوذولوس) أي عبد المسيح مطران غزة والرملة ؛ وآخرهم السيد (صفرونيوس) اقيم في اوائل القرن العشرين ومقره بالقدس الشريف . وله نائب في غزة التي تتبع اسقفيتها البطريركية الاورشليمية .

٢٣ — عاش المسيحيون بعد الفتح الاسلامي ، في غزة وسائر المدن الفلسطينية ، بأمان واطمئنان إلى أن قامت الحروب الصليبية (١٠٩٦ م) . وراح البابا اوربانوس بتشويق من البطريرك سمعان يدعو الناس لانتاذ المسيحيين في الارض المقدسة من ربة الصودية . ولقد ذكرنا في غير هذا المكان من الكتاب ، نقلا عن (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) (١) « إن الغاية الظاهرة من هذه الدعوة ، (تحرير المسيحيين من ربة الصودية) ، والغاية الحقيقية هي (إخضاع الكنائس الشرقية للكنيسة الغربية) ، وأن الصليبيين قتلوا يومئذ من أهل القدس المسلمين سبعين ألفاً ، وانهم أتوا فيها بأعمال يبرأ منها الدين المسيحي الذي يدعون انهم إنما جاءوا لنصرته ، فضلا عن أن هذه الأعمال جعلت روح المداوة والبغضاء تتأصل في قلوب المسلمين ضد مسيحي البلاد النصارى . ولو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجمات ملوك الروم المتواترة وغزوات الصليبيين المتكررة ، وفظائع هؤلاء عملي البلاد لماشوا إلى جانب إخوانهم المسلمين عيشة راضية ، لا يتخللها نكد ولا كدر . . . » إلى آخر ما جاء في (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) .

٢٤ — وقد حلت الكنيسة اللاتينية محل الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين باستيلاء الافرنج عليها ، فصبوا لهم بطاركة على اورشليم . وأما البطاركة الارثوذكسيون فكانوا يومئذ يتصبون في القسطنطينية ويعيشون فيها . وأقام اللاتين لانفسهم اساقفة في جميع المراكز الأسقفية . ولم يبق تحت سيادة البطاركة الارثوذكسيين سوى اسقفيات الله والرملة وحبرون . وهؤلاء أيضاً جردوا من كل نفوذ . والحقت بطركياتهم ، من الوجهة السياسية ، بالبطريركية اللاتينية (الصليبية) . وأما اسقفية غزة فتركت لليونان . لأن أهالي غزة كانوا يوناناً ومسيحيين فتنصروا .

وفصارى القول فان النزاع بين الطوائف المسيحية والطوائف الاسلامية من جهة ، وبين الطوائف المسيحية نفسها من جهة اخرى دام طيلة السنين التي كانت تيران الحروب الدينية فيها مشتعلة .

٢٥ — ولما انتشع تأثير تلك الحروب الدينية حنت وطأة الحسام بين المسلمين والمسيحيين . واثتلف الفريقان اثتلافاً محمياً . وهامهم المسيحيون يعمشون وإخوانهم للمسلمين جباً إلى جنب . وأود أن أخص بالذكر مدينة غزة . فانك لا تستطيع أن تميز بين الواحد منهم والآخرهما : لا في أكله وشربه ، ولا في لبسه (١) وماأكله ، ولا في منامه وعاداته . ولا فرق بين السلم والسيحي في هذا المضمار .

كان مجلس الادارة في العهد التركي ، مؤلفاً من عضوين مسلمين وآخرين مسيحيين . وكان مفتي المسلمين والرئيس الروحي للمسيحيين يعتبران عضوين طبيعيين في المجلس المذكور . وكذلك كان الحال في (محكمة البداية) في العهد التركي . وفي اوائل الاحتلال تألفت في غزة جمعية إسلامية — مسيحية كان قوامها اعضاء من المسلمين والمسيحيين .

وكانت اللجنة القومية التي أشرفت على الاضراب في غزة عام ١٩٣٦م ، مؤلفة من أعضاء مسلمين وآخرين مسيحيين . والمظاهرات التي قامت في بدء عهد الثورة الفلسطينية الأخيرة ، اشترك فيها المسيحيون كما اشترك فيها المسلمون . وكانت كل مرة بتتدى ، عند المسجد الكبير وتنتهي عند الكنيسة ، أو العكس بالعكس .

وقد حضرت بنفسى استغاثة للمطر قام بها العزبون عام ١٩٤٠ واشترك فيها المسلمون والمسيحيون معاً . حتى أنز السملين لم يدخلوا أية سيجارة طيلة الطريق لأن المسيحيين كانوا معهم ، ولا يجوز في عرف المسيحيين التدخين أثناء الاستغاثة . لانها ضرب من صروب العبادة . ولا يزال عدد كبير من سيدات غزة المسيحيات يعشن في منازلهم كالمسلمات ، ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو ذوي القربى منهن ، كما أن (الحجاب) سائد بينهن .

وكانت قضايا الارث بين المسيحيين محل وفقاً لقواعد الشرع الاسلامي . كما كان حصص الارث عندم ينظم في المحكمة الشرعية . وظل الحال كذلك حتى عام ١٩٢٥

(١) تستعمل المرأة فلسطينية مرة في الحجاب (أو) (الازار) كما تستعمل المرأة المسلمة .

وم يشد بعض المسيحيات عن هذه شجاعة في عهد الاحتلال .

حيث نفذ القانون البيزنطي الذي يقر الاثني كالكبر من حيث الارث . وتألفت محكمة كنائسية في غزة لهذه الغاية .

إيه وإن كان للمسلمين مساجد وللمسيحيين كنائس ، يذهبون إليها متفرقين أثناء الصلاة والعبادة ، إلا أنني كثيراً ما رأيت للمسيحيين يشاطرون إخوانهم المسلمين في مساجدهم أثناء قراءة المولد النبوي ، ويذلقون متاجرهم . ليس هذا خصب ، بل يقوم أثناء الاحتفال بالمولد النبوي شاب من شبان المسيحيين المتقفين تتقيفاً عالياً — ألا وهو حنا أفندي بن الارحوم داود أفندي فرح اللقب بدهده — ويخطب المسلمين الذين اجتمعوا في دار المجلس البلدي في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة اثنين وستين وثلاثمائة بعد الالف للهجرة (١٩٤٣ م) ويقول :

« إنني باسم العروبة أقف هذه الوقفة في هذا العيد السعيد لأمدح واحيي رسول العرب ، وبطلهم وجامع شملهم ، وموطد كياناتهم ، وباني عهدهم ، ومؤسس وحدتهم . وإنني لأرجو أن لا يحمل قولي محمل للواربة والمرأية فيقول البعض ما لهذا النصراني يقف وقفة الخطيب بين المسلمين في يوم عيدهم فيمدح نبهم ؟ أو ليس ذلك استخذاء ومحاباة منه دفعه اليهما غرض في نفسه أو مرض في قلبه ؟ كلا أيها السادة . بل إنها القومية الصرفة ، والعروبة الصرفة المتوطنة في قرارة نفسي ؛ هي الحجة الخالصة لعروبتى ، والتي يتبدد أمامها كل اعتبار آخر ، دفعتي لأقول كلتي هذه . فأتم مسلمون تحتفلون بهذا العيد من وجهة دينية ، وأما أنا فأنني احتفل به من وجهة قومية . إنني بهذا اليوم أحيي البطولة العربية ، والمظلة العربية ، والتبوع العربي ؛ قبل أن يكون عهد نبياً كان بطلا عربياً ، وقبل أن أكون مسيحياً كنت فقي عربياً . وإنني كفتى عربي أقف لأمدح البطل العربي ، إبن جلدتي ودمي ، وباني مجدي وسؤددى . لقد طبع الناس على أن يعظموا البطولة مهما كان شكلها . فإذا كنا من هذه الناحية ، نعظم لويس الرابع عشر و نابوليون وباستور وهم فرنسيون ؛ ونكبر موسى وداود وسليمان وهم يهود ؛ ونعظم شكسبير وبيرون وتشرشل وهم إنكليز ؛ ونكبر كونفوشيوس وبوذا الهنديين ، وزرادشت الفارسي ، وهم وثنيون ؛ فكيف لا نعظم ابن الجزيرة الأوحدهم البطل العربي . وهو كما تعلمون أعظم الأبطال خطراً وأجلهم شأنًا وأسماءهم خلقاً وأعلامهم قدراً . . . »

ولقد رأيت المسلمين يرتادون الكنيسة في عيد الفصح ، وولاية جناز المسيح ،

وفي صلاة الباعوث المساء (التقييلة) . وهل تريد دليلاً أقوى على التساهل الكائن بين الفريقين من مأذنة الجامع لللاصقة لجرس الكنيسة في حي الزيتون . وما يجدر بنا ذكره في هذا الضمار ان المسيحيين ما عادوا يسمون أبناءهم بأسماء افرنجية كما كانت عاداتهم من قبل . بل أخذوا يسمونهم بأسماء عربية بحتة كخولة ، وهالة ، وعجلة ، والوليد ، وطارق ، وجلال ، ومي ، وحام ، ولما ، وفاروق ، وهاني .



ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن قدس الأب الايكونومس إلياس الرثماوي^(١) الرئيس الروحي للروم الارثوذكس بغزة (١٩٤٢ م) أهدى مكتبة الجامع الكبير الاسلامية عدداً غير قليل من كتبه . وأن هذا الرئيس الروحي ابرق إلى القائد العام عام ١٩٣٧ برقية طلب فيها العفو عن أولاد شملخ المسلمين الذين حكم عليهم بالاعدام لمجملهم السلاح واشترآكهم بالثورة الفلسطينية ، وقد اختتم برقيته بالعبارة التالية :

« طوبى للرحماء ! فأنهم يرحمون ! »
خوري الروم بغزة
حبيب الياس الرثماوي

ولما عني عنهم ، أبرق إلى القائد برقية أخرى يشكره فيها ، وقد اختتمها بالقسم الباقي من الآية نفسها كما وردت في الانجيل ، قال : « فطوباكم ! »

(١) تولى هذا الأب رعاية الطائفة الارثوذكسية بغزة بتاريخ ٢٥ ليلول ١٩٢٤ ولا يزال يرعاها في يومنا هذا . ولد في (بيت ساحور) وتلقى علومه الأولية فيها . ثم تعلم في مدرسة مار متري الاكليريكية بالقدس (١٩١٤) ثم اقيم كاهناً على شرق الاردن ، ثم اخير رئيساً روحياً لفزة وهو في نفس الوقت رئيس المحكمة الكنائسية التي تشمل اختصاصها غزة وبيتر السبع والمجدل وسائر انحاء فلسطين الجنوبية . إنه على صلات ودية مع علماء المسلمين ، يزورونه ويزورهم . ويتعاون معهم في جميع المسائل الاجتماعية والقومية .

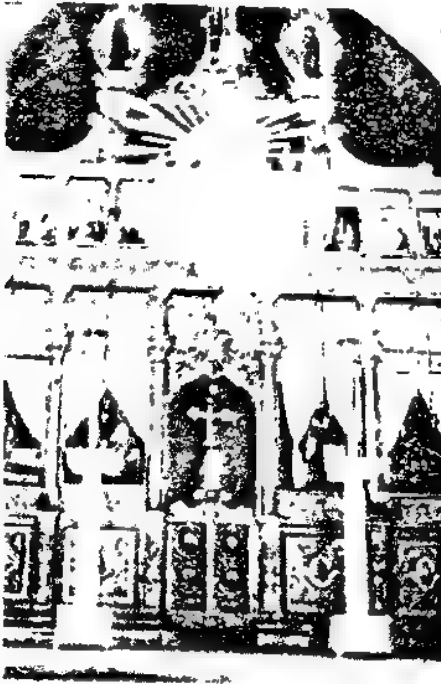
٢٦ — غير أن الاغيار الذين لا يرضيهم هذا الاتفاق ، يحاولون أن يفتحوا ثغرة في جسم هذه الامة . فترام يعملون على إحباط هذا الاتحاد ، وإيجاد شتى المخاوف في أفئدة الجبهة من الفريقين . ويساعدهم في تنفيذ خطتهم هذه بعض الجهلاء الذين يتخوفون من (استقلال العرب) الذي تنشده الأكثرية ، لظنهم أن المسلمين إذا استقلوا هضموا حقوق المسيحيين في وظائف الدولة ومناصبها ، وفي مصالح البلاد ومراقبتها العامة . هكذا يفعل الدساسون للتفريق بين أبناء الوطن الواحد . وفوق كل شيء علم عليم .

٢٧ — وقبل أن اختتم هذا الفصل ، أود أن أقول كلمة في موضوع الكنيسة التي بناها الأسقف برفوريوس ، والتي سماها « افدوكسية » إذ قد اختلف في تعيين موقعها بالضبط . فهناك من يقول : إنها بنيت في نفس المكان الذي بني فيه معبد مارنا ، إذ أن برفوريوس هو الذي استحصل على الأمر الملكي بهدم هذا المعبد ، وهو الذي عمل على إنشاء الكنيسة المذكورة . فلا بد وأن يكون قد بنى الكنيسة على أنقاض المعبد ، واستعمل البلاط والحجارة والأعمدة التي كانت فيه ، مضيفاً إليها الأعمدة التي أرسلت إليه من مدينة كارتوس بأمر من الإمبراطورة . وهناك من يقول : إن برفوريوس بنى كنيسة هذه في المكان الذي فيه كنيسة الروم الارثوذكس في يومنا هذا ، لا في المكان الذي كان فيه معبد مارنا ؛ وإنه نقل البلاط والحجارة والأعمدة التي كانت في المعبد للذكور إلى المكان الذي بنيت فيه الكنيسة ، وهو لا يعد عنه كثيراً . ويستدل على قوله هذا بالكتابة التالية التي يراها الداخل إلى كنيسة الروم ، منقوشة على بلاطة من رخام فوق الباب :

« بسم الله الحي الواحد الاله القدوس إبتدأ عمارة الكنيسة بسمي الأب برفوريوس مطران غزة سنة ٤٢٥ بأيام الملك اركاديوس . وقد جرى قصارتها أيام البطريرك الاورشليمي كرميوس مسمى الأب فليموس ومناظرة الهندس ملاشوتي بشاريوس . الكاين مصروفها من القيامة المقدسة ومن بعض المسيحيين بغزة سنة ١٨٥٦ مسيحية بشهر آذار » .

وأما الاستاذ كليمان غانو ، فانه يعتقد أن كنيسة الروم الحالية بنيت من قبل الصليبيين ، وأنها كانت على عهدهم كابلا (أي كنيسة صغيرة) وقد استعمل في بنائها عدد كبير من الأعمدة الرخامية التي كانت في غزة قبل الصليبيين . وبهزأ الاستاذ

غانو بالقول القائل ان الصليبيين بنوا كنيستهم هذه على أنقاض الكنيسة التي بناها برفيريوس بشويق من الملك افدوكسيانة . ويقول انه كان في غزة كنائس يرنطية عديدة قد يكون شكلها تغير في زمن الصليبيين : كنيسة القديس سرجيوس التي كانت بالقرب من السوق في شمال المدينة ، وكنيسة القديس أسطفان (أول الشهداء) الواقعة شرق المدينة . تلك الكنيسة التي بناها الأسقف مارقياتوس في عهد الملك جوستانيان .



وإني لملئ يقين بأن كنيسة افدوكسيانة ، بناها برفيريوس على أنقاض معبد مارنا ، وأن كنيسة الروم الحالية الواقعة في حي الزيتون بنيت أيضاً من قبل برفيريوس نفسه . وهي لا تزال تدعى كنيسة القديس برفيريوس إلى يومنا هذا . وقد عمرت بعدئذ مراراً وأضيف إليها بعض الأروقة . وأما الكتابة التي وجدت منقوشة على البلاطة فوق الباب ، والتي ذكرتها في الأسطر المتقدمة ، فإنها لم تكتب في حياة برفيريوس ولا في عصره ، بل كتبت عندما جرى إصلاحها في عهد البطريرك الاورشليمي

كنيسة الروم الاورشليميين بغزة كرايوس ، وبمساعي الأسقف فليموس . ولما دخلت غزة في الاسلام ، اعتنق قسم كبير من الفريز الدين الاسلامي ، وبقي الآخرون على دينهم . فاقسموا الكنيستين اللتين كانتا فيها . فأخذ المسلمون وقد كانوا الاكثرين الكنيسة الكبرى ، وهي كنيسة افدوكسيانة التي بنيت على أنقاض معبد مارنا ، وأخذ المسيحيون وقد كانوا الاقلين الكنيسة الصغرى ، وهي كنيسة الروم الحالية . كانت أملاك هذه الكنيسة تسجل باسم وكيلها ، ولا تسجل باسم الكنيسة نفسها . وكان المسيحيون يستعملون

(الناقوس) الحثبي . ولم يستعملوا (الجرس) إلا منذ حين عاماً . ولقد أصاب هذه الكنيسة خراب في أواخر القرن الماضي ، فصلحت من أموال القيامة وتبرعات المسيحيين بغزة ، وكان ذلك عام ١٨٥٦ م . وزالت زخارفها أثناء الحرب الكبرى (١٩١٧ م) بسبب القنابل التي كانت تغذيها مدافع الانكليز من البر والبحر على المدينة . جاء للثري الكبير جورج بك أيوب (١) وأعاد إليها تلك الزخارف وانفق على ذلك ١٨٠٠ جنهاً فلسطينياً .

٢٨ — ويظهر أنه كان في غزة ، في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، طائفة أرمنية الأصل ، وأنه كان لهذه الطائفة كنيسة أرمنية باسم القديس آركانجيل ، وهذا ثابت من السجلات المحفوظة في دير الأرمن بالقدس . والمطلون أنها قبل أن تصبح كنيسة ، كانت تستعمل كضفة للحجاج الذين كانوا يفدون إلى فلسطين من مصر ، وكانت يومئذ تضوي تحت لواء البطريركية الأرمنية .

إن السجلات للتقدم ذكرها ، وإن كانت لا تذكر بالضبط التاريخ الذي انشئت فيه هذه الكنيسة ، إلا أن الذين تتبعوها يعتقدون أنها كانت قائمة في هذا الوجود قبل سنة ١٦٥٧ ميلادية ، بدليل أن بطريرك الأرمن في القدس يومئذ (البازار) عمرها في تلك السنة . وهناك قيود أخرى تدل على أن هذه الكنيسة ، كانت لا تزال قائمة في سنة ١٧٣٠ ميلادية . ويظهر أنها هدمت ، أو هجرت هجراً ، فألم بها الحراب بعد ذلك التاريخ .

إن البقعة التي كانت فيها في اليهود الغابرة تدعى في يومنا هذا (حاكورة الملك) . مساحتها أربعة دونمات وسبعماية متر ، وهي واقعة في حارة الزيتون ، ومسجلة باسم (هاكوب ارسينيان) الوكيل عن وقف بطريركية الأرمن بالقدس . ويقال إن بعض الأرمنيات المتدينات كن في الأزمنة الغابرة يعتقدن أن هذه البقعة مباركة ، وأن المريض الذي يعيش فيها أو يفنسل بمائها لا بد أن يبرأ من مرضه .

٢٩ — وأما الآن فإنه ليس في غزة سوى ثلاث كنائس مسيحية : كنيسة الروم الارثوذكس (٢) التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة وتسمى كنيسة القديس ريفيروس ؛

(١) إنه غزي الأصل . يقيم في مصر . وله فيها تجارة واسعة ، واملاك كثيرة .

(٢) عدد الروم الارثوذكس في غزة في يومنا هذا ألف .

وكنيسة اللاتين (١) التي انشأها الراهب النساوي المهر غات قبل ستين سنة تقريباً (١٨٧٩) ؛ وكنيسة البروتستانت التي أسسها الارسالية التبشيرية الانكليزية (١٨٩٣) . تلك الارسالية التي سنبحث عنها في الاسطر التالية :

٣٠ — زار القس كلان F. A. Klein غزة في عام ١٨٦٢ م وبلوح أنه كان يقصد من زيارته تمهيد السبيل إلى القيام بأعمال تبشيرية . غير أنه لم ينجح يومئذ . وفي عام ١٨٧٨ قامت الارسالية التبشيرية C. M. S. وعلى رأسها المستر ريتشارد Ritchard الذي استوطن غزة مدة ، بفتح أربع مدارس : اثنتان للذكور واخريان لللاتات . وكان عدد طلابها يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ . ثم استوطنها القس شايرا A. W. Schapira وانتح فيها غرفة للقراءة . وكان هذا يهودياً ثم تنصر .

وفي عام ١٨٨٠ م خطب قائمقام المدينة في عدد من سكانها ؛ مشجعاً عمل الارسالية التبشيرية من حيث فتحها للدارس ، فقبل خطابه بموجة من الاستياء عمت المسلمين . وفي عام ١٨٨٢ م قامت الارسالية بأول عمل من أعمال الاسعاف الطبي في فلسطين . لكن ذلك بقي ذا صبغة مؤقتة ، إلى أن تبرع له القس جون فن اوف هيرفورد John Venn of Hereford ؛ مبلغ من المال ؛ فأخذت أعمال الاسعاف هذه عندئذ صبغة دائمية .

وقد زار غزة الجنرال غوردن عام ١٨٨٣ م ، وحضر مؤتمراً تبشيراً أقامه في غزة ممثلو جميع الارساليات التبشيرية في الشرق الأدنى . ويقال ان الجنرال غوردن هذا ، هو الذي اطلع على مساوىء القس شايرا للتقدم ذكره . فأشار بأقالته من منصبه . ثم تولى أعمال الارسالية القس اليوت R. Elliot ، وكان ذلك عام ١٨٨٦ م . وفي عام ١٨٩٠ ، تولاهم مؤقتاً الدكتور بيلي H. J. Bailey وساعد في أعمال الاسعاف الخارجي .

وفي عام ١٨٩١ م ، استأجرت الارسالية التبشيرية داراً من دور غزة وجعلتها مستشفي . وكانت الارسالية تقوم يومئذ بأعمال طبية في المجدل واسدود أيضاً . وفي عام ١٨٩٣ م توفي القس هوبر J. Huber الألماني الأصل ، الذي بنى قسم السيدات ، وهو الكنيسة . فدفن في المقبرة الواقعة داخل المكان . فتولى أعمال

الارسالية من بعده الدكتور ستارلنغ Sterling وسار بها قدماً . فازداد عدد الطالبات في مدرسة الاناث عام ١٩٠٢ من ٦٨ إلى ٣٠٠؛ وفي عام ١٩١٣ إلى ٤٠٠ . وكانت للس Smithies هي المسئولة عن إدارة هذه المدرسة . وكانت يساعدها في عملها هذا عدد من اللطائف من بنات المدينة .



وفي عام ١٩٠٧ عين الدكتور برسي بركستوك Percy W. Brigstocke ليكون زميلاً للدكتور ستارلنغ ولكنه نقل في عام ١٩١١ إلى الصلت .

وفي اليوم الاول من إبريل لعام ١٩٠٨ ، افتتح مطران القدس للمستشفى الجديد ، وكان يحتوي على ٤٦ سريراً . وفي ٢٢ فبراير عام ١٩١١ افتتحت الميادة الخارجية . وكان عند الدين التجاؤا للميادة المذكورة في عام ١٩١٢ ، ٢٩٥٨١ شخصاً ، والدين ادخلوا في المستشفى ٧٠١ ، والدين عولجوا في منازلهم ٤٥٢ ، وقد اجريت عمليات جراحية إلى ٤١١ شخصاً .

مستشفى الارسالية الانكليزية

وبعد الدكتور ستارلنغ المتقدم ذكره ، تولى أعمال الارسالية التبشيرية بغزة ، ولده روبرت ستارلنغ R. G. Robert Sterling . ومن بعد هذا تولاها في ٢٩/٣/٢٢ الدكتور الفرد هارغريفس Alfred Ridley Hargreaves ولا يزال فيها حتى يومنا هذا (١٩٤٣) .

وهناك مدرسة للأطفال تديرها البشارة الاسكليزية للس ابفانس تحت اشراف الارسالية المتقدم ذكرها .



غزة والسامريون

يجدر بك أيها القارئ، الكريم أن تقرأ هذا الفصل بعد انتهائك من قراءة تاريخ اليهود في غزة . إذ أنهم أقرب الناس إلى اليهود ديناً ولساناً .

ولهذا نود ، قبل كل شيء ، أن نلقي نظرة بسيطة على النقط والبيد، الدينية التي تكون شقة الخلاف بينهم وبين اليهود فتقول :

السامريون لا يقلون من التوراة التي يعترف بها اليهود سوى أسفار موسى . انهم ينكرون الرواية القائلة بأن (سرحون) ملك آشور عندما بنى بني اسرائيل إلى بلاده ، واسكنهم في ما بين النهرين ، أتى بدلا منهم بقوم من بابل ، واسكنهم في السامرة ، ولذلك سموا (سامريين) . ويقولون انهم في الحقيقة ليسوا بسامريين وإنما هم شومرونيم (שומרונים) أو شومريم (שומרים) أي المحافظون على الديانة اليهودية القديمة . وقد ظهر الخلاف بينهم وبين اليهود في زمن داود ، لما أراد هذا أن يبني الهيكل ؛ وازداد في زمن سليمان لما بنى الهيكل في اورشليم . واحتدم الخلاف بين الفريقين عندما ألف (عزرا) كتاباً قال فيه : « إن السامريين اعميون ، وانهم يبدون الحمالة » .

٢ — هناك كتابات وآثار تدل على أنه كان في غزة ، من القرن الرابع إلى القرن السابع عشر ، عدد كبير من السامريين . وهذا ما حدا بنا لأن نغرد لهم فصلاً خاصاً نذكر فيه طائفة من الاخبار التي اتصلت بنا عن تاريخهم ، ووقائعهم ، وعددهم ، وأمانهم ، ورجالهم ؛ على أن نحصر بحثنا بما له صلة من هذه الاماني والوقائع بتاريخ غزة ، ذلك التاريخ الذي جعلنا مداراً للبحث في كتابنا هذا .

٣ — ففي القرن الرابع ، اعطيت البلاد الواقعة بين غزة والنهر المصري إلى (اسرائيل بن ماخير)^(١) الذي كان قائداً لجيش (بابا رابا)^(٢) الذي حارب الرومان . وعين (شالوم) السامري رئيساً روحياً لهذه البلاد . وأما البلاد الممتدة من الكرمل

(١) ישראל בן מאכיר

(٢) בבא-רבא

إلى غزة ، فقد أعطيت إلى (لايب بن بكر) ، وعين (يوسف) رئيساً روحياً لها .
وجميع السامريين الذين استوطنوا غزة يومئذ ، كانوا من سبط بنيامين ، إلا (مظاف
ابن متباليل) (١) فإنه كان من سبط افرايم .

٤ — إن اختلاف العقيدة من جهة ، واختلاف الأصل والاسباط من جهة أخرى ،
جعلت الخلاف يحتمل بين السامريين واليهود . وقد زاد حكم الفرس في الطين بلة ، إذ
انهم ألزموا جانب اليهود أكثر من السامريين . وقد تمكن اليهود من التقرب إليهم ،
ولاسيما في عهد كورش ملك الفرس ، بطريق السحر والجمال . إذ كانت (استير)
الجميلة ، ذات نفوذ واسع لديه .

٥ — وفي عهد جوستينيان سنة ٥٢٩ م . احتل الرومان غزة ؛ بسبب ثورة
اشعل نارها السامريون من سكانها . فأصاب الناس والموظفين انزعاج كبير ؛ إلا أن
الأسقف (مارقيانوس) أقنذ للموقف بحكته ، وألف حرساً وطنياً عهد إليه بحل
الشاكل المتنازع عليها ؛ فسحب الرومان جندهم من المدينة ، وسادت السكينة .

٦ — ولقد كان في غزة في أوائل القرن السابع عدد كبير من السامريين .
وكذلك كانت الحال في غيرها ميوما ، وفي عسقلان ، وبافا ، وارسوف ، وقيسارية ،
وسائر المدن الساحلية . ويقول المؤرخ السامري (٢) أبو الفتح الذي أشار إلى
وجود السامريين في غزة قبل الفتح الاسلامي : إن المسلمين عندما حاربوا الروم على بعد
إثني عشر ميلا من غزة ، وانتصروا عليهم ؛ ذبحوا أربعة آلاف من النصارى واليهود
والسامريين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة في غزة . وأن ما تبقى منهم (أي من
السامريين) ، رأوا من مصلحتهم بعد الفتح الاسلامي (٦٣٤ م) أن يغادروا
هذه البلاد ، فغادروها شرقاً بعد أن عهدوا إلى رئيسهم الديني بإدارة املاكهم .
فهناك من يقول : إنهم رحلوا إلى الشام ولم يرجعوا إلى غزة بعد ذلك التاريخ . وهناك
من يزعم أنهم رجعوا إليها ، واستوطنوها . وهناك فريق ثالث يقول أنهم وإن كانوا
رجعوا إليها ؛ إلا أنهم لم يتمكنوا من تأسيس كيان ظاهر فيها . فليلق إذا نظرة على

(١) מוזאף בן מתפלל

(٢) ספר השמרורים - בן צבי

حوادثهم (١) بعد ذلك التاريخ؛ لتتمكن من استجلاء تلك الناحية التي لا تزال غامضة.

٧ — جاء في بعض الكتب والاسفار، انه كان يعيش في غزة على عهد بني امية والخلفاء العباسيين، زعيم من زعماء السامريين، ينتمي إلى اسرة سامرية تدعى (هاتكوى) (٢). وقيل إن زعامة السامريين، انتقلت خلال القرن الثاني عشر إلى اسرة (ابي غالوغة) (٣).

٨ — وفي خلال الحوادث التي وقعت بعد وفاة أبي بكر، ذكر اسم رجل من السامريين يدعى (برد بن شريان) (٤) كزعيم من زعماء عشيرة بني مالك، وبني رهير، وغيرهما من العشائر التي كانت تقطن بجوار مدينة غزة. وذكروا عن مؤسس هذه الاسرة (ابي غالوغة) انه كان كريماً للغاية، وكان محباً لبني قومه حتى انه كان يطعمهم ويكسيهم. ولقد أنفق امواله طائلة في سبيل تصليح الكنائس القديمة. وانشأ كنائس جديدة في نابلس وغيرها من المدن التي كان يقطنها السامريون.

٩ — وعندما نشبت الحروب الصليبية، كان منهم في نابلس ويافا والرملة وبيت جبرين وجرار ومصر وحلب والشام عدد كبير، وكان منهم في قيسارية ثلاثون ألف سامري، نظام كلهم صلاح الدين.

١٠ — وقد انقطعت أخبارهم بعد ذلك حتى كادت تندرس بالمرة لو لا رسالتان: واحدة منهما بحث بها رجل سامري من غزة، والاخرى من القاهرة. وظلت هاتان الرسالتان عماد الباحثين عن تاريخ (السمرة) مدة حيلين ونصف جيل. إلى أن عادوا فاستوطنوا غزة، وكان ذلك عام ١١٣٧ للميلاد، فزها يومئذ خمماية سامري. وقد أشار إلى ذلك (بنيامين توديلا) الذي زار غزة عام ١١٦٣ م.

١١ — هنالك آثار (٥) تدل على وجود عدد من السامريين في غزة بعد انقضاء

(١) ספר השמרונים - בן צבי

(٢) התקני

(٣) אבגלוגה

(٤) برد بن - שריון

(٥) ספר השמרונים

الحروب الصليبية . وقد عثروا على هذه الآثار خلال القرن الرابع عشر (١٣٥٩م).
إذ وجدوا سفرًا من أسفار التوراة كتب في غزة، أرسله (يعقوب بن يثرونه) (١)
من بني فوكه لأمراءه (صحبة بنت إبراهيم) (٢) من بني رميمح .

وفي سنة ١٣٦٢ م ذكر اسم إسحق بن شلومو بن يعقوب . فقيل عنه: إمامه
وأولاده وأحفاده، ينتمون إلى جماعة يدعون (بني الشبورائي) (٣) .

وفي سنة ١٣٦٤ م ذكر اسم إبراهيم بن أبي نصعته (أو نصحة) (٤) . فقيل
عنه: أنه كتب تورااة في غزة .

وبعد ذلك بخمسة وعشرين عامًا ذكر اسم (يعقوب الكاهن) الذي كتب
تورااة في ١٣٨٩ م .

وفي عام ١٣٩٨ م بيعت في غزة تورااة قديمة العهد، قيل إنها كتبت حوالي عام
١٢١١ م .

وفي القرن الخامس عشر (١٤٠٧ م — ٨١٠ هـ)، ذكر اسم رجل سامري
يدعى (عبدالله بن صهبا طابا سمده) (٥) كواحد من سكان غزة .

وفي عام ١٤٣٢ م زار غزة السائح الافرنسي المشهور بترودون دولابروكيري
Betraudon de la Brocquerie ، فوجد فيها طبيبًا سامريًا طاعنًا في السن ، قال
عنه: أنه داواه فوصفه علاجًا ضد الملاريا .

وفي عام ١٤٨١ م هبط غزة سائح يهودي يدعى ميشولام اوف فولتيرا
Meshullam of Volterra ، فقال: أنه كان يعيش فيها يومئذ ستون عائلة يهودية ،
وأربع عائلات سامرية .

وفي سنة ١٤٩٧ م ذكر على إحدى نسخ التوراة اسم يعقوب بن سعد الدين ،
وإسحق بن إسماعيل ، وإبراهيم الكاهن ، وصادق بن يوسف ؛ كلهم من السامريين
الذين ينتمون إلى سبط منشه .

(١) يعقوب بن - يثرونه

(٢) שמחה בת אברהם

(٣) בני השבוראי

(٤) נצענה = נצענה

(٥) עבדלה בן סהבה שבה סעדה

وفي عام ١٤٩٩ م (٥٩٠٥ هـ) ، ملت في غزة السكان الأكبر المازر بن أبي يشوع ، صادر حاكم المدينة أمواله .

وفي عام ١٥٢٠ م ذكر اسم صدقة بن ابراهيم بن عويدياهو^(١) (صادق بن ابراهيم بن عبد الإله) ، ويوسف بن ابراهيم بن صدقة (يوسف بن ابراهيم بن صادق) . فليل انهما من بني إفره^(٢) ، وانهما كانا يعيشان في غزة .

وفي عام ١٥٣٠ م أذاع السامريون الذين يعيشون في غزة كتاباً وصفوا فيه أحوالهم .

وفي عام ١٦١٦ م هبط السائح الافرنسي للشهور (بيانرو دي لافال) هذه البلاد؛ وزار (السمرية) للقيمين في غزة، والقاهرة ، ونابلس ، ودمشق . وابتاع نسخة من التوراة السامرية ، وبحث في تاريخ السامريين؛ فأثارت كتاباته عاصفة من البحث والمجدل في أوروبا .

وفي القرن السابع عشر (١٦٣٣ م) حدثت حادثة الكاهن شليه بن بنحاس الذي ذهب من نابلس ليخطب في سكان غزة ، وعند وصوله لمحي وادي النخل طلب من الله أن يقبض روحه ، فاستجاب الله دعاءه واختفى .

وفي عام ١٦٧٤ م أرسل السامريون الذين يعيشون في غزة كتاباً إلى (روبرت هانتغتون) ، وكان هذا يعطف عليهم وعلى لقمهم وآدابهم ودياباتهم عطفاً شديداً .
وفي عام ١٧٠٨ م ذكر سكان غزة السامريون في تحرير حرره شلومو بن ايسكوك الدنفي من سبط افرايم^(٣) .

وفي عام ١٧٦٦ م (١١٨٠ هـ) ذكر تاريخ حياة طايا الكاهن الذي انتقل من نابلس الى يافا ، ومنها الى غزة ؛ فتزوج دبه بنت يعقوب هد صالح السرور ابزهوة الطري^(٤) وأقام في غزة سنوات عديدة .

(١) צדקה בן אברהם בן עובדיהו

(٢) מבני איכרה

(٣) שלמה בן אבסכות הדנפי מן שבט אפרים

(٤) דבה בת יעקב הד צאלח אלסרور אבודותה הממרה

وفي سنة ١٨٧٤م وجد كليرمونت غانو رسالة في أحد بيوت غزة ، نشر مصمومها الباحث التاريخي تيلور Taylor في J. P. O. S سنة ١٩٣٠ صحيفة رقم ١٨ .
ورسالة أخرى من ميومة نشرها غانو سنة ١٨٩٦ م . وهي تتضمن (العشر كلمات) .
وقد بحث الاسقف البروتستانتي الدكتور طومسون Dr. E. H. Thomson عن السامريين عندما زار نابلس وغزة (عام ١٨٩٨ م) فقال عنهم : انه لم يبق منهم في غزة ديار ولا نافخ نار .

١٢ — ويقول الاستاذ بن زفي (١) أن السامريين اضطروا للمغادرة غزة هرباً من العذاب الذي أذاقهم إياه الباشوات من آل رضوان ، وانهم قبل أن يغادروها أوصوا بأموالهم للوقف الاسلامي ، وأن ذلك جرى قبل فتح نابليون لغزة .

١٣ — وليس في غزة في يومنا هذا سامري واحد ، ولم يبق من آثارهم فيها سوى (تربة السمرة) الواقعة في حي الصبرة بالقرب من ملك الشحابة ؛ و (حمام السمرة) الواقع في وسط المدينة ، وفي الرقاق المؤدي لدار خليل افندي البورنو . وهناك حمام آخر في الشجاعية يعرف بحمام السمرة . وقد عثر بعضهم على آثار سامرية بالقرب من غزة ، وفي حانوت بداخل المدينة يشغله في يومنا هذا بائع الحلوى فائق سائق الله ، بالقرب من حمام السمرة المتقدم ذكره . ويقول الاستاذ غارستغ التسيي أشار إلى ذلك في مقال له عام ١٩٢٠ : انها آثار دور ومنازل ، لا آثار كنيس .

وفي دار للستر بيكارد الذي كان مستخدماً في مصلحة التلغرافات المصرية ، والذي كان يعيش في غزة عام ١٨٧٠ ؛ بلاطة من الرخام الأبيض نقش عليها كتابة باللغة السامرية ، استنتج منها الاستاذ كليرمان غانو ، انه كانت في غزة قبل الفتح الاسلامي وبعده (طائفة سامرية) وان السامريين كلهم ، خلافة قليلة منهم ، ينتمون إلى سبط بنيامين . وأما البلاطة المذكورة ، فقد وجدت في الأصل على شاطئ البحر ، وظن انها من بقايا آثار (ميومة) القديمة . والكتابة النقوشة عليها ذات خطوط قصيرة ، عددها تسعة عشر . وهناك في المتحف الفلسطيني بالقدس بعض هذه الكتابات والنقوش الأثرية التي قيل انها من أصل سامري .

التقويم الفري

هناك تقويم خاص بفرة يدعى (التقويم الفري) . وهذا التقويم ذو صلة وثقى بفرة وواقعها كما هي الحال في التقاويم الاخرى . فكما أن المسلمين وضموا (التقويم الهجري) الذي يبتدىء يوم حدثت أهم حادثة من حوادث التاريخ الاسلامي ، ألا وهي هجرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ، ليتخلص من أذى قريش ، ويثبت الدعوة المحمدية ؛ وكما أن المسيحيين اعتبروا ميلاد السيد المسيح مبدءاً لتقويم أسموه (التقويم الميلادي) ؛ فإن الامم التي فتحت غزة ، وقضت فيها أحيالا انحلت من واقعها التاريخية مبدءاً لتقويم جديد أسمته (التقويم الفري) . وإنك لو اجدت في بعض الكتب والاسفار التاريخية التي تحدثك عن وقائع تلك الأيام ، أرقاماً تاريخية يجب أن تخطن إليها لتعرف متى وقعت تلك الوقائع . وكما انه كان للتقويم الهجري ، أو التقويم الميلادي ، أو التقويم الشرقي ، أو التقويم القبطي ، أو التقويم اليهودي وما إلى ذلك من التقاويم للوضوعة الاخرى مبادئ وأسباب حملت المؤرخين على الاعتراف بها ؛ فإن للتقويم الفري أيضاً مبادئ وأسباب هي التي سفسها عليك في الاسطر التالية :

٢ — لقد مر بك في الفصل الذي خصناه لفرة في عهد اليونان ، أن القائد المقدوني الجنرال سيلوقس الذي كان يقود جيش بطليموس (مصر) الثق بديمتريوس الذي كان يقود جيش انتيغونوس (سوريا) عند غزة . فاشتبك الفريقان في حرب لا هوادة فيها ، وكانت النصر في هذه المعركة حليف الجنرال سيلوقس ، رغم وجود عدد كبير من الفيلة في صفوف خصمه . فاندحر الخصم تاركاً وراءه ثمانية آلاف قتيل . وقلنا أيضاً عند ذكر هذه الحادثة ، أن الجنرال سيلوقس أخذ (معركة غزة) هذه التي وقعت سنة ٣١٢ قبل الميلاد ، مبدءاً لتاريخ جديد يدعي فيها بعد التاريخ السلوقي أو اليوناني . وقلنا انه أخذ بعد تلك المعركة يدون وقائمه وانتصاراته ، ويذكرها بالنسبة للسنة التي وقعت فيها .

٣ — وقد مر بك أيضاً في الفصل الذي خصناه لفرة في عهد الرومان ، أن الإمبراطور هادريانوس الذي قهر اليهود ، وشتت شملهم ، وسبى نساءهم ، وباعهم في

سوق غزة بيع العبيد كان يحب غزة حباً جماً ، وكان يحطف عليها عطفاً شديداً ؛
وانه زارها مراراً عديدة ؛ وانه في زيارة (١) الثانية لها (عام ١٢٩ للميلاد) أسس فيها
عيداً سمي فيما بعد (عيد غزة الكبير) ووضع مبدءاً لتقويم جديد عرف فيما بعد بالتقويم
الغزي أو التقويم المهدرياني . ان السنة المهدريانية مساوية لسنة ١٩٠ الغزية ، وهذه
مساوية لسنة ١٢٩ الميلادية . وان في بعض النقود والسكوكات التي سكّت على عهد
هادريانوس ، إشارة إلى هذه السنة التي هبط فيها غزة وأسّس فيها عيدها الكبير . كما
أنه في البعض الآخر إشارة إلى سنة أخرى ، هي التي سنذكرها في الاسطر التالية (٢).

٤ — ان (السنة الغزية) التي نحن في صدها الآن تبتدىء حوالي سنة ٦٠
قبل الميلاد . تقول (حوالي سنة ٦٠) ولا تقول (في سنة ٦٠) قبل الميلاد . ذلك
لأن علماء التاريخ والآثار ، ولا سيما أولئك الذين درسوا تاريخ غزة ، وعثروا على
بعض النقود والسكوكات الرومانية التي سكّت في غزة ، أو التي سكّت باسمها ؛ لم يهتدوا
إلى نتيجة حاسمة رغم البحث الذي قاموا به خلال القرنين الآخرين . والفرق بين
آرائهم كان يصل إلى أربع سنين في بعض الأحيان .

٥ — واليك اسماء (٣) الأشهر الغزية ، وعددها ، وعدد الايام في كل شهر ،
ومبداها كما جاء ذكر ذلك بالتفصيل في كتاب عنوانه فلورنس هيميرولوجيون
(Florence Hemerologion) ، ذلك الكتاب النادر النال والذائع الصيت في عالم
الأدب والتاريخ :

(١) على قول ان هذه الزيارة وقعت بين ١٢٨ أكتوبر سنة ١٢٩ و ٢٨ أكتوبر
سنة ١٣٠ بعد الميلاد .

(٢) « Archeological Researches in Palestine. » by Charles
Clermont Ganneau

(٣) ان التقويم الغزي يشابه التقويم الاسكندري في كل شيء الا في الاسماء . فقد
احتفظ الأخير بالاسماء القديمة المصرية ، بينما اقتبس الأول الطابع البيزنطي .

ترتيب الشهور	عدد ايام الشهر	اسماء الشهور	بداية كل شهر
الشهر الاول	٣٠	ديوس ^(١) Dios	٢٨ أكتوبر
» الثاني	٣٠	ايللوس Apellaeos	٢٧ نوفمبر
» الثالث	٣٠	اودينوس Audynaeos	٢٧ ديسمبر
» الرابع	٣٠	بيريتيوس Peritios	٢٦ يناير
» الخامس	٣٠	ديستروس Dystros	٢٥ فبراير
» السادس	٣٠	كسانتيكوس Xanthikos	٢٧ مارس
» السابع	٣٠	ارتميزيوس Artemisios	٢٦ ابريل
» الثامن	٣٠	دايسيوس Daesios	٢٦ مايو
» التاسع	٣٠	بانيموس Panemos	٢٥ يونيو
» العاشر	٣٠	لوئوس Lōos	٢٥ يوليو
» الحادي عشر	٣٠	غورييوس Gorpieaos	٢٩ اغسطس
» الثاني عشر	٣٠	هيبيرييتايوس Hyperberetaeos	٢٨ سبتمبر

٦- استنتج الاستاذ كلرمان غانو من جميع ابحاثه ، ان السنة الفرية الاولى بدأت في ٢٨ أكتوبر من سنة ٦١ ق. م ، و انتهت في ٢٧ أكتوبر من سنة ٦٠ ق. م . وأضاف الى ذلك قوله : انك اذا وجدت تاريخاً غزياً وأردت أن تعلم التاريخ الليلادي الذي يقابل ذلك التاريخ ؛ فاطرح منه ٦١ إذا كان اليوم من الشهر الوارد ذكره في التاريخ يقع بين ٢٨ أكتوبر و ٣١ ديسمبر ؛ واما اذا كان ذلك اليوم من الشهر الوارد ذكره في التاريخ يقع بين ١ يناير و ٢٧ أكتوبر فيجب أن تطرح منه ٦٠ . ومن بعد هذا الاستقراء والاستنتاج استطاع الاستاذ كلرمان غانو أن يقرأ التواريخ التي عثر عليها في بعض النقود والمسكوكات والكتابات النقوشة على الحجارة والآثار الفرية ، وأن يفسرها كما يأتي :

(١) ان الصاس ماركوس الذي كتب (تاريخ حياة القديس بريمديوس) ذكر في كتابه هذا أن ديوس وايللوس هما الشهران الاولان للسنة الفرية .

التاريخ الميلادي			التاريخ القزى		
اليوم	الشهر	السنة	اليوم	الشهر	السنة
١٦	اكتوبر	٥٠٥	٢٢	هيدريتاوس	٥٦٥
١٥	اغسطس	٥١١	٢٢	لوتوس	٥٧١
٤	ابريل	٥٢٩	٩	هكسانتيكوس	٥٨٩
٢	يونيو	٥٣٩	٨	ديسيوس	٥٩٩
١٤	اغسطس	٥٤١	٢١	لوتوس	٦٠١
٢٧	اغسطس	٥٤١	٤	اياغوميت	٦٠١
١	سبتمبر	٥٤١	٤	غوريوس	٦٠١
١٢	مايو	٥٤٨	١٧	ارتيميزيوس	٦٠٨
٥	يونيو	٥٦٣	١١	ديسيوس	٦٢٣
٣٠	مايو	٦٠٢	٥	ديسيوس	٦٦٢
١٩	اكتوبر	٦٠٩	٢٢	هيدريتاوس	٦٦٩

٧ — وهذه النسبة تقول : انه كان لمسلان ايضاً تقويم خاص . وان السنة العسقلانية كانت تبدأ في ١٠٤ بعد الميلاد . ولكن هذا التقويم مشابه كل الشبه لتقويم غزة من حيث عدد الاشهر والأيام واسماء الشهور وتماقها . والفرق الوحيد بين التقويمين هو أن السنة العسقلانية تبدأ في اليوم الأول من شهر هيدريتاوس، بينما السنة القزية تبدأ في اليوم الاول من شهر ديوس .



غزة والفتح الاسلامي

قبل أن نذكر لك كيف ومتى فتح العرب غزة، نرى لزماً علينا أن نخيلك على ما كتبناه في الأصول السابقة عن علاقة غزة بالعرب، وبشبه جزيرة العرب قبل الاسلام، لتعلم منها العوامل التي ساهرت العرب في الاستيلاء على غزة .
لقد مر بك أن غزة كانت منذ قرون وأحقاب على اتصال وثيق بالعرب وشبه جزيرة العرب . وإن الذين أسسوها (العينيون وبني سبأ) عرب اقحاح أتوا إليها (٣٧٥٠ ق . م) من قلب الجزيرة . وإن أحفاد هؤلاء كانوا يفتدون إليها أكثر مما يفتدون إلى أي بلد آخر . وانهم كانوا يقصدونها بقوافلهم بقصد التجارة ، لانها واقعة عند ملتقى عدد كبير من الطرق التجارية ؛ أضف إلى ذلك انها كانت الهدف لأحدى الرحلتين : رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى غزة ومشارف الشام . ولا عربة في ذلك ؛ اذ انها باب الصحراء ، ونقطة الاتصال بين شبه جزيرة العرب وحوض البحر الأبيض المتوسط .

٢ — هنا في غزة مات هاشم^(١) بن عبد مناف جد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام . مات أثناء إحدى رحلات الصيف وفيها قبره . ولذلك سميت من بعده (غزة هاشم)^(٢) . وفي ذلك قال أبو نواس :

(١) كان هاشم كبير قومه بني عبد مناف من قريش . وهو الذي أسس رحلة الشتاء والصيف . وكان ذا يار فتوى رئاسة مكة ، وولي السقاية والرفادة من مناصب الكعبة . وفد عقد مع الامبراطورية الرومانية ومع أمير غسان مصادمة حسن جوار ومودة ، وحصل من الامبراطور على إذن لقريش بأن تجوب الشام في أمن وطأينة . وقد تزوج أسماء بنت عمرو الحرجية فولدت له ولداً دعيته (شيبه) وهو عبد المطلب ومات بعد سنتين من ذلك وبغزة (حياة محمد للاستاذ محمد حسين هيكل) .

(٢) يقال انه سمي (هاشم) لأنه كان يهضم الزبد إلى قومه في أيام التعطو والجذب . وقبل سمي كذلك لأنه كان يهضم العظم أثناء تقطيع اللحم ليطعم الضيوف . وقد ورث التزيون عنه هذا السكرم .

وأصبحن قد فوزن من أرض فطرس^١ . وهنّ عن البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غرة هاشم وبالفرّ ما من حاجهن شقور
وقال أحمد بن يحيى بن جابر ان هاشم مات بغزة وله من العمر خمس وعشرون
سنة . ورثاه مطرود بن كعب الخزاعي فقال :

مات الندى بالشام لما أن ثوى فيه بمرّة هاشم لا يعد
لا يعدن رب القاء بعوده عود السقم يحود بين العود
وهناك من يقول : ان هاشم غير مدفون في الموقع الحالي المعروف بـ (سيدنا
هاشم) من حارة الدرج ، وإنما هو مدفون في قبة الشيخ رضوان ؛ بدليل ما جاء
في قول أحد أصحابه الذين كانوا يرافقونه في رحلته بين مكة وغزة :
وهاشم في ضريح وسط بلقعة تسف الرياح عليه بين غزاة
ومن بدري ؟ لعل رفاته نقلت من موقع الشيخ رضوان إلى حيث هي الآن .
وله مقام وحامع معروف بـ (جامع السيد هاشم) (١) وفيه مدرسة انشأها
المجلس الاسلامي الأعلى من مال الوقف . وقد أصابت الجامع قبلة أثناء الحرب
الكبرى (عام ١٩١٧ م) فخرّبته . ولكن المجلس الإسلامي الأعلى عمره وأرجعه
إلى أحسن ما كان .

وهنا في غزة عاش أيضاً عمر بن الخطاب ردياً من الزمن . وقد كان تاجراً
في الجاهلية ، وعلى قول انه ائثرى فيها عن طريق تجارته ، فقال كلمته المشهورة : « لا
يغلبكم الروم في التجارة ، فانها ثلث الأمانة » .

(١) يعتقد المرحوم كامل الفتدي المباشر أن هذا الجامع بني في أواخر القرن الثالث
عشر للهجرة (١٢٦٨ هـ) من قبل السلطان العثماني عبد الحميد ، وكان ذلك بطلب من الحاج
أحمد بن يحيى الدين بن عبد الحملي الحسني الأحاف بغزة ، وأنهم عندما بنوه استعملوا
الحجارة الباقية من اقتاض جامع الجاولي واليارستان وغيرها ، حتى أن الحكومة التركية أمرت
بتحويل أوقاف جامع اليارستان إلى جامع السيد هاشم لتقام فيه الشعائر الدينية في كل سنة .
وقد صدرت إرادة السلطان بأن يتولى هو (أي المفتي) صلاة الجمعة في الجامع المذكور والحطبة .

٤ — وقد هبطها أيضاً عبدالله^(١) والد النبي عليه الصلاة والسلام يوم خرج في تجارة إلى الشام .

٥ — ولا شك عندي أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم جاء إلى غزة قبل أن ينزل عليه الوحي ، ويدعو الناس للإسلام . وقد كانت في زمنه عامرة مزدهرة ، وكانت لا تزال ذات أهمية لتجار مكة . حتى أنه قال عنها في حديث له : « طوبى لمن سكن إحدى العروسين ، غزة وعسقلان » . ويقول شمس الدين في كتابه (قاموس الأعلام) أن إحدى النساء اللواتي صحن النبي وهي تدعى (غزيلة) أو (غزة) — وكانت تسمى بأم الشريك — وهبت نفسها إليه ، وكانت تبني من صميم فؤادها أن يتزوجها . وكثيراً ما روى الرواة الأحاديث النبوية نقلاً عنها .

وعندي أنه ما كان هرقل قيصر الروم ليبحث عن محمد في غزة ، ويرسل إليها صاحب شرطته ليأتي به إليه ، أو يأتي إليه منها رجل من قومه ؛ لو لا أنه كان يعلم حق العلم أن محمداً لا بد وأن يهبط غزة كما هبطها من قبله أبوه عبدالله ، وجده هاشم ، وعمه ابوسفيان ، وصحبه عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وغيرهم . وإنك لو اجد في كتاب (الأغاني) الشيء الكثير عن هذا الموضوع ، وعن قدوم أبي سفيان إلى غزة في نفر من قريش في تجارة ، واجتماعه بعد ذلك بهرقل ، والتحقيق الذي قام به هذا عن النبي وصفاته وأخلاقه .

٦ — إذاً يجب أن نعتبر أن غزة كانت على مر الدهور (مدينة عربية)^(٢) لا شك في صحتها ، وأن الفتح الإسلامي لغزة ، لم يكن سوى تأييد جديد للفتح العربي الذي سبقه . ولم يكن الجنود المسلمون الذين احتلوا ، سوى أولئك العرب الذين كانوا يترددون إليها من جميع أنحاء الجزيرة العربية قبل الفتح .

(١) كان عبدالله بن عبد المطلب في الراجة والعشرين من سنه عندما تزوج أمة بنت وهب بن عبد مناف ، وقد أقام معها في بيت أهلها ثلاثة أيام على عادة العرب حين يتم الزواج في بيت العروس . فلما انتقل وإياها إلى منازل بني عبد المطلب لم يبق معها طويلاً . إذ خرج إلى الشام وتركها حاملاً . ومكث عبدالله في رحلته هذه الأشهر التي يقضيها القاهل إلى غزة والعودة منها . ثم عرج على أخواله بالمدينة يستريح عندهم من عناء السفر ليقوم بعد ذلك في قافلة إلى مكة . لكنه مرض عند أخواله وتوفي في المدينة ودفن بها . وتقدمت بأمة أشهر الحمل حتى وضعت النبي محمداً عليه الصلاة والسلام (سنة ٥٧٠ م) .

٧ — وانها لفكرة ثابتة تدل على دهاء حربي ممتاز أن يفكر العرب في الاستيلاء على غزة والشاطئ الفلسطيني قبل أن يحتلوا مصر . ولما جاءوا إلى غزة بعد أن قطعوا المسافات الشاسعة عبر الصحراء ، وجدوها محاطة بالأسوار والحصون النيعية ، ولكنهم احتلوها سنة ٦٣٤ م (١٣ هـ) وكانت احتلالهم لها أول نصر نالوه في هذه الديار .

ولما فتحت غزة سادت كلمة العرب ، ورفرفت رايتهم فوقها . وما هي إلا برهة حتى أخذت هذه ترفرف فوق البلاد الأخرى الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط .

٨ — في هذه المدينة حدث اصطدام عنيف بين العرب والبيزنطيين : أما الجيش العربي ، فقد كان على رأسه ذلك البطل الفوار (عمرو بن العاص) (١) ، وأما جيش الروم ، فقد كان يقوده (بطريقسوس) أحد رجال هرقل وأكبر قائده في جيش الروم . وإليك تفاصيل الفتح الإسلامي :

عندما اعتزم أبو بكر فتح الشام ومقاتلة الروم ، استفر العرب : فلبوا دعوته ، وخفوا سراعاً من جميع أنحاء الجزيرة العربية . فجهز منهم أربعة جيوش ، وعقد الألوية لأربعة من كبار القواد ، ثم سيرهم إلى الشمال بعد أن عين لكل واحد منهم وجهته فعمل :

ليزيد بن أبي سفيان	:	دمشق
واشرجيل بن حسنة	:	الاردن
ولأبي عبيدة بن الجراح	:	حمص
ولعمرو بن العاص	:	فلسطين

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن السهم القرشي . رجل ربة ، قصير القامة ، وافر الهامة ، أدعج ، أبلج ، عليه ثياب موشاة كأن به اللبان تأتلق . عليه حلة وعمامة وحية . كان من أشرف مكة ، وكان في الجاهلية تاجراً ، وكانت السلع التي يجير بها الأدم والمطر ، والطيب ، والجلد ، والزبيب ، واللين . وبسبب تجارته هذه كان يختلف إلى مصر واليمن والحشة والشام . ولما كانت (غزة) واسطة عقد التجارة بين تلك البلدان فقد سرعها حق المعرفة واحتر منافذها . ولذلك اختاره أبو بكر لهذه الجبهة .

وعندما سلم أبو بكر الراية إلى عمرو بن العاص قال (١) له : « قد وليتك هذا الجيش (يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب) فانصرف إلى أهل فلسطين وكتب أبا عبيدة وأجمده إذا أرادك ولا تقطع أمراً إلا بمشورته . اتق الله في شرك وعلايتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عمالك . وقد رأيت تقدمتي لك على من هم أقدم منك سابقة وأقدم حرمة ، فكن من عمال الآخرة وأرد لعملك وجه الله . واسلك طريق إيلياء ، حتى تنتهي إلى أرض فلسطين . وإياك أن تكون وانياً عما ندبتك إليه وإياك والرهن . وإياك أن تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به . واعلم يا عمرو أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر . فأكرمهم واصرف حقهم ولا تتناول عليهم بسطاطك ، ولا ندخالك نخوة الشيطان فتقول إنما ولاني أبو بكر لاني خيرهم . وإياك وخدائع النفس وكن كأحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك . والصلاة ثم الصلاة ، أذن بها إذا دخل وقتها . واحذر من عدوك وامر اصحابك بالحرس وتكن أنت بعد ذلك مطلعاً عليهم . واطل الجلوس بالليل مع اصحابك وأقم بينهم واجلس معهم . واتق الله إذا لاقيت العدو وقدم قبلك طلائعك فيصكونوا أمامك .

« وإذا وعظت فاجز . وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك . وإذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك غمراً منك . والزم اصحابك قراءة القرآن ، وانهم عن ذكر الجاهلية وما كان فيها فان ذلك يورث العداوة بينهم . واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلكك . وكن من الأئمة المدوحين في القرآن إذ يقول الله تعالى : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين . »

ثم قال لعمرو : « امض بارك الله فيك وفيهم » فساروا في سبعة آلاف يريدون أخذ فلسطين .

٩ — عمل (٢) عمرو بن العاص بما رسم له أبو بكر في وصيته التي كانت أشبه شيء بالخطة الحربية ، فسار لتفيذها . وسلك الطريق الساحلية إلى العقبة

(١) فتوح الشام للواقدي .

(٢) تاريخ عمرو بن العاص .

وطريق غزة . ونزل بغير العربات (١) .

ويظهر أن العرب اصطدموا بمقدمة جيش الروم هنا في وادي العربية . وكانت مقدمتهم هذه مؤلفة من ٣٠٠٠ فارس وستة قواد . وكان حاكم قيسارية على رأس هذه القوة التي رابطت في وادي العربية جنوبي البحر لليت .

فرتب عمرو بن العاص جنده ، وجعل في الليخنة الضحاك ، وفي البصرة سعيد ابن خالد ، وعلى الساقة أبا الدرداء ، وثبت هو في القلب ومعه أهل مكة ، وأمر الناس أن يقرأوا القرآن ، وجعل يحبهم في القتال ، ويرغبهم في ثواب الله وجنته . وقد حملوا على الروم وبطريقهم حملة نكراء حتى تم لهم النصر وولى الروم منهزمين . فارتدوا إلى غزة . وكان ذلك في شهر شباط سنة ٦٣٤ م .

١٠ — وقد اتصل بعمرو بن العاص وهو في قرية (تادوت) أو (دائن) من أعمال غزة أن جيش هرقل يتجمع بكثرة في غزة ، وأن هذا الجيش مؤلف من عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس ، الأمر الذي أدخل الفرع والحيرة في قلبه . وما هي إلا بضعة أيام حتى أتته النجدة فاضم للنجدون إلى القواد والصحابة الذين اشتركوا في المعركة الاولى وهم سعيد بن خالد (٢) وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبو الدرداء ، والضحاك ، وربيعة بن قيس ، وعدي بن عامر ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، ومعاذ بن جبل ، وذو الكلاع الحيمري ، وغيرهم . وأخذ العرب يتقدمون نحو غزة .

١١ — فسمع الروم بتقدمهم ، وراحوا يرسمون الخطط لصددهم ، وكان عليهم (بطريقيوس) وقيل (تزارق) أخو هرقل لأبيه وامه ، وقيل (روبيس) ، وقيل (ارطبون) (٣) وقيل كان عليهم رجل منهم يقال له (القبصار) استخلفه هرقل حين سار إلى القسطنطينية .

وقبل أن يصطدم الجيشان، أرسل بطريقيوس إلى قواد المسلمين كتاباً طلب فيه

(١) يقصد (الفرس) وهو موقع في وادي العربية فيه ماء .

(٢) أخو عمرو بن العاص لأمه .

(٣) كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يصف عمرو بن العاص بارتبطون العرب .

ويقول (بلز) ان العرب يطلقون هذا الاسم خطأ وان اسم هذا القائد الحقيقي هو (ارطبون) .

منهم أن يرسلوا له من ينوب عنهم في التفاوض لتسليم المدينة^(١) فتكلم عمرو وقال : « ما لهذا أحد غيري ! »^(٢) فخرج حتى دخل على العليج فكلّمه . فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله . فقال العليج حدثني : هل في اصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ! إني حين عليهم ؛ إذ بشوا بي إليك ، وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون ما تصنع بي . فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعت إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه . فخرج من عنده . فمر برجل من نصارى غسان ، فعرفه . فقال : يا عمرو ! قد أحسنت الدخول فاحسن الخروج ! ففطن عمرو لما أراده ؛ فرجع إلى الملك فقال له : ما ردك إلينا ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني ، فلم أجد ذلك يسع بني عمي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت ؛ عجل بهم ! وبعت إلى البواب : أن خل سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا امن قال : لا عدت لثمتها أبداً ! . فلما صالحه عمرو ودخل عليه العليج قال له :

أنت هو ؟ قال : نعم ! طي ما كان من غدرك ! وطى هذا النمط فشلت المفاوضة ونشب القتال^(٣) فتقدم العرب ، واحتلوا غزة سنة ١٣ هـ ، ٦٣٤ م . ولقد نزلت (علقمة بن مجز) على الجزائر (فقار بن ناطوس)^(٤) في غزة ، فقتله . وكان فقار هذا أحد قادة جيش هرقل فيها .

١٢ — احتل المسلمون غزة ، فدخلوها مهلبين مكبرين . وكان جيش الروم قد انسحب منها بالمرّة ، وانسحب معه السبيحيون . إلا أن هؤلاء عادوا إليها ، فدخلوا في دين الاسلام . ثم مثلوا بين عمري بن العاص طالبين^(٥) اقتسام الكنائس مع اخوانهم الذين بقوا على دينهم . ولقد حكوه في الامر ، فحكم للذين أسلوا

(١) Meyer

(٢) ابن السكيت . والعقد القريد الجزء الأول ص ٦٤ .

(٣) يقول البلاذري ان هذه المعركة جرت في دائن (اوتادون) على مقربة من غزة .

(٤) هذا ما قاله الطبري . وأما مؤرخو الفرنجة فانهم لا يذكرون إسبا كهنا بين قادة

جيش هرقل . ويقولون انه قد يكون (بطريقوس) القائد الذي عهد إليه هرقل بمهمة الدفاع عن غزة .

(٥) Meyer

منهم — وقد كانوا أكثر عدداً من الآخرين — بالكنيسة الكبرى، فانخذوها مسجداً واحتفظ للسيحيون الذين بقوا على دينهم — وقد كانوا أقلية — بالكنيسة الصغرى.

١٣ — ذكرت مجلة (للشرق) في سنتها الثانية : أن أول مدينة فتحت من قبل العرب في فلسطين كانت غزة ، ثم ذكرت سبب فتحها بمستشهد بأقوال بعض المؤرخين الغربيين والشرقيين فقالت : « وكان يسكن وقتئذ في جنوب غزة قوم من قبائل العرب المنتصرين . وكان قد أصابهم من قبل ولاية الروم عسف وجور في المعاملات ؛ فالتجأوا إلى عساكر المسلمين ودعواهم إلى فلسطين ، فلبوا دعوتهم وزحفوا على غزة في اليوم الرابع من شهر شباط لعام ٦٣٤ م ، وظفروا بجيش الروم وفتحوا المدينة . وبعد أيام قليلة أعما فتح بقية مدن فلسطين (١) » . وقد مر عمر بن الخطاب بغزة بعد فتح القدس سنة ٦٣٨ م متفقداً لجيش المسلمين ، كما زارها عام ٦٣٩ م باحثاً عن أنجع الوسائل لانتفاء خطر المجاعة التي كانت تهددها .

١٤ — وظل (٢) عمرو بن العاص مع جيشه بفلسطين ردحاً من الزمن للقضاء على القوة التي كانت لازال مع (قسطنطين بن هرقل) فسار إلى قيسارية فانفتحها وقد هرب قسطنطين مع أسرته إلى القسطنطينية . وهكذا اضمحل سلطان الروم في هذه البلاد سنة ١٧ هـ (٦٣٩ م) بعد حروب طويلة لاقى المسلمون في غضوناتها الشدائد والأهوال ، وخسروا من أجلها خمسة وعشرين ألف رجل . وعندما تم للعرب فتح فلسطين كلها قسموها إلى ولايتين :

أ — شمالية وعاصمتها طبرية .

ب — جنوبية وعاصمتها الرملة (وكانت بيت المقدس خاضعة لها) . وكانت لغة البلاد آنشد :

أ — اليونانية في الأرياف .

ب — العربية في عبر الأردن وفي غزة وانحائها الجنوبية .

ج — الآرامية في اواسط البلاد .

١٥ — وقد استوطن غزة بعد الفتح الاسلامي عدد كبير من رجال العرب

(١) راجع كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ١٠٩
(٢) تاريخ عمرو بن العاص (الحسن إبراهيم حسن) .

والاسر العربية التي جاءت مع الفاتحين ، وأصبحت مدينة عربية إسلامية ، ونسج فيها ومن رجالها عدد كبير في الأدب والشعر والتاريخ والفقه والفلسفة . ولم يحض على الفتح الاسلامي سوى فترة قصيرة حتى أصبحت هذه البلاد عربية بكل ما في كلمة (المروبة) من معنى . عربية بعالمها ولغتها وتقودها وكل شيء فيها .

١٦ — ومن التدابير التي اتخذها العرب لتوطيد أقدامهم في البلاد (الحصون) التي انشأوها على السواحل ، وكانوا يسمونها (الرباطات) . فقد انشأوا في غزنة (رباطاً) من هذا النوع ، الغاية منه مراقبة السواحل . والرباط ليس في الحقيقة سوى مركز للمراقبة ، يجتمع فيه الجند ليراقبوا سفن الروم التي تأتي إلى الساحل حاملة أسرى المسلمين . اولئك الأسرى الذين كان الروم يضمنهم من حروب الثغور . وكانوا يعرضون في الرباط للبقاء : كل ثلاثة أسرى بمئة دينار . وكان للسلبون يتساقبون في تقديم الأموال لاتقاذ الأسرى . وكان في رباط غزنة عدد من المسلمين يعرفون لغة الروم . فاذا اوقفت سفينة رومية أمام الرباط قرعت الاجراس . فاذا كان الوقت ليلاً اصيبت ساريتها . وإذا كان نهراً أوقد عليها نار لها دخان . وفي الرباط مثانة عالية فيها نفر من الرجال يضيئون للثمنة عند وصول السفينة . فينتشر الخبر ، ويهرع الناس إلى الرباط بأسلحتهم ، وينقذون الأسرى بأموالهم .

١٧ — وقبل أن نختم هذا الفصل نرى لزماً علينا أن نقول انه من دواعي غر غزنة أن يكون الامام الشافعي ، أحد الائمة الأربعة المجتهدين في الاسلام ، قد ولد فيها . ولذلك لا بد من ذكر نبذة من تاريخ حياته هنا فنقول :

انه (١) الامام الشافعي أبو عبدالله محمد بن إدريس بن عباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم (٢) بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . حدث الشافعي عن نفسه فقال : ولدت بغزة سنة خمسين ومئة ، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين . وكانت امي من الأزد . وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل .

(١) معجم الادياء لياقوت الحموي .

(٢) ليس المقصود هنا هاشم جد النبي .

وقد انتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع : وأما طلبه للعلم فحدث (١) الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله بن الزبير، أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعي وهو محمد في طلب الشعر والنحو . قال فقلت له أي كم هذا ، لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك . وانصرفت به معي إلى المدينة ، فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به . قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل ، ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا وجمعه . ثم شخص إلى العراق فاقطع إلى محمد بن الحسن . ثم جاء إلى المدينة بعد ستين قال : فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفه حاله الذي صار إليه ، فأمر له بشرة آلاف درهم .

إن الامام الشافعي أنبع من أنجبت قريش بعد عصر الصحابة : حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وكان واسع العلم بالكتاب والسنة ، وكلام الصحابة وآثارهم ، واختلاف آراء العلماء ، وبكلام العرب واللغة العربية والشعر . وهو مستنبط علم اصول الفقه وواضعه . وله مؤلفات عديدة أشهرها : كتاب (الام) في الفقه مطبوع في سبعة مجلدات .

قال المزني : « ما رأيت أحسن وجهاً من الشافعي إذا قبض على لحية » . وقال الزعفراني : « كان خفيف المراضين ، يخضب بالحناء . وكان حاذقاً بالرمي يصيب تسعة من عشرة » .

وقال أبو ثور الفقيه : « ما رأيت مثل الشافعي ، ولا رأى مثل نفسه » .

وقال أبو داود : « ما أعلم للشافعي حديثاً خطأ » .

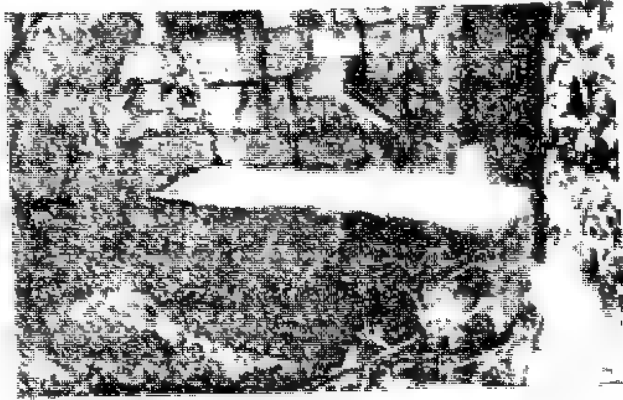
وقال السيوطي : « كان الشافعي شاعراً مقلقاً مطبوعاً » .

ويروى أنه كان بين كل آونة وأخرى يذكر غزاة ، حتى أنهم قالوا عنه أنه حن إليها يوماً فقال :

وإني لمشتاق إلى أرض غزاة وإن خاني بعد التفرق كنياني

سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق اجفاني

كان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة أي سنة خمسين ومئة . ومات الشافعي في رجب سنة أربع ومثني وهو ابن أربع وخمسين سنة . وهنا في غزنة دفنت بنته .



قبر آسيا بنت الامام الشافعي

ودفن خادمه (الشيخ عطية) ، وقبرها في دار للوقف بحارة الزيتون مجاورها في الجانب الواحد اسرة مسيحية تدعى (دار قبيع التريزي) ، وفي الجانب الآخر (دار الطحلة) . ويعتقد الغزيون أن الامام الشافعي رضي الله عنه قد ولد في هذه الدار . ولبنته آسيا وخادمه الشيخ عطية فيها مقام ولكن الدار والمقام في حال من الحراب تفتت الاكباد .

فخذوا لو فكر الغزيون بمواطنهم الذي رفع قدرهم وقدر مدينتهم ، ومجدوا الدار التي ولد فيها . فصانوها كما تصان دور العظماء ، وجعلوها بهجة للناظرين . فتراها الأجيال القادمة وتقول : « هنا ولد الامام الشافعي ، الرجل البقري التريزي ، الذي كان إماماً من الأئمة المجتهدين ، وعلماً من الاعلام الراشدين » .



غزة في عهد الدولة الطولونية

ضعف العباسيون بعد الخليفة المعتز . وأخذ الخلفاء يشغلون بأنفسهم ، وأصبحت سلطتهم على البلاد اسمية ، وخلافتهم دينية لا دنيوية . فتغلب كثير من الأمراء على الاطراف ، وأصبحت البلاد رهن أيدي التغلبة من العمال . وأخذ عمال فارس ومصر والشام يقطعون الحراج عن دار الملك . وليس للخليفة العباسي سوى الخطبة والسكة . بل ان التغلب على قطر قد يقرن اسمه إلى اسم الخليفة في كل شيء . ووصل هذا الضعف الدولة في عهد المعتصم وابنه الواثق . إذ اختص هذا الأثران ، وقربهم إليه ؛ ووضع من العرب ، وأبعدهم عنه .

٢ — وكان من أهم التملكين التواقين للمجد في مصر والشام (أحمد بن طولون) وهو تركي الأصل . حاول العباسيون محاربته ، فجزوا . ثم اضطروا إلى مصانعته .

٣ — تولى أحمد بن طولون مصر سنة ٢٥٤ هـ وذلك في زمن الخليفة المعتز . ثم سار لفتح الشام سنة ٢٦٤ هـ وقد مر بغيره ، فبلغ الرملة . ثم سار إلى دمشق ، فلتقاه (علي بن ماجور) ، وأقام له الدعوة بها . وقد استولى على الشام أجمع حتى حكم من مصر إلى الفرات ، ومنها إلى المغرب . وبهذا يكون أول من جمع بين ملك مصر والشام في الاسلام . ودام ملكه فيها اثنتي عشرة سنة .

٤ — خلف أحمد بن طولون ابنه أبو الجيش خماروية . وقد بلغ جيشه في الشام ومصر نحو ٤٠٠ ألف فارس . وهو أول جيش جعل على الدوام تحت السلاح . وكان قصده من ذلك أن يتغلب على البلاد وأن ينتزع الخلافة عند سوح الفرصة .

٥ — وفي سنة ٢٨٢ هـ ذبح أبو الجيش خماروية في دمشق على فراشه . خلفه ابنه جيش بن خماروية . ثم هارون بن خماروية .

٦ — وما زال الحكم في الشام ومصر في أيدي بني طولون فعلاً ، وفي يد بني العباس اسماً حتى عام ٣٩٢ هـ ، يوم قام المكتفي العباسي فاستولى على الشام ، ثم سار إلى مصر ، وذبح أبناء طولون وقوادهم . فانقرضت بذلك الدولة الطولونية . وأصاب غزة في هذه الاثناء وبسبب هذا المد والجزر من حركات الجيوش المتحاربة ضرر عظيم .

غزة

في عهد الدولة الاخشيدية

ظن بنو العباس انهم نجوا من يناصرهم العداء في الشام ومصر يوم قضاوا على أبناء طولون . ولكن ظهرت لهم (الدولة الاخشيدية) أو (دولة بني طنج) . ورأس هذه الدولة هو محمد الاخشيد (الملقب بابي بكر) بن طنج بن جف بن بلكين بن فوري بن خاقان .

٢ — مات طنج في حبس العباس بن الحسن وزير العباسيين . ونجا من عبه ابنه محمد الاخشيد ، فهرب إلى الشام . فولاه الخليفة للمقتدر مدينة الرملة اولاً (٣١٦ هـ) ثم الشام . ثم ولاء الخليفة الراضي مصر (٣٢٣ هـ) فأصبح الأمر الناهي في مصر والشام معاً .

٣ — ولكن الخليفة العباسي محمد بن رائق أراد أن ينقذ الشام ومصر من الاخشيد محمد بن طنج . فقامت بينهما حروب في الفرما ، وفي المريش . كانت نتيجة أن ترك الخليفة للأخشيد مصر حتى الرملة بفلسطين (٣٢٩ هـ) وقدمه هو في الشام حتى طبرية .

٤ — وقام بالشام ناصر الدولة بن حمدان (٣٣٠ هـ) . ثم قام بها اخوه سيف الدولة ، فقاتل الاخشيد وانتزع مصر من يده ، واصبح الأمر الناهي في مصر والشام معاً .

٥ — وفي سنة ٣٣٤ هـ تفرد كافور في الحكم . وكان آخر ملوك الدولة الاخشيدية .

٦ — ولما مات كافور ٣٥٦ هـ وقع الخلاف بين الاخشيديين ، فأخذ كل واحد منهم يدعي الأمانة لنفسه . وكتب جماعة منهم إلى المعز الفاطمي صاحب المغرب يستدعونه إلى مصر . وانتهت بذلك الدولة الاخشيدية ، وحلت مكانها الدولة الفاطمية .

وفي خلال هذه الفترة من الزمن ، همت غزة لما عادت تسمع عنها شيئاً يستحق الذكر .

غزة

في عهد الدولة الفاطمية

كان كافور آخر ملوك الأخشيديين . ولما أذنت شمس الدولة الاخشيدية بالافول ، رأى عقلاء مصر انه لا ينجيها من الفوضى التي انتشرت فيها ، إلا القاؤها في حضن دولة قوية . فكتبوا إلى المعز الفاطمي صاحب المغرب يستدعونه إلى مصر . فجهز هذا جيشاً من مئة ألف محارب ، وألف وخمسة جمل تحمل الذهب والفضة . وأرسله إلى مصر بقيادة (جوهر) . فهربت المساكر الاخشيدية . وأقام جوهر الخطبة للمعز الفاطمي . ولم يدخل هذا تحت طاعة الخلفاء العباسيين . بل ادعى الخلافة لنفسه بمصر ، قائلاً : « نحن أفضل من بني العباس ، لأننا من ولد فاطمة بنت رسول الله » .

٢ — ولما استقرت قدم جوهر بمصر ، سير جمعاً كثيراً مع (جعفر بن فلاح) إلى الشام . فمر هذا بغزة ، وبلغ الرملة وكان بها يومئذ (الحسن بن عبد الله بن طنج) فقاتله . واستولى على فلسطين كلها وجبى أموالها . ثم ملك الشام بعد قن وحروب ، وأقام الخطبة للمعز (٣٥٩ هـ) وقطعت الخطبة العباسية ، وأصبح الفاطميون خلفاء مصر والشام والمغرب معاً .

٣ — وبعد وفاة المعز الفاطمي تولى ابنه العزيز (٣٦٥ هـ) . قامت بينه وبين (افتكين) صاحب الكلمة العليا في الشام حرب دامت شهرين ، وقتل فيها عدد كبير من الطائفتين ؛ وقد استعان أهل الشام على القاربة بالقرامطة . فجاء ملك القرامطة (الحسن بن أحمد القرمطي) من بغداد ، واجتمع إليه من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألف مقاتل . فرحل جوهر قائد العزيز الفاطمي من دمشق ، وتبعه افتكين والقرمطي واتباعهما فحصروه في عمقلان سبعة عشر شهراً ، ذاق خلالها الأمرين من الجوع . ولكنه تمكن بعد جهد جهيد من الخلاص .

٤ — عندما رجع جوهر إلى مصر ، وأخبر العزيز بما جرى ، سار العزيز بنفسه إلى الشام في سبعين ألف مقاتل . ولقد مر بغزة ، ووصل إلى الرملة . وفي ظاهر الرملة ، جرى قتال شديد بينه وبين افتكين والقرامطة كان النصر لحليفه . فقتل

من الغاربة الذين كانوا قوام الجيش الفاطمي نحو من عشرين ألفاً ؛ واسر اثنان ، فآخذ إلى مصر ومات بها .

٥ — وقد جاء العزيز إلى فلسطين مرة أخرى عندما ثار (مفرج بن الجراح) أسير بني طيء . وسائر العرب في فلسطين . خشي العزيز يومئذ عاقبة الامر ، فجهز الساكر لمحاربته . وأرسلهم بقيادة قائده التركي (بتكين) . فسار هذا إلى الرملة . واجتمع إليه العرب من قيس وغيرهم . ولقي ابن الجراح ، فهزمه .

٦ — وقد ثار (منجوتكين) أحد قواد الدولة الفاطمية على دولته ، فصا خليفة ، واستجد الروم . إلا أنهم لم يجدوه . فندب الخليفة الساكر من مصر لقتاله ، وكان هؤلاء بقيادة (أبي تميم بن جعفر) . فسار أبو تميم من مصر ، ورحل منجوتكين من الرملة ، والتقى الجيشان بمسقلان ، فانهزم جيش منجوتكين ، واحذ هو أسيراً إلى مصر .

٧ — وقد أمر الحاكم ، (باروخ تركي) للقب بلم الدولة على جيوشه ، ولقبه أمير الامراء ، وولاه الشام ، وسيره إليها . فحمل باروخ معه زوجته وهي ابنة الوزير يعقوب بن يوسف بن كلث ، وحمل معها اموالهما في قافلة مع التجار . فاعترضهم بالقرب من غزة (المفرج بن دغفل بن الجراح) وأولاده ، فأوقع بهم ، وحاز جميع ما كان معهم ، وأخذ باروخ أسيراً وقتله . وسار ابن الجراح إلى غزة ، فدخلها ، وأباح للعرب نهبا ، وأقام الدعوة لأبي الفتح الحسن بن جعفر الحسني أمير مكة يومئذ ، وأسماء أمير المؤمنين ، ولقبه الراشد لدين الله ، وضرب له السكة . وظل الشام تحت سيطرة ابن الجراح سنتين وخمسة شهور ، إلى أن سير الحاكم عليه عسكرياً (٤٤٠ هـ) بقيادة (علي بن فلاح) للقب قطب الدولة . واتفق أن مات ابن الجراح قبل أن تصل الساكر إليه ، فقتلت أولاده في البرية ، بعد أن تغلوا عن البلاد التي دانت لأبيهم .

٨ — لم تذكر غزة إلا عرضاً في عهد الفاطميين . ويظهر أن المصائب التي آلت بها بسبب الحروب الكثيرة قد افقدتها شطراً كبيراً من أهميتها السابقة . حتى كاد الحراب يخيم عليها ، فأصبحت قرية بسيطة من أعمال الرملة . وكانت هذه في زمن الفاطميين عاصمة فلسطين .

غزة في عهد الدولة السلجوقية -

الدولة السلجوقية ، دولة تركانية جاءت من الشرق ؛ لتقضي على الدولة الفاطمية العربية عندما دب في هذه الضعف ، ونزل بها الهرم . والسلجوقيون ينسبون إلى سلجوق من صفار امراء الترك في ارجاء بخارى . انهم أصل الترك الثانيين ، وهم ينقسمون إلى عدة فروع . وقد استولوا على العراق والجزيرة ، ثم على الشام والحجاز واليمن . واعتنقوا الدين الإسلامي ، وخدموا الخلفاء من بني العباس . وهم على جانب عظيم من الشجاعة والفروسية .

٢ — ازدادت شوكة السلجوقيين في عهد ملكهم (السلطان آلب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق) . فسار هذا بجيوشه إلى الشام . وافتتح الرملة والقدس . وملك ما يجاور ذلك ما عدا غزة وعسقلان . وفي هذه البلاد التي افتتحها كان يخطب باسم بني العباس .

٣ — ولما مات ورثه (ملكشاه بن آلب ارسلان) فغلب هذا على الشام (٤٦٥ هـ) . ثم سار إلى مصر ليفتحها (٤٦٩ هـ) ولكنه رجع خائباً .

٤ — يظهر أن اندحار ملكشاه هذا ، وفشله في فتح مصر أهاج الشام عليه . فخرجوا عليه ، وأعادوا خطبة صاحب مصر (الخليفة العلوي) في جميع الشام . فقتل بهم . وأغار على أهل القدس ، فنهب أموالهم ، وسبي نساءهم ، واستبد أحرارهم ، وقتل منهم ثلاثة آلاف انسان . ثم سار إلى الرملة ، فلم يجد فيها أحداً . ثم جاء إلى غزة ، فقتل كل من كان فيها ، ولم يدع بها عيناً تطرف .

٥ — لم ينقطع أمل الفاطميين من ملك الشام بعد أن قطعت خطبتهم من أهم مدنها . فبعثوا عام ٤٨٢ هـ جيشاً من مصر فتحوا به صور وصيدا وعكا وجبيل . وفي عام ٤٩٠ هـ قدم على الأفضل بمصر الرسل من عند غر الملوك (رضوان بن تنش) صاحب انطاكية يدون له الطاعة .

٦ — و بينا كان النزاع بينهم وبين الفاطميين قائماً — السلاجقة يميلون إلى الخلافة العباسية والفاطميون إلى الخلافة العلوية — جاء الصليبيون . فافتحوا بمجيئهم عهداً جديداً هو الذي سنذكره في الفصل التالي .

غزة في أيام الصليبيين



في عام ١٠٩٣ م زار بيت
القدس عدد من الزائرين بينهم
راهب فرنسي يدعى (بطرس
الناسك) . ولما رجع هذا الى
بلاده أخذ معه رسالة استغاثة
من البطريرك (سيمان) للبابا
(أربانوس الثاني). وراح يدعو
الناس لاقاذه المسيحيين في
الارض للقدسة من ربة
المبودية . وانتشرت الفكرة
بمساعي البابا الذي منح غفرانا
كاملا لمن يتطوع للخدمة في
تلك الحرب الدينية .

البابا أربانوس الثاني

الناية الظاهرة من هذه
الدعوة (تحرير المسيحيين من

ربة المبودية) والناية الحقيقية هي (اخضاع الكنائس الشرقية للكنيسة الغربية) (١)

٢ — جندت ممالك الغرب — ما عدا جرمانيا واسبانيا — اربعمائة ألف جندي
سنة ١٠٩٦ م ومشى هؤلاء إلى فلسطين ، ففتحوا في طريقهم (انطاكيا) ، وقتلوا
كل من لم يقبل النصرانية من أهلها . ثم ساروا إلى اورشليم فدخلوها عنوة ١٠٩٩
وقتلوا من أهلها المسلمين سبعين ألفاً . ولجأ كثيرون إلى الحرم الشريف ، فذبحوهم
فيه عن آخرهم ذبح الأثنام . وأخذ اليهود قسطنطين من هذه المجزرة التي دامت سبعة

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الاورثوذكسية ص ٧٠

أيام ، جمعوهم في كنيستهم ، وحرقوهم ، وامروا الذين بقوا احياء من العرب أن يجمعوا جثث موتاهم أكواباً ويحرقوها بالنار . وبعد ذلك قتلوا هؤلاء أيضاً . «وهي قسوة يترأ منها الدين المسيحي (١) الذي يدعون انهم انما جاءوا لنصرته ؛ فضلاً عن أنها جعلت روح العداوة والانتقام تتأصل في قلوب المسلمين ضد مسيحيي البلاد النصارى ، فسيبوا ضرراً عظيماً لهم لم يكن أخف وطأة من اضرار ملوك الروم . فلو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجمات ملوك الروم المتواترة ، وغزوات الصليبيين المتعددة ، وفظائع اولئك هؤلاء بمسلي البلاد ؛ لماشوا إلى جانب اخوانهم المسلمين (٢) عيشة راضية لا يتخللها نكد ولا كدر » .

٣ - وقد حلت الكنيسة اللاتينية محل الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين باستيلاء الأفرنج عليها ، فصبوا لهم بطاركة على اورشليم . وأما البطاركة الارثوذكسيون فكانوا في تلك المدة ينصبون في القسطنطينية ، ويعيشون فيها . لأن اولئك احتلوا وظائفهم واحتلوا دار البطريركية الارثوذكسية للمعروفة الآن (بالخانكة) . وأقام اللاتين لأنفسهم أساقفة في جميع المراكز الأسقفية . ولم يبق تحت سيادة البطاركة الارثوذكسيين سوى أسقفيات اللد والرملة وحبرون . وأما أسقفية غزة (٣) فتركت لليونان ؛ لأن الشطر الأكبر من مسيحيي غزة كانوا يونان وثنين فتنصروا . والظاهر انهم ظلوا زمناً طويلاً محافظين على لغتهم .

٤ - لقد كانت الصدمة الاولى عنيفة . وما كان الصليبيون لينالوا هذا النصر عندها لو كانت في البلاد حكومة قوية وشعب برزين متحد ، ولم يكن قد انقضى على الحكم السلجوقي في سوريا وفلسطين سوى عشر سنوات . ولم يكن السلجوقيون بقادرين على أن يتحدوا . إذ قد انقسمت مملكتهم بعد مقتل الوزير (نظام الملك) ١٠٩٢ م ، وكثر النزاع بين الرقباء الطامعين في العرش ، ونشبت في سوريا وفلسطين حروب أهلية واضطرابات داخلية أهانت الحرث والنسل . ولم تكن بقادرة على صد تيار الصليبيين . فتمكن هؤلاء عند أول حملة قاموا بها من

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧٠

(٢) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧٠

(٣) راجع الصفحة ٣٨٣ من تاريخ خريستوسوس .

الاستيلاء على قسم كبير من البلاد . ولم ينتبه المسلمون إلا عندما احتل الصليبيون بيت المقدس ١٠٩٩ م .

٥ — إن الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦ — ٩٩ م) لم تشمل جنوب فلسطين إلا قليلاً . وكانت أقصى نقطة توصل إليها الصليبيون في الجنوب هي (عسقلان) حيث طلبوا على المصريين ، فرجع هؤلاء إلى بلادهم . وأما غزة فقد بقيت وراء ساحة القتال في هذه المرة .

٦ — وعندما توطدت أقدام الصليبيين في البلاد عام ١١٠٠ م تهدموا نحو غزة ، فحملوا عليها بقيادة (جود فريد) ، وأعادوا فيها بناء القلعة على التل ، تلك القلعة التي وجدوها مهجورة ينمق فوقها يوم الحراب .

انهم لم يرجعوا لغزة أهميتها التجارية السابقة وقد كانوا يومئذ يسمونها Gadres بل جلوا عسقلان^(١) للركز الرئيسي للنصرانية في فلسطين . كما انهم لم يحتلوا بها من جهة عسكرية ، ولا جعلوها مركزاً حربيّاً رغم أنها كانت يومئذ مسورة ، بل رجعوا عليها من هذه الناحية الداروم^(٢) الواقعة في جنوبها ، وجعلوها عسكراً أمامياً لهم في اتجاه مصر .

٧ — وفي عام ١١١٨ م قام الصليبيون بفتح الشرق تحت قيادة بلدوين الثاني . ووصلوا حتى أقصى البلاد .

٨ — وفي ١١٣٦ م غلبوا على امرهم من قبل (زنكي) . وقد وحد هذا المسلمين وجمع قتلهم . وعند وفاته ترك لابنه نور الدين مملكة قوية في سوريا وما بين النهرين .

٩ — وفي الحملة الصليبية الثانية ١١٤٩ م جاء (بلدوين الثالث) وأخذ يعيد قسماً من سور غزة ، وانشأ حصناً فيها . واتهم من بناء هذا الحصن عام ١١٥٠ م والغاية منه مراقبة الحفر المصري في الجوار ، ووضع حد لتعدياته للتكررة على الأراضي التابعة لمملكة القدس وعلى طريق القوافل التجارية .

١٠ — وقد استأنف عمله أخوه (آلمارخ آموري) فأنم هذا إنشاء المدينة

(١) Meyer

(٢) دير البلح .

وتحصينها . ثم عهد بها إلى فرسان الهيكل ، وكانت نظام هؤلاء عسكرياً بحتاً . فبنوا فيها كنيسة القديس يوحنا (١) . وكانت غزة يومئذ آخر ملجأ للنصارى في جنوب الشاطئ البحرى بأشجاه مصر .

١١ — وقد زارها يومئذ السائح الإسلامى والبحاثه المعروف فى علم الجغرافيه الإدريسي عام ١١٥٤ م فقال عنها انها مدينة مقدسه ، وانها آهلة جداً بالسكان ، وانها بيد الروم (٢) . وعما قاله الإدريسي ان لها مرفأ يدعى Taïdā أو Tida .

١٢ — وفى آذار عام ١١٥٨ م (٣) تغلب المصريون بقيادة (ضرغام) على الافرنج فى غزة أو بالقرب منها .

١٣ — وفى عام ١١٦٥ م اعلن الجهاد على الصليبيين من قبل الخليفة العباسى فى بغداد ، فأمر شيركوه وصلاح الدين من قبل سيدهم نور الدين بالتوجه إلى مصر . ولما أخذ شاور الوزير الصرى هذا الخبر أبلغه إلى (آمورى) ، فأرسل هذا الجيش الصليبي إلى غزة ليرقب حركات السوريين وتقدمهم ، إذ كان الصليبيون قد عقدوا تحالفاً مع مصر .

١٤ — اقتتح صلاح الدين مصر ، ثم أخذ مهم سوريا ، فهاجم غزة فى شهر ديسمبر لعام ١١٧٠ م ، وهدم قسماً من المدينة وهدم الأحياء المجاورة لها ، ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على القلعة التى كانت يدافع عنها يومئذ (ميلون دى بلاوزى) تلك القلعة التى كان بلهون الثانى قد أعاد بنائها فى سنة ١١٤٩ م وكانت يومئذ محصنة للغاية .

١٥ — وفى عام ١١٧٣ م اغتم صلاح الدين فرصة الخلاف الناشب بين الصليبيين ؛ فأعلن سيادته على سوريا ايضاً ، وبهذا أصبح يهدد مملكة القدس النصارية . ويقول السائح ثيودوريك الذى زار غزة فى ذلك الحين : انها كانت تدعى يومئذ . Gazara

(١) يقول ماير انها للسعد الحالى (؟)

(٢) يقصد الصليبيين .

(٣) وعنى قول عام ١١٦٠ للميلاد .

١٦ — وفي كتاب أرسله جويرت القائد الأعلى لفرسان المستشفين الذين احتلوا نضياهم غزة وأخذوها من فرسان الهيكل ، إلى ميلاتوس الأسقف الارثوذكسي السوري في غزة عام ١١٧٣ م ، قيل عن غزة انها كانت بيد المسلمين وان الصليبيين كلما احتلوا مدينة استبدلوا الرهبان والقسس الارثوذكسيين برهبان لاتين ، وان عدداً كبيراً من أساقفة الروم كانوا يقومون بوظائفهم في غزة والقدس بصورة شكلية . وأما ميلاتوس فبعد أن اتفق مع فرسان المستشفين على أن يحتفظ بأسقفية غزة على مدى الحياة ، عاد هؤلاء فاستردوا موافقتهم .

١٧ — وفي عام ١١٨٧ م (٥٨٣ هـ) قهر صلاح الدين الصليبيين في حطين . وقد تتبع انتصاراته حتى احتل جميع فلسطين بما فيها القدس ، ففتحت غزة له ابوابها وكان عليها يومئذ ريكاردوس قلب الأسد .



١٨ — وقد قامت خلال الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩١ م) على أثر احتلال القدس هذا ، معارك عصبية بين المسلمين والصليبيين بقيادة فريدريك بارباروسا ، وفيليب اوغستوس اوف فرانس ، وريكاردوس قلب الأسد . وكان النصر الذي ناله النصارى في هذه المعارك ضئيلاً ، وهو السماح للحجاج بزيارة القدس وامتلاك شقة صيقة من الأراضي الساحلية .

١٩ — ولما كان قسم كبير من جيش صلاح الدين قد تحطم بعد احتلال عكا عام ١١٩١ م فلم يستطع هذا الدفاع عن المدن الساحلية ومن

ريكاردوس قلب الأسد يحتل غزة

جملتها غزة ، فاحتلها ريكاردوس ، قلب الأسد وعمرها ، ثم اعطاها إلى فرسان الهيكل

الذين تعهدوا بالمحافظة عليها . وقد قست المعاهدة التي امضيت بين ريكاردوس قلب الأسد وصلاح الدين (١١٩٣ م) بتحرير غزة من حصونها ووسائل الدفاع عنها . وقد نفذت شروط المعاهدة بخلافها . ويظن أن الأكرام الكبيرة التي تراها اليوم حول المدينة القديمة ليست إلا بقايا السور الذي بني في عهد الصليبيين .

٢٠ — وقد زار غزة في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر عدد كبير من الحجاج والسائحين ، منهم أبو الفداء فقال عنها أنها مدينة متوسطة الحجم ذات حدائق واسعة ، وقد ذكر اشجار النخيل والعنب ، وذكر الرمال الكثيرة بين المدينة والبحر ، وقال ان فيها قلعة حاكمة على المدينة .

٢١ — لم تتأثر غزة ، حتى ولا البلاد الفلسطينية كلها من الحملتين الصليبيتين اللتين ارسلنا بعد ذلك : — الرابعة (١٢٠١ — ١٢٠٤ م) ، والخامسة (١٢٢٨ — ١٢٢٩ م) . ولم تضاف هاتان الحملتان إلى مجد الصليبيين أو إلى قضية الصليب شيئاً يذكر .

٢٢ — وفي عام ١٢٣٩ م قام الصليبيون بحملة جديدة كان أشهر قوادها ثيوبالد ، وكونت أوف شباينا ، ونيباوت الأول ملك نافار ؛ وكان القصد من هذه الحملة اكتساب مركز لفرنسا في الشرق . فقامت معركة بين الصليبيين والمسلمين بجوار غزة (١) انكسر فيها الصليبيون وتشتت شملهم (١٣ نوفمبر ١٢٣٩ م) . غفروا عدداً كبيراً من جندهم ، وثلاثة من القوادهم : الكونت أوف بار ، والدوق أوف بورغندي ، وأموري دومونت فورت ؛ كما أسر منهم عدد كبير من الامراء والاعيان . وفي هذا الوقت كانت نجدة جديدة قد ارسلت إليهم . فوصلت هذه ولكن حين لا ينفع الوصول . . .

(١) هناك على باب ضريح النبي حانون بقرية بيت حانون من أعمال غزة بلاطة كت عليها الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد الله ... انشأ هذا المسجد المبارك الأمير الأجل الأسفلسار الكبير العارفي المجاهد المراهطشمس الدين سنقر المملوكي الكلاطي العادلي عند كسرة الافرنج خذلم الله تعالى بيت حانون يوم الأحد النصف من ربيع الآخر سنة ٦٣٧ هـ ونهه مسجداً للنصر وفقد من استشهد من أصحابه في الواقعة . »

٢٣ — وقد جاء بعدئذ الحوارزميون وهم من أصل تاتاري ، واستولوا على سوريا عام ١٢٤٠ م ، ثم احتلوا القدس . وقد كانوا من الشدة والبطش بدرحة عظيمة . حتى أن المصريين استعانوا بهم ليساعدوهم في حروبهم ضد السوريين ، فالتقى الجمعان في غزة : فرسان الهيكل وجيش النصور أمير حمص في جانب ، والصربون وحلفاؤهم الحوارزميون في الجانب الآخر . وجرت بينهما في اليوم السابع عشر من تشرين الأول عام ١٢٤٤ م معركة حامية الوطيس ، وكان ترتيب صفوفها كما يأتي : فرسان المستنق بقيادة والتر أوف بريان ، والكونت أوف جلا في اليسرة ؛ وفرسان الهيكل مع البطريرك والصليب القدس في المركز ؛ والسلفون بقيادة منصور في اليمين .



وبعد قتال شديد دام يومين غلب المسيحيون وحلفاؤهم على امرهم . فارتدوا على أعقابهم ، بعد أن خسروا ثلاثين ألف رجل قتيل وقد ذبح قائد كبير واسر آخر . ولم يلم في هذه المعركة من القتل سوى البطريرك ، وأمير صور ، وثلاثة من الامراء التوتونيين و ٢٦ من فرسان المستنق ، و ٣٣ من فرسان الهيكل . فاستولى للصربون على جميع فلسطين . وأما الحوارزميون فقد خسروا وادي الاردن وسهول عسقلان .

الملوك والامراء الصليبيون ينشأون

وقد اتفق بعدئذ ملك فرنسا لويس التاسع مع امراء الممالك على أن يطلق هؤلاء سراح الأسرى الذين اسروا في هذه المعركة . ولم تبق للصليبيين ومملكتهم اللاتينية قاعسة بعدها .

غزة

في عهد صلاح الدين (واحقاده)



هو الذي قضى على الفاطميين ، وعلم سلطانهم وغرقتهم في مصر ١١٧١ م
دخل صلاح الدين الأيوبي غزة مرتين : الأولى عندما تم له فتح مصر ، وشرع
يفكر في سوريا ؛ فثار إليها وهاجم غزة ، وقد كانت يومئذ بيد الصليبيين ، وكان
يدافع عنها (ميلون دوبلاويزي) . فأغار صلاح الدين على المدينة بشدة في ديسمبر
عام ١١٧٠ م (٥٦٦ هـ) ، وهدم قسما منها وحطم الأحياء المجاورة . إلا أنه لم يتمكن

من الاستيلاء على القلعة ، تلك القلعة التي كان بلدون الثاني (١١٤٩ م) قد أعاد بناءها ، وحصنها تحصيناً تاماً .

٢ — ولما انتصر صلاح الدين على الصليبيين في حطين عام ١١٨٧ م (٥٨٣ هـ) تابع انتصاره حتى احتل جميع فلسطين . وفتحت غزة له أبوابها وكان عليها يومئذ ريكاردوس قلب الأسد .

إلا أن هذا عاد فاحتلها عام ١١٩١ م (٥٨٧ هـ) ، إذ كان القسم الأكبر من جيش صلاح الدين قد تحطم بعد احتلال عكا ، فلم يستطع الدفاع عن المدن الساحلية . وقد قصت المعاهدة التي امضيت بين ريكاردوس قلب الأسد وبين صلاح الدين عام ١١٩٣ م (٥٨٩ هـ) بتجريد غزة من حصونها ووسائل الدفاع عنها . وقد نفذت شروط المعاهدة بمخافتها . ويظن أن الأكرام الكثيرة التي زارها اليوم حول المدينة القديمة ليست إلا بقايا السور الذي هدم في ذلك الحين . وقد تهادن صلاح الدين والفرنجة ، في البر والبحر ، هدنة عامة مدتها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام . ومات بعد ذلك بقليل .

٣ — خلف صلاح الدين سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة واحدة . فاقسم أولاده وأخوته ملكه (١) ، وقامت بينهم حروب وفتن . وفيما كان أبناء البيت الواحد يقتلون قامت الحملة الصليبية الخامسة . أنه وإن كان لا مجال لذكر الحروب والفتن التي قامت بين أولاد صلاح الدين وأخوته وأحفاده كلها هنا إلا أنه لا مناص لنا من ذكر بعضها (٢) لما له من صلة بتاريخ غزة فنقول :

٤ — حصلت فتنة بين الملك الأفضل بدمشق والملك العزيز بمصر . واستحكم النفور (١١٩٤ م — ٥٩٠ هـ) بينهما . فسار العزيز في عسكر مصر ، وحاصر أخاه الأفضل بدمشق عشرة أشهر قطع خلالها الماء عنه ثم اصطالحا .

(١) استقر أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين في دمشق . والملك العزيز حماد الدين عثمان بالديار المصرية . والملك الظاهر غياث الدين غازي في حلب . والملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين بجدة . والملك الأجد مجد الدين بهرام شاه يملك . وشيركوه بن مجد بمصر . والملك الظاهر خضر بن صلاح الدين بمصر . والملك العادل سيف الدين أبوبكر بن أيوب (أخو صلاح الدين) بالكرك والشوبك والبلاد المصرية .

(٢) لأجل التوضيح راجع (كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك) .

٥ — وقد صفا الزمان للملك العادل (١) فأصبح ملك الشام ومصر معاً ، وخضع له أولاد أخيه صلاح الدين (١٢ رجب ٦٣٥ هـ) ، إلا ابن عمه الناصر داود . فقد خرج هذا عن طاعته ، وسار من الكرك ، فاستولى على السواحل ، وعلى غزة (٦٣٥ هـ) وخطب لنفسه فيها . ثم تحالف مع الملك الصالح نجم الدين : على أن تكون ديار الشام والشرق له (أي للناصر) ، وديار مصر للصالح . ولما وصل الخبر إلى الملك العادل انزعج . فأمر بخروج الدهليز السلطاني والعاكر . وكتب إلى الصالح عماد الدين أن يخرج من دمشق بساكره ، فخرج . وخاف الملك الصالح والملك الناصر من لقاء عاكر مصر والشام عليهما . فرجعا من غزة إلى نابلس ومنها سارا إلى الكرك ليتحصنا فيها .

وكاد الملك العادل يتقلب على الاثنين معاً ، لو لا أنه وقع بفور شديد بينه وبين امرأته ، بسبب سوء تدبيره ؛ فتآمروا على خلعها ، وخلعوه .

فصفا للملك الناصر والملك الصالح الجو ، واقصما البلاد كما تحالفا . غير أنهما عادا فاختلعا . وحرث وقعة بين امرأ الملك الصالح أيوب المقيمين في غزة وبين الناصر ، كسر فيها أصحاب الملك الصالح . ولكنهما عادا فاصطلحا ، ورحل الناصر عن غزة .

٦ — وفي سنة ٦٣٩ هـ قدم الأمير ركن الدين الطون بنا الهيجاوي من القاهرة إلى دمشق . وكان للملك الصالح نجم الدين قد بعثه في شهر رمضان إلى الناصر داود ؛ ليصلح بينه وبين الملك الجواد ، حتى يبقى على طاعة الملك الصالح نجم الدين . فلما وصل إلى غزة هرب إلى دمشق ، وأخذ معه جماعة من العسكر ؛ ولحق الجواد بالفرنج ، وأقام عندهم .

٧ — ثم اصطلحت الحال بين السلطان للملك الصالح نجم الدين أيوب ، وبين المنصور صاحب حمص ، والناصر صاحب حلب ، وانفقت كلتهم . فبعث السلطان إلى الناصر صاحب حلب رسالة (٢) طلب فيها منه تسليم الصالح اسماعيل ، فلم يجب إلى تسليمه . وأخرج السلطان عسكراً كبيراً قدم عليه الأمير نجر الدين يوسف بن

(١) سيف الدين أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين . وقد اشترك معه في أكثر فتوحاته ، ولا سيما في حصار عسقلان وغزة .

(٢) إن الذي حمل تلك الرسالة هو بهاء الدين رهبر الكاتب الناصر المشهور .

شيخ الشيوخ وسيره لمحاربة الكرك . فسار إلى غزة ، وأوقع بالحوارزمية ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت ؛ وحكسهم ، وشتت شملهم ؛ وفر الناصر إلى الكرك .

وسار غفر الدين عن الصلت بعد احراقها ، واحتاط على سائر بلاد الناصر، وولى عليها النواب ؛ ثم نازل الكرك وخرب ما حولها ؛ واستولى على البلقاء ؛ وأضعف الناصر حتى سألته الأمان .

٨ — وعندما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وانفق امراء للماليك على إقامة (شجرة الدر) في مملكته بمصر ، قامت قيامة الشام ومن فيها . وقد كان فيها الأمير جمال الدين محمد بن ابراهيم بن عمر الاسمدي والامراء القيمرية ، فلم يستحسنوا الخبر . فاستولى للملك السعيد (١) حسن ابن عبد العزيز عثمان بن العادل أبي بكر أيوب على مال مدينة غزة ، وسار إلى قلعة (الصبية) فملكها . وثار الطوائف بدر الدين لؤلؤ الصوابي نائب الكرك والشوبك ، فأخرج الملك عمر بن العادل من الحبس ، وملكه الكرك والشوبك وأعمالها . وقام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب — بناءً على تشويق الامراء القيمرية في دمشق — فخرج من حلب في عساكره ، وفتح دمشق بغير قتال .

وقبض على عدة من الامراء الماليك التابعين لمصر ، وسجنهم . ثم سار إلى غزة . وفي غزة جرت بين الفريقين موقعة كان النصر فيها حليف الماليك الذين جاءوا من القاهرة بألفي فارس ، وكان عقيدهم الأمير فارس الدين اقطاي الجندار (٦٤٨ هـ) .

٩ — ولكنه لم يعض على ذلك وقت طويل حتى قام الملك الناصر صاحب دمشق يتأهب لأخذ مصر . وخرج من دمشق بعسكره ، ومعه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن العادل أبي بكر بن أيوب ، والملك الأشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن شيركوه ، والملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين الكبير ، وأخوه نصره الدين ، والملك الظاهر شادي بن الناصر داود ، وأخوه الملك الأجدد حسن ، والملك الأجدد تقي الدين عباس بن العادل ، وعدة ملوك .

(١) كان الملك السعيد هذا قد هرب إلى غزة ، على اثر قتل السلطان الملك المعظم تورانشاه بن الصالح نجم الدين أيوب .

ولما وصل هؤلاء إلى غزة اضطربت الدولة ، وقامت قيامة الامراء والماليك الموجودين في مصر ، وأخذوا يتهيئون للحرب .

وكان على رأس الماليك القدين جاءوا من مصر نللك للمز اييك ، والأمر حاسم الدين ابو علي ، والأمر فارس الدين اقطاي الجمدار ، وعدد كبير من العكر الترك . فكان النصر في هذه اللوقعة باديء ذي بدء حليف الشاميين ، ثم صار للمصريين . وتمزق أهل الشام كل تمزق .

١٠ — وفي ١٧ من ذي الحجة ٦٤٨ هـ سار الأمر فارس الدين اقطاي الجمدار من القاهرة في ٣٠٠٠ إلى غزة ، واستولى عليها .

١١ — وفي سنة ٦٤٩ هـ سير الملك الناصر عسكراً من دمشق إلى غزة ليقوموا بها ، فأقاموا على (تل الصبول) . فخرج للمز اييك ، ومعه الأشرف موسى والفراس اقطاي وسائر البحرية ، ونزل بالصالحية . فأقام العكر المصري بأرض الساع قريباً من العباسية ، والعسكر الشامي قريباً من غزة سنتين ، وترددت بينهما الرسل .

١٢ — وفي سنة ٦٥٠ هـ قدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبدالله بن محمد بن الحسن بن أبي سعد البادراني رسولا من الخليفة للإصلاح بين الملك للمز اييك والملك الناصر . فأراد الناصر أن تقام له الخطبة بديار مصر ، فلم يررض الملك للمز ؛ وزاد بأن طلب أن يكون بيده — مع مصر — من غزة إلى عقبة فيق .

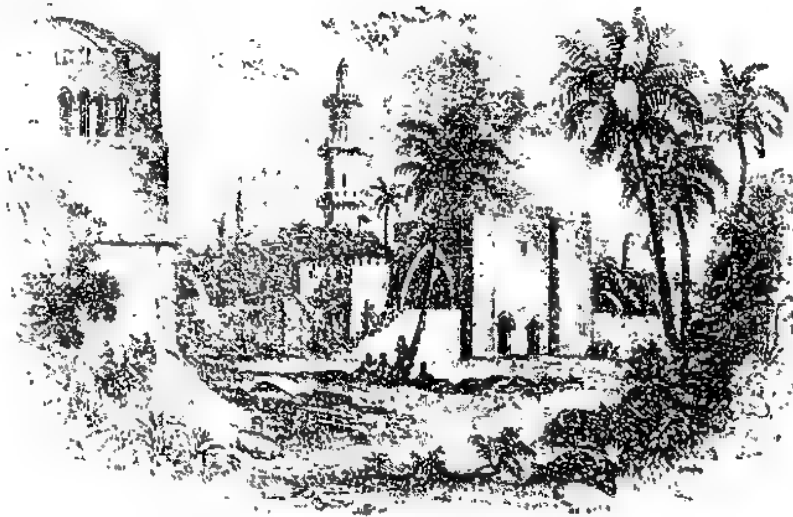
١٣ — وفي نفس السنة (٦٥٠ هـ) وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سيراخاه هولاً كولاخذ العراق ، وانه فتح فيما كبراً من تلك البلاد ، وان التتر قتلوا الشيوخ والمجاثر ، وساقوا النساء والصبيان .

ف عزل لللك المز عندئذ الملك الأشرف موسى ، وانفرد بالسلطنة ، واستولى على الحزائن ، وفرض الضرائب . ثم رتب لملوكه الأمر سيف الدين قطز نائباً للسلطنة في مصر ، وأخذ يتأهب لمقاتلة الملك الناصر .

وانتهت السنة والملك المز مع عساكره بالساع ، وعسكر الشام بغزة ، والملك الناصر مقيم بدمشق ، والملك الميث عمر بالكرك .

١٤ — وفي سنة ٦٥١ هـ تقرر الصلح بين الملك المز اييك صاحب مصر ، وبين الملك الناصر صاحب دمشق بفسارة الأمر نجم الدين البادراني : على أن يكون للمصريين إلى الاردن ، وللناصر ما وراء ذلك ؛ وان يدخل فيما للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله .

غزة في عهد المماليك



غزة في عهد المماليك

كانت هناك جارية تركية ، وطى قول أرمنية ، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم تزوجها . إسمها عصمة الدين ، وتلقب بام خليل أو (شجرة الدر) . وكانت هذه تتمتع بمسكنة ممتازة في قصر الملك الصالح . غير انها ما كانت لتعلم انها ستصبح الأميرة الناهية في مصر ، إلى أن قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب . فقد اجتمع امراء للمماليك على أثر ذلك الحادث واتفقوا على اقامتها في مملكة مصر . فأصبحت سيدة البلاد . وأقاموا الأمير (عز الدين ايبك) التركاني على رأس جيشها .

٢ — عندما وصلت هذه الأخبار (أي قتل الملك المعظم وإقامة شجرة الدر) إلى دمشق ، وكان فيها الأمير جمال الدين محمد بن ابراهيم من عمر الأسعدي وفريق من الامراء القيمرية ، لم يستحسنوها . بل نار نارهم ، وأخذوا يعملون على إجباط

مساعيها ، واستكر الخليفة المستعصم بالله من بغداد هذا الخبر .

٣ — ثم جاءت أبناء أخرى تقول أن شجرة الدر قد تزوجت الأمير من الدين إيبك ، وأنها خلعت نفسها ونزلت له عن الملك ، فأصبح ملكاً باسم :
« الملك العزيز الدين إيبك الجاشنكير التركاني »

٤ — أسس إيبك (١) المائلة للمملوكية الأولى (١٢٥٠ م) ، فعرف بلقب العزيز ؛ واختلف مع الملك الناصر في دمشق ، وكان الخلاف يحوم حول سوريا . فأخذ الفريقان : (عماليك مصر وعماليك الشام) يستعدان للقتال . وفي أغسطس (١٢٥٠ م) حاصر الناصر (غزة) . فأرسل إيبك جناله (اقطاي) لينفذ المدينة . فنجح بهذا ، وتمكن من ارجاع (غزة) وجميع شواطئ فلسطين إلى سيده العزيز (١٢٥٠ م — ١٢٤٨ هـ)

٥ — ثم أن ابن الناصر صلاح الدين يوسف حاول أن يملك مصر ، فتمكن من احتلال الساحل حتى غزة . ولكنه هنا (أي في غزة) التقى بجيوش إيبك التي يقودها اقطاي ؛ فارغم على مغادرة غزة ، وغادرها مدحوراً .

٦ — وكاد الخلاف يدوم لو لا أن الخليفة تدخل في الامر ، وأصلح بين المتحاربين ، لافتاً نظرها إلى الخطر الذي كان يدنو منهما شيئاً فشيئاً : ألا وهو خطر النغوليين الذين سيطروا على الخليفة في بغداد (١٢٥٣ — ٥٨ م) ، وأخذوا يهددون سوريا بقسميها الشمالي والجنوبي . فاستجابا طلبه ، وعقدا صلحاً في نيسان ١٢٥٣ م على أن يحتفظ كل منهما بما لديه .

٧ — وفي ٢٤ ذي القعدة سنة ٨٦٥٧ جلس على سرير الملك الملك المظفر سيف الدين قطز ، وهو ثالث ملوك الترك بمصر . وفي زمنه سار هولاكو من بغداد وأخذ حلب بعد أن حاصرها سبعة أيام . فاضطرب الملك الناصر بدمشق ، وكتب إلى الملك للنيت صاحب الكرك ، وإلى الملك المظفر قطز يستجدهما لنصرته .

فركب الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وسار إلى غزة ، وكان بها الأمير نور الدين بدلان كبير الشهرزورية ، فتلقاها ، وانزله ؛ كما أن الناصر نفسه سار إلى

غزة (٦٥٨ هـ) دون أن يهيء وسائل الدفاع عن دمشق . وبالرغم من أنه اجتمع حول الناصر ما يقرب من مئة ألف رجل بين عرب وعجم إلا أن النصر كان حليف التتر . فدخل هولاءكو دمشق ظافراً ، وأغارت جيوشه على بر الشام كله ، وظلوا عمنون فيه نهياً وسلباً إلى أن وصلوا إلى اطراف بلاد غزة .

٨ — وفي سنة ٦٥٨ هـ سافر رسل هولاءكو إلى مصر ، ناقلين إلى الملك المظفر نبأ اعتزام هولاءكو فتح مصر . فجمع قطز الامراء ، واستشارهم ؛ ثم قطع رؤوس رسل هولاءكو .

ثم أمر الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري بالتقدم . فإر هذا إلى غزة وامتلكها من التتر . ثم تبعه لللك وأقام بها يوماً . ثم رحل الإثنين معاً في إثر التتر إلى أن التقيا بهم عند (عين حلوت) . فقامت بين الفريقين معركة كان النصر فيها حليف للمالرك . وأبلى الأمير بيبرس بلاءاً حسناً بين يدي السلطان .

٩ — ثم انكسر التتر كسرة ثانية عند بيسان ، وانهزموا إلى دمشق . ثم تخلوا عنها أيضاً ، فاحتلها الملك المظفر ، وخلا له الجو ، واستولى على سائر بلاد الشام من الفرات إلى مصر .

عندئذ أقطع الامراء السالكية والعزية وأصحابه اقطاعات الشام فأناب عنه :

الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق

والملك المظفر علاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ في حلب

والملك النصور في حماة وبارين والمرة

والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب في السلية .

والأمير شمس الدين اقوش البرلي^(١) العزيزي أميراً بالساحل وغزة .

وكان هذا قد فارق الناصر يوسف ، وسار إلى القاهرة ، فأكرمه السلطان ،

وخرج معه فشهد وقعة عين جالوت .

(١) جاء في كتاب السلوك لمرفة دول الملوك ، الجزء الأول الصفحة ٤٣٣ ، أن لقطة البرلي هذه معرفة من الكلمة التركية برنولو ومعناها ذو الألف الكبير . راجع أيضاً كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأن القاء (ص ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨) . والاسم شمس الدين هذا هو جد آل البورنو من الاسر المروقة مغرة .

١٠ — ولما قتل قطز سار الامراء الذين قتلوه إلى الاهليز السلطاني ، وأقاموا على العرش بدلا منه الأمير ركن الدين بيبرس (١) ١٩ ذي القعدة ٦٥٨ هـ . ولقب بالملك الظاهر . وأبطل جميع الضرائب التي أحدثها قطز من قبله .

هبط الملك الظاهر بيبرس غزوة مراراً عديدة . تارة في حرب وطوراً في قصص . فقد حدثنا التاريخ انه سار في ١١ ربيع الآخر ٦٦١ هـ من مصر إلى بر الشام بقصد الصيد . وظل يتصيد حتى دخل غزوة ، وقد نال فيها وفي العرش صيداً كثيراً .

وقدم عليه وهو في غزوة (٢) جماعة منهم ام الملك المنيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل بن بكر بن أيوب صاحب الكرك ، فأنعم عليها انعاماً كثيراً ، وعلى سائر من كان معها . فاضدت إلى ابنها بالكرك . ونظر السلطان في أمر التركان ، وخلع على امرأته ، وعلى امراء الديار من العابد وجرم وثعلبة ، وضمنهم البلاد ، والأزمهم القيام بالعداد (٣) وشرط عليهم خدمة البريد ، واحضار الخيل برصه . وكتب إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار ، وإلى حرب خفاجة يستحثهم على قتال هولاكو ملك التتر . ثم رحل السلطان من غزوة ، ورجع إلى مصر عن طريق الساحل .

وفي سنة ٦٦٣ هـ ورد الخبر إلى الملك الظاهر بأن التتر زلوا على البيرة . فأرسل من فوره الأمير بدر الدين الخازندار إلى الشام . فأناه منها بأربعة آلاف فارس . وركب هو ومعه ٤٠٠٠ آخرون للملاقاة التتر . وكان معه يومئذ من الامراء مقدم الجيش الأمير عز الدين إيفان المعروف بسم اللوت ، والأمير غفر الدين الحمصي ، والأمير بدر الدين بيبيك الايدمري ، والأمير علاء الدين كشتندي الشامي وغيرهم . وجاء مع الأمير جمال الدين الحمدي والأمير جمال الدين ايدغدني الخاجي أربعة آلاف فارس آخرون .

هبط السلطان غزوة في العشرين من ربيع الآخر من تلك السنة . ثم رحل عنها للملاقاة التتر . وفيما كانت بيني جاءه الخبر بانهم زام التتر في البيرة . فسر لذلك سروراً

(١) انه تركي الأصل . اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وترقى في خدمة الدولة . واشترك مع الملك المنصور قطز في قتال التتر ، إلى أن أصبح ملكاً . ويقال انه هو الذي قتل قطز .

(٢) راجع الجزء الأول ص ٤٨١ من كتاب السلوك لمرفة دول الملوك .

(٣) زكاة مفروضة للسلطان سنوياً على قطمان القبائل العربية والتر كجانية .

كبيراً . وفي اليوم الثالث من شعبان لسنة ٦٦٤ هـ هبط غزة مرة أخرى وسار منها إلى الخليل ، ثم إلى القدس ، فمكا . وقاتل الفرنج في كثير من أنحاء فلسطين وتلب عليهم .

وفي سنة ٦٦٥ هـ استدعى السلطان امراء غزة وأحسن إليهم . ثم سار في محفة على اعناق الامراء والخواص إليها . فقاتل الفرنج الذين أغاروا يومئذ على طبرية . وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفي ١٧ جمادى الآخرة لسنة ٦٦٥ هـ توجه السلطان مع جماعة من امرائه إلى الشام . فهبط غزة . وقدم عليه وهو فيها زسل الفرنج ومعهم الهدايا وعدة من أسرى المسلمين . فكسا الأسرى وأطلقهم ثم رحل إلى صفد . ولكن الفرنج خاتوه . فسار إلى عكا ، ووضع السيف فيهم ؛ فطلبوا الصلح ، ولكنه لم يجبه لهم . ثم عاد فمقد معهم هدنة لثلاث سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات .

وفي ١٢ جمادى الآخرة لسنة ٦٦٦ هـ هبط غزة مرة أخرى . فأنهم على جندها وامرائها . ثم سار إلى الشام .

وفي سنة ٦٦٨ هـ بلغ السلطان حركة التتر ، وانهم اتفقوا مع فرنج الساحل ، فأغاروا على الساجور بالقرب من حلب ؛ فحرد عليهم جيشاً بقيادة الأمير علاء الدين البندقدار ، وسار هو من قلعة الجبل في ليلة الإثنين ١١ من ربيع الأول ومعه نفر يسير . فوصل إلى غزة . وبعد أن قضى فيها يوماً أو بعض يوم سار إلى دمشق فدخلها . ولما بلغ التتر حركة السلطان انهزموا .

مات الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ (يوم الخميس ١٧ محرم) بعد أن ملك مصر والشام سبع عشر سنة . كانت عدة عسكره اثني عشر ألفاً : ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب . وكان كثير السفر خفيف الحركة حتى قال فيه سيف الدولة للمهندار من أبيات يمدحه فيها :

يوماً بمصر ويوماً بالحجاز وبأا شام يوماً ويوماً في قرى حلب
تدبر الملك من مصر إلى يمن إلى العراق وأرض الروم والنوبي

وتزوج بيبرس من النساء — وهو يولد غزة قبل أن يلي الملك — امرأة من الشهرزورية ، ثم طلقها بالقاهرة . وقد اهتم بمساجد غزة وحوامها اهتماماً كبيراً . ويقال انه كان في غزة على عهده مكتبة قيمة احتوت على عشرين ألف كتاب .

١١ — وبعد وفاة بيبرس تولى السلطنة ابنه ستين .

١٢ — ثم تولاه (١٢٧٩ م) الملك النصور سيف الدين قلاوون الثاني وأصله من ممالك آق سنقر الكامي . وقد سار هذا بجيشه في ١٩ حزيران عام ١٢٨٠ م لمحاربة المغوليين ، وخيم في غزة خمسين يوماً . كانت غزة في ذلك العهد قرية من أعمال الرملة . جعلها الملك قلاوون حكومة مستقلة (١٢٩٣ — ١٣٤٠ م) . وأقام فيها نائباً ينوب عنه في الحكم . وكان نائبها هذا يلقب بملك الامراء . وقد حفر اسمه (قلاوون) على بلاطة وضعها على الباب القبلي للجامع الكبير (١) في غزة .

١٣ — ولقد هبط الملك قلاوون غزة مراراً : تارة بقصد الزيارة وطوراً لتسكين الفتن . ففي عام ٦٨٧ هـ كان نائب دمشق الأمير سنقر الأشقر قد رفع راية العصيان ، ودعا الناس إلى طاعته ، ولقب نفسه بالملك الكامل . وخطب باسمه في دمشق . فأرسل إليه السلطان يقبح عمله . كما نصح إليه امراء مصر بأن يترك الفتنة . إلا انه لم يذعن . عندئذ سار السلطان لمحاربه . ونزل غزة . فانهزم سنقر إلى الرملة . وانهزم معه الامراء الذين حالقوه . فتبعهم السلطان وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمي ، والأمير بدر الدين بيليك الحلبي ، وبهاء الدين بك الناصري ، وناصر الدين باشقرد الناصري ، وعلم الدين سنجر التكريتي ، وسنجر البدري ، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون . وغنم منهم مالا وخيولاً ومهمات كثيرة . عندئذ بعث سنقر الأشقر إلى امراء غزة يسترضيهم ويهدم ويستميلهم . فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن صبحي أمير العربات بالبلاد القبلية ، والأمير شرف الدين عيسى بن منها أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية . وأتته النجدات من حلب وحماة وبعلبك . . .

فجرد السلطان من القاهرة أربعة آلاف فارس بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش النخري أمير السلاح ، والأمير بدر الدين الأيدمري ، والأمير حسام اتيمش بن اطلس خان . فساروا كلهم إلى غزة ، حيث اجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم ، فسار الجميع بقيادة علم الدين سنجر الحلبي للملاقاة عسكرياً سنقر الأشقر في الرملة . فرحل هؤلاء إلى دمشق ؟ فتبعهم علم الدين ؟ وعندما تلاقى الجمعان بالقرب من دمشق كان النصر حليف عسكر السلطان . وانهزم الأشقر .

(١) راجع ما كُتِبَ عن هذا الجامع في الفصل الذي خصصناه لجامع غزة ومساجدها .

وفي ٦٧٩ هـ توجه السلطان الملك المنصور قلاوون من مصر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتر . فصار إلى غزة ، وفيها وافاه من كان في البلاد الشامية من عسكر مصر . وقدم عليه ايضاً طائفة من امراء سنقر فأكرمهم . ومكث في غزة حتى اليوم العاشر من شهر شعبان . وفي هذه الاثناء (١) جاءته الأخبار قائلة ان التتر رجعوا إلى بلادهم . فرجع إلى القاهرة .

ثم جاءت الأخبار برجوع التتر إلى حلب . فخرج السلطان إليهم ثانياً . وجد في السير ، فتلاقى معهم عند (الرج الأصفر) ٦٨٠ هـ فكان النصر حليفه . وفي سنة ٦٨٠ هـ ناز العشير (٢) ، ونهبوا مدينة غزة ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وغتوا في الأرض فساداً . فأرسل السلطان لمقاتلتهم جيشاً من الشام بقيادة الأمير علاء الدين ايدكين الفخري ، وآخر من القاهرة بقيادة الأمير شمس الدين سنقر البدوي ، وأدبهم .

وفي شهر رجب من سنة ٦٨٠ هـ ناز العشير مرة أخرى ، ونهبوا نابلس ، وقتلوا عدداً كبيراً من سكانها . فركب الأمير علاء الدين ايدكين الفخري من غزة ، وقبض على جماعة منهم ، وشق اثنين وثلاثين من أكابرهم ، وسجن كثيراً منهم بصغد . ثم أقام الأمير علاء الدين ايدعدي الصرخدي نائباً على البلاد الغربية والساحلية لردع العشران . وقد أمر السلطان قلاوون ايضاً بأن يكون الأمير علم الدين سنجر الهواداري شاداً ومديراً من غزة إلى الفرات .

وقد مر السلطان قلاوون بغزة بعد ذلك مرتين : مرة في طريقه من الشام إلى مصر ، وذلك في يوم الخميس الموافق ١٣ شعبان ٦٨٠ هـ ؛ وأخرى في النصف من جمادى الاولى في طريقه من مصر إلى بلاد الشام .

وفي يوم الخميس ، الخامس من شهر ربيع الأول من سنة ٦٨٢ هـ (٣ يوليو ١٢٨٣ م) جرت الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الحكام الفرنج بمكا ، ومدتها عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة أيام وعشر ساعات : على أن يكون للسلطان الملك المنصور وولده جميع البلاد التي في تملكهما ونعت حكمهما

(١) تاريخ مصر لابن اياس .

(٢) إسم يطلق على البدو .

وطاعتها وهي : مملكة الديار المصرية ، و**البلاد الحجازية** ، و**مصر غزنة** **المحروس** وما معها من **الوادي** ، و**البلاد** ؛ و**المملكة الكركية** و**الشوبكية** و**الصلت** و**بصرى** ؛ و**مملكة بلاد الجليل** ؛ و**مملكة القدس الشريف** ، و**عقلان** و**أعمالها** و**موانها** و**سواحلها** ؛ و**مملكة يافا** و**الرملة** و**قيصرية** و**بيت جبريل** ؛ و**مملكة نابلس** و**أعمالها** ؛ و**مملكة الاطرون** و**أعمالها** ؛ و**ارسوف** و**قاقون** ، ولد ، و**المعجاء** ، وما معها من **الملاحه** ، و**بيسان** ، و**الطور** ، و**اللجون** و**أعمالها** ، و**جنين** ، و**وعين جالوت** ، و**المملكة الصفدية** ؛ و**النصف لمملكة عكا** ، و**المملكة الدمشقية** ، و**مملكة حمص** ، و**مملكة حماة** ، و**المملكة الحلبية** . وأما **القسم الباقي من البلاد** فاما أن يكون قد ترك للفرنج كله ، أو قاسمه **الفرنج مع السلطان** .

وفي سنة ٦٨٤ هـ نقل **السلطان قلاوون عز الدين ايك** **الموصلي** من **نيابة الكرك** إلى **نيابة غزة** . وجعله في مقدمة **العسكر** **بخزة** و**السواحل** . وقد أصدر **مرسوماً** **سلطانياً** ألا يستخدم أحد من أهل **الذمة** — **اليهود والنصارى** — في شيء من **الباشرات** **الديوانية** ، فصرفوا عنها .

وفي سنة ٦٨٥ هـ خرج **السلطان** من **قلعة الجبل** **بمصر** ، سائراً إلى **الشام** . فأقام **بتل المجول** **ظاهر غزة** .

وفي يوم **الاربعاء** **الموافق** ١٧ من شهر **رجب** سنة ٦٩٢ هـ ركب **السلطان** في **خوابه** ، ف**هبط** **غزة** . وسافر منها إلى **مصر** .

١٤ — كان **حسام الدين لاجين** **النصوري** المعروف **بالصغير** من **ممالك** **الملك المنصور علي بن الملك المعز ايك** . فلما **خلع** ، **اشتراه** **الأمير سيف الدين قلاوون** ، وترقى في **خدمته** . ثم أمره **قلاوون** ، و**استأنبه** **بدمشق** **لما ملك** . ولما صار **زين الدين** **كتبها** **سلطاناً** **أستقر** **لاجين** في **نيابة السلطنة** **بديار مصر** . و**التف** **حواله** **الامراء** ، و**اجتمعوا** في **يازور** ، و**اتفقوا** على **سلطته** ، و**تلقب** **بالملك المنصور** . وفي **صبيحة** **اليوم** **التالي** (**الأربعاء** ١٨ **محرم** ٦٩٦ هـ) **رحل** إلى **سكبر** ، ومنها إلى **غزة** **بريد** **الديار المصرية** . فلما **دخل** **غزة** **خطب** له فيها وفي باقي **البلدان** .

هذا وقد ركب **البريد** من **غزة** ، وساق **الأمير سيف الدين سلاور** **البريد** إلى **قلعة** **الحبل** **ليحلف** من بها من **الامراء** . و**رسم** **السلطان لاجين** في **غزة** **بمساعدة** **أهل**

مصر والشام بالبواقي . ثم سار منها في يوم الخميس أول صفر . ونزل بظاهر بلبيس .
وقد خرج إليه امراء مصر وحلفوا له . وتسلم عرش السلطنة .

ويظهر أن السلطان لاجئ أيضاً كان كثير الاهتمام بمساجد غزة وجوامعها .
وإنك ترى على أحد شبايك الإيوان القبلي للجامع الكبير كلمات (١) تدل على ذلك .

١٥ — وفي سنة ٦٩٧ هـ بلغ الأمير سيف الدين جاغان شاد السواوين بدمشق
أن للأمير عز الدين الجناحي نائب غزة ، ودية عند رجل ؟ فاستدعاه بعد موت
الجناحي وطلبه ، فقال : (قد أخذ الودية قبل موته) . فلما أراد عقوبته حضر إليه
عز الدين الاعزازي أحد تجار دمشق ، وقال : (ان هذه الودية أخذها الجناحي
من هذا الرجل ، وجعلها تحت يدي) . وأحضر صندوقاً . فوجد الأمير جاغان فيه
إثنين وثلاثين ألف دينار وأربعة وثلاثين ديناراً عتيقاً . ووجد فيه حلى قيمتها
خمسون ألف دينار .

١٦ — وفي سنة ٦٩٩ هـ توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بساكر
مصر إلى الشام ، وكان امراؤه كثيرون التحاسد والتنافس في تلك الأيام . فلما وصلوا (٢)
غزة ، أقبلوا على الصيد والاجتماع والتنزه . فلما رحل السلطان بمسكره من غزة وتل
المعجول ، ركب الامراء للخدمة على العادة . وفي الطريق هم برضاى أحد المماليك
السلطانية على الأمير بيبرس ، وأراد قتله . إلا أنه لم يخلع . بل قتل هو . فساد
المخرج بين الجند . وساد الاعتقاد أن للؤامرة مدبرة من السلطان . فرجع الامراء
إلى الخيم . ولكن السلطان حلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر . وقد شق في
القد نحو الحسين من التآمرين . وطلب الأمير قتلو برس ، فلم يوجد . وكان قد
فر إلى غزة ، واختبأ بها . فبغت ألقاه كلها . ثم رحل السلطان بعد عشرة أيام إلى
قزتيه . ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو . وبحثوا القصاد للكشف
عن ذلك . وفيما كانوا هناك سالت الأودية . ثم عقب هذا السيل جراد كثير بحيث
حجب السماء عن الأبصار . وبعد بضعة أيام وقع الرحيل إلى دمشق .
وعندما اهلت سنة ٧٠٠ هـ ورد الخبر بحركة غازان قائد التتر إلى بلاد الشام .

(١) راجع ما كُتبت به عن جوامع غزة ومساجدها في مكان آخر من هذا الكتاب .

(٢) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

فاستدعى السلطان امراءه ، وأمرهم بجمع الأموال من الناس . وأثرم أرباب القنارات والأغنياء بحال تقرر على كل منهم . ففزل بالناس ضرر عظيم . وكذلك وقع في الشام . وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم ومن القرويين قسماً من غلاتهم . وقد هرب عدد كبير من التركان والأكراد الذين استخدمهم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما علموا بعبور التتر القنارات . فخرج السلطان من القلعة بمصر في يوم السبت ١٣ صفر ، وتبعه الامراء والمساكر . فسار الجميع إلى غزة ، وأقاموا بها يومين . فورد الخبر بمسير غازان بعد عبوره القنات نحو انطاكية . فحفل الناس بين يديه ، وخلت حلب . ثم أمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة ، فرحلوا إلى العوجاء . وأصاب المسكر مطر شديد ، واشتد القلاء ، وأضعف البرد الدواب والفلان ، وبلغ ثمن الحمل من التبن أربعين درهماً ، والعليقة الشعير ثلاثة دراهم ، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم ، واللحم كل رطل بثلاثة دراهم . ووقع الراحلون في الأوحال العظيمة .

ولكن بالرغم من هذه الضائقات كان النصر في المعارك التي وقعت وقتئذ بين الفريقين حليف السلطان وعساكره ، وانهمز التتر . وسرحت الطيور بالنصر إلى غزة . وأمر نائب غزة جندها بمنع النهزيين من عساكر السلطان من التوجه إلى مصر . فتبعهم نائب غزة ، وتبع من نهب الخزانة السلطانية فأخذها منهم واحتفظ بها . وأدركت عربان البلاد التتر وأخذوا في كيدهم . فدخل السلطان دمشق ظافراً . وفي سنة ٧٠٢ هـ عاد التتر للتحرش بالبلاد السورية . فاستشار الملك الناصر محمد بن قلاوون الأميرين سالار النائب والأتابك بيبرس الجاشنكير فودى بالنفير العام . وخرج السلطان مع عسكره . ومعه الخليفة المستكن بالله أبو الربيع سليمان ، وسائر الامراء . فالتقى مع التتر في (مرج راحط) . وكان على رأسهم (جاليش غازان) أحد أحفاد هولاكو . وكان مع الملك الناصر ما يقرب من ٢٠٠٠٠٠٠ انسان من المساكر المصرية والشامية وعربان غزة وجبل نابلس . فكان النصر حليف الملك الناصر . وقتل من المماليك والامراء نحو ١٥٠٠ مملوك عدا العربان والمشاة والبيد والتملان .

١٧ — ولقد نبغ من المماليك يومئذ رجل يدعى الجاولي . ولما كان لهذا الرجل شأن كبير في غزة ، فقد آثرنا أن نقبس من تاريخ حياته (١) الأسطر التالية :

إنه الأمير الكبير علم الدين أبو سعيد سنجر بن عبدالله الجاولي . ولد سنة ٦٥٣ هـ بآمد . ثم صار لأمير من الظاهرية يسمى جاولي . وانتقل بعد موته إلى بيت المنصور . ثم صار من القريين إلى الأمير سالار . ويظهر أن الجاولي كان من الذكاء في درجة ظهر له معها في القاهرة حساد كثيرون ، ومن هؤلاء الحساد كاتب الأمير بيبرس (التاج بن سعيد الدولة) . فقد ظل هذا يوغر صدر الأمير بيبرس على الجاولي حتى انقلب حبه إلى بغض . ولم يقف البغض عند هذا الحد . فقد تعداه إلى ما هو أدهى وأمر . إذ التجأ الجاولي إلى الأمير سالار . وكان هذا شديد المحبة له منذ القديم . فكان بين الأميرين بيبرس وسالار عتاب ، وكان جفاء . ولم يجد نصيح سالار نفعاً . إذ كان بيبرس يعتقد أن الجاولي ينهب أموال الناس ، ولو لا ذلك ما قام بما قام به من المبرات التي لا تحصى . ولذلك ظل يحط من كرامة الجاولي ، ويؤذيه بالشم والتهديد . واشتدت الأزمة بين بيبرس وسالار من أجل الجاولي حتى أخذ الناس يتوقعون حدوث فتنة لا قبل للبلاد بها . إلى أن توسط العقلاء فتم الإفراق بينهما على أن : « يرفع الترسيم عن الجاولي بشرط أن يخرج إلى الشام بطلا . » فسافر هذا من يومه بعد ما قطع خبره عنه . ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بامرة طبلخاناة (٧٠٦ هـ) . وفي زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون ولي نظارة الحرمين الشريفين ، ونيابة القدس الشريف . وقد انشأ وهو في القدس مدرسة . ثم تولى نيابة الخليل ، وانشأ وهو في الخليل للسجد المعروف بالجاولية بالقرب من مسجد الخليل . ثم تولى نيابة غزة (١) (٧١١ هـ) ، فقال من الشهرة والنفوذ حداً لم يصله أحد من قبله بمن تولى نيابة غزة . حتى أنه هاجم وهو قائم عليها قلعة (سليم) (٢) . وكان معه عشرة آلاف فارس . وحاصرها مدة عشرين يوماً إلى أن أخذها سنة ٧١٧ هـ وقتل من أهلها ستين رجلاً ، وغنم العسكر منها شيئاً كثيراً . وقد رتب الجاولي بها رجلاً ، ثم عاد إلى غزة .

(١) أي أنه صار خلفاً لتاج غزة الأمير قطلوقتمش الذي قبض عليه يومئذ (٧١١ هـ) ، وكان الأمير قطلوقتمش قد تسلم النيابة من سلفه الأمير بكتمر الحاجب الذي صار وزيراً في القاهرة (٧١٠ هـ) ، والأمير بكتمر خلف بلخان البدرى في نيابة غزة (٧١٠ هـ) . وهذا استقر في النيابة بدلاً من الأمير بيبرس العلائي الذي تولى نيابة غزة ثم عزل في عام ٧٠٩ للهجرة .

(٢) قال ياقوت في معجمه إن هذا الموضع بوادي موسى قرب بيت المقدس . وعندئذ أنها هي البتراء .

وفي سنة ٧٢٠ هـ قبض عليه ، وسجن بالإسكندرية . وحجزت أمواله كلها .
وكان ذاك لقلة أكثرائه بالأمر تنكير نائب الشام ، ومواقفة بعض عماليكه (على
ما قيل فيه) انه يريد التوجه إلى اليمن .

ثم اطلق سراحه وجعل أميراً مقدماً بمصر : فبنى وهو في القاهرة خانقاه . ثم ولي
نيابة حماة مدة يسيرة . ثم أعيد إلى نيابة غزة . لأنه كان يحبها حباً جماً ، وكان
يعطف على الغزيين عطفاً كبيراً .

وقد بنى وهو في غزة مسجداً ، وحماماً ، ومدرسة ، وخاناً ، وحصناً ، ومارستاناً ؛
كما أنشأ فيها ملعباً لسباق الخيل ؛ وقد أوقف لجميع هذه المنشآت وللوسبات
أوقافاً كثيرة .

وقد توفي في شهر رمضان سنة ٧٤٥ هـ ، ودفن بالخانقاه بالقاهرة بالقرب من
جامع ابن طولون .

١٨ — كان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار والأمير سالار صديقين
حميمين ؛ حتى اتفقا على خلع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
وإجلاس بيبرس على عرش الملك . وقد تولى هذا الملك بالفعل (٧٠٨ هـ) ولقب
نفسه (الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير النصوري) . ولكنهما عادا فتجافيا
واختصما بسبب حادثة الجوالي التي أوردناها في الأسطر المتقدمة . وظل سالار يدس
على بيبرس ، ويعرض الامراء عليه حتى نجح ، فغله .
وإليك تفصيل تلك المؤامرة (١) ، ونبدأ ذلك الخلع :

كان للملك المظفر (بمصر) يكره الملك الناصر (بدمشق) . فبعث إليه (٧٠٩ هـ)
الأمير (مغلطي) ليأخذ منه الخيل وللمالِك التي عنده . وتغلظ مغلطي في القول
فغضب للملك الناصر من ذلك غضباً شديداً وقال له : « أنا خلّيت ملك مصر والشام
لبيرس ؛ وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندي ، وملكوك لي ، ويكرر الطلب .
إرجع إليّ وقل له : والله لأن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتر . واعلمتهم أنّي قد
تركته ملك أبي وأخي وملكي لملوكي ، وهو يتبعني ويطلب مني ما أخذته » . ثم
طرد الأمير مغلطي . فامتعض هذا مما حل به .

(١) كتاب السلوك لهرقة دول الملوك .

وأخذ الناصر يسترضي نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد ، ويكتب إلى من يشق به من أمراء مصر ، ويهيجهم على الملك المظفر . فصادف ذلك هوى في نفس سالار ، واعتزم مناصرته ، كما ناصره عدد كبير من الأمراء ، وقدموا له الهدايا . ثم شرع الملك الناصر في الثقة على الأمراء ، والمساكر الواردة مع النواب . فلما انتهى أمر الثقة قدم السلطان بين يديه الأمير (كراي للنصوري) من القدس على عسكر يسير إلى غزة ، فسار إليها . وسار كراي يعد في كل يوم سحاطاً عظيماً للمقيمين والواردين وأتقن في ذلك أموالاً جزيلة من حاصله . واجتمع عليه بغزة عالم كبير . وهو يقوم بكلفهم ، ويعدم عن السلطات بما يرضيهم . ولما قدم الخبر (أي اجتماع الأمراء والجند في غزة وتحالفهم) إلى مصر قلق الملك المظفر ، واضطربت الدولة . وانفض عساكر مصر من حوله حتى لم يبق بديار مصر إلا خواصه . ثم ثار الناس عليه ، فهرب من قصره .

وسار إلى مكان قريب من غزة ، فجhez السلطان (استدر كرجي) وعدداً من الأمراء لاحتضاره مقيداً . فاتفق دخول الأمراء إلى غزة قبل المظفر . ولما بلغهم قربه ركب منهم قرا سنقر ، وسار النواب والأمراء وقوه شرقي غزة . وقد بقي معه عدد من مماليكه ، فتأهبوا للحرب ، ولبس الأمراء السلاح ليحاربوهم . فانكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال ، وقال : « أنا كنت ملكاً وحولي أضافكم ، ولي عصبة كثيرة من الأمراء ، وما اخترت سفك الدماء . » وما زال حتى كفوا عن القتال . وسار بنفسه حتى صار مع الأمراء ، وأسلم نفسه إليهم . فسلوا عليه ، وساروا به إلى معسكرهم ، وانزلوه بخيمة ، وأخذوا سلاح مماليكه ، ووكلوا بهم من يحفظهم .

١٩ — وهنا في غزة بويع الملك الناصر للمرة الثالثة بالسلطنة (٧٠٩ هـ) فصار يطلق عليه (السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبي المعالي محمد بن الملك المنصور قلاوون) . ولما مات (٧٤١ هـ) تألم الناس لموته لأنه أبطل الكسوس ، وعمر البلاد ، وانشأ الجوامع والمدارس .

٢٠ — وقد تولى الملك بعده ثمانية من أولاده : أولهم ابنه السلطان الملك المنصور أبو بكر . وقد بايع هذا الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن المستكني باقعه أبي الربيع سليمان بمصر .

٢١ — وعندما خلع السلطان الملك المنصور أبو بكر ، وقتل ؛ تولى الملك أخوه الملك الأشرف كجك وهو ابن ثمانين سنين . فقامت الفتن من جديد في مصر والشام . ومن هذه الفتن تلك التي حصلت بين الأمير قطلبغا الفخري الناصري وبين الطنبغا نائب دمشق . وقد اقتتلا فكان النصر لحليف الأمير قطلبغا الفخري . فخطب له بدمشق وغزة^(١) والقدس .

٢٢ — ومن أولاد فلاوون الدين تولوا السلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح . ولكن الحرم كان قد دب في دولة للماليك ، وخرج أكثر الامراء والنواب على طاعة السلطان ، وخلعوه (٧٨٤ هـ) .

٢٣ — نصب للماليك سلطاناً عليهم ، بعد خلع الملك الصالح ، الأتابك برقوق . وهو أول ملوك الشراكسة بمصر والشام ، والخامس والعشرون من الماليك الأتراك . أي أن دولته كانت تركية شركسية . وفي عهده خرج نائب حلب (يلغا الناصري) عن طاعته ، وملك الشام . وتلاقى مع عسكر السلطان فطلبهم . ولما وصل الخبر إلى القاهرة ارتج الأمر على السلطان ، وأخذ يسترضي الامراء بالرتب والخلع السلطانية . ثم أرسل (تمرغا الفخاري) ليستطلع أخبار (يلغا الناصري) . ولما وصل إلى غزة وجد رجال يلغا قد دخلوها ، وأن نائبها (الأمير حسام الدين بن باكيش) قد أئزهم في الميدان الكبير . فلما باتوا تلك الليلة اقتض عليهم انقضاء الساعة ، وقبض عليهم عن آخرهم ، وقيدهم ، وسجنهم في دار السعادة . وكانوا نحو مئة إنسان وفيهم ثلاثة من امراء حلب . فلما سمع السلطان بالخبر ، فرح وخلع على تمرغا الفخاري كاملية بسمور .

٢٤ — بعد موت الملك الظاهر برقوق تولى الملك ابنه الملك الناصر فرج (٨٠١ هـ) وقد خرج في عهده (تم) نائب الشام عن الطاعة ، وأظهر العصيان ، ووضع يده على البلاد الشامية . ووافق على العصيان نواب حلب وحماة وصفد وطرابلس . والتف حوله من العسكر والهربان ما لا يحصى عددهم ، وعدد كبير من الامراء والنواب . عندئذ قاد السلطان الملك الناصر فرج جيشاً إلى الشام . ولما وصل إلى غزة كانت (اقبغا المكاش) نائب غزة قد انضم إلى الثائرين . إلا أنه (أي الملك) استولى على

غزة . فاجتمع النواب الثارون (وهم نواب دمشق وطرابلس وحماة وصفد وغزة)
ومعهم كثيرون من العربان في الرملة . ووقعت بين الفريقين معركة في مكان يسمى
(الجبتين) كان النصر فيها لحليف الملك الناصر فرج . فدخل هذا دمشق ظافراً (٨٠٢ هـ) .
وفيا كانت امور الدولة في الشام ومصر مختلة ، والامور فيها فوضى لا سانس
لها ولا زاجر . جاء تيمورلنك (١) (٨٠٣ هـ) وغزا الشام . وقد أتى إليها بجميع
انواع المظالم . غل بأهلها ما لا يوصف . وفي بحر مدة قصيرة أصبحت البلاد أطلالا
بالية ورسوماً خالية . وقد هرب كثيرون من أهل الشام إلى الديار المصرية . ولكن
العربان والمشار نهبهم في الطريق جري عليهم منهم ما لم يجر عليهم من عسكر
تيمورلنك . حتى انه لم يبق للسلطان قيمة . وأصبحت البلاد بلا راع يرعاه .
لم يتمكن تيمورلنك من احتلال فلسطين . ذلك لأن الحراد كان قد انتشر
فيها حتى أكل الناس أولادهم . فأصبح من التمدد عليه خمسين جيشة العظيم .
وقيل أن تيمورلنك أراد أن يفتح مصر . فأرسل جماعة من قواده يكشفون
له الطرق ، ووصل هؤلاء القواد إلى غزة ، بل إلى أبعد من غزة . ولما عادوا قصوا
عليه ما رأوه فقال لهم : « إن مصر لا تفتح من البر ، بل تحتاج إلى اسطول لتفتح
من البحر » . ولتلك صرف النظر عن فتح مصر . ونجت غزة من شره .
وقد هبط السلطان (فرج بن برقوق) بعدد غزة ، ومكث فيها بضعة أيام .
وخلع أثناء وجوده فيها (٢) على :

المقر السيفي تحري بردي بن يشبغا	واستقر به نائب الشام
للمقر السيفي أقبغا الجمالي	واستقر به نائب طرابلس
المقر السيفي تحريضا المنجسكي	واستقر به نائب صفد
الأمير صدقة بن الطويل	واستقر به نائب القدس الشريف
المقر السيفي طولو بن علي شاه	واستقر به نائب غزة

(١) أنه تيمورلنك ابن ترغاي بن ابغاي مؤسس مملكة المغول الثانية . معي (تيمور)
الحديد و (التلك) الأعرج أو الكسبح . ولد في قرية (خواجه اليفغار) من أعمال كاش
من مدن ما وراء النهر سنة ٧٢٢ هـ (١٣٣٦ م) ومات في ٨٠٧ هـ — ١٤٠٥ م ودفن
في سمرقند . وكان عهده كله عهد فن وحروب . وكان سفاكاً للدماء .
(٢) ابن الياس .

ثم رحل من غزة في يوم الاثنين خامس عشر ربيع الآخر (٨٠٣ هـ) قاصداً الشام لمقاتلة جيش الفول ، ووقعت معركة بين طلائع الجيشين عند جبل الثلج . قتل فيها ابن تمرلنك وصهره ، وأسر عدد من امرأته ، ومات خلق كثير من جماعته بسبب الثلج . وفي جمادى الآخرة من السنة المذكورة رجع السلطان إلى مصر . ورافقه في رحلته هذه الخليفة وجماعة من النواب منهم نائب الشام ونائب صفد ونائب غزة وغيرهم من الأمراء . وحضر معه نحو ألف مملوك . وحضر مع كل أمير مملوكان من ممالكهم .

ويقال ان السلطان خرج من دمشق بسبب أن العسكر قد تغلبوا عليه ، وان جماعة من الأمراء كانوا قد انسحبوا من دمشق تحت ستر الليل . فخاف عاقبة الأمر ، وخرج من دمشق . ولما وصل إلى غزة وجد الأمراء الذين انسحبوا من دمشق هناك . وسبب انسحابهم انهم أرادوا أن يرجعوا إلى مصر قبل رجوع السلطان إليها ليلسطنوا فيها الأمير لاجين الجركسي .

وفي عهد الملك الناصر (فرج بن برقوق) خلع الأمير صرق الظاهري نائب غزة ، وخرج عن الطاعة (٨٠٤ هـ) . فلما بلغ السلطان الخبر خلع على الأمير الطنطا العثماني ، واستقر به نائب غزة عوضاً عن صرق . ثم بعد أيام حضر مقدم البريد ومعه سيف صرق ، وأخبر بأن أمير جرم مع عربان نابلس أوقفوا مع صرق ؛ فانكسر صرق ، وقتل في المعركة ، فأرسلوا سيفه إلى السلطان ، وصادروا أمواله .

٢٥ — وفي سنة (٨١٠ هـ) خلع الملك الناصر على :

الامير حكم الموضي واستقر به نائب حلب

الامير نوروز الجافظي واستقر به نائب الشام

لكن هذين الاثنين ما كادا يصلان إلى مقر الحكم حتى أعلن الصياني . فتسلطن الموضي في حلب ، ولقب نفسه بالملك المادل ، وصار يحكم من الشام إلى الفرات . واتزعت يد الملك الناصر من البلاد الشامية والحلبية وصار حكمه لا يجاوز غزة . ولكنه قتل بعد برهة خلفه في الصياني نوروز نائب الشام . وواقعه في عصيانه الأمير المحمودي نائب طرابلس . والتف حولها جماعة من النواب ، فسيطروا على البلاد الشامية كلها من غزة إلى الفرات . وصار بيد الملك الناصر مصر وأعمالها

فقط . وفي مصر أيضاً كان على اختلاف دائم مع عماليك أبيه . فكان يلي همومه بكثرة السكر ولا يصحو منه ليلاً ولا نهاراً .

٢٦ — ثم زادت شوكة الأمير نوروز والأمير شيخ الحمودي فانفقا مع باقي امراء الشام على خلع الملك الناصر من السلطنة ، وخلصوه . ثم تشاوروا فيمن يولونه السلطنة . فقال نوروز لشيخ : « لا أنا ولا أنت تسلمن . ولكن اجعلوا الخليفة العباسي هذا هو السلطان . ويكون الأمير شيخ اتابك السكر ومدير المملكة بمصر . ويكون الأمير نوروز نائب الشام ويحكم في البلاد الشامية من غزة إلى الفرات . يولي بها من يختار ومزل من يختار . » فراضوا ، وحلف جميع الامراء على ذلك . تعاهد الأمير شيخ ونوروز على ذلك وان الخليفة إذا بقي سلطاناً بمصر لا يزل ولا يولي حتى يراجع في ذلك الأمير شيخ والأمير نوروز . وقد قتل الملك الناصر من قبل جماعة من القديسية في دمشق ليلة السبت سادس صفر من سنة خمس عشرة وثمانمائة .

٢٧ — ولقد اعتلى أريكة الملك السلطان الجديد الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس ابن الامام عبد التوكل على الله ابن المعتض بالله ابن المستكفي بالله ابن الامام أحمد الحاكم بأمر الله . تسلمن بدمشق بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق وكان ذلك في يوم الاثنين سابع عشر من المحرم من سنة خمس عشرة وثمانمائة . وقد خلع هذا ، عندما تسلمن ، على :

للقر السيفي نوروز الحافظي فأقامه نائباً على الشام . وأضاف إليه جميع خراج البلاد الشامية .

وللقر السيفي شيخ الحمودي واستقر به اتابك السكر بمصر ومدير المملكة ونظام الملك .

وصار نوروز يحكم من غزة إلى الفرات ، والخليفة والاتبك شيخ يحكمون من قطيا إلى أقصى بلاد الصعيد والديار المصرية .

٢٨ — ثم خلع الاتبك شيخ الخليفة من السلطنة ، وأبقاه في الخلافة . ثم خلمه من الخلافة (والحكم للقوة) وولى أخاه داود . وتلقب بالمعتض بالله . واستولى الملك المؤيد شيخ علي بر الشام . وقطع رأس نوروز . وأصبح الأمر الناهي في مصر والشام معاً (٨٨٢٤) .

٢٩ - وتولى بعد الملك المؤيد شيخ ابنه الملك للظفر ابو السعادات أحمد وهو في القمط . فثار ثأر جميع النواب في الشام . وحصلت قن واضطرابات عظيمة في جميع البلاد . وأصبحت الامور في غزة أيضاً فوضى لا سانس لها ولا زاجر .

٣٠ - ثم خلع الملك المظفر أحمد من السلطنة . وتسلط عوضه بدمشق (الانابكي ططر) . فخطب باسمه على المنابر ، وكان معه الخليفة للمعتمد بالله داود . وكان مثله في هذه الحيلة مثل أكثر عمال هذه السلطنة الشركسية متى اشتد ساعداهم استأثروا بالملك والسلطان .

٣١ - ولما هلك ططر ، بعد أن ملك ثلاثة أشهر وبضعة أيام ، خلفه في السلطنة ابنه الملك الصالح محمد . ولم يكن له من العمر يومئذ سوى إحدى عشرة سنة . فمر ذلك على الامراء . وقام من بينهم واحد يدعى الأمير (برساي الدقائي) قميده ، وسجنه ، ثم خله .

٣٢ - وقد تولى هو السلطنة من بعده (٨٢٥ هـ) ولقب نفسه (الملك الأشرف برساي) . وظل ملكاً إلى أن توفاه الله عام ٨٤١ للهجرة . قال الخاوي : « انه ساس الملك ، وثاقه السعادة ، فذات له البلاد » . وأما القرزي فانه يقول : « انه كان من الشح والبخل والطمع والجبن على جانب عظيم ، وانه أصاب مصر والشام في عهده الخراب ، وضاعت سيرة الحكام والولاة » .

٣٣ - تولى الملك بعد الملك الأشرف برساي ابنه يوسف وقد سمي الملك العزيز .

٣٤ - ثم خلع الملك العزيز (٨٤٢ هـ) وجعل جقمق سلطاناً ولقب بالملك الظاهر . وكانت مدة سلطته بالدار المصرية والبلاد الشامية خمس عشرة سنة إلا قليلاً . ولم تقم في البلاد على عهده قن ولا تجاريد . ويقال أن (بر الاجمقية) المعروف بغزة حفرت على عهده . وكانت تسمى في بادى الامر الجقمقية فأصبحت مع الزمان تدعى بالاجمقية .

٣٥ - وبعد الملك الظاهر جقمق تولى الحكم الملك للصور غفر الدين عثمان . ولكنه لم يبق في السلطنة سوى بضعة أيام . فخلعه المالك ، وسلطوا من بعده الملك الأشرف (اينال العلائي) . فثوى هذا سنة ٨٦٥ هـ وخلفه الملك المؤيد (١) أحمد ،

(١) ملكه لم يطل سوى اربعة اشهر وثلاثة ايام .

فالظاهر خوشقدم أبو سعيد سيف الدين (١) ، فالظاهر بلباي (٢) ، فالانباكي تمرضا (٣) فالملك الأشرف قايتباي (٤) .

وقد وقت خلال هذه الفترة من الزمن (أي بين سلطنة الملك الظاهر جقمق والملك الأشرف قايتباي) قن كثيرة تقتصر هنا على ذكر ما أصاب غزة (٥) منها فنقول :

أ في سنة ٨٧٧ هـ وقت فتنة بين طائفة الدارية وطائفة الأكراد في مدينة الخليل ، قتل فيها من الفريقين ١٨ نفرأ . فاستفر كل من الطائفتين من يتصر لها من الشير . فجري نهب في المدينة ، وخربت أماكن . وكانت حادثة فاحشة لم يسمع بمثلا في ذلك الزمن .

رفع الأمر للسلطان فير الأمير (علي باي الحاصكي) للكشف . وكان هذا امياً لا يقرأ ولا يحسن التكلم بالعربية . وكان فضلاً عن ذلك ظالماً عسوقاً جباراً عنيداً . وقد سار إلى القدس . ثم سار في جمع من العلماء والقضاة إلى الخليل . وكتب الجميع محضراً بما وقع من النهب والقتل والسبي . ثم قبض الحاصكي على أكابر الخليل من قضاة ومشايخ ، وطلب منهم اثني عشر ألف دينار . وتوجه وهم معه معتقلين إلى أن وصل إلى مدينة غزة . وهنا قتله (يشبك السلافي) نائب غزة بمرسوم شريف ورد عليه من السلطان خفية . وأشاع انه دخل إلى الامطبل ليأخذ فرساً طلبها من النائب ، فوقع عليه حائط فمات . فذارت فتنة بسببه في القاهرة من المالك الجلبان . واعتذر لهم السلطان . وأنكر أمره نائب غزة بقتله . وحلف على ذلك .

ب وفي ٨٩٢ هـ مر بغزة في طريقه إلى القدس الشريف الأمير جاث بلاط . وعلى يده مرسوم شريف بالكشف على الأوقاف وتحرير أمرها . فاستصحب

(١) مدة طالت ست سنين ونصف .

(٢) سلطته دامت سنة وخمسين يوماً .

(٣) حكمه دام ثمانية وخمسين يوماً .

(٤) دامت سلطته في مصر والشام تسعاً وعشرين سنة وبضعة شهور .

(٥) كتاب الانس الجليل .

معه إلى القدس ملك الأمراء اقباي نائب غزة المحروسة . وبعد أن أتم ما امر به توجه وصحبته ملك الأمراء بغزة وشيخ الاسلام الكمالى بن أبى شريف وجلسوا على تل النول وأجروا الصلح بين نائب القدس (السيفى خضر بك) وشيخ جبل نابلس (خليل بن اسماعيل) وكتب الجواب للسلطان بذلك .
ج وفي سنة ٨٩٦ هـ في شهر ربيع الآخر برز الامر الشريف باخراج مدينة الرملة عن نائب الشام الأمير قانصوه الجياري وإصافها إلى ملك الأمراء اقباي نائب غزة المحروسة . ولم تجر بذلك عادة قبل هذا التاريخ .

د وفي سنة ٨٩٩ هـ حصل التنازع بين الأمير جان بلاط نائب القدس وملك الأمراء اقباي نائب غزة . إذ أن نائب القدس أدب قرية القصاب من أعمال الرملة محتجاً بأن أهلها عصوا عليه ، مع أن القرية المذكورة في معاملته ، ودخل إليها بغير إذنه . وعلى أثر هذه الحادثة ورد مرسوم شريف بطلب الأمير جان بلاط إلى القاهرة ، فسافر إليها وغرم مالا ورسم له بالاستمرار في وظيفته .

هـ وفي نفس السنة (أي ٨٩٩ هـ) استقر ملك الأمراء اقباي نائب غزة في نيابة منفد ، وتوجه إليها في ربيع الآخر . واستقر الأمير قاني بك في نيابة غزة ، وقدم إليها في جمادى الآخرة . وأضيف إليها كشف الرملة في شهر رجب بعد استيلاء نائب الشام عليها (٨٩٩ هـ) .

و وفي سنة ٩٠٠ هـ برز الأمر الشريف باخراج مدينة الرملة عن الأمير قاني بك نائب غزة . ففسلها الأمير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب القدس . فخرج أهل الرملة وحصل تنازع شديد بين نائب القدس ونائب غزة على أثر ذلك .

ز وفي سنة ٩٠٠ هـ وقعت فتنة بين الأمير جان بلاط ناظر الحرمين ونائب القدس والرملة ، وبين الأمير قاني بك نائب غزة بسبب الزيت . إذ صدر مرسوم شريف يرمي الزيت التحصيل من جبل نابلس على أهل القدس الشريف والخليل وغزة والرملة على ما جرت به العادة . فرمى عليهم (السيفى علاف) المرسل من الأبواب الشريفة ككل قطار بالكيل الرملي بخمسة عشر ديناراً ذهبياً . فازعج الناس لذلك ، وحصل لهم ضرر عظيم .

قدم الأمير جان بلاط إلى الرملة ، وأمر كاشفه بها وهو (الجمالي يوسف) أن

بشيء معه هو وجماعته في معاملة الرملة لحفظها من الناحيس والذب عن الرعية . وكان جماعة من العرب نهبوا أبقار الرملة .

فركب الكاشف بجنده ، وركب ناظر الحرمين وصحبته دواداره (برساي) ومعهما أربعة أناس ، وخرجوا إلى ظاهر الرملة . فخرج على الكاشف جماعة من العرب ، وطردهم إلى أن حصروه بالبرج الكائن بقرية خلدا ، وقتل برساي والذي معه . ولم يبق منهم سوى جان بلاط بمفرده . فثبت لهم ، وقتلهم أشد قتال .

اتهم جان بلاط نائب غزة بترتيب هذا الحادث . وكتب إلى الابواب الشريفة يقول ان هذا الفعل بأشارة نائب غزة . وهو الواقع . لأن نائب القدس اخذ كشف الرملة وانتزعه من نائب غزة فتأكدت العداوة بينهما . وكان نائب غزة يسلط العرب والفسدين ويفرهم عليه .

اخذ الاثنان يتشاكيا للسلطان . فأصدر السلطان امره بتجهيز (السبي قانصوه الخاصكي) ، وعلى يده مرسوم شريف لشيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف وقضاة غزة والقدس والرملة ، بالتوجه إلى المكان الذي وقعت فيه الفتنة واجراء التحقيق . وزار هذا الوفد القدس والرملة والخليل وغزة . ونزل الوفد وفي مقدمته شيخ الاسلام الكمالي بالجامع المنسوب لمولانا السلطان الملك الاشرف . وكان السلطان رجلا عظيم الشأن . وكان علما ، وكبيرا في السن وبينة ضعيفة . والسفر شق عليه فكلف إلى ما لا طاقة له به في زمن الحر الشديد . وقد حمل في محارة على حمل .

وهناك اجتمع قانصوه الخاصكي وقضاة غزة والقدس والرملة ، وكتبوا محضرا بالذي جرى امضوه كلهم ، وارسلوه للابواب الشريفة . واستمر الخاصكي بغزة ينتظر الجواب . وعاد شيخ الاسلام وقضاة القدس إلى اوطانهم . وكان سفرهم من غزة في ليلة الاثنين خامس ذي القعدة . وكانت النتيجة ان عزل السلطان نائب غزة ونائب القدس معا .

٣٦٠— وبعد الملك الاشرف قايتباي تولى الملك ابنه الملك ناصر الدين محمد . وكان هذا صغير السن . فانتشر الفساد في طول البلاد وعرضها ، واصابها خراب كبير ، وقطعت الطرق ، وكثر ظلم الحكام والامراء . وقامت في البلاد خلال هذه الفترة من الزمن ايضا فلال وفقر . وخرج الامراء هنا وهناك عن طاعة السلطان . ففي سنة ٩٠٣ هـ عمى (اقبردي الدوادار) فاستولى على غزة ، وسيطر على جانب عظيم من بر الشام .

٣٧ — وقد تسلطن بعده (الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه) . ولكن حكمه لم يطل أكثر من سنة وثمانية شهور . إذ خرج قصره نائب الشام عن الطاعة (٥٩٠٥ هـ) ، وأظهر المصيان ؛ واستولى قصره على غزة وأعمالها ، وعلى القدس ونواحيها . فاختفى السلطان .

٣٨ — وتسلطن بعده (الملك الأشرف أبو النصر جان بلاط) بن يشبك الأشرفي . فثار عليه الأمير طومان باي ، وخلعه من السلطنة ، وتسلطن عوضه في مصر والشام ، وسمي بالملك العادل طومان باي بن قانصوه أبي النصر الأشرفي قايتباي . إلا أن الضعف كان قد تمكن من جميع البلاد . فاعتصم العثمانيون القرصة ، واحتلوا البلاد من أقصاها إلى أقصاها . فزالت دولة المماليك من الوجود ، وقام مقامها دولة بني عثمان .

٣٩ — الآن وقد انتهينا من ذكر الوقائع والحروب التي جرت في عهد المماليك وما ألم بهذه البلاد من جراء هذه الوقائع والحروب نود أن نأتي في الأسطر التالية على وصف موجز للحياة الاجتماعية التي كانت عليها غزة في ذلك العهد من جميع نواحيها الإدارية والعسكرية والمالية والاقتصادية والعمرانية فنقول :

جاء في كتاب (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك) ص ١٣٤ لمؤلفه غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (١) أنه كان في البلاد يومئذ ثمانية ممالك :

الاولى	الملكة الشامية
الثانية	الملكة الكركية
الثالثة	الملكة الحلبية
الرابعة	الملكة الطرابلسية
الخامسة	الملكة الحماوية
السادسة	الملكة الكندرية
السابعة	الملكة الصفدية
الثامنة	الملكة الغزية

وكافل للملكة الغزية يطلق في حقها (مقدم المسكر) . وأما السادة القضاة

ففيها أربعة على المذاهب الأربعة ولكل منهم نواب . وأما الامراء ففيها أمير كبير ، وحاجب الحجاب ، وثلاث طبلخانات (١) وبها عشرينات وعشروات وخمسات . وطرقتهم في الأمرة مثل امراء صفد . وأما أرباب الوظائف فملكة على العادة . وأما أجناد الحلقة فبعتهم ألف جندي .

وقد زارها (السمشي) يومئذ فقال ان البلاد التي كانت تابعة للملكة النغرية هي عسقلان ، وقيسارية ، وارسوف ، والداروم ، والعريش ، وتل الصافي ، وكراتيا ، وبيت جبرين ، والحليل ، وبافا ، وبيت المقدس .

وبالرغم من انه كان على رأس كل مدينة من هذه المدن نائب أو أمير فان نائب غزة كان يدعى (ملك الامراء) .

وقد أيد صاحب (مسالك الأبحار) هذا الكلام في ١٣٠١ م وأضاف إليه أن نائب غزة كان يدعى في بعض الأحيان (قائد الجيش) . وكانت له ثياب خامة ، وراتب خاص . ومن الموظفين العسكريين الذين كانوا يقيمون في غزة الحاجب الكبير (٢) ، والمهندار (٣) ، وقيب التباء (٤) ، وشادالدواوين (٥) ، وأمير البريد . ومن الوظائف الدينية قاضي الشافعية ، وقاضي الحنفية ، وقاضي المالكية . وهناك وكيل بيت المال (٦) ، والمحاسب (٧) . وكان فيها من الوظائف الديوانية كاتب الدرج (٨) ، وناظر الجيش ؛ وولايتهما من الأبواب السلطانية .

وكانت غزة في عهد المماليك من أهم مراكز البريد . وكان فيها أبراج الحمام لتوزيع البريد . فيحمل الحمام الزاجل رسائل الملوك والامراء . وكانت هذه الرسائل

-
- (١) من الرتب العليا في عهد المماليك . صاحبها يحمل رتبة أمير اربعين . واقراده يؤلفون الحوقة العسكرية . واطعاه ثلاثين ألف دينار .
 - (٢) هو الذي ينصف بين الامراء والجند .
 - (٣) وعلى قول أنه كان في غزة اثنان يحملان هذا اللقب : احدهما يسميه السلطان ، ومهمته تلقي الرسائل الواردة .
 - (٤) هذا كان يسميه السلطان رأساً .
 - (٥) رئيس الديوان أو المنشأ الأول .
 - (٦) كالحاسب أو مدير المال في يومنا هذا .
 - (٧) المفوض المسؤول عن الأسواق والمبايزن والمقاييس والآداب العامة .
 - (٨) أمين السر .

تأتي من مصر إلى غزة عن طريق رفح ، ودير البلح . ومن غزة توزع إلى المدن الأخرى ، وبواسطة الحمام أيضاً . فتشعب مسارح الحمام إلى الخليل ونابلس والقدس والكرك وصفد ودمشق . وكان موزع البريد في ذلك العهد يعمل على صدره لوحاً من الفضة نقش على أحد وجهيه إسم السلطان الذي يجري البريد في عهده ، وعلى الوجه الآخر هذه الكلمات : (لا إله إلا الله محمد رسول الله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وكان في غزة فلوس (١) كل ثمانين منها بدرهم . ويبر عن كل أربعة منها بحبة . ثم راجت بها فلوس أخرى في أوائل الدولة الناصرية (فرج بن برقوق) ، ولكن كل ستة وثلاثين فلساً منها بدرهم . معاملتها بالدنانير ، وبالدراهم النقرة ، وصنحتها في الذهب والفضة كمنجعة السيار المصرية ، ورطلها سبعة وعشرون درهماً بالدرهم المصري . وأوقية اثنتا عشر أوقية ، كل أوقية ستون درهماً . ومكيلاتها معتبرة بالقرارة . وكل قرارة من غرارها ثلاثة أراذب مصرية . وقياس قماشها بالذراع المصري . وأرضها معتبرة بالقدان الإسلامي والقدان الرومي . جيوشها مجمعة من الترك ومن في معنهم ، ومن العرب والتركمان . وقائد المسكر فيها مقدم ألف . وكان فيها نائب عن السلطان وكان هذا النائب برتبة أمير . وأكثر النواب كانوا من الأمراء العسكريين . ففي بعض الأحيان كان نائب غزة برتبة (مقدم عسكري) فقط . وكان على هذا أن يأتمر بأمر نائب السلطنة القائم بدمشق ، بالرغم من أن ولايته كانت من الأبواب السلطانية رأساً . وفي هذه الحالة كانت وظائف القاضي الشافعي ، والختب ، ووكيل بيت المال ، ومن في معنهم تدار بطريقة النيابة أيضاً . أي أن الأشخاص الذين على رأس هذه المناصب كانوا يديرونها بالنيابة عن نائب السلطان بدمشق . ونائب السلطان هذا كان الأمر الناهي بعد السلطان . وفي كثير من الأحيان كانت غزة تستقل (٢) عن دمشق فتصبح نيابتها مستقلة . فيضاف إليها الصفة الساحلية بكاملها ، ويكون لها حكم اليابات ، ويكون نائبها من الأمراء القدامى . يركب في المواكب بالشباب السلطانية (٣) ومعه أجناد الحقبة للرتبونها بها ؛ فيخرج

(١) صبح الأعشى .

(٢) ابن الدي جعل غزة مستقلة هو الملك الأشرف . وكان ذلك عام ١٢٩١ م .

(٣) صبح الأعشى .

في موكب ، ويجتمع إليه الامراء السيرون بها هناك . ثم يعودون معه إلى دار النيابة .
ويعد السباط السلطاني ، فيأكل عليه الامراء والأجناد ، ويشتره القضاة ، وتقرأ
التقصص على عادة النيايات ؛ ثم ينصرفون .

٤٠ — وإليك أسماء نواب السلطنة ، والامراء الذين تولوا الحكم في غزة على
عهد للمالك :

- | | |
|--------------------------------------|---|
| ١ — الأمير نور الدين بدلان | ٦٥٧ هـ في عهد الملك المظفر سيف الدين قطز |
| ٢ — الأمير علاء الدين ايدكين القنري | ٦٧٨ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون |
| ٣ — الأمير علم الدين سنجر الدواداري | ٦٧٩ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون |
| ٤ — الأمير علاء الدين ايدغدي الصرخدي | ٦٨٠ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون |
| ٥ — الأمير عز الدين ايبك الموصلی | ٦٨٤ هـ قتل إليها من نيابة الكرك |
| ٦ — الأمير عز الدين الجناحي | ٦٩٧ هـ في عهد الملك المنصور قلاوون |
| ٧ — الأمير بيبرس الملائی | ٧٠٨ هـ اقبل من النيابة |
| ٨ — الأمير بليان البدری | ٧٠٩ هـ في عهد الملك المظفر بيبرس |
| ٩ — الأمير بكشمر الحسامی | ٧١٠ هـ في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون |
| ١٠ — الأمير قطلو قنبر | عين بدلا من بليان البدری ، ثم اقبل
واحضر إلى القاهرة فصار وزيراً |
| ١١ — الأمير علم الدين سنجر الجاولي | ٧١٠ هـ في عهد الملك الناصر محمد |
| ١٢ — الأمير حسام الدين باكيش | ٧١١ هـ في عهد الملك الناصر محمد |
| ١٣ — اقبغا الكشاش | ٧٨٤ هـ في عهد الملك الظاهر بركات |
| ١٤ — علاء الدين الطبلاوی | ٨٠٢ هـ في عهد الملك الظاهر بركات |
| ١٥ — المقر السني طولو بن علي شاه | ٨٠٣ هـ (مات مخنوقاً في غزة) |
| ١٦ — الأمير صرق الظاهري | ٨٠٣ هـ في عهد الملك الناصر فرج بن بركات |
| ١٧ — الأمير الطنبغا المماني | ٨٠٤ هـ ثار على الملك واعلن الاستقلال |
| ١٨ — الأمير أحمد بن الشيخ علي | ٨٠٥ هـ عين بدلا من التار صرق |
| ١٩ — الأمير يقبغا طيمور | ٨١١ هـ قتل من غزة إلى صفد |
| ٢٠ — حطط الناصري | ٨١٢ هـ قتل إليها من صفد |
| ٢١ — خير بك النوروزی | ٨٥٧ هـ في عهد الملك الظاهر سيف الدين
حقيق الملائی |
| ٢٢ — خير بك القصري | ٨٥٩ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين
اينال الملائی |
| | ٨٧٥ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين
قائبا |

- ٢٣ — ارغون شاه
 ٨٧٦ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباي
- ٢٤ — يشك الملاي
 ٨٧٧ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباي
- ٢٥ — سيابى الظامرى
 ٨٨٠ هـ في عهد الملك الأشرف سيف الدين قايتباي
- ٢٦ — دولات باي بن مصطفى
 ٨٨٦ هـ في عهد الخليفة التوكل على الله عبد العزيز العباسي
- ٢٧ — دولات باي الابالي
 ٨٨٧ هـ في عهد الخليفة التوكل على الله عبد العزيز العباسي
- ٢٨ — ابراهيم بن عبد الرحمن
 ٨٨٩ هـ في عهد الخليفة التوكل على الله عبد العزيز العباسي
- ٢٩ — اقباي الطويل
 ٨٩٢ هـ كان يدعى ملك الاسراء
- ٣٠ — الأمير قاني بك
 ٩٠٠ هـ في عهد الخليفة التوكل على الله عبد العزيز العباسي
- ٣١ — قايتباي الصرفي
 ٩٠١ هـ قتل في غزاة
- ٣٢ — قراقرز اليهلوان
 ٩٠٢ هـ في عهد الملك الناصر محمد بن الملك الأشرف قايتباي
- ٣٣ — اقمردى الدوادار
 ٩٠٣ هـ في عهد الملك الناصر. وقد عصا على الملك وفر من مصر واستولى على غزاة وير الشام
- ٣٤ — جان بلاط النورى
 ٩٠٤ هـ في عهد الملك الناصر
- ٣٥ — قراجا
 ٩٠٥ هـ في عهد الملك الظاهر قانصوه الأشرفي - تنفير خاطر السلطان عليه فأخضره إلى القاهرة مكبلاً بالحديد
- ٣٦ — قانصوه قرا بن سلطان جركس المعروف بابن الوفا
 ٩٠٦ هـ في عهد الملك الأشرف جان بلاط
- ٣٧ — علي باي السيني بن يشك
 ٩٠٧ هـ عين بدلاً من قانصوه قرا
- ٣٨ — الأمير صلاح الدين
 ٩١٢ هـ في عهد الملك قانصوه النورى. كان نائب القدس فصار نائب غزاة
- ٣٩ — ازبك الصوفى
 ٩١٤ هـ في عهد الملك قانصوه النورى
- ٤٠ — اقباي
 ٩١٦ هـ في عهد الملك قانصوه النورى
- ٤١ — دولات باي الأعمش
 ٩١٨ هـ في عهد الملك قانصوه النورى. كان نائب غزاة والكرج والقدس مملاً.
- ٤٢ — دوادار علي بك الأحديب
 ٩٢٢ هـ في عهد السلطان طومان باي
- ٤٣ — الأمير دولت باي
 ٩٢٢ هـ في عهد السلطان طومان باي

٤١ — ومن الاضاف أن نقول أن عهد الماليك عهد طافح بالمتاقتات: فيه عز، وفيه ذل؛ فيه ارتفاع، وفيه سقوط. فيه عظمة ومجد كالعظمة والمجد اللذين وصفناهما لك في الاسطر المتقدمة، وفيه قن يندى لها جبين الدهر. إذ لا يكاد يعني منصة الحكم ملك منهم حتى يقوم أمير من امرائه فيحيك المؤامرات لحلمه. ويظل يحفر له حتى يوقه في الهاوية، ويخلفه في الحكم. ولطالما رأينا رجلا كانوا بالأمرس خداماً وماليك، فاصبحوا ما بين طرفه عين وانتباهتها وزراء وامراء ونواباً وملوكاً. وأكثر الذين تسلطوا عن هذه الطريق كانوا وبالأسف اميين. لا يفقهون من معاني الملك والعدل والحرم والتدبير شيئاً. وكان هؤلاء تارة يلجئون إلى الشدة والقسوة في معاملاتهم، فيفتكون في اعدائهم وسنائهم ليخلو لهم الجو؛ وطوراً يلجئون إلى الهودة واللين فيتقربون إلى الرعية بالانصاب الكبيرة والهدايا العاجزة؛ أو يقربونهم إليهم بشق الوسائل لينطوا عن أعين الناس عيوبهم. وفي بعض الأحيان كانوا يتوسلون لاسترضاء الشعب بانشاء المساجد والزوايا، ولكن ليس من أموالم الخاصة بل من الاموال التي كانوا يتزونها من الناس ظملاً وعدواناً. إن من يقرأ تاريخ غزة في عهد الماليك قراءة سطحية يعتقد انها كانت مدينة عظيمة. إذ أنه كان يقيم فيها نائب السلطان، ومن حوله الامراء على اختلاف روائهم. وكثيراً ما كان يزورها السلطان بنفسه، فيخلع على نائبها وامرائها ورجالها الرتب الرفيعة والهدايا الثمينة والملابس الفاخرة، ويؤدب المآدب. وقد جاء على غزة زمن كانت فيه القدس وأكثر المدن الفلسطينية تابعة لها كما قدمنا. أقول أن من يقرأ ذلك قراءة سطحية يعتقد أن غزة كانت طيلة عهد الماليك تتم في مجبوحة من هناء البال ورغد العيش. والحقيقة غير ذلك. نعم أتى على غزة زمن كانت تتم فيه في مجبوحة من العز والمجد. وقد بني فيها عدة مساجد ومباني لا تزال حتى يومنا هذا قائمة. ولكن غزة خسرت مقابل ذلك الشيء الكثير. وكانت الحسارة تأتيها عن طريق الضرائب التي تجبي لأجل الحروب، والاعانات التي تجمع لبنانيات المساجد والمباني الضخمة؛ ثم عن طريق الامراء الذين كانوا يتولون الحكم فيها ويعيشون عبثة البذخ والترف. وهذا النوع من انواع المعيشة يحتاج إلى اتفاق، وللبائع اللازمة لهذا الاتفاق لا تأتي إلا من عرق الفلاح والطبقة العاملة. وما عمل القامعون على رأس الحكم شيئاً لأجل تعليم الامة وانهاض الفلاح والطبقة العاملة.

والأهم من هذا كله الحروب المديدة التي كان يثيرها الماليك ضد بعضهم البعض .
فقد كانت الجيوش تجتاز غزّة وتسكر فيها في كل حرب وقعت سواء أتاها المهاجمون
من مصر في طريقهم إلى الشام ، أو من الشام في طريقهم إلى مصر . إذ كانت غزّة
محطة الرحال ، ونقطة الاتصال . وإنها كانت المحفر الأماي لكلا الجانبين . وهي فضلاً
عن ذلك محطة التموين من حيث الأكل والشرب واللحوم والخضار وما إلى ذلك .
ذلك لأنها على طرف البادية . ولا بد للجيش من أن يقضي فيها ردها من الزمن
بقصد التموين والتأهب للحرب . فذاقت غزّة من جراء هذه الحروب والفتن الأمرين .
وكم كانت في غنى عن أن تكون مركزاً لنائب السلطان ، وإن شئت فقل في غنى
عن أن تكون عاصمة السلطان نفسه ، من أن تذوق المرارة التي وصفناها لك في
الأسطر للتقدمة .



غزة في عهد الاتراك

كان السلطان (قانصوه التوري) آخر من ملك هذه البلاد من المماليك . وكان



غزة في اوائل العهد التركي

هذا السلطان التركي على شيء من الدهاء ؛ إلا أنه كان هرباً ، وكان داء الهرم هذا قد استحکم من دولته وجيشه أيضاً .

٢ — وفي هذه الآونة صحت عزيمة السلطان سليم العثماني (١) على أخذ الشام ،

(١) هو التاسع من آل عثمان الملقب (يياووز) أي الحبار . وقد اختلف المؤرخون في وصفه : ففهم من قال أنه كان قوي البطش ، كثير الذكاء ، عظيم التجسس . ما جلس على سرير الملك جلياً طاماً ، ولا رآه أحد ، ولا انصف ظالماً من مظلوم . وأنه كان شغوفاً ببلدته وسكره ، واقامته بين الصبيان المرد . وما كان له أمان إذا أعطاه لاحد من الناس ، حتى أنه خفق أخوته وكثيرين من أهل بيته . وأنه أخذ الخلافة غضباً من الخليفة للتوكل على الله عهد امن للمستعك بالله يعقوب آخر حلفاء بني العباس بمصر ، وأحده معه إلى الآستانة ، وبعد أن أعطاه الأمان حمله فذهاه إلى مكان بعيد . ومن قائل أنه نأفة بني عثمان بلا مرء ، وأنه كان رجلاً نافعاً ، وأنه كان يتوحي أن يجعل الأمة العربية لمة الدولة الرسمية بدلاً من التركية يوم افتتح مصر والشام وخطب له في الحرمين الشريفين .

والتضاء على دولة المماليك . وكان ذلك عام ١٥٠١ للميلاد (٩٢٢ هـ) .

٣ — عندما خرج السلطان قانصوه الغوري لمحاربة ابن عثمان ، أناب عنه في مصر أبا النصر طومان باي (١) . وسار بجيشه حتى التقى بالسلطان سليم . قامت بين الفريقين معركة عند (مرج دابق) كان النصر فيها لحليف العثمانيين . وقتل فيها من الجانبين خلق كثير .

٤ — كانت قوة الاتراك في تلك المعركة مؤلفة من ثمانين ألف مقاتل ، وأما عساكر الغوري فقد كانوا خمسين ألفاً . وقد مات الغوري كدأً . وعلى قول انه مات تحت أرجل الخيل . فدخل السلطان سليم حلب من غير حرب . ومنها سار إلى حمص وحماه ، ثم إلى دمشق . ففتحت هذه المدن كلها أبوابها له .

٥ — وفي يوم الإثنين الثامن من شوال ٩٢٢ هـ ذهب دوادار (٢) نائب غزة للمسي على بك الأحذب إلى مصر ، وأخبر السلطان طومان باي بأن ابن عثمان منذ دخل الشام وهو في ضيق شديد من جراء الوحش الذي أصاب عسكره ، والموت الذي حل بهم ، وقلة الاقوات من اللال والملف ، وتضييق العريان . فابتهج السلطان لهذا الخبر . غير أن ابتهاجه لم يدم طويلاً إذ حملت إليه الأخبار بعد بضعة أيام أن عساكر ابن عثمان ما برحوا في تقدم ونشاط ، وانهم تمكنوا من الاستيلاء على الشطر الأكبر من البلاد ، وأخذوا يتقدمون نحو غزة . فعين السلطان الأمير (دولات باي) نائباً على غزة ، فسلمها هذا ، وأخذ يراقب حركات ابن عثمان . ويظهر انه كان بينه وبين بعض (أجناد الحلقة) بغزة نفور ؛ فقد اتهمهم بالتآمر على سلامة الدولة ، وزعم (٣) انهم كاتبوا ابن عثمان طالبين إليه الحضور إلى غزة واستلامها من غير حرب . فاستحضرهم السلطان ، وسألهم عن حقيقة الحال ، فحلفوا له أن هذا الأمر ما وقع منهم ، ولا كاتبوا ابن عثمان ، وإن ما قيل عنهم ليس إلا كذب واقتراء .

(١) أصله من المالك قابنباي . ثم اشتراه الملك الأشرف قانصوه الغوري . وطل بترقى في مناصب الدولة حتى نأب عن السلطان يوم خروجه لمحاربة ابن عثمان كما تقدم . وساس الناس ، فرصوا عنه ، وأطاعه الجند . ولما مات السلطان الغوري وضع اختيار الامراء عليه ، مسلطوه (٩٢٣ هـ) .

(٢) ابن اياس .

(٣) ابن اياس .

فصدقهم السلطان ، وعفا عنهم ، وفكهم من الحديد .

٦ — ما كاد ينتضي على ذلك يوم أو بعض يوم حتى جاءت رسالة من نائب غزة يقول فيها : (أدركونا بالمسكر ، قل أن يملك ابن عثمان مدينة غزة وتتبعوا في خلاص البلاد من يده) . فأخذ السلطان طومان باي يستعد للخروج من مصر . وقد استحضر إليه نائب الشام (ملك الأمراء) جانب بردي الغزالي فخلع عليه ، وجعله باشا على المسكر للمبينين للتحرية . غير أن التجربة لم تخرج في المعاد المضروب . بل جاء للمالك إلى السلطان وقالوا له : (نحن لا نخرج ، ولا نساقر حتى تنفق علينا نحن جمانا ، وتصرف لنا المليك ، ونحن اللحم التكرس) . فانضربت مصر لهذه الاخبار ، وتكد السلطان للغاية .

٧ — وفيما هو في حيرة من أمره اشيع أن السلطان سليم أرسل إلى غزة عسكرياً جراراً بقيادة (سنن باشا) و (بونس باشا) و (اسكندر باشا) و (داود باشا) وعدد آخر من امرائه ؛ كما اشيع أنهم ملكوا مدينة غزة ، وأحرقوا منازلها ، وإن نائب غزة هرب ، وإن عسكر ابن عثمان زاحف إلى مصر . فنادى السلطان امرائه إليه وقال لهم : (اخرجوا ، قاتلوا عن أنفسكم وأولادكم وأزواجكم ! لم يبق في بيت المال درهم ولا دينار . وأنا واحد منكم . إن خرجتم خرجت معكم . وإن قدمتم قصت معكم . وما عندي نفقة أخفقها عليكم) . ثم نادى للنادي قائلاً : (الزعر والصبيان الشطار والغاربة وكل من كان محتضياً لجرم اقترعه فليظهر ، وعليه أمان الله) .

٨ — رفض الغاربة هذا التكليف ، وأبوا أن يقاتلوا السلطان سليم ، قائلين : (نحن مالنا عادة نخرج مع المسكر . ولا نقاتل المسلمين . بل نقاتل الأفرنج) . فهدم السلطان قائلاً : (إذا لم تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان ، فإن الممالك الجبلان يقتلون كل مغربي في مصر ، حتى لا يدعوا فيها مغربياً يلوح) .

ونظروا أن هذا التهديد من جهة ، واستعراض السلطان لجيشه (١) من جهة أخرى كان لها تأثيرها المطلوب ؛ فتقوت قلوب المسكر على القتال ، وغادروا مصر ، وحاصروا جماعة ابن عثمان الذين بغزة .

(١) قال ابن أبياس : « كان مع الجيش يومئذ عجلة من خشب تحرقها أبقار ، وفيها رماة بالبندق الرصاص . وكانوا نحو ثلاثين عجلة أو فوق ذلك . وعرض جبالاً فوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل . وعرض طوارق خشب بسبب الرماة بالنشاب » .

٩ — سار السلطان سليم عن طريق البر إلى غزة فعمت عليه ، ففتحها حرباً وكان ذلك عام ١٥٠١ للميلاد (٩٢٢ هـ) . وكان خان بردي الغزالي (١) قائداً عاماً للجيش الذي أرسله طومان باي لمقاتلة السلطان سليم كما قدمنا . فطلب هذا على أمره في المعركة التي جرت بينه وبين الأتراك في غزة ، وفتر .

١٠ — أرسل السلطان سليم إلى السلطان طومان باي بعد فتح غزة الأمدار التالي : (أما بعد فإن الله قد أوحى إليّ بأن أملك البلاد شرقاً وغرباً ، كما ملكها الإسكندر ذو القرنين . إنك مملوك تباع وتشترى ، ولا تصح لك ولاية . وأما أنا فاني ملك ابن ملك إلى عشرين حد . وقد بوليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة . فإذا أردت أن تتجو من سطوتي وبأسي فاضرب السكة في مصر باسمي وكذلك الخطبة . وتكون نائباً بمصر ، ولك من غزة إلى مصر ، ولي من الشام إلى الفرات . وإن لم تدخل تحت طاعتي أدخل إلى مصر ، واقتل جميع من بها من الجراكسة . وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا) .

١١ — بكى السلطان طومان باي عندما تلقى رسالة السلطان سليم ، وحنى عاقبة الأمر ، ولم يدر ماذا يفعل . ولكنه ، بعد انعام النظر ، اعترم القتال وعدم الاستسلام . ورأى بعين ناقبة انه لا بد من استرضاء العسكر الموجودين في القاهرة قتل كل شيء ليرسلهم نجدة للذين سبقوهم ، فاتفق عليهم بنسبة ثلاثين ديناراً وجامكية ثلاثة اشهر بعشرين ديناراً لكل مملوك . فرموا تلك النسبة في وجهه ، وقالوا له : (ما نسافر حتى نأخذ مائة دينار كل مملوك . فاما لم يبق عددا لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح) . فحنق عليهم ، واسودت الدنيا في وجهه .

١٢ — وفيما هو حائر لا يدري ماذا يصنع تساقطت الأخبار إلى القاهرة قائلة أن الجنود الذين توجهوا إلى غزة قد انكسروا في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة ، ذلك لأن جان بردي الغزالي خرج إلى التجريدة قبل المسكر بعدة أيام . وصار الامراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين ، ويتكاسل زائد . فلما ابطأوا على الغزالي

(١) اختلفت الآراء في هذا الرجل : فهناك من يقول انه حارب السلطان سليم عن عقيدة ، وأنه كان مخلصاً لسلطان مصر طومان باي . وهناك من يعتقد انه (أي جان بردي الغزالي) كان منذ أيام المموري متواطئاً مع ابن عثمان في الباطن ، وأنه كان السبب في انكسار الجيش المصري في مرج دابق ، وفي غزة أيضاً .

جمع بعض العربان وتقدم إلى غزة هو والأمير (ارزمك الناشف) أحد القديمين و (دولات باي) نائب غزة وأصله من محاليك السلطان النوري وجماعة من المالك السلطانية . فقاطموا على عسكر ابن عثمان من طريق الدرب السلطاني ، وتلاقوا معهم على الشريعة بالقرب من بيسان . وكان باش عسكر العثمانية سنان باشا ، ومعه آخرون من امرائه ومن العسكر العثمانية الخلق الكثير . وكان جان بردي الغزالي ومن معه من الامراء في فئة قليلة من العسكر . فوقع بين الفريقين هناك معركة هائلة تشيب منها النواصي ، فانكسر الأمير جان بردي الغزالي ومن معه من الامراء والمساكر ، وجرح الأمير جان بردي نفسه . ولم ينج من عسكر مصر في هذه المعركة إلا من طال عمره . ورجع إلى مصر الأمير دولات باي نائب غزة ، ورجع معه سائر الامراء والعسكر الذين كانوا توجهوا إلى غزة . رجعوا كلهم مكسورين بعضهم راكباً على حمير وبعضهم على جمال . وقد نهبت اقشتمهم واسلحتهم وخيولهم . وذكر الجنود المغلوبون أن مع عسكر ابن عثمان رماحاً بكلايب يخطفون بها الفارس عن فرسه ويلقونه على الأرض . وقيل عنهم انهم مثل الجراد النشتر لا يحصى عددهم ، وأن معهم رماة بالبندق الرصاص على عجالات خشب تسحبها أبقار وجواميس في أول العسكر . واشيع أيضاً أن عسكر ابن عثمان يقتلون الناس من غير شفقة ولا رحمة ، وانهم يتجاهرون بالمعاصي والفسوق ، وانهم لا يصومون شهر رمضان ، ويشربون فيه الخمر والبوزة ، ويستملون فيه الحشيش ، ويفعلون الفاحشة في الصبيان المرد في شهر رمضان ، وإن ابن عثمان لا يصلي صلاة الجمعة إلا نادراً .

١٣ — قال ابن اياس الذي نقلنا عنه هذا الخبر : « أن الغزالي لما تلاقى مع سنان باشا على الشريعة اشيع في غزة أن الغزالي قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل سنان باشا وعسكر ابن عثمان . فبادر (علي باي دودار) نائب غزة وأجناده فهبوا وطاق العثمانيين ، وأحرقوا خيامهم ، وقتلوا من كان في الوطاق والمدينة من العثمانية نحو اربعمائة إنسان ما بين شيوخ وصبيان وعن كان بها مريضاً . فلما ظهر أن العسكرة على عسكر مصر ، وقتل من قتل من الامراء ، رجع سنان باشا إلى غزة فوجد من كان بها قد قتل ، ونهب الوطاق . فجمع أهل غزة قاطبة وقال لهم : من فعل ذلك بنا ؟ قالوا : علي باي دودار نائب غزة وأجناد غزة ، ولم نفعل نحن شيئاً من ذلك . فأمر سنان باشا بكبس بيوت غزة فوجدوا فيها قماش العثمانية ، وخيولهم ،

وخيامهم . فقال لهم سنان باشا : نحن لما دخلنا غزة هل شوشنا على أحد منكم . قالوا : لا . فقال لهم : كيف فعلتم بمسكرنا ذلك ؟ فلم يأتوا بجواب ولا عذر ولا حجة . فعند ذلك أمر عسكره أن يلعبوا فيهم بالسيف . فقتلوا ما لا يحصى عدده . وراح الصالح بالطالح « . وقال أيضاً : إن ما فعله عسكر ابن عثمان بأهل غزة من القتل والنهب والسلب كان له تأثير على العربان في البلاد التي بين غزة ومصر . وأخذ الناس يتخوفون ، والمماليك يهربون . فنادى السلطان إليه المماليك الذين حضروا إلى غزة ووبخهم بالكلام وقال لهم : (كيف هربتم حتى كسرتم الامراء ولم تقاتلوا ، وبقي وجهكم أسود بين الناس) .

١٤ — وقد التقى جيش العثمانيين مع جيش المصريين في خان يونس أيضاً ، فشنته . ثم صار إلى مصر فافتتحها . ولم يجد السلطان سليم في طريقه أية صعوبة (١) في اجتياز الصحراء الواقعة على بعد بضعة أميال من جنوب غزة إلى وادي النيل ؛ إلا من القبائل البدوية التي كانت تغزو الغازين ، فتلقمهم (٢) . بيد أن السلطان سليم تمكن من تشتيت شمل هذه القبائل أيضاً .

ولما دخل مصر قتل مليكها (طومان باي) الذي قلنا انه تولى الملك فيها بعد موت السلطان غوري . قتله شقياً ، كما قطع رؤوس عدد كبير من المماليك الشراكسة ، ورؤوس الكثيرين من العربان الذين كانوا معهم .

١٥ — ولما تم احتلال مصر ، وصفا للسلطان سليم الجوارح اعترفت الرجوع إلى القسطنطينية . فجعل يونس باشا نائباً عنه في مصر . وخلع على شخص من جماعته قهره نائباً عنه في غزة . وخلع على شخص آخر قهره نائب القدس . ثم انتدب

(١) كان السلطان سليم قد أعد خسين ألف جندي ، أخذ الشطر الأكبر منها من غزة وما جاورها ، وذلك لملء المياه في الصحراء . إلا أن السوء جادت عليه بالمر الغزير فاستغنى عن قسم كبير منها .

(٢) كان عدد الغزاة من البدو في بعض الأحيان كبيراً بدرجة أن اقلقت بال سنان باشا قائد جيش العثمانيين . وظهرت أنهم الجيش النظامي المصري راحف بقيادة (طومان باي) وإن عددهم يفوق عدد العثمانيين . فرفع الأمر إلى السلطان . وأمره هنا باحضار جواده ، لئلا يقع في أسرهم . ولكن سرعان ما انكشف النطاء وفهم حقيقة الأمر . ويقول المؤرخ التركي (ابو الفاروق) الذي قلنا عنه هذا الخبر أن السلطان سليم غضب حتى انه كاد يقطع رأس سنان باشا لأنه لم يبحث الخبر جيداً ، ولم يتر في قتله إليه .

شخصاً من امرائه يقال له (علي بك) وصحته جماعة من العثمانية لأجل اصلاح الآبار في طريق غزة ، وتنظيف الطرق من الوعر . وبعد أن استكمل تدابير هذه غادر القاهرة . وكان ذلك في اواخر شهر ربيع الأول سنة ٩٢٣ للهجرة .

١٦ — وفي أثناء رجوعه إلى القسطنطينية عرج السلطان سليم على غزة ، فكتب بها يوماً أو بعض أيام . ورأى وهو فيها ما لها من الأهمية التجارية والعسكرية ، فأقام عليها نائب الشام سابقاً وقائد الجيش الذي كان يحاربه بالأمس الأمير جان بردي الغزالي . ثم أقامه نائباً عنه في الشام . وجعل له التحدث من غزة إلى الشام وأعمالها ، يولي من يختار ويعزل من يختار .

١٧ — وفي ذهاب السلطان سليم إلى مصر وعودته منها قسماً (١) أهل البلاد من اعتداء جنده كثيراً . فقطع الأجساد الأشجار ، ورعوا الزروع ، وأخرجوا الناس من بيوتهم في البلاد التي احتلها فكان الضرر عظيماً .

١٨ — ولما توفي السلطان سليم شاه تولى السلطنة ابنه السلطان سليمان القانوني . وكان ذلك عام ١٥٠٥ لليلاد (٩٢٦ هـ) . وقد انشغل هذا بفتوحاته الواسعة وحروبه الكثيرة حتى انه لم يجد الوقت الكافي للعناية (٢) بأية ناحية من انحاء بلاده . بل اكتفى بأن تضرب السكة وأن تقام الخطبة باسمه . ولم تنل غزة في عهده شيء من الإصلاح ، ولا عمر جدياً من الحراب الذي أصابها من الجند في عهد أبيه . ويظهر أن الاستياء كان قد شمل البلاد بسبب هذا الاعمال من جهة ، وانشغال السلطان سليمان بفتوحاته من جهة أخرى ؛ فثار نائب الشام (جان بردي الغزالي) على السولة . وأرسل كتاباً إلى ملك الامراء حار بك يقول له فيه : (تسلطن أنت عصر ، واستمر أنا بالشام ، واحكم من الفرات إلى غزة ، ونطرد هذه العثمانية عن مملكة مصر) . فأطلع خاير بك السلطان سليمان على هذه المؤامرة . فأرسل إليه هذا تجريدة نحو ١٤ ألف . وظل يحاربه ، حتى تعلب عليه . فانكسر جنده ، وقتل هو ؛ وخلع ملك الامراء على (قره موسى) أحد امراء بني عثمان ، وقرره في نيابة غزة . فسافر إليها هذا في الحال ، وتسلم امورها .

(١) خطط الشام

(٢) خطط الشام

١٩ — ولقد تولى الملك من بعده سلاطين من بني عثمان ، نذكر منهم :
السلطان سليم الثاني ، والسلطان مراد الثالث ، والسلطان مراد الرابع ، والسلطان
ابراهيم الأول ، والسلطان أحمد الأول ، والسلطان مصطفى الأول ، والسلطان
عثمان الثاني ، والسلطان محمد الرابع ، والسلطان سليمان الثاني ، والسلطان أحمد
الثالث . غير أن البلاد العثمانية لم تتقدم كثيراً في مدارج الحضارة والرفق على
عهد هؤلاء السلاطين . إذ كان بعضهم منهمكاً في فتوحاته ، والبعض الآخر في تدير
للؤامرات لاغتيال خصمه ، أو في رد عدايات للتأمرين على ملكه . والذي يصفو له
الجو منهم يقضي وقته بين السكّوس والتواني . وكما حدثنا تاريخهم عن مات منهم
ضحية اللدام ، وعن راح شهيد الجمال الفتان . حتى قيل انه جاء زمن على الدولة
العثمانية كانت الواردات التي تجي من قضاء من الاقضية أو ابله من الآيالات تخص
لاحدى ناء السلطان أو لمخطية من المخطيات اللواتي يعشن في قصره . وان هاته
النسوة كن يتندين من يقوم بحماية هذه الواردات من القضاء المخصص لهن بالنيابة عنهن .

٢٠ — قال المؤرخ التركي جودت في تاريخه : « ان الدولة العلية لما انتقلت
من دور البداوة إلى دور الحضارة لم يتخذ رجالها الاسباب اللازمة لهذا الانتقال .
فحصروا اوقاتهم في حظوظ اغصهم وشهواتهم ؛ يقيمون في العاصمة القصور الفخمة ،
ويفرشونها بأنواع الأثاث والرياش مما لا يتناسب مع رواتبهم . فاضطروا إلى
الارتشاء ، وبيع المناصب بالمال ، وتزيم البلاد واقطاعها بالأثمان الفاحشة .
» والفساد الذي كان منتشراً في البلاد العثمانية ، ومنها غزوة ، كان ينبعث من
العاصمة . إذ كان يقبض فيها على زمام الاحكام غالباً جهلاء ظلام . وقد تولى الصدارة
ندماء سخفاء ، بل جبالون وطباخون وغيرهم من المقربين لا إلى الملوك لحسب بل إلى
نساء القصر الملكي ، أو الزوج والحبيبات الذين كانوا يولون ويعزلون كما يشاؤون
وتشاء اهوائهم » .

٢١ — وعندما تبدو علامات الاستياء من جراء هذه الحالة في ناحية من انحاء
البلاد ، كان السلاطين يعملون على إلقاء الفساد والشغب بين الرؤساء والزعماء .
وذلك برتب يغترعونها لهم ، وجرايات يدرونها عليهم . وحكّات المناصب والرتب
تباع في الآستانة ببيع السلع سوق المزاد . وعندما لا تجد هذه التدابير كانوا
يفشكون بالارباء . وكان من السهل عليهم أن يستصدروا من المنافقين فتاوى تبر

أعمالهم هذه . وكما ازداد فساد السلاطين في عاصمة الملك ، ازداد الولاة والحكام الجاهلون عتاً وظلماً . وكما ازداد هؤلاً ، ظلماً ازدادت شوكة التغلبين ، وأرباب النفوذ في المدن والقرى . فعم الظلم ، وانتشر الفساد ، وكثرت الضرائب وللكوس بدرجة لا تطاق . وأما عن جيش الدولة ، وعن الفساد الذي انتشر فيه فحدث ولا حرج . الأمر الذي حدث من جرائم حروب وقتل كثيرة : تارة بين السباهية والانكشارية ، وبين هؤلاً والقبورقول ، وطوراً بين الجيش والسلطان . ولو لا ذلك ما اجترأ الولاة والحكام وأرباب الاقطاعات في كثير من الحالات على العيان .

٢٢ — وقد تولى الحكم في غزة آل رضوان . وكان ذلك عام ١٥١٠ للميلاد (٩٣١ هـ) . وعلى قول أن آل رضوان منحوا هذا الحق وتولوا الحكم الوراثي في غزة منذ أيام السلطان سليم الأول . ومعا كان الأمر فان عهدهم كان معروفاً في هذه البلاد بمهدالباشاوات . ومنهم الأمير أحمد باشا بن رضوان باشا بن مصطفى باشا (١) . ومنهم الأمير بهرام باشا (٢) وقد كان والياً على حلب . ولبهرام هذا أراضي وأملاك كثيرة في غزة اوقفها كلها لفعل الخير .

ومنهم الأمير حسين باشا بن الأمير حسن باشا بن الأمير أحمد باشا آل رضوان (١٦٦٠ للميلاد) . فقد أحب هذا غزة ، واتخذها عاصمة لفلسطين . وقد ذكره الاستاذ (ماير) في تاريخه ، فأطرب في وصفه وقال : « إن قصره كان مزديناً بالاثاث والرياش الفاخرة ، وانه كان قائماً في وسط حديقة غناء . وان القائمين بترتيب حديقة الباشا كانوا ينتمون إلى عائلة تدعى الأفرنجي وهي من بقايا الصليبيين . فاعتنق افراد هذه العائلة الاسلام في عهد آل رضوان » .

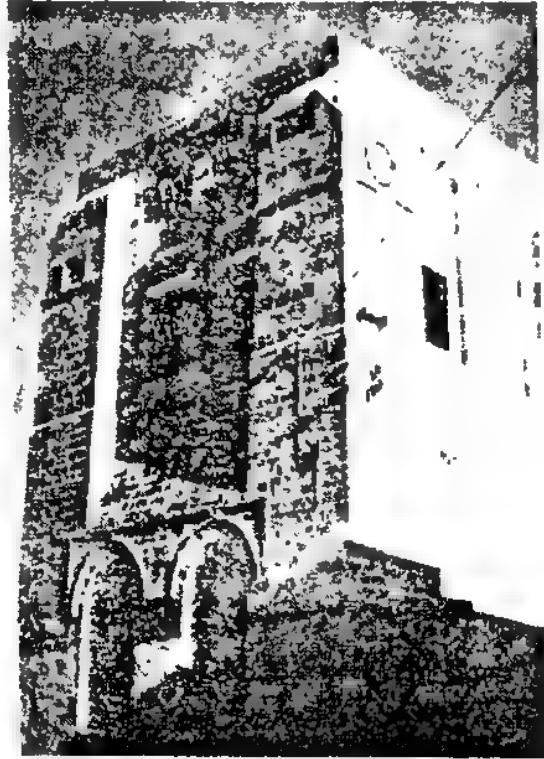
وقد تملك آل رضوان أملاكاً كثيرة منها (الدبوا) ، وعلى قول انهم هم الذين بنوها ، وأن الذي بناها منهم هو حسن باشا بن أحمد آل رضوان . وكانت ذلك في القرن الحادي عشر للهجرة . وفي زمنهم بنيت مئذنة الجامع الكبير ، ومئذنتان اخريان من مآذن الشجاعية . وعدد كبير من المنازل الجميلة ، والأبنية الضخمة . منها جامع القلعة (٣) ، ودار المباشر ، والبناء الذي اتخذته المجلس البلدي في يومنا هذا

(١) كان وزيراً من وزراء تركيا في الآستانة .

(٢) أنه ابن مصطفى باشا .

(٣) دائرة الاوقاف في يومنا هذا .

مدرسة للامات ، والقيصرية (سوق التجار القديم) ، وخان الزيت ، وحمام السمرة ، وقصر الباشا وما إلى ذلك . وعلى هذا المنوال استعادت غزة في عهد آل رضوان بعض ما فقدته من مكاتها السابقة في عهد المماليك . وقد وصلوا من السيطرة والنفوذ الى حد جيد .



الربوبيا — قصر آل رضوانه

حتى ان الحجاج الذين كانوا يسافرون من باقا إلى القدس كانوا يرغبون على الحصول على إذن بالسفر من الباشا في غزة . وكان لمؤلاء الباشاوات مقابر خاصة في غزة ، لا تزال قائمة حتى يومنا هذا . وهي التي تراها شرقي الجامع الكبير .



٢٣ - وما دنا في صدد البحث
عن آل رضوان فلتبحث عن السائح
التركي المشهور (أوليا جلبي) الذي
زار غزة في ذلك العهد (١٦٤٩ م) .
وكتب عنها وعنهم الشيء الكثير من
كتابه الذي أسماه (أوليا جلبي سياحتنا
مه سي) (١) قال :

« ... استأنفنا السفر جنوباً حتى
وصلنا إلى مدينة (غزة هاشم) التاريخية .
ان هذه المدينة واقعة على حدود عسقلان
في منطقة جاسان (٢)

» فما كنت أهبطها حتى توجهت إلى

منزل حاكم الولاية حسين باشا . فسلت فهاه الزيت - من املاك آل رضوانه
عليه ، وقدمت له احترامي . ثم ناولته رسالة مولاي مرتضى باشا (٢) والتياب
الحريرية والمهدايا الفاخرة الاخرى التي احملها اليه منه . فسر بها كثيراً . وقال :
« أجل . إنه لقرض علينا إن شاء الله . ولا بد أن ترسل معك من يساعدك في
تحصيل البقايا ، وان تدفع نحن ما علينا من دين » .

« ولم يرض الباشا عليّ بشيء من لطفه وكرمه . فأعدت لي منزلاً خاصاً من منازل
نزلت به . وقضيت الوقت كله معه في حديث وبحث وتدوين . فأيقنت أن الباشا
صديق صادق قولاً وفعلًا .

« إنه خفيف الروح ، لطيف المشر ، أكرم من حاتم طيء ، أديب ، شاعر ،
ومؤرخ . وعندما علم الباشا أنني ميال للأسفار جمعني مع عدد كبير من علماء المدينة

(١) في المتحف القلطيقي بالقدس نسخة بالانكليزية من هذا الكتاب ترجها عن
التركية باسم مصلحة الآثار الاستاذ حنا اسطفان . وكأني هذه نقلها عن النسخة الانكليزية .
(٢) يظهر أن هذا كان رئيس الوزراء في ذلك العهد .

ومؤرخيها . فقصيا الوقت كله ، ليلاً ونهاراً ، في تتبع آثار المدينة وأخبارها . وعلمت منهم أن مدينة غزة أيضاً كانت إحدى المدن التي عمرت وازدهرت بعد الطوفان . فقد ذكرها ابن صولاق ، وواضع خطط القضاعي ، ومؤلف التجويد في الصحافة ، والذهبي ، فقالوا إن أول من بناها (مرشم) (؟) ابن سام ابن نوح عليه السلام ؛ وإن هذا بنى ، على بعد ثلاثة أميال منها ، مدينة أخرى أسماها (مرشم) ؟ وقد خربت هذه وهجرت منذ أيام نبوخذ نصر . إلا أن بقاياها تدلنا على ما كانت عليه من عظمة في العهود الغابرة .

« وإن الطبيب المشهور غالينوس زار تلك المدينة في عهد ازدهارها ، ومات فيها . » وأما الآن فإن غزة عامرة ، ولها مستقبل زاهر . فقد انتقلت عام ٩٢٢ للهجرة من يد السلطان التتاري إلى يد السلطان سليم الأول . وهي الآن مركز لسجن غزة التابع لولاية سوريا . والضرائب الأميرية المعينة لأمير اللواء فيها (٥٠٨٣٢٨) من الفضة . ولها سبع زعامات ، ومئة وسبع تيارات (؟) ، وفيها ، بموجب القانون ، ١١٥٠ عسكرياً بينهم من يحملون رتبة (جبه لو) . كما أن الباشا (والآلای بك) فيها يسيرون تحت لوأها .

« وأما منصب القاضي ، ذلك المنصب النبيل ، فقد خصص له ثلاثمائة من الفضة . وعلاوة على هذا فإن مبلغاً قدره أربعة آلاف قرش يجمع من قراها لأجل القاضي ، وآخر قدره ثمانون ألفاً لأجل الباشا .

« إن هذا السجن مأهول بالسكان ، ومزدهر بالممران . وهناك شيخ للإسلام ملم بالفقه على المذاهب الأربعة الكبرى ، وتقيب للأشراف ، وأعيان ، ونبلاء عظام ، ورجال أفاضل ، وكوكبة من السباهي المحترمين ، ورجال ماهرون في مختلف الحرف والصنائع .

« وهالك ، فضلاً عن ذلك ، نائب المدينة ، وصوباشي ، ومحتسب ، وباجدار ؟ ولما كانت هذه المدينة قد منحت منذ أيام السلطان سليم الأول إلى حسين باشا وأولاده من بعده واسرته على مدى الحياة فإن جميع الضرائب التي تجبي فيها شخصية تخص الباشا . » إن قلعة غزة التي بنيت في العهود الغابرة دمرها نبوخذ نصر . وأما حصنها الحالي فقد بني في وقت بعد ذلك التاريخ . إنه لحصن صغير ، مربع الشكل ، مبني

من الحجارة الرملية في وسط الرمال على مسافة ساعة من شاطئ البحر للشرق . وقد شيدت جدران هذا الحصن على ارتفاع عشرين ياردة من الأرض . وله باب من حديد متجه نحو القبة . ويترتب على الزدار والجنود أن يظلوا دوماً مرابطين في الحصن على أهبة الاستعداد . إذ أنه حسن من الخطورة بمكان لوقوعه على تخوم العشائر والقبائل البدوية . والاعداء كثيرون . وإن السلع القيمة ، والأشياء الثمينة التي يقتنيها الوجوه والأعيان بوجه خاص ، وسكان المدينة بوجه عام ، تحفظ في داخل القلعة . وفيها أيضاً منازل الجنود ، مستورة بالتراب . وفيها أيضاً مسجد ، وغابر للحنطة ولسائر أنواع الحبوب وللثمن ، وعازن للأسلحة وللدهات الحربية . كما أن فيها مدافع ملكية من الطراز البديع ، مجهزة بكل ما تحتاج إليه من ذخائر ومهمات . إن الناحية المواجهة للقبلة من نواحي القلعة شبيهة بمدينة كبرى . وأمام مدخل القلعة في الناحية الأخرى من الشارع ، مسجد يصلي الناس فيه الأوقات الثلاثة في النهار . ويؤم هذا للمسجد عدد كبير من المصلين .

« غزة مدينة تاريخية قائمة فوق سهل واسع منبسط . ولها ستة أحياء . وفيها ألف وثلاثمائة منزل . وجميع منازلها مبنية من الحجر . وأسطحتها مستورة بالطين والكلس . وفيها عدة سرايات وقصور ، وإن اللسان ليعجز عن وصف سرايى حين باشا . هذا الباشا الكريم الذي يزوره لا يقل عن مئتين من الضيوف في كل ليلة بين مشاة وفرسان .

« وفي المدينة سبعون مسجداً ذوو محاريب . وفي أحد عشر مسجداً منها تقام صلاة الجمعة . وفي القرب من السوق مسجد يقال له (مسجد الجمعة) ، وصلي فيه حاكم الولاية حين باشا ، وهو يتسع لعدد كبير من المصلين . وانه لبناء جديد وجميل . ليس له نظير . إذ تسابق البناؤون والهندسوف من القاهرة ودمشق والقدس الشريف فأبدوا كل ما لديهم من فن ومقدرة ، وابدعوا في بنائه ما شاء الابداع أن يكون . والبناء الحبير الذي تولى بناء هذا للمسجد بنى له في نفس الوقت مثذنة عالية متقنة الصنع ، لها أروقة ثلاثة ، بشكل منقطع النظير . حتى أن مسجد الجمعة الذي بناه سنان باشا فأنح المن لم يكن على هذه الدرجة من الاتقان . وفي وسط المدينة تكية عبد العفليم ، وبالقرب منها تكية مرغان . وفيها مثنا سبيل يرتوي من مائها العطشان .

« ولما كانت المدينة واقعة على طرف البادية فليس فيها انهار جارية . وكل ما هنالك مياه أرضية . إن ماء الحياة يحمل إليها من الخارج على ظهور الإبل . »
« ومن الحمامات العمومية الكائنة في غزة يجدر بنا أن نذكر حمام الباشا ، وحمام العسكر ، فانهما لطيفان ومنشان للغاية . »
« وفي غزة ستائة دكان . وهي وإن لم تكن ميناء بكل ما في هذه الكلمة من معنى إلا انها مدينة تجارية تستطيع أن تجد في سوقها بضائع وأشياء ذات قيمة . وإن مصانع الزجاج والسروجية فيها رائجة . كما أن سوق التجار المبني من الحجارة مزدهر للغاية . »

« لسكان غزة نوع من الخال يعرف (بخال غزة هاشم) . وهو طريف للغاية ويلبسونهم جداً ، وهم يلبسون السمر والفراجية وثياب أخرى غير مزخرفة . وأما الطبقة الوسطى فانها تكتسي ثوباً بسيطاً أبيض اللون . وأما المال والطبقة الفقيرة من السكان فانهم يلبسون (سرتية كراكة ؟) ولهذا الثوب اشكال مختلفة . وهؤلاء يلبسون أيضاً الغباء . والفزيون بوجه الإجمال بيض الوجوه ، ذوو حواجب قاتمة وهناك فئة منهم سمر اللون كأنهم مدبوغون بالشمس . »

« إنهم ذوو عزم واحساس ونشاط ، وهم أحرار وكرام ومحبون للضيف ، ولا سيما إذا كان هذا غريباً . يعيشون على التجارة والأعمال اليدوية . »

« وللمدينة جو يديع وهواء عليل . وهي واقعة في الاقليم الرابع . تكثر فيها الحنطة . وهذه معروفة ببياض لونها ، وكبر حجمها ، ويسمونها (سن الجمل) . وأما شعيرها فانه مشهور ، وكذلك قل عن قطنها ، وحريرها . والكراصة التي تصنع من الصوف في غزة ، وكذلك الحارم ، والبشكير ، والفوط الصغيرة والكبيرة ، فان هذه كلها تصنع في غزة وهي مشهورة . »

« وفيها سبعة آلاف كرم ينرس فيها العنب . وعنبها مشهور . وكذلك قل عن زيتونها ، وتوتها ، ولبنونها ، وكبادها ، وتينها ، وشمامها ، ورماتها ، وبلحها ، وعن فواكهها الاخرى ، فانها مشهورة في اسواق العالم . إن زيتنها يصدر لمصر محملاً على مئات من الجمل . ويروج في اسواق مصر رواجاً غريباً لجودة صنعه . »

« إن (عين السجان) إحدى المحلات التي يطرقها الفزيون للترهة ؛ بالقرب من غزة وفي مكان يدعى (إبله) حيث ينسبط سهل غير متسع ، فيه خمسة بنايع

جارية . منها (عين السجان) . التي يزداد ماؤها في فصل الشتاء ، ويقل في فصل الصيف . واللياء التي تنبع منها تجري على وجه الأرض ، ثم تغور في حفرة من الأرض . لو شرب جيش برمته من ماء هذه القرية وظل يفعل ذلك مدة عشرة أيام وعشر ليال متواصلات لما نقصت كمية المياه التي فيها . والغريب في الأمر أن ماءها لا يفيض ، ويعتقد الأهليون أنه إذا شربت الطيور والحيوانات الداجنة والوحوش من مأنها فإن شعرها ووبرها يزول فوراً . وأما الإنسان فلا . إنه (أي الإنسان) إذا شرب من مأنها يبعد فيه العلاج الشافي للكثير من أوجاعه وآلامه .

٢٤ — وفي أيام السلطان عثمان الثالث سنة ١٧٤٧ م (١١٦٨ هـ) حكم غزة الحاج حسين باشا مكي (١) وقد صار حاكماً فيها . ثم صار حاكماً في القدس (١١٦٩ هـ) وفي صيدا . ثم صار أميراً للحج واليماً في الشام . إنه وإن لم يكن شرهاً في جمع المال كغيره من الحكام . إلا أنه كان بطيء الحركة . ولذلك حصل في زمنه تطاول من البرلية (٢) والقبو قول (٣) . وحدثت قتل لا عهد للبلاد بمنزلها من قبل . وقد ظهر غلاء شديد . فضجت الرعايا ، وحصل ضيق ، واشتدت الامور . وقد اعتدى بنو صخر على الحاج في عهده ، فهبهم وقتلوا أمير الامراء موسى باشا العراوي وقد كان أمير الجردة ، وفر هو (أي حسين باشا مكي) إلى قلعة تبوك ، ومنها جاء مخفياً إلى غزة . وبقي في غزة حتى أتمته رتبة الوزارة مع منصب مرعش ، فتوجه إليها . وبعد أن حكمها سنة اقليل منها ، فعاد إلى غزة . ومات فيها .

٢٥ — وقد ألم بغزة شيء من العناء أثناء الحروب التي قامت بين كبير الزبادة

(١) هو حسين باشا بن محمد بن الحاج محمد بن الحاج مكي المعروف بالفخر القزى . جاء في (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) أنه نشأ في غزة ، وتوجه إلى اسلابول مع أبيه محمد مكي عندما أخذ هذا بلاد غزة انقطاعاً له بطريق المالكة . وبينما كانت أبوه كتحدا لاسعد باشا العظم حاكم دمشق ، كان حسين باشا حاكماً في غزة . راجع ما كتبناه عنه في الجزء الثاني الذي خصصناه لتاريخ عائلات غزة ورجالها الأقدمين .

(٢) الجند الوطني .

(٣) الحرس المحلي

(ظاهر العمر) (١) وبين (عثمان باشا الصادق) الكرجي الذي ولي الشام من قبل الدولة التركية عام ١٧٦٤ م (١١٨٥ هـ) . وبالرغم من أن الدولة وسعت سلطة عثمان باشا إلى تخوم غزة ، إلا أن النصر كان حليف ظاهر في المعارك التي جرت بين الفريقين . ذلك لأن (علي بك الكبير) حاكم مصر كان أصدق صديق لظاهر وقد أرسل لنجدته جيشاً بقيادة (محمد بك أبي الذهب) . فر هذا بجيشه بغزة ، وسار إلى دمشق . أضف إلى ذلك أن ظاهراً استعان بكاترين امبراطورة الروس ، فأمرت هذه سفنها التي كانت واسية في ميناء حيفا ، فضربت بيروت وأمنت له النصر .

٢٦ — ومن رجال الدولة العثمانية الذين اشتهروا سنة ١٧٧٥ م (الدنكليزي) . كان هذا حاكماً في صيدا فحدثه نفسه بمصيان دولته . فأرسلت لحاربه ومحاربة صديقه ظاهر العمر سفناً بقيادة حسن باشا قبطان . فجاء حسن باشا وحاصر صيدا أولاً . فمر الدنكليزي حاكماً إلى عكا . وكان من رأي الدنكليزي ارضاء حسن باشا بالمال . فعارضه ابراهيم الصباغ في رأيه وعمل ظاهر برأي الصباغ ، ففرج الدنكليزي غاضباً . وخرج معه رجال القارية وكانوا ركن الشيخ ظاهر في الدفاع . ولما قتل الشيخ ظاهر بيار ناري من أحد أتباعه القارية قتل حسن باشا قاتله ، ونفى ابراهيم الصباغ إلى الآستانة حيث شقته . وارسل الدنكليزي والياً على غزة . وارسل معه من دس له السم في الطريق فمات .

٢٧ — ومن رجال الدولة العثمانية الذين اشتهروا سنة ١٧٧٦ لليلاد (أحمد باشا الجزائر) (٢) . فقد صادق هذا عثمان باشا والي دمشق ، وخاصم ظاهر العمر .

(١) يقال لاسرته (الظواهر) أو (الزيادة) نسبة إلى زيدان جد ظاهر . وزيدان هذا من قبائل عرب الطائف في الحجاز . عادها عام ١٦٩٠ م على أثر عمل أصاب الزرع . وكان له ، ولأولاده من بعده ، شأن يذكر في بلاد الشام وفي صفد وشمال فلسطين . حتى أنه لم يرق في عين الدولة هودم هذا ، فجهزت جيشاً لحاربتهم . ولكنها عادت فاعترفت لظاهر ولأولاده من بعده بالولاية على جميع بلاد الجليل . فدرواق الأمن ، وحالف قبائل البادية . وظل مسيطراً على أكثر أنحاء البلاد حتى شاخ وقته رجل من أتباعه القارية (١٧٧٤ م) . (٢) ولد سنة ١٧٢٠ م في إحدى قرى البوستان . وهرب من بلاده إلى الآستانة . ثم بيع في مصر بيع العبيد . وصار مملوكاً في قصر (أحمد بك أبي الذهب) . فوسم هذا فيه الخير والمقدرة على الفتك فاستخدمه لأتمام مقاصده ولتليل من أعدائه . وكان ضلوعه ظنه . فتك بعد كبير منهم . ولقد لُقّب بالجزار وقد توفي سنة ١٨٠٤ ودفن في عكا .

فمين والياً على بيروت . وما كاد يتسلم زمام الأمر فيها حتى بدت عليه علامات العصيان . إلا أنه لم ينجح . فخرج من بيروت مدحوراً .

وقد تقرب بعدئذ إلى ظاهر العمر ، فسلمه هذا قيادة فرقة من جيشه وأرسله في مهمة إلى غزة . وفيما كان فيها يقوم بقضاء تلك المهمة فر إلى معسكر عثمان باشا العدو ظاهر العمر ، فلم يحتفل به . لأنه علم أنه ذو وجهين .

وقد التحق بعدئذ بالأسطول العثماني الذي كان معقود اللواء إلى حسن باشا . ثم عاد فاققلب عليه . ويظهر أن الدولة رأت من مصلحتها ، رغم اخلاقه هذه ، أن تستميله إلى جانبها . فجعله وزيراً . ووسعت سلطته حتى امتدت من الشام إلى غزة وعريش مصر . الأمر الذي اتخذ نابليون ذريعة لفتح هذه البلاد ، كما سترى ذلك في الفصل الذي خصناه لغزة في عهد نابليون .

وبعد أن احتل نابليون غزة والرملة ويافا وحيفا حاصر عسكاً إلا أنه فشل أمام أسوارها فارتد عنها مدحوراً . عندئذ ازداد الجزار ختلاً وكبرياء . فماد يثمل مظالمه (١) ويحمل على الناس مغارمه ، لا فرق في ذلك بين مسلم أو مسيحي أو يهودي .

٢٨ — وكأنه لم يكف البلاد ما أصابها من ظلم الجزار ، وما ألم بها من خراب أثناء زحف نابليون ؟ فقد قام (محمد باشا أبو المرق) (٢) يسومها الخسف والعسف . ويجور على أهل بيت للقدس والخليل والرملة والد ، ولم يكن الظلم الذي نزل بغزة يومئذ بأقل مما نزل بأخواتها من المدن الفلسطينية مما لم يقع مثله . حتى اضطرت السادات الأشراف الأبرياء لكثرة مظالمه أن يبيعوا أولادهم في السوق بيع الجوارى والعبيد .

٢٩ — وفي عام ١٨١٤ م (١٢٣٠ هـ) كانت غزة تدار من قبل متصرف تركي يدعى (حسن درويش باشا) . وكانت القدس يومئذ تابعة له .

وبعد حسن درويش باشا أصبحت غزة (متسلية) (٣) وكانت متسلها (عيسى آغا للشعلجي) (٤) .

(١) خطط الشام . الجزء الثالث ص ١٨

(٢) خطط الشام

(٣) أي مركز نائب المتصرف .

(٤) إن هذا الحاكم المنفذ يمت بالنسب لآل البورنو الموجودين بغزة في الوقت الحاضر .

٣٠ — ومن الولاة الأتراك الذين دانت لهم غزوة بالحكم وصار لهم شأن كبير فيها (عبدالله باشا) . فقد اطلعت على أمر أمدره بتاريخ (١٢ مايس ١٢٤٧ هـ — ١٨٣١ م) وقع عليه بصفته (والي صيدا ومصر والعريش وغزة والقدس ونابلس وجنين) وكان ذلك في عهد السلطان العثماني محمود الثاني .

ويظهر أن التزيين ثاروا على الدولة العثمانية في عهده ، واتفقوا مع عرب التياها والترايين ، وطردوا الموظف الذي نصبه متسلم غزوة يومئذ حسين آغا وكيلاً على الجرك . فأرسل إليهم كتاباً يسترضيهم فيه وينذرهم في نفس الوقت بسوء العاقبة إذا هم تمادوا في عصيانهم . ويظهر أن الذي كان يقود الثورة يومئذ رجل منهم يدعى مصطفى الكاشف .

ولقد اطلعت في (المخطوطات الملكية المصرية) التي نقلها الاستاذ أسد رستم على الكتاب الذي أرسله عبدالله باشا يومئذ إلى أهالي غزوة ، وقد جاء فيه ما يأتي :

« من عبدالله باشا إلى أهالي غزوة :

« قدوة النواب المتشرعين نائب غزوة هاشم حالا افندي زيد فضله ، وافتخار العلماء الكرام المأذون بالافتاء افندي زيد علمه ، وفرع الشجرة الزكية قائم مقام تقيب السادات الأشراف افندي زيد شرفه ، وقدوة الأمائل والأقران ميرالاي زيد قدره ، ومفاخر اقرانهم علماء وخطباء وأئمة وسائر وحوه البلدة وأرباب التكلم بوجه العموم يحيطون علماً : طرق مسامعنا بأن بهذه الاثناء تظاهروا بالبصيان لطرفنا ، وصار بينكم وبين عرب التياها والترايين اتفاق . وبذلك الوقت كان افتخار الأماجد والأعيان متسلماً في لواء غزوة والرملة ويافا ولد حالا حسين آغا زيد مجده مرسل لطرفكم وكيل من طرفه على الجرك ، فطردتموه . وسحبتم اعناقكم من قلادة الاطاعة . فقد استغربنا هذا الحال . كان ابالة يافا وغزوة والرملة وتلك النواحي مالمكانه لنا براءة مخلدة بيدنا بمدة حياتنا . كذلك لله تعالى الحمد ما وقع عليكم ظلم وتمدي يوجب منكم هذا الفساد الذي وقع منكم . بل أموال الليرة المرتبة من قديم الأيام وسالف العصر والأوان وبورود جناب شيخنا الشيخ محمد افندي سكيك المحترم اطرفنا صحننا منها بمقدار وافر مرحمة للمقراء وتلطفاً للرعايا . وبعد هذا كله لله تعالى الحمد عما كرنا وافية . وكما تعلمون وتحققون أن لواءهم دائماً منصور ، ولا يمكن يتوجهوا إلى الحل إلا والنصرة أمامهم . وربما بلغكم ما حصل في الخاسر درويش

باشا وأعوانه بالوقفات المتعددة وهي وقعة راشيا ، ووقعة جسر بنات يعقوب ، ووقعة
 المزة التي في ابواب الشام ؛ وحصره داخل قلعة الشام — والولى تعالى كان عاطينا
 الشام — وأسره وأسر من يلوز به . ولكن مرحلة للمقراء ، وصيانة للعرض ولثلاث
 تتغل مصلحة الحج الشريف عدنا عن دخول عساكرنا للشام ، وأمرناهم بالقيام
 والرجوع إلى جسر بنات يعقوب . هذه المادة ما حصلت منكم إلا من عدم تبصركم
 بالامور ، لكونها مادة تعير سبباً لإباحة دمكم وعرضكم ومالككم ، وتصيروا عبرة لمن
 اعتبر . فلزم الآن اخباركم بذلك لكي تعلموا وتحققوا أن عساكرنا بعوله تعالى
 وافرة ، مكملين العدد والعدد ، ومتأهبين بهذه المرة للانتقام من كل طاعني وباعني
 متعدي الحدود ، وايدهم على براجم السيوف . وعلى الخصوص الاتحاد والانفاق
 الواقع الآن بيننا وبين سعادة والدنا المستور الوقور الأكرم والآصف المشير الأعظم
 والي الديار المصرية حالا الحاج محمد علي باشا الأعظم وإظهار زيادة ميله وجهه القلبي
 لطرفنا . فتأكداً لذلك قبل تاريخه أرسل طلب توجه كتخدانا عنده ، لأجل يوقفه
 على زيادة ميله وجهه الأكيد لطرفنا ، وبحق لنا ذلك بالمواجهة . ومن بعد الاتكال
 على واحد أحد قبل تاريخه بيومين سيرنا ولدنا كتخدانا المولى إليه لطرف سعادة
 للشار إليه . إن شاء الله تعالى قريباً يحضر كتخدانا من ذاك الجانب ، ويتضح للجميع
 اتحاد الحال بيننا وبين سعادة للشار إليه . ومن المعلوم مما طلبنا عساكر من جانب
 سعاده فلا يمنع تسيارهم ، وتصبحون انتم فيما بين أرجل عساكر سعادة للشار إليه
 وأرجل عساكرنا ، وتدمون حيث لا ينفعكم الدم . فها نحن عاملناكم بالرفق والرحمة
 لقول القائل من حذر فقد انذر . المراد تجمعوا كباركم وعقلائكم وافنديتكم وعلماءكم
 واختياريتكم وتلوا مرسومنا هذا علناً ، وتمعنوا النظر به ، وبالحال ترموا القبض على
 الشقي الخائن مصطفي ككاشف ، وترسلوه ليافا لعند متسلنا المولى إليه تحت الحفظ
 وتقدموا مراسم الاطاعة لطرفنا ، وتعاظوا اشغالكم وأعمالكم ، وتكونوا براحتكم .
 وبهذا تفتنوا دماءكم وأموالكم وأعراضكم . فان فعلتم ذلك وهو للتقدم ذكره بري
 القبض على الخائن مصطفي ككاشف ، وقدمتم انفسكم للاطاعة لطرفنا ، وتركتم هذا
 الحال فليكن أمان الله ورأي الله ورأي جدنا الأعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم رأيتم ؛ وإن أيتهم وعلى غيركم تعاديتهم فها هي عساكرنا المنصورة مهيأة للقتال كما
 ذكرنا وعساكر سعادة والدنا للشار إليه تحت طلبنا ، وحيث لا أمان عليكم ولا

رأي ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . فباء على ذلك أصدرنا لكم مرسومنا هذا من ديوان دار الجهاد محروسة عكا المحمية بوصوله تدققوا في معناه ، وتجنبوا مخالفته ، وتمتدوه غاية الاعتماد . »

٣١ — وقد شق عهد علي باشا والي مصر في ذلك الحين عما الطاعة ، وانخذل خلفه مع عبدالله باشا والي عكا حجة فرمى إلى احتلال سوريا . وأرسل جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم باشا . وقد احتلت جنوده العريش وغزة (١٨٣١ م) وظل يتوغل في البلاد إلى أن اقتحم عكا ، وامتلك الشام ، ودان له قسم غير قليل من بر الاناضول ، وكاد يهدد الآستانة . فتدخلت الدول ، وانسحب بعد أن خصصت مصر له ولنهرته من بعده . وقد حرت له في هذه البلاد وقائع سنائي على ذكرها بالتفصيل في فصل آخر من هذا الكتاب .

٣٢ — ومن الحوادث التي جرت في ذلك العهد ، وكان لها بعض اللاس بغزة تلك التي كان بطلها (عقيلة آغا) الحاسي (١) . ولد هذا بغزة ثم رحل عنها (١٨٤٥ م) إلى الناصرة فالتحق بمحاشية (محمود آغا عون الله) . وقد اختلف مع حاكم الناصرة (محمد باشا سوارى) ، وأقام عند بني صخر ، وانتدب للمحافظة على الأمور من جهة جبل عجلون من قبل والي القدس وسر عسكر اوردو الشام (قبرصلي باشا) ، فقام بمهمته حق القيام ، واشتهر ؛ ولكن شهرته عادت عليه بالوبال . إذ أدت عفاظه عكا (مصطفى رشيد باشا) ألقي القبض عليه ، وأرسله إلى عكا مخفوراً ، ثم نقاه إلى بلاد الصرب (١٨٥٣ م) . لكن عقيلة تمكن من الهرب من منفاه ، وجاء إلى حلب . فحشيت الدولة نفوذه ، فأوعزت إلى (وامن باشا) والي بيروت كي يتلافى الأمر بالتي هي أحسن . فتلافاه وأرجعه إلى سابق عهده في خدمة الدولة . ازداد عقيلة شهرة بين العرب . ولكن الأكراد كانوا يكرهونه . فجمع حوله

(١) الحاسي ، والحراي ، والبراعصة فروع لقبيلة من القبائل العربية النازلة في الجبل الأخضر من بلاد المغرب . وقد كان موسى آغا والد عقيلة آغا من رجال قبيلة الحاسي . فهجر وطنه على أثر قتله لرجل من قُزاريه ، وجاء إلى غزوة هاشم . وكان ذلك عام ١٨١٤ م (١٢٢٩ هـ) وقد حل ضيفاً على الحاج محمد نجما من البراعصة ، وكان هذا قد جاء إليها قبله ، وعظم فيها شأنه . وقد ترأس موسى عند البرعصي على خمسين خيالا . وبعد موت الحاج محمد ترأس مكانه . وقد تزوج امرأة من عرب الزكائن تدعى (خضرة الشقيري) فولد له منها ثلاثة أولاد هم عقيلة ومناح وعلي .

أتباعه وهم البراعصة والحراي والحاسي والمواردة وفريق من الصبيح والصقر ،
وحارب الأكراد . فالتصّر عليهم (١٨٥٧ م) .
فطار صيته أكثر من ذي قبل . الأمر الذي جعل ولاية الأمور من الأتراك
يمتدّون عليه . وقد تأمر عليه كل من والي بيروت المشير قيوالي باشا ، وقائمقام عكا
حسن تحسين بك ، وأخذوا يدسان الدسائس ضده .
ثم جاء هولوا باشا (١) حاكم نابلس ، فجرد على عقيلة حملة من الجند ، فكبسوه
في غور ييسان . وقد فرّ إلى الصلت ، ثم ذهب إلى الحسي ، ومنها جاء إلى غزة .
وفيما كان يعيش في غزة أخذ يستجد بخديوي مصر سعيد باشا ، فأشار عليه
هذا بالرجوع إلى الشام ؛ وقد حمّله رسالة خاصة إلى الأمير عبد القادر . فتوفى (٢)
في قرية عبلين في ١٠ شوال سنة ١٢٨٥ للهجرة (١٨٧٠ م) .

٣٣ — إن الحوادث التي ذكرناها في الأسطر للتقدمة ليست إلا جزءاً من
كل من حوادث الفتن والتلاقل التي حدثت على عهد الأتراك العثمانيين في هذه
البلاد . ولقد رأيت مما تقدم أن البلاد ما كانت لتنجو من ثورة حتى تقع في أخرى
أشد منها ، وما كانت لتخرج من فتنه حتى تسقط في أخرى أفظع منها . كل ذلك
ناشئ عن إهمال السلاطين والولاة لواجباتهم الحقيقية . وإذا قدر الله وتولى الأمر
رجل صالح منهم فإن الدهر ما كان ليجود عليه بالعمر الطويل أو الأعوان الصالحين
ليشدوا أزره ويعمّقوا أمله في الإصلاح . هذا من الوجهة السياسية . وأما من الوجهة
الاقتصادية فإليك بيان الحال التي كانت عليها غزة في ذلك الحين .

٣٤ — كان في غزة يومئذ (أسية في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد
وأوائل القرن التاسع عشر) ما لا يقل عن أربعة آلاف منزل ، وخمسة دكان ،
وأربعين نولاً للنسيج ، ومصبتين ، وأربع معاصر للسرج ، وستة بدود للزيت ،
ومطحنة واحدة تدار بالفحم الحجري (٣) ، ومعمل واحد للبلاط ، ودباغة واحدة ،

(١) أنه من عرب الوالي . وهو والد حمزة باشا العابد صاحب القود المشهور على
عهد السلطان عبد الحميد .

(٢) إن ذريته تقيم الآن في الدلمية في غور ييسان .

(٣) كانت هذه المطحنة في وادي . الأمر حجيرة تدار بالدواب . وكان في كل دار
من دور غزة طاحون صغيرة مؤلفة من حجرين مستديرين .

ولم يكن فيها سوى خمارة واحدة وستة مقام. كالم يكن فيها فنادق. وإنما كان فيها عدد غير قليل من الخانات يأوى إليها المسافرين. وأحد هذه الخانات كان (خان الزيت) المشهور الملاصق للجامع العمري الكبير من القبة. وهو من أملاك آل رضوان. وقد كان فيها مسلخ واحد. ولم يكن فيها صيدلية. وإنما كان فيها دكا كين للمطارة تباع فيها بعض الأعشاب والعقاقير. ومع ذلك فقد كانت غزاة من الوجهة الاقتصادية تزرع يومئذ في مجوحة من العيش والرخاء. إذ كانت نفقات العيش فيها رخيصة للغاية. وكان بإمكان الأسرة ذات الخمسة أفراد من الطبقة للتوسط أن تعيش بأثنى عشر قرشاً تركياً في اليوم، أو ما يقرب من الليرتين في الشهر. وكان لكل غزبي دار يقطنها. إلا أن الموظف الغريب فانه كان يستأجر أحسن دار بمشر ليرات في السنة على أكثر تقدير. وكانت اجرة العامل في الحقل لا تزيد عن ثمانية قروش أي بنسبة قرشين ونصف قرش من عملة هذا اليوم. وأما خادم المنزل فانه كان يخدم من غير اجر، بل كان يكتبني بما يقدم إليه من منام وطعام ولباس. وكان بإمكان الرء أن يكسب عائلته ويعلمها بأرخص الائتمان. إذ كان رطل اللحم (٩٠٠ درهماً) يباع بثمانية قروش تركية، وكذلك قل عن صاع (ستة أرطال) القمح. وأما السنة فرطلها بنصف ريال تركي. والزيت فالجرة منه (٦٦ أوقية) بنصف ليرة فرنسوية. وكذلك قل عن السرج. وقد كان حمل البندورة (صندوقان) يباع بأربعة قروش، والباذنجان بثانية، ورطل السمك بعشرة قروش، والحاروف الكبير بمجيدتين، والصغير بمجيدي واحد. وعلى ذكر الأوزان والمسكايل التركية نقول أن الوحدة المعترف بها في الأوزان كانت (الرطل). وهو مؤلف من اثني عشر أوقية، أو تسعماية درهم. وأما الحبوب فقد كانت تكال: (الصاع) وهو عبارة عن ستة أرطال، و (السعة) وهي عبارة عن خمسة أرطال.

وعلى ذكر العملة التركية نقول: أن هذه كانت تضرب في دار اعدت لضرب السكوكات في القسطنطينية. وهي ذات انواع عديدة. ما ضرب على عهد السلطان محمود منها سمي (محمودية)، وما ضرب على عهد السلطان عبد الحميد سمي (حميدية). وكذلك قل عن (العزيزية) التي ضربت في زمن السلطان عبد العزيز، و (الحميدية) التي ضربت في زمن السلطان عبد الحميد، و (الرشادية) التي ضربت في زمن السلطان رشاد. أما (العملة الحمودية)، فانها نوعان: (عملة مغشوشة) وهي عبارة عن البشلك (قرشان ونصف) والوزري (خمسة قروش) والعشراوية (متاليك). وأما (العملة الذهبية) فانها عبارة عن خيرية، ومحمودية. والحقيقة أن العملة

للنشوشة فقط هي التي كانت رائجة في اسواق التجارة بيزة ، وهي التي كانت تتداولها الأيدي في كل مكان . وأما العملة النحاسية فقد كانت تباع وتشترى بقصد الزينة فقط . وكان على عهد السلطان محمود نوع من العملة يسمى (القبق) وهو خمس نحاسات ، و (النحاسة) وهي بارة واحدة ، و (التاليك) وهو عشر نحاسات ، و (القرش) وهو أربعة متاليكات ، و (الهيدي) وهو تسعة عشر قرشاً .

أما (التاليك) فقد كان يصنع من النحاس الأحمر ، ويطلق بالفضة . وهو أصغر من النحاسة . وأما (القبق) فانه عبارة عن نصف متاليك (أي خمس بارات) وقد كان يصنع من النحاس الأحمر ، ولكنه لا يطلق بالفضة ، وهو أكبر من النحاسة . وأما (النحاسة) فانها كانت تصنع من النحاس الأحمر ، وهي أصغر من القبق . وأما (البشلك) و (الوزري) فإنهما كانا يصنعان من النحاس ويطلقان بماء الفضة . وهذا — على ما اعتقد — هو السبب في تسمية هذا النوع من العملة (العملة للنشوشة) .

وفي زمن السلطان عبد الحميد ظلت الحمودية للنشوشة سائدة وهي النحاسة والقبق والتاليك والبشلك والوزري . غير انه اضيف إليها (الهيدي) وهو مصنوع من الفضة الزباب الصافي . والهيدي كان عبارة عن تسعة عشر قرشاً ، ثم صار عشرين قرشاً . ونصف الهيدي تسعة قروش ونصف . وربعه خمسة قروش لإلربع . والليرة العثمانية الذهب وهي عبارة عن مئة قرش .

وفي زمن السلطان عبد العزيز بقيت العملة الحمودية (أي البشلك والوزري والتاليك والنحاسة والقبق) ، وكذلك العملة الهيدية (أي الهيدي والنصف هيدي والربع هيدي والليرة الذهب) سائدتين .

وكذلك في زمن السلطان عبد الحميد . فإن العملة المتقدم ذكرها كلها ظلت سائدة . ولم يزد عليها سوى أن (الهيدي) طبع من جديد . وكذلك قل عن (الليرة الذهب) . وقد طبع عليها اسم السلطان عبد الحميد ، والتاريخ الذي ضربت فيه . وفي زمن السلطان رشاد ظلت جميع انواع العملة المتقدم ذكرها سائدة . إلا انه اضيف إليها عملة (النيكل) وهي عبارة عن :

قرش واحد	=	٤٠ بارة
نصف قرش	=	٢٠ بارة
ربع قرش	=	١٠ بارات

وكلة (قرش) هذه كانت مستعملة أكثر من كلمة (بارة) في ذلك العهد. وكانت الليرة العثمانية يومئذ تساوي ٢٥٥ قرشاً والفرنسوية ٢٢٢ قرشاً والانكليزية ٢٩٧ قرشاً. وأما الهيدى فقد كانت قيمته ٤٧ قرشاً ونصف قرش.

واضطرب الاثراك في غضون الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٧) إلى إصدار نقد من الورق لا يستند على الذهب ولا على الفضة. وطبعت الأوراق النقدية هذه بقيم مختلفة فرض على الناس قبولها. إلا أنها كانت أكثر من النقود المستعاض عنها. ولذلك تضررت البلاد وتضررت غزوة منها من جراء هذا التضخم الذي أدى إلى هبوط قيمة النقد هبوطاً مريعاً. حتى أن قيمة الليرة التركية من الورق أصبحت تساوي أقل من ١٠ بالمائة من قيمتها المرسومة عليها. وكان من جراء ذلك أن ارتفعت الاسعار وصعدت نفقات المعيشة بدرجة لا تطاق.

وأما من حيث النظام المالي فقد كانت مالية سنجق القدس (وهو يتألف من أفضية القدس ويافا والخليل وغزة وبئر السبع) تدار مباشرة من قبل وزارة المالية في الآستانة. بينما كانت مالية سنجق عسكا ونابلس وما يتبعها من أفضية تدار من بيروت. وإليك بيان الضرائب التي كان يحبسها الاثراك من الاهلين في ذلك الحين :

١	الوركو والمسقات
ب	الأعشار
ج	الاغنام
د	التجم
هـ	الكروسة (أو العملة المكلفة)
و	المعارف

أما (الوركو) فقد فرض بموجب القانون الثاني المؤرخ في ٥ آب ١٨٨٦ م. وكان يجب من اصحاب الاملاك بنسبة اربعة في الالف عن الاراضي وخمسة في الالف عن الدور المعدة للسكنى اذا كانت قيمتها دون العشرين الف ، وثمانية في الالف اذا كانت هذه فوق العشرين الف ، وعشرة في الالف عن الدكاكين والدور المعدة للإيجار. ثم اضيف الى ذلك ٦٠٪ باسم (تجهيزات عسكرية) وكان ذلك قبيل اعلان الدستور (١٩٠٨ م).

وبعد حرب البلقان (١٩١٢ م) اضيف اليه ٥٠٪ عن الاراضي لاجل تغطية العجز الذي طرأ على موازنة الدولة. ثم اضيف اليه ٢٥٪ عن المسقات باسم الاسطول.

وعلى ذكر (السققات) شول انها ضريبة فرضها الاثراك بموجب القانون العثماني المؤرخ ١٤ حزيران ١٣٢٦ (١٩١٠ م) وهي بدلا من الوركو على المباني . وكانت تبني على مجمل السخل من الاملاك المينة .

وأما الوركو الذي فرض على قضاء غزة في العهد التركي فقد كان يتراوح بين ثلاثة عشر ألف وعشرين ألف ليرة تركية .

وكانت قيمة الانشاءات تقدر من قبل لجنة قوامها مدير المال أو مساعده الذي كان يطلق عليه (كاتب الوركو) ، وأمور التحصيلات وعضو من قوميون التحصيلات وآخر من أعضاء المجلس البلدي ، وآخر من السكان . وتطرح الضريبة على أساس هذه القيم المقدرة بالينة المتقدم ذكرها . فيجيبها الجابي وكانوا يسمونه يومئذ (تحصيلدار الوركو) (١) .

وأما ضريبة (العشر) فقد كان الاثراك يجيئونها من أصحاب الأراضى بنسبة ١٠ بالمائة من جوبهم وسائر حاملائهم الزراعية حتى (الخنضل) فإن الحكومة التركية كانت تفرض عليه ضريبة العشر ثم زيدت هذه النسبة لجعلت ١٢ ونصف بالمائة . وكانت الحكومة التركية نجيبها بواسطة (الملتزمين) . وكان أكثر هؤلاء من طبقة الأفندية الذين أثروا عن هذه الطريق . فقد كان الواحد منهم يتعهد بدفع مبلغ من المال لصندوق الحكومة عن مدينة غزة ، أو عن قرية من قرأها . ثم يجبي من أهل المدينة ، أو القرية اضعاف ذلك المبلغ . وكانت الحكومة في بعض الأنحاء تضعيف إلى بذل الالتزام ٦ بالمائة باسم (التجهيزات العسكرية) ومع ذلك فإن ضريبة (العشر) التي كانت تجبي من مدينة غزة ما كانت لتزيد في سنة من السنين عن ضعفي ضريبة (الوركو) . أي انها كانت في أكثر الأنحاء حول اربعة آلاف ليرة . هذا من المدينة . وأما من القرى فإن الاعشار كانت ضعفي الوركو بالوجه التقريبي أي ٤٢ ألف ليرة . وكانت الحكومة التركية تخصص ١٢ بالمائة من هذا المبلغ للبنك الزراعي الذي عهدت إليه إقراض المزارعين ومدمهم بالمال اللازم لتقويتهم وتحسين زراعتهم ، و ٤ بالمائة للطرق والأشغال العامة ، و ٥ بالمائة للمعارف والباقي وقدره ٧٩ بالمائة كان

(١) هذه كلمة تركية مؤلفة من كلمتين : إحداهما (تحصيل) عربية ، والاخرى (دار) فارسية . ومعناها الماسك أو النابض . وأما كلمة (الوركو) فهي مشتقة من (ورك) التركية ومعناها المطاء .

يدخل الحزينة لينفق في سبيل مصالح الدولة ومراقبتها العامة .
 واما ضريبة (الاغنام) فاتها ضريبة قديمة العهد . فقد كانت الحكومة التركية
 تجميعها عن الاغنام والجمال المعدة للنقل بنسبة : اربعة قروش (١) (أي أربعين بارة)
 عن كل رأس من النعم . ثم اضيف إلى ذلك ٢٥ بارة باسم التجهيزات العسكرية
 (١٩٠٨ م) ، وعشر بارات باسم الاسطول (١٩١٢ م) إلى أن أصبحت خمسة
 قروش و ٢٥ بارة عن كل رأس من النعم . وكان عدد الاغنام التي يدفع عنها ضريبة
 في مدينة غزة يتراوح في اواخر العهد التركي بين اثني عشر وخمسة عشر ألفاً .
 واما عن الجمل المعد للنقل فقد كانت الحكومة تحصل عشرة قروش تركية . ثم
 اضيف إلى هذا المبلغ قرشان باسم التجهيزات العسكرية ، وقرشان ونصف باسم
 الاسطول . إلى أن أصبح ثلاثة عشر قرشاً و ٢٠ بارة عن كل جمل . وكان عدد
 الجمل التي يدفع عنها ضريبة في مدينة غزة يتراوح في ذلك العهد بين ثمانية وألف ،
 واما الجمل المعدة للحراث فقد كانت مغطاة من الضرائب . وكذلك قل عن
 الاغنام المولودة في بحر السنة .

يفهم مما تقدم ان الحكومة التركية كانت تجمي باسم (الاغنام) أو . (ضريبة
 الحيوانات) مبلغاً يقرب من سبعة وسبعين ألف قرش تركي عن مدينة غزة نفسها ،
 وثلاثة اضعاف هذا المبلغ عن قراها .

واما ضريبة (التجم) فاتها كضريبة الدخل التي تجمي في يومنا هذا . وقد
 كانت هذه على عهد الأتراك ضئيلة للغاية . فقد كانوا يحصلونها من التجار وأرباب
 الصناعات واصحاب المهن بنسبة ارباح كل واحد منهم . فالتاجر والتجار والجداد
 والبقال حتى والفواخيري كان يدفع ضريبة بنسبة ربحه ونعته . وكانت هذه الضريبة
 تتراوح بين عشرة قروش والخمسين أو المئة في السنة . ولكنها ما كانت في حال من
 الاحوال لتجتاز المئة .

والذي كان يقدر قيمة الدخل اللجئة نفسها التي قلنا في الاسطر المتقدمة انها كانت
 تقدر قيم الاملاك من أجل ضريبة (الوركو) . ولقد ادهي عدد الدين كانوا
 تابعين لهذه الضريبة في اواخر العهد التركي فبلغوا التي شخص ، وبلغت ضريبة الدخل

(١) كانت هذه في بداية الأمر قرشاً ونصف ، ثم زيدت فأصبحت قرشين ونصف ،
 ثم صعدت إلى ثلاثة قروش ، فأرسة .

(الفتح) التي جيت منهم ستين ألف قرش تركي اي ما يعادل ستمائة ليرة تركية .
واما ضريبة (المال المكلفين) ^(١) فقد كان الاثراك يفرضونها على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر . وكان على المكلف ان يدفع ستة عشر قرشاً في السنة او يشتغل في تعبيد الطرق ثلاثة ايام على ان لا تقل مدة العمل في اليوم الواحد ثمانى ساعات .

ومن الضرائب ان لا ترى في غزنة طريقاً عبدت في العهد التركي سوى طريق البحر تلك الطريق التي عبدها (١٣٢٢ رومي) ابراهيم لطفي باشا وكانت ذلك في زمن السلطان عبد الحميد الثاني ، مع ان الضرائب التي كانت تجبي من الفزين كانت تبلغ في بعض الاحايين مبلغاً لا يستهان به . ولما كان عدد سكان مدينة غزنة في اواخر العهد التركي قد بلغ ستة وعشرين الفا ، وكان عدد المكلفين يدفع هذه الضريبة لا يقل عن ثمانية آلاف نسمة فاني اقدرها بما لا يقل عن الف ومائتي ليرة .

واما (ضريبة المعارف) فقد كانت تجبي بنسبة ٥ بالمائة من قيم المسقات . وكانت تضاف إلى ضريبة الوركو وتجي معها . وكانت الحكومة تسلمها إلى النافعة (مصلحة الاشغال العامة) لتنفقها في سبل المدارس .

يبدو مما تقدم ان مجموع الضرائب التي كانت تجبي من مدينة غزنة في اواخر العهد التركي كانت تتراوح بين الاتني عشر والخمسة عشر ألف ليرة تركية في السنة وان حصة الخزينة من هذا المبلغ كانت ٩٢ بالمائة والباقي ٨ بالمائة ينفق في سبل الحياة باسم (عائدات تحصيل الاموال) . وكانت هذه العائدات توزع كما يلي : ٢٥ بالمائة برسم اعانة (؟) والباقي (٧٥ بالمائة) يقسم إلى ثلاثة اقسام : النصف يتناوله القاعقام ، وخمسة اثمان النصف الثاني يتناوله مدير المال ، وثلاثة اثمانه يأخذه معاونه .
ولقد عثرنا على الكشف التالي وهو بين الضرائب التي جيت من قضاء غزنة في سنة ٣١٠ رومية ^(٢) (١٨٩٤ م) :

(١) كان الناس يسمون هذه الضريبة (الكروسة) . لأن القصد منها كان تعبيد الطرق وتجهيزها لسير العربات ذوات العجلات ، أو ما يسمونها (الكروسة) .
(٢) كانت الحكومة التركية تعتبر النفوس الفرقي (أو الرومي) وظلت كذلك حتى عام ١٣٢٢ رومي (١٩١٧ م) إذ أمرت باستبداله بالنفوس الميلاوي . فأغلقت حساباتها في ١٥ شباط ١٣٢٢ وضعت في اليوم التالي حساباتها الجديدة مؤرخة ١ آذار ١٩١٧

بارة	قرش تركي	
٢٦	١١٩٧٧٠٤	ويركو
١٠	٩٩٢٨٢	تتبع
٢٠	١٧٠٠٠	تجهيزات عسكرية
	٩٥٧٥	تذاكر ويركو
٢٠	١٧	نمن طوابع
٣٥	٩٦٥٧	معارف
٣١	١٣٣٣٢٣٧	

بارة	قرش تركي	
١٠	١٧٣٩١	درج
	٣٤٧٨٤	زيتون
	٢٤٦٥٢	جديدة
	٢٦٥٢٢	تركان
	٢٦٢٦١	تفاح
١٠	١٢٩٦١٠	
٣٠	١٣١٧٩٠٨	قرى غزنة
٣١	٢٠٧٨٠٠٧٥٦	

وقد ارتفعت هذه الضريبة بعد ذلك بحسرة اعوام فبلغت في سنة ٣٢٠ رومية (٩٠٤ م) ثلاثة ملايين وثلاثمائة وتسعة وثلاثين ألف وثمانمائة قرش وقرش واحد ، وعشرين بارة بالتمام . كما ترى ذلك في البيان (١) التالي :

بارة	قرش تركي	
٥	١٢١٣١٨٣	ويركو الاملاك والعقارات
٢٠	٧٤٨٧٩	ويركو التمتع

(١) غزت على هذا البيان بين اوراق المرحوم دهمه فرح أحد موظفي المالية في العهد التركي . ولقد آثرت نقله بحذافيره دون تحريف في كتابه .

بارة	قرش تركي	
١٠	٢٠٣٣٤	بدلات عسكرية (١)
	٨٥٢٠٠	رسوم الاغنام
٣٥	١٥٧١٥٢٢	بدلات الاعشار (٢)
١٥	١٣٣٦٠	حاصلات الاعشار (٣)
	٦١٨٣٥	رسوم متنوعة (٤)
	٦٤٨٠	بدل اجارات
	١٨٠٠٠	أثمان نذاكر (٥)
١٥	١٠٥٦٦	معارف
	١٧٨٣٨٠	تجهيزات
	٨٦٠٦٠	حيوانات

٢٠ = ٣٠٣٣٩٠٨-١ = ٣٣٣٣٩٨ ليرة عثمانية

٣٥ — وأما من الوجهة الادارية فقد كانت غزة يومئذ مركزاً لقائمية تابعة لسنجق القدس المستقل وكان في هذا المركز قانقما تابع للتصرف المسؤول عن سنجق القدس المذكور. وكان هذا التصرف يخابر وزير الداخلية في استانبول رأساً. ومن قائمي المقام الذين تولوا ادارة غزة في زمن السلطان العثماني عبد الحميد : حسن بك بدرخان وهو تركي من استانبول ، وخلوصي باشا ، وجمال بك وهو الذي اضطلع بالمقاني ونفاهم الى الاناضول ، وابراهيم لطفي باشا .

- (١) كانت هذه الضريبة تجمع من مسيحي غرة ومن يهود قطرة ويار تعيباً بدلاً من الخدمة العسكرية ، وذلك عند بلوغ الواحد منهم سن العشرين .
- (٢) كانت هذه الضريبة تجبي من (اللتزمين) تلقاء العشر الذي يجمعونه من الزارعين .
- (٣) هذا هو العشر الذي كان يجبي عن الزيت والزيتون .
- (٤) لست أدري القصد من هذه الرسوم . وإنما اظن أنها الفرائض التي تفرضها الحاكم وأثمان الاموال المصادرة . ومن يدري ؟ لعلها تشمل أيضاً ضريبة الكروسة أو اجور البرق والبريد ، لأنها لم تذكر في موضع آخر من هذا البيان .
- (٥) ان المبالغ التي تجبي من هذا البند كانت تخصص لبارجة (جديدة) والحظ المجازي الحديدي .

كان عدد السكان في مدينة غزة في ذلك الحين ٢٦.٠٩٩ نصفهم ذكور والنصف الآخر إناث . وأما من حيث الديانة فأكثرم (٢٥.٠٠٠) مسلمون ، والباقيون روم (١.٠٥٥) ولاتين (٣٦) ويهود (٣٣) . وأما القرى التابعة إلى غزة (بما فيها المجدل والقالوجة وخان يونس) فإنه كان يعيش فيها ٥٦٥٨٨ نسمة . أي أن مجموع نفوس القضاء كان ٨٢٦٨٧ نسمة .

وكان عدد القرى المعتبرة من أعمال قضاء غزة ، في العهد التركي ، سبعا وستين تقسم إلى أربعة مراكز (أو نواح) بالشكل الآتي :

أ. مركز غزة ب. مركز خان يونس ج. مركز المجدل د. مركز القالوجة

١	غزة	١	خان يونس	١	المجدل	١	القالوجة
٢	جاليا	٢	بني سهيلة	٢	حمامة	٢	سكرتيا
٣	الزلة	٣	عبسان (١)	٣	الجورة	٣	حنا
٤	بيت لاهيا	٤	دير البلح	٤	الخصاص	٤	صميل
٥	بيت حانون	٥	نعليا	٥	جسير	٥	جسير
٦	دير اسيد	٦	بيت عفا	٦	بلبن	٦	بلبن
٧	دمرة	٧	عبس	٧	عراق المنشية	٧	عراق المنشية
٨	نجد	٨	عراق سويدان	٨	حليقات	٨	حليقات
٩	سمسم	٩	كوكبا	٩	تل الزمس	٩	تل الزمس
١٠	برير	١٠	بيت طيما	١٠	باصور	١٠	باصور
١١	بيت جرجا	١١	جولس	١١	القسطينة	١١	القسطينة
١٢	هوج	١٢	بيت دراس	١٢	المسية	١٢	المسية
١٣	بربرة	١٣	سوافير عوده (٢)	١٣	ادنية (٤)	١٣	ادنية (٤)
١٤	هريا	١٤	سوافير مالفقة (٣)	١٤	يار تعيا	١٤	يار تعيا

(١) شطرت عبسان في عام ١٩٣٣ إلى شطرين : عبسان الكبير، وعبسان الصغير.

(٢) هي (السوافير القرية) في يومنا هذا .

(٣) هي (السوافير الغربية) .

(٤) فصلت هذه القرية عن قضاء غزة، وألحقت بقضاء الرملة. وكان ذلك تاريخ ١٩٣٣

آ. مركز غزة ب. مركز خانيونس ج. مركز المجدل د. مركز القالوجة

١٥ التفاح (١) ١٥ سوافير الوقف (٢) ١٥ برج الحمام (١٠)

١٦ برقا ١٦ جليا (١١)

١٧ اسدود ١٧ التينة (١٢)

١٨ بطاني شرقي

١٩ بطاني غربي

٢٠ سكرير والملاحه

٢١ الحية

٢٢ يننا (٣)

٢٣ بثيت (٤)

٢٤ قطرة (٥)

٢٥ الغار (٦)

٢٦ زرنوقة (٧)

٢٧ قبية (٨)

٢٨ اشراف (٩)

٥. الجفتك

١ رفع

٢ المحرقه

٣ الكوخة

٤ الجلدية

(١) يظهر أن حي التفاح لم يكن يومئذ معتبراً من الأحياء التي تتكون منها مدينة غزة . بل كان يعتبر من الوجبة المالية ، وحدة قائمة بنفسها .

(٢) هي (السوافير الشمالية) .

(٣) — (٨) ان هذه القرى الستة فصلت عن قضاء غزة ، والحقت بقضاء الرملة . وكان ذلك بتاريخ ١٩٣٣ .

(٩) ليس ثمة قرية بهذا الاسم . وإنما هي قطعة من الأرض تابعة لقرية هرميا . اعتبرت في العهد التركي وحدة مستقلة من وجهة مالية .

(١٠) ليس ثمة قرية بهذا الاسم . وإنما هي قطعة من الأرض تابعة لقرية المسية الكبيرة . اعتبرت في العهد التركي وحدة مستقلة من وجهة مالية . ذلك لأن أراضيها اميرية . مع أن المسية من الأراضي الموقوفة .

(١١) — (١٢) ان هاتين القرى فصلتا عن قضاء غزة والحقتا بقضاء الرملة عام ١٩٣٣ .

وكانت الآلة الحكومية في غزة مؤلفة من عدة مصالح ، منها : الادارة (الداخلية) ، والمالية ، والعدلية (الحاكم النظامية) ، والشرعية ، والعارف ، والطاوى ، والنفوس ، والبرق والبريد ، والجارك ، والبنك الزراعي ، والديون العمومية ، والعسكرية وهي ثلاثة فروع : النظامية ، والضبطية ، والجندرية . ويمثل هذه الدوائر عدد من الموظفين منهم واولهم القائمقام . فقد كان هذا الممثل الأعلى للحكومة . وكان رئيساً لمجلس الادارة . وعليه تركز جميع الاعمال والشاريع الحكومية . وهو من الدرجة الثانية . وراتبه سبع عشرة ليرة ونصف في الشهر . وكان في ديوانه كاتب او كاتبان فقط .

وكان فيها مدير للمال وراتبه ثمانمائة قرش تركي ، ومعاون لمدير المال ، ورفيق للمعاون ، وكاتب لوير صكو القرى . وكانت الجباية في بادى الامر من وظائف الجندرية ، ثم احيلت إلى التحصيلدارية . فعين لغزة تحصيلداران (١١ ربيع الاول ١٣٠٩) واحد من المشاة (زيادة) وآخر من الفرسان (سوارى) .

وكان راتب (التحصيلدار) ثمانين قرشاً ثم ارتفع إلى مئة وثلاثين . وكان الخيال يتقاضى تسعين قرشاً لقاء علف حصانه .

وقد زيد عدد الجباة عام ١٣١٦ رومي فأصبحوا ثمانية . ثم زيد عددهم عام ١٣١٨ رومي فأصبحوا اربعة عشر (ثمانية فرسان وستة مشاة) . وكان في المدينة بضعة افراد من الشرطة لتحقيق في القضايا ، وقوميسر واحد برتبة ضابط . واما افراد الجندرية فقد كانوا تسعين : ستون منهم فرساناً وثلثون مشاة . وكان على رأسهم ثلاثة ضباط : واحد برتبة يوزباشي والثاني ملازم اول والثالث ملازم ثان . ومهمتهم تعقيب الاشقياء وقوطيد الأمن .

وكانت في غزة محكمة شرعية يرأسها قاض شرعي . وكان هذا ينقل من قضاء إلى آخر مرة في كل ستين . كما كانت فيها (محكمة بداية) يرأسها القاضي الشرعي . وفيها عضوان ينتخبهما السكان : احدهما مسلم والآخر مسيحي . وكان على هؤلاء السكان ان يختاروا هذين الاثنين من ستة برشحهم القائمقام : ثلاثة مسلمون وثلاثة مسيحيون . وكان من اختصاص هذه المحكمة ان تنظر في القضايا التي ترفع اليها سواء أكانت هذه جزائية ام حقوقية بحتة . وكانت احكام هذه المحكمة تستأنف إلى محكمة اعلى منها وهي محكمة الاستئناف بالقدس .

وكانت فيها دائرة للبوطة والتلغراف (البريد والبرق) على رأسها مدير ، وله ثلاثة

مساعدين : موزع ، وموظفان لتعمير الخطوط البرقية .
ودائرة للجمرك تابعة للخزينة ، يرأسها مأمور . ولديه كاتب وغفيران يطلق
على الواحد منهما لقب (ورديان) .

وكانت فيها مأمور طابو مهمته تسجيل معاملات البيع والانتقال في الاراضي
والاملاك . ومأمور نفوس مهمته تدوين الولادات والوفيات ، ويساعد في مهمته هذه
رفيق . ولديهما كاتب لتدوين الوقائع .
ومأمور للبنك الزراعي ، وله رفيق ايضا .

وكان فيها مجلس للمعارف يرأسه المفتي او احد وجهاء المدينة . ومعه اربعة
اعضاء غفرين من الاهلين وكاتب . وقد عهد لهذا المجلس بإدارة الشؤون المدرسية .
وعلى ذكر الشؤون المدرسية نقول انه كان في غزة يومئذ مدرسة ابتدائية يقال لها
(مكتب رشدية) وهى ذات اربعة صفوف . وفيها معلمان واحد لتعليم اللغة العربية
والثاني لتعليم اصول الدين . كما كان فيها عشرة كتاتيب ابتدائية لتعليم القرآن والحساب
ومبادئ العلوم .

وكانت في غزة دائرة عرفت باسم (الديون العمومية) وعلى رأسها مأمور عهدت
إليه مهمة إصدار رخص الصيد في البر والبحر ، وألحاح الطوايع بجميع أنواعها . وتحت
أمرته كاتب وثلاثة محافظين (ورديان) اثنان منهم من الفرسان وواحد من المشاة .
وكانت فيها دائرة اوقاف يرأسها احد الوجهاء وكاتب وبعض الاعضاء .

وجميع الدواوين والمصالح التقدم ذكرها كانت تعمل بإرشاد مجلس كان يدعى
(مجلس الادارة) . وهو مؤلف من القائمقام رئيساً ، ومن كاتب التحريرات
سكرتيراً ومن القاضي والمفتي ورئيس الطائفة المسيحية ومدير المال اعضاء طبيعيين ،
ومن اثنين مسلمين وآخرين مسيحيين اعضاء متخين من الاهلين . وكانت مهمة
هذا المجلس تلخص في مراقبة الاعمال والمصالح العمومية ، وتقرير الالتزامات وإنشاء
الطرق والمدارس ، وتنظيم البرازية ، وصيانة الأمن ، والبحث في كل ما يعود على المدينة
والقضاء كله بالخير والنفع .

وبإليك مجموع الرواتب الشهرية التي تقاضاها (١) موظفو الحكومة في غزة من
الخزينة خلال عام ٣٢٠ رومي (١٩٠٤ م) :

(١) عثرنا على هذه الأرقام بين مذكرات المرحوم دهمه فرج .

بارة	قروش	
	٢٣٢٦	رواتب القائ مقام وموظفي الادارة المركزية
	١٤٤٠	رواتب مديري النواحي
١٠	١٩٢٣	رواتب المالية
	٥٦٠٠	رواتب محصلي الاموال
٢٠	١٧٣٤	رواتب العدلية
٢٠	٩١٦	رواتب الشرعية
١٥	٢٢٢٧٢	رواتب النظامية
٢٥	٨١١	رواتب الضبطية
	١١٠٣٥	رواتب الجندرية
	٧٧٦	رواتب الدناية
	٨٧٠	رواتب المعارف
	٤٠٠	رواتب الموقوفين والمحبوسين
	٢٨٠٠٠	مخصصات العفة
	٨٣١	مخصصات التقاعدن الملكين
١٥	٧١١٠	مخصصات التقاعدن العسكريين
١٠	٩٥١	معاشات الارامل والايام
٣٥	٨٦٩٩٧=٨٦٩٩	لبيرة عثمانية

٣٦- ولم يكن في غزاة يومئذ نواد ولا جمعيات . ولا كان فيها من يفكر بالسياسة
 قط . وكان الحكم في البلاد مطلقاً ، لا يستند على اساس من الشورى . وظلت الحال
 على هذا المنوال الى ان تمت في البلاد العثمانية كلها فكرة الاصلاح .
 ونفضت هذه الفكرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني قامت (جمعية الاتحاد
 والترقي) وهي تضم بين اعضائها رجالا من الاثراك والعرب ومن جميع العناصر
 الاخرى ، وأعلنت الدستور العثماني (٢٣ يوليو سنة ١٩٠٨) الذي ضمن لجميع
 العناصر التي كانت تعيش تحت ظلال الراية العثمانية الحرية والمساواة والاخاء ، وضمن
 للبلاد كلها حرية القول والفكر والاجتماع . وقد خلع السلطان عبد الحميد من الحكم ،
 واجلس مكانه اخوه السلطان رشاد بن السلطان عبد الحميد .

وقد اشتركت غزة في هذا الانقلاب . وأسس الزعماء فيها فرعاً لجمعية الاتحاد والترقي ، وكان هذا الفرع مؤلفاً من السادة : أحمد عارف الحسيني ، والحاج سعيد الشوا ، ومحمد الصوراني ، وحسن خيال ، وخليل بيسو ، والشيخ محي الدين عبد الشافي . وكان رئيسه ضابط عربي من ضباط الجيش التركي يسمى (سنوسي بك) . وقد سادت المدينة موجة من الفرح ، وأخذ الناس يهتفون بعضهم بعضاً ، لأن الظلم والاستبداد قد رُفِعا وحل مكانهما العدل والديمقراطية . وانقضى البرلمان الجديد (مجلس مبعوثان) وفيه ٢٧٣٣ نائباً سبعون منهم عرباً . ومن هؤلاء ثلاثة كانوا يمثلون لواء القدس . وكان أحد هؤلاء الثلاثة أحمد عارف الحسيني من غزة . والقائم مقام الأول الذي تولى إدارة غزة بعد ذلك (أي في عهد الدستور) فريد بك المصري وهو شامي الأصل .

وقد تولى إدارة غزة بعده القائم مقام محمود نديم بك التركي ، فصارف بك وكان هذا أيضاً تركياً ، فأحمد بك اليوسف من الشام ، فإبراهيم بك ، ففريد بك خورشيد وهو تركي ترب مع الزمن ، فعين بك المرعي من دنادشة عكار . وكان هذا آخر قائم مقام تولى إدارة غزة في العهد التركي .

وقصارى القول اشترك العرب والأتراك معاً في الانقلاب العثماني ، وامل العرب خيراً من هذا الانقلاب ، وظنوا أنه سيصلح في بلادهم ما أحدثته الحروب الماضية والفتن النصرمة من خراب .

٣٧ — ولكن سرعان ما اهتلت الآفة ، وخاب الرجاء ؛ وشعر العرب ، بأن رجال تركيا الفتاة وإن كانوا يتظاهرون بالعمل لأتباع العناصر وتأييد السلطنة العثمانية ، إلا أنهم في الواقع وحقيقة الأمر كانوا يتآمرون على هذه العناصر ، ويسعون لإدلالها . وقد أخذ هؤلاء يبذلون قصارى جهدهم في تقوية العنصر التركي عملاً بوحى الفكرة القومية الطورانية ، ظناً منهم بأن ذلك أنقذ للخطر وأدعى إلى تماسك أجزاء السلطنة واتحادها .

عندئذ بدرت بوادر الخلاف المصري بين العرب والترك . ونما هذا بنمو فكرة الاستقلال عند العرب ، وقام هؤلاء يسعون إلى ذلك ولكن بالسر لا بالجهر . إذ كانوا يغشون بطش الأتراك . وقد تألفت خلال تلك الفترة (١٩٠٨ — ١٩١٣) جمعيات عربية عديدة في الآستانة وباريس والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد . فني

الآستانة تأسست (جمعية الأخاء العربي) و (جمعية العهد) و (المنتدى الادبي)^(١) و (المعلم الأخضر) ؛ وفي باريس (الجمعية العربية) أو (الفتاة) ؛ وفي مصر والآستانة معاً (الجمعية القحطانية) ؛ وفي القاهرة جمعية (الجامعة العربية) و (حزب اللامركزية العثماني) ؛ وفي بيروت (الجمعية الإصلاحية) ؛ وفي البصرة (الجمعية الإصلاحية) ؛ وفي بغداد (النادي الوطني العلمي) ؛ وغيرها . وقد كان لبعض هذه الجمعيات فروع في غزة ، وكان في عداد أعضائها عدد من الفزيين . وهكذا هذه النوادي والجمعيات راضية في بلدى الأمر بأن يكون العرب والأثراك الذين يعيشون تحت ظلال الراية العثمانية متساوين في الحقوق والواجبات . حتى أن المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس بتاريخ ١٨ حزيران ١٩١٣ والذي كان ممثلاً لجميع النوادي والجمعيات العربية للتقدم ذكرها اكتفى بأن حصر مطالبه بالبنود التالية :

- ٢ الإصلاح ضروري للمملكة العثمانية .
 - ب يجب أن يتمتع العرب بحقوقهم السياسية ، وذلك باشتراكهم في الإدارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .
 - ج يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة مركزية .
 - د يجب توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين اجانب .
 - هـ يجب أن تعتبر اللغة العربية في مجالس النواب العثماني ، وأن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية .
 - و تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات الغربية ، إلا في ظروف استثنائية .
- وقد كان لهذا المؤتمر بعض التأثير على الحكومة التركية . فقد صدر يوم ٣ اغسطس ١٩١٣ مرسوم سلطاني جاء فيه :

- ٢ يهد بإدارة الأوقاف إلى مجالس الجماعات في الولايات .
- ب يؤدي الجنود خدمتهم العسكرية زمن السلم في بلادهم . والدولة متى رأت لزوماً لذلك أن ترسلهم إلى حيث تشاء من غير قيد ولا شرط .

(١) انشئ في الآستانة عام ١٩٠٩ وكان مؤلف هذا الكتاب عضواً في لجنة الإدارة . كما كان السادة رشدي الشوا وعاصم بيسو ومصطفى الحسيني ومحمد بيسو من ابناء غزة اعضاء عاملين فيه . وكان بقم بين جدرانه ألف عضو وزيد كلهم من الشباب المثقفين الذين أموا الآستانة من جميع احاء البلاد العربية بقصد التحصيل .

ج يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم اكثرية سكانها هذه اللغة ، مع جعل تعليم اللغة التركية إجبارياً .

د يحرف الموظفون في البلاد العربية اللغة العربية عدا اللغة التركية .

هـ تعين الحكومات المحلية للموظفين من الدرجة الثانية . وأما الذين يعينون بإرادة سنية ، فينأط تعيينهم بالحكومة المركزية في الآستانة .

إلا أن الحكومة المركزية أخذت تخاف في تنفيذ هذه البنود ، كما أخذت فكرة الاستقلال تنمو وتنتشر بين العرب . فأخذت هذه الوادي والجمعيات تغير وجهها ، وتصبح بملء شديها : « انها تبغي استقلال العرب ولا ترضى به بدلاً » . وكان في بعض هذه النوادي والجمعيات عدد من القزوين . ولا سيما في جمعية (العلم الأخضر) التي انشئت في الآستانة خلال شهر ايلول سنة ١٩١٢ . فقد كان إثنان من مؤسسيها وهما عاصم بيسو ومصطفى الحسيني من أبناء غزنة . وقد أصدرت هذه الجمعية مجلة باسم (لسان العرب) كانت الغاية من تأسيسها « انتشارال العرب من الوحدة التي سقطوا فيها » .

٣٨— ولقد اقلقت هذه الجمعيات بال الأتراك فمقدوا في ٢٤ يناير سنة ١٩١٤ (١) اجتماعاً في وزارة الحربية بالآستانة حضره الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ، وحافظ الآستانة العسكري أحمد جمال باشا ، ومدير الأمن العام عزمي بك . فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية ، وقاموا بعد ذلك باقصاء الضباط العرب للقيمين في الآستانة وعددهم يومئذ ٤٩٠ ضابطاً إلى المناطق التركية ، وعهدوا بقيادة الجيوش المرابطة في البلاد العربية إلى ضباط من الأتراك ، وقرروا إلغاء الأحزاب العربية كلها ، وتميزز النفوذ التركي في البلاد العربية . وتنفيذاً لهذه السياسة ارسلوا إلى سوريا أحمد جمال باشا وقد كان هذا يومئذ وزيراً للبحرية وقطباً من اقطاب الاتحاديين . فمهدوا إليه بقيادة الجيش الرابع الذي كان مقره دمشق . بعد أن اترعوا قيادة هذا الجيش من الفريق زكي باشا الحلبي العربي الذي انتدبوه مراقباً لامبراطور الألمان غليوم . . . قام جمال باشا بتنفيذ الخطة التركية الجديدة بمخافيرها ، فمزق الكتاب العربية كل ممزق ، وشتت رجالها فبعث بهم إلى البلاد التركية النائية . وألف في (عاليه) من أعمال جبل لبنان ديواناً عسكرياً عرف فيما بعد (بديوان

(١) (الثورة العربية الكبرى) لأمين سعيد .

عاليه) . فساق إليه جميع شبان العرب ورجالانهم الذين اشتغلوا قليلاً أو كثيراً للقضية العربية . فحكم هؤلاء محاكمات مختلفة : بعضها حقيقي والبعض الآخر صوري . وكان أعضاء هذا الديوان (أو المحكمة) يتلقون الوحي من الطاغية جمال الذي لقب عن جدارة واستحقاق بالسفاح . وقد اذاتوا عدداً كبيراً من رجال العرب الأحرار قتلوا عليهم بالاعدام . ونفذ فيهم الحكم شتقاً لا للنب اقترفوه سوى جهم لوطهم . وقد شتق بعض هؤلاء في بيروت ، وبعضهم في دمشق ، والبعض الآخر في القدس . وكان بين الذين شتقوا إثنان من غزة هما : للرحوم أحمد عارف الحسيني ، وولده مصطفى . وكاد اثنان آخران من أبناء غزة يلحقان برفيقيهما المشتوقين ، لو لا اعجوبة حدثت فاقذتها . فاطلق سراحهما ، وهما : رشدي الشوا وعاصم بيسو . إذ كان للرحوم الحاج سعيد افندي الشوا ، والد الأول وقريب الثاني ، مقرباً من جمال باشا لما أسداء (١) من خدمات كثيرة للجيش التركي أثناء تراجعه عن القناة . ولم يصكتف جمال باشا بعدد الذين شتقهم أو سجنهم من أحرار السوريين والفلسطينيين والعراقيين ، فقد أمر بني عدد آخر منهم ونفاهم بالفعل (١٩١٦ م) رجالاً ونساء واطفالاً إلى أنحاء مختلفة من بر الأناضول . وكان بين هؤلاء المنفيين عدد غير قليل من التزيين نذكر منهم السادة : سعيد الحسيني ، ورشيد ابو خضرة ، والحاج سعيد ابو رمضان ، ومجد ابو رمضان ، وأحمد حلاوة ، وجسني خيال . فقد نفي الأول إلى آق شهر ، والثاني إلى قونية ، والثالث والرابع إلى سبارطة ، والخامس والسادس إلى قونية (٢) .

٣٩ — بيد أن هذه التدابير التي اتخذها جمال باشا ما كانت لتلين من قناة العرب ، بل زادتهم كرهاً للحكم التركي ، وميلاً لاستقلال بلادهم . إذ ما كاد الشريف حسين شريف مكة يضرم نار الثورة العربية في الحجاز ، ويعلن استقلال البلاد العربية حتى

(١) (الثورة العربية الكبرى) لأمين سعيد . .

(٢) رجع هؤلاء المنفيون من المنفى عام ١٩١٨ فذكروا أن الأتراك عاملوهم في منقام معاملة حسنة فقدموا لهم منازل مجانية ، واتخذوا كل واحد منهم راتباً قدره عسرون قرشاً تركيا في اليوم .



شريف مكة — الملك حسين

لبي دعوته عدد كبير من رجال العرب ، ولا سيما أولئك الذين كانوا يعملون في الجيش التركي . فقد أخذ هؤلاء يفرون من قطعاتهم زرافات ووحدانا ، ويلتحقون بالجيش العربي الذي كان يقوده الحسين وأولاده الأمراء : علي ، وفيصل ، وعبدالله ، وزيد . الأمر الذي كان له تأثير على موقف الدولة التركية تلك الدولة التي تقلص ظلها في هذه البلاد إلى أن زال عنها بالمرّة . وقام مقامه الاحتلال الانكليزي ، وسأني على ذكر ذلك في الفصل التالية .



غزة ونابليون

عندما وطد نابليون اقدامه في مصر ، أخذ يفكر في الاستيلاء على فلسطين وسوريا . فغادر مصر في ربيع (١٢١٣ هـ - ١٧٩٩ م) ، واجتاز الصحراء ثم أمّ غزة بصفتها أهم مركز حربي واقتصادي في نظر الجيوش التي تسيطر على الصحراء . إذ أنه كان يعتقد أنها ذات قيمة استراتيجية من حيث الدفاع عن مصر و (وادي النيل) . حتى أنه قال عنها في هذا الصدد : « إنها المحفر الأمامي لأفريقيا وباب آسيا » .

٢ — وقبل أن يشتبك بقتال فيها أو حصارها أذاع منشوراً يقتبس منه الشذرات التالية : (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين »

« من طرف بونا برته أمير الجيوش الفرنسية إلى كافة المفتين والعلماء وكافة أهالي نواحي غزة والرملة وبافا حفظهم الله . بعد السلام نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور لتعلمكم أننا حضرنا إلى هذا الطرف بقصد طرد الماليك وعسكر الجزائر عنكم . وإلى أي سبب حضور عسكر الجزائر ، وتمديه على بلاد بافا وغزة التي ما كانت في حكمه ؟ إلى أي سبب أرسل عسكره إلى قلعة العريش ؟ بذلك هم على أرض مصر فلا شك كل مراده اجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لتحريره » . وبعد أن أمنهم على ارواحهم وعيالهم قال :

« وقصدنا أن التفتة لا يترككون وظائفهم ، وأن دين الإسلام لا يزال معتزلاً ومعتبراً ، والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين . والذي يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذي يتظاهر لنا بالعدو يهلك » .

إنه وإن قال في البيان الذي أذاعه على السكان إنه ما جاء إلى هذه البلاد إلا

(١) راجع كتاب (إسلام نابليون) ليعقوب المودات الملقب بالببوي المثلث . وكتاب (فتح مصر الحديث) لأحمد حافظ عوض . ويعتقد أحمد حافظ عوض أن التركيب الركيك الذي يلاحظه المرء في هذا المنشور من انشاء (فتور) المستعرق الذي صلب نابليون في حملة سوريا ومات أمام عسكنا بالطاعون ، أو أنه من بعض كتبه الدواوين الذين أخذهم معه .

ليقهر الجزائر التي استولى على غزة والعريش ، إلا أن الغاية التي كان يرمي إليها هي الحيلولة دون رجوع مصر إلى أحضان تركيا ، وعقد محادثات دفاعية مع البطوناف والأقوام المنتشرة في سوريا ضد الأتراك . ولقد كان يعتقد أيضاً أن من يحتل مصر لا يكون آمناً عليها إلا إذا احتل سوريا . أضف إلى ذلك أن الضعف كان ظاهراً في إدارة البلاد العثمانية كلها من أولها إلى آخرها . وكانت البلاد مفتحة الأبواب خالية من أسباب الدفاع .

٣ — كانت حملة نابليون مؤلفة من ١٣٠٠٠ مقاتل . وكان هو مع هذه الحملة ، ومعه كل من الجنرال (مرآت) Murat والجنرال (منو) Menou والجنرال (كليبر) Kléber والجنرال (دو كوا) Dugua والجنرال (لان) Lannes .

٤ — عندما بلغ أحمد باشا الجزائر قدوم الجيش الفرنسي من مصر ، أسرع بتدبير ما يحتاج إليه في الحصار . وحصن يافا ثم امتد إلى مدينة غزة بمساعره وعشاره ووصلت جيوشه العريش . ولكن الفرنسيين احتلوا العريش بعد حصار دام ثمانية أيام ، ثم ساروا إلى خان يونس ، ومنها إلى غزة ، وعلى مقربة منها اصطدم الجيشان : جيش نابليون ، وجيش عبدالله الجزائر (الغز) . وكان ذلك في ٢٥ من فبراير سنة ١٧٩٩ . فكان النصر في هذه المعركة حليف نابليون .

وقد جاء في مذكرات نابليون عن هذه المعركة ما يأتي :

« بينما في صبيحة اليوم التالي غزة ، فوجدنا ثلاثة آلاف خيال يسرون في اتجاهنا . وكان على رأس خيالتنا الجنرال مرآت ، فسار الجنرال كليبر في الجناح الأيسر ، وساعد الجنرال لان مؤيداً فيلق الخيالة بكثبية من اللشاة . وحملنا على الأعداء حملة شعواء ، فانكسروا فوراً ، وأخذوا يتقهقرون إلى الوراء . »

٥ — دخل الفرنسيون غزة بعدئذ دون أية مقاومة ، فاستولوا على كيات كثيرة من اللؤن والدخائر والمهمات الحربية التي وجدوها فيها . وكان بين هذه الغنائم ستة مدافع . وقد جاء في خطط الشام : « أن نابليون وجد في غزة عند احتلالها حواصل وذخيرة من بسماء (١) وشعير وأربعمائة قنطار بارود واثني عشر مدفعاً وحاصلاً كبيراً من الخيام وكللا وقنابل ، فحاز الجميع . »

ولم تكن في غزاة يومئذ اية قوة حاكمة . حتى ان الضرائب جيت باسم نابليون من لدن شخص اعتيادي .

٦ — وفي عهد نابليون قضي على البقية الباقية من سور غزة ، وخرب جامع (البارستان) و (جامع الجاولي) و (مدرسة قايتباي) و (المدرسة الكعالية) و (جامع القلعة) (١) و (زاوية الشيخ محمد ابي العزم) .

٧ — وقد غادر نابليون غزة في ٢٨ شباط سنة ١٧٩٩ لافتح فلسطين ، فاحتل الرملة ، ثم يافا . وقد كان يافا قوة كبيرة من عسكر الجزائر والمماليك تقدر بنحو اثني عشر ألف . ولكنه سلب عليها مدافعه الكبيرة فاحتلها ، واستباح سمائها . ويقول مشاقه انه « قبل أن ينادر يافا إلى عكا أمر بقتل الاسرى الذين وقعوا في قبضته ثلاثاً : في المريس وفي غزة وفي يافا ؛ وكان عددهم يربو على ثلاثة آلاف حتى عليهم ، وزعم انهم لا يراعون ذمة ، ولا يحترمون الشرف العسكري . فأمر جنوده باطلاق النار عليهم ، ولم يواروهم التراب ، وبقيت اجسامهم طعاماً للطيور ، وظلت رفاتهم مكشوفة مدة » .

٨ — ثم سار نابليون إلى حيفا ، فاحتلها . وفي ١٩ مارس ١٧٩٩ وصل عكا ، فحاصرها . وكان الجزار قد تحصن فيها . وقد دام الحصار حولها ستين يوماً إلا أن نابليون لم ينل منها شيئاً ، فارتد على اعقابها خاسراً . وما كان نابليون ليولي الادبار لو لا أن ظهر الطاعون بين جنده ، فمات منهم خلق كثير . وهلك بعض قواد الفرنسيين على اسوار عكا مع جملة سالحة من جندهم . كما انه طرأ على مركزه في فرنسا أمر اضطره للرجوع إلى بلاده . وكانت انكسار هيجت ملوك الفرنج على فرنسا . فاضطر الفرنسيون أن يرجعوا عن عكا ، بعد أن فقدوا على اسوارها ٣٥٠٠ جندي . ومات في الطاعون ، وعلى الطريق ، ما ينوف على الآلف .

٩ — ولم يذكر التاريخ انسحاباً مقروناً بالقتل والحسائر والمشاق مثل انسحاب نابليون من عكا (١٧٩٩ م) ، وانسحابه بعد ثلاثة عشر عاماً من موسكو (١٨١٢ م) . فقد نابه وجنده في انسحابهم من عكا العطش ، والقيظ ، وشمس الصحراء المحرقة ؛ وفي

انسحابهم من موسكو الثلج ، والبرد القارس ، وزمهرير روسيا . وقد اغتاط لفشله هذا غيظاً شديداً حتى قيل عنه انه كلما وصل إلى قرية أو بلد من البلاد أو القرى الواقعة على الطريق أمعن فيها تطلاوتها وسلباً . ولما كانت وسائل النقل قليلة لديه (١) لا تمكنه لنقل جنوده كلهم (٢) فقد اقترح على أطبائه أن يجرعوا المصابين منهم بالطاعون والأمراض الأخرى السم . ولكن نابليون نفسه ينكر ذلك ويقول في مذكراته التي كتبها في منفاه (سانت هيلانة) : « إنه لم يأمر بسم المرضى ، ولعلكنه لو وجد نفسه مثل واحد من هؤلاء لفضل أن يتجرع السم » .



نابليون بونابرت

١٠ — وفي رجوعه إلى مصر في شهر مايس سنة ١٧٩٩ فسر بغزة مرة أخرى . ثم غادرها إلى مصر . ولم يرجع إليها بعد ذلك الحين . وكان أثناء وجوده في غزة يقيم في المكان الذي يدعى الآن (دبوا) (٣) وقيل انه نصب عظيمه مرة فوق تل للنظار .

١١ — كان نابليون تابضة القواد في عصره ولكنه خسر من مقامه في الشام وهي شهران كثيراً من شهرته .

- (١) يقال انه كان يمشي على قدميه في الصحراء ، فافتدى به الضباط والحيلة تاركين للمرضى الحيول والدواب .
- (٢) قيل ان الجنود الذين اشترىوا مع نابليون في حروبه هذه ثلاثة عشر ألفاً ، لم يرجع منهم سوى سبعة آلاف .
- (٣) انظر الى الصفحة ١٧٢ من هذا الكتاب .

غزة و ابراهيم باشا



محمد علي باشا

(مؤسس الاسرة العلوية للملكة بمصر)

باشا الجزائر . فاحتل غزة في تشرين الثاني سنة ١٨٣١ م (١) من غير حرب . وكانت هي أول مدينة احتلها من مدن فلسطين . ثم احتل الرملة ويافا وحيفا والقدس ، الواحدة بعد الاخرى ، من غير حرب ايضاً (٢) . وقد نصب في كل منها متسلمين يقومون بادارة الاعمال فيها بالنيابة عنه .

٣ — وفي اليوم التاسع من كانون الاول سنة ١٨٣١ م وقعت للموقعة الاولى بين الجيش المصري يقوده ابراهيم باشا ، والجيش العثماني يقوده عبدالله باشا . فاضطر

كان محمد علي باشا ، مؤسس الاسرة العلوية للملكة في مصر ، والياً على مصر ، تابعاً لسلطان الاتراك في الآستانة . ولكنه أراد أن يستقل ، وأن يجعل الحكم منحصراً في سلالة . ولما رفض طلبه هذا من قبل السلطان العثماني (محمود الثاني) أخذ يرتقب الفرص ليشهر الحرب عليه فانت هذه في سنة ١٨٣١ م .

٢ — ففي تشرين الاول سنة ١٨٣١ أرسل إلى فلسطين بقيادة ولده ابراهيم باشا جيشاً قوامه أربعون ألف رجل ، بحجة انه يريد ان يحارب عبدالله

(١) M. A. Meyer

(٢) حروب ابراهيم باشا في سوريا والامانول .

هذا إلى الالتجاء إلى حصن عكا . فحاصرها إبراهيم باشا ، وضيق الخناق عليها وطلب
من فيها ، إلى أن قام في يوم السبت الموافق ٢٦ من أيار سنة ١٨٣١ م بحملة عنيفة



إبراهيم باشا

عليها وطلب اسوارها . وكان معه في تلك الحملة اثنا عشر ألفاً من الجند النظاميين ،
فافتتحها بعد حصار دام ستة شهور .

٤ — وتقدمت حيوشه^(١) نحو الشمال فاحتلت المدن السورية الواحدة بعد الأخرى ،

(١) بلغت هذه يومئذ نحو ٢٠٠.٠٠٠

واحتلت الشطر الأكبر من بر الاناضول حتى وصلت إلى كوابهايا . ثم أمت الآستانة وكادت تصل إليها لو لا تدخل الدول الاجنبية .

٥ — وقد تم الصلح بين الدولتين العثمانية والمصرية في ٢٥ من نيسان سنة ١٨٣١ م على أن يكون من أطنة إلى غزة تابعاً ولاية مصر .

٦ — ولم يعض على ذلك بضعة شهور حتى قامت ثورة في فلسطين ضد ابراهيم باشا . فما هي الاسباب يا ترى ؟

قال الكاتب المصري محمد صبري في كتابه الذي ألفه عن محمد علي باشا عام ١٩٣٠ م «أن أهل سوريا وفلسطين كانوا ينظرون إلى ابراهيم باشا نظرة تقدير وعجاب ، إذ أنه ما هبط بلادهم إلا لينجيهم من الظلم .»

وأما الاستاذ أسد رستم^(١) فإنه يقول «أن هناك دلائل كثيرة في المحفوظات الملكية المصرية تدل على عكس ذلك ؛ فانهم كانوا ينظرون إليه في سوريا وفلسطين نظرة بغض وازدراء ؛ حتى ان ابراهيم باشا نفسه قال في إحدى رسائله إلى ابيه محمد علي باشا (بتاريخ ٩ من ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ) ، ان أهالي سوريا وفلسطين قبلوا حكمه مبكرهين ، ولم يكتسب عطفه وثقته أحد منهم سوى المسيحيين وبعض الدروز في جبل لبنان .»

أضف إلى ذلك ان محمد علي باشا أمر بجمع السلاح من الناس ، وفرض التجنيد الاجباري في البلاد . ولم تجد نصائح ابنه ابراهيم في هذا الصدد نفعا^(٢) .

وعلى قول ان الباب العالي^(٣) كان يشجع الثورة ، إذ أنه كان نافعا على محمد علي باشا ، وكان يعتبر عمله هذا تمرداً وخروجاً على القانون والنظام . فوجدت تحريضاته مرتعاً خصباً لدى وجوه البلاد واعيانها ، ولا سيما اولئك الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع قبل احتلال ابراهيم باشا لبلادهم ، فشمروا بتضام نفوذهم بعد ذلك الاحتلال :

(١) « The Royal Archives » by Assad Rustum

(٢) يقال ان ابراهيم باشا كان يرى غير رأى ابيه في التجنيد الاجباري، وكثيراً ما نصحه بالأبقاء على هذا العمل ، ولكن دون جدوى .

(٣) مقر الصدارة العظمى في الآستانة ، وهو مركز الحكومة كلها في البلاد التركية .

مثل عائلة أبي غوش في جبال القدس ، والمواضي في اجزم ، والقواسم وآل جرار وطوقان وعبد الهادي في جبال نابلس ، وغيرهم .

٧— أصر محمد علي باشا على التجنيد الاجباري، وعلى كسر نفوذ الزعماء والمتنفذين؛ فاجتاحت البلاد من اقصاها إلى اقصاها موجة من الاستياء انتهت بالاحتجاج الصاخب. ثم حمل الناس السلاح وأخذوا يستعدون للثورة . وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى اشتعلت نيران الثورة في الصلت ، والقدس ، ويافا ، ونابلس وفي كل مكان . وقد جرت معارك دموية بين الجند والثوار في سعين من أعمال جبل الخليل ، وسيريس وباب الواد ، ولقتا ، وبيت جالا ، وبيت لحم ، ومرج بن عامر . وأما في القدس نفسها فقد انفق الأمن وسادت الفوضى ستة ايام ، اختفى النصارى خلالها في اديرتهم واليهود في كنائسهم ، وذبح منهم خلق كثير .

وكذلك اللدينتان الواضعتان في أقصى الشمال (صفد) وفي أقصى الجنوب (غزة) قد ثارتا . واستولى البدو الضاربون خيامهم في منطقة غزة على الامور كلها ، فأصبحوا الأمرين الناهين ، وانتشر رجالهم في جميع انحاء المنطقة يفعلون ما يشاؤون . وأما في صفد فقد اذاع الاهلون وفي مقدمتهم القاضي والمفتي وقيب الاشراف بياناً عطفوا فيه على مبادئ الثورة ؛ ونهبوا اليهود ، وقد قدرت خسارة هؤلاء بثلاثين ألفاً من الخنفيات .

وفي الاسبوع الاخير من شهر حزيران عام ١٨٣٤ م كانت فلسطين كلها (خلا غزة والقدس ويافا وعكا) قد سقطت في أيدي الثوار . وعلى قول ان ابراهيم باشا نفسه اضطر إلى الالتجاء إلى دير الأفرنج بيافا والتحصن فيه ، فأرسل أمير اللواء علي بك حاكم غزة إلى السلطات المركزية كتاباً يحذرهما فيه من سوء العاقبة ، ويشير إلى الخطر المحدق بالقيادة المصرية . وكذلك فعل سليم باشا أمير اللواء في يافا .

٨ — فأرسل محمد علي باشا على أثر ذلك ثلاث كتائب من المشاة ، وكنيتين من الفرسان ، وألفاً من فرسان البدو . وعهد بقيادة هذه الكتبة إلى اثنين من أنبغ قواده هما أحمد منكلي بك ومحمد سالم باشا . وقد اجر هو أيضاً على رأس هذه القوة من مرفأ الاسكندرية قاصداً فلسطين .

٩ — وصل محمد علي باشا بمراكبه إلى نقطة في البحر تقابل مدينة غزة (١) في اليوم الرابع . وكان وصوله في ١٩ من صفر سنة ١٢٥٠ هـ . فطويت الشراع ، والقيت للراسي في القاع . وكان معه خمسة عشر ألفاً من الجند . ولما كانت البلدة بعيدة عن الساحل أرسل حسني افندي ليحضر كلا من علي بك وأحمد آغا ويعقوب بك فحضروا وأجروا رسوم العبودية ورجعوا . ثم ان المراكب الحديوي أزمع انصرافاً نحو يافا .

١٠ — وفي يافا خرجوا إلى البر . وقام محمد علي باشا بعملته التأديبية في جبل نابلس ، وجبل الخليل ، وجبل القدس ، وبلاد صفد ، وفي الأحياء الأخرى حيث كانت تيران الثورة مشتتة . فأطلق سراح المسجونين من أبي غوش ، وأنعم على جميع أفراد هذه الأسرة ؛ ونفى عدداً من وجوه القدس كالشيخ محمد علي الحسيني والشيخ عبدالله البديري إلى وادي النيل . وقد أدان حاكم يافا ، ففض بشقه . وسجن بعض زعماء المواصي والفاهوم وغيرهم . وقصارى القول ان كل من كان في ما مضى من اتباع عبدالله باشا طورد من قبله مطاردة لا هوادة فيها ولا رحمة .

وفي الخليل أيضاً كان النصر حليف إبراهيم باشا وجنده . وكذلك كان الحال في زيتا ودير النصون من أعمال جبل نابلس ، وفي صانور (٢) وجنين ، والناصرية ، والقدس ، وفي كل مكان . وبعد أن تغلب على الخليل (٣) أم غنة . وعلى قول انه سافر إلى الكرك . وقد أمر أحمد بك منكلي بالسفر إلى غزة ليسيطر بخيله على العربان ، ويسترد فيها مكاته الأولى .

١١ — ظل النضال قائماً بين الثوار الفلسطينيين والجنود المصريين حتى تم لمحمد علي باشا ما أراد : فأسس التجنيد الإجباري في البلاد ، وزرع السلاح من الأهليين . وما أن تم له ذلك حتى رجع إلى مصر ، وسافر ابنه إبراهيم باشا إلى دمشق . وقد جرى في دمشق ما جرى مما لا يدخل في نطاق بحثنا هذا إلى أن اعتزم الانسحاب .

-
- (١) حروب إبراهيم باشا في سوريا والناضول .
 (٢) أنها حصن آل جرار الحمين . دخله إبراهيم باشا خائراً . وكان آل عبدالمهادي حقاؤه في ذلك الحين .
 (٣) جرت معركة دمورية في شوارع الخليل كانت خسائر المصريين فيها جسيمة .

١٢ — بدأ ابراهيم باشا بالانسحاب من دمشق وكان معه ٦٣٤٩٩ جندياً . وقد لاقى هؤلاً ، في طريقهم من الجوع ومن كره السكات ما لا يحتاج لوصف . ولكنهم تحاشوا الاصطدام مع القوى المنتظمة أو الدخول في حرب ، فكان لهم ذلك إلا على مقربة من غزة ، فقد التقى فرسان الفريقين واقتتلا ، فانكسر المصريون ولكنهم تمكنوا من الوصول إلى غزة ، وكانت هذه لا تزال في ايديهم .

١٣ — استقبل الغزيون ابراهيم باشا وجنده ببرودة تامة : فلم يقدموا لهم اية مساعدة ولم يظهروا نحوهم أي عطف ، وكان عدد هؤلاً الجنود قد انخفض إلى عشرين ألف . وكان أكثر سكان المدينة قد رحلوا عنها قبل وصول للصريين إليها . حتى قيل ان عدد سكان غزة يومئذ لم يتعد الألفين .

١٤ — وقامت في غزة صعوبات حجة في أوجه للصريين ، فلم يتمكن إلا فئة قليلة منهم من الاجار إلى مصر . واضطر الشطر الأكبر منهم إلى الرجوع برأ : بعضهم مشاة والبعض الآخر فرساناً . وبقي منهم في غزة عدد غير قليل . وكانت غزة آخر مدينة غادرها ابراهيم باشا ، كما كانت أول مدينة احتلها من المدن الفلسطينية . وقد رجعت بعدئذ إلى حوض الأثرالك .

وهكذا يكون احتلال الجيش المصري لغزة في عهد محمد علي باشا قد دام ثلاثة اعوام إلا قليلاً .



غزة والاحتلال الانكليزي

قبل أن أذكر لك أيها القارئ العزيز كيف ومتى احتل الاسكندر عزة ، علي أن اسرد بوجه الاختصار الحوادث التي سبقت ذلك الاحتلال . وإني توسلا لهذه الغاية درست بشيء كثير من التدقيق والامعان الكتب التي ألفها الفريقان المتحاربان ، الاتراك والانكليز ، والتقارير الرسمية التي أصدرها بعد الحرب . وهذا إذا احصى اقوالهما في ما يلي :

١ — كانت الغاية من مهاجمة مصر (١) إشعال الانكار ، وتخفيف الضغط عن السردنيل . وكان الأمل قوياً أن تثور مصر ومن ورائها السودان بمجرد اقتراب الجيش التركي من الحدود أو عبوره قناة السويس . فإذا حكم الاتراك على هذه القناة عرقلوا وسائل النقل بين انكلترا والهند . فيضطر الانكليز إلى أن يجتازوا طريقاً للهند غير قناة السويس وهو رأس الرجاء الصالح . وفي هذا ما فيه من كلفة وعناء ووقت طويل .

هذا ما كان يرمي إليه الاتراك ، بعضهم في ذلك حلفاؤهم الألمان . ولا سيما الميرالاي قرس فون قرسنشتاين الذي عين رئيساً لأركان الحرب في الفيلق الثامن . وكان هذا الفيلق الذي وجهه الاتراك لمهاجمة قناة السويس مؤلفاً من فرق المشاة

(١) راجع كتاب (فلسطين جبهة سي) ذلك الكتاب الذي أصدرته وزارة الحرب التركية بعد الحرب .

٢٣ و ٢٥ و ٢٧ وعدد من التطوعين. وقد بلغ مجموع افراد هذه القوة ١٢٦٤٢ (١) جندياً. وكان مجهزاً بصرية من المهجاة، وعدد من المدافع الثقيلة ولتراتاليوزات والبنادق السريعة الطلقات. وكان معه ٩٦٨ حصاناً و ٣٢٨ ثوراً لسحب المدافع عبر الصحراء، وسبعة آلاف جمل. واما قائد هذه الحملة فهو جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع. غير أن الطريق إلى قناة السويس كانت مخوفة بالمخاطر. ذلك لأنها تمر من بادية لا زرع فيها ولا ماء. حتى أن قيادة الجيش أمرت الضباط والجنود أن يقتصدوا في استعمال الماء، وأن لا يحرب الواحد منهم أكثر من ابريق في اليوم الواحد. ولذلك كان يترتب على الأتراك أن يقوموا بعمل فجائي فور وصولهم للقناة. وكان عليهم اما أن يحتلوا القناة ويقضوا على الجيش الانكليزي الرابض وراءها، وذلك في بحر اربعة ايام من وصولهم؛ أو ان ينسحبوا إلى الورا، إلى مكان يتوفر فيه الماء.

٢ — أخذت كتائب الأتراك تتجمع في بر السبع حوالي الاسبوع الاخير من شهر كانون الاول لعام ١٩١٤. وفي اليوم الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٥ شرعت هذه الكتائب في الزحف ميممة قناة السويس. وكانت تزحف ليلاً وتسرح نهاراً. فوصلت إلى العوجا في اليوم التالي، ثم عبرت الحدود التركية المصرية، واجتازت صحراء سيناء دون أن تلقى أية مقاومة من الانكليز. إذ كان هؤلاء قد اختاروا البقاء وراء الضفة الغربية. اختار الأتراك لرحلتهم هذا ثلاث طرق: الاولى طريق الشاطيء من غزة إلى رفح فالعريش، والثانية من قلب الصحراء عن طريق بر السبع إلى العوجا فالهدة والحبرة، والثالثة عن طريق العقبة. وحاول الأتراك عبور قناة السويس. وقد عبرتها بالفصل قوة صغيرة مؤلفة من ستائة جندي في مكان يدعى (طرسوم - سرايوم) بالقرب من البحيرة المرة أمام الاسماعيلية. واستعمل هؤلاء للمدببات (٢) التي هيئت لهذه الغاية. إلا أن هذه المدببات لم تكن كافية. فما

(١) كان الأتراك يمتون اضعهم بانضمام عدد كبير من التطوعين إلى هذا الجيش ووصول الكتائب المرافقة في الحجاز حتى يبلغ عددهم (٢٥٠٠٠)، ولكن امنيتهم هذه لم تتحقق.

(٢) حل الأتراك هذه المدببات معهم عندما اجتازوا الصحراء. وقد كانت قطعاً متناثرة فركبوها عند وصولهم لاقنال واستعملوها.

كاد هذا العدد الضئيل من الجند يعبرون القناة حتى تلقىهم المدفعية البريطانية بنيرانها الحامية . وكانت هذه تهدف حمماً من بعض قطع الاسطول الذي كان راسياً في البحيرة المرة ؛ فصدتهم على اعقابهم ، بعد أن استشهد عدد كبير منهم واسر آخرون . ولم ينجس الاتراك في حملتهم هذه إلا نجاحاً ضئيلاً هو إرغام الانكليز على أن يبقوا في الضفة الغربية ، وتحريب مدرعة انكليزية كانت راسية في القنال . فقرروا الانسحاب رغم أنف (قرس بك) الذي كان (يفضل الموت على الانسحاب) . وقد انسحبوا بالفعل إلى غزة ، تاركين وراءهم ١٣٠٠ شهيد ، وعدداً كبيراً من الإبل التي نفقت بسبب الحر والتعب . وأما الانكليز فأنهم على قول الاتراك انفسهم لم يغسروا في هذه المعركة سوى ١٧٥ قتيل . وقد رافق جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع هذه الحملة من اولها إلى آخرها .

٣ — عندما فشل الاتراك في حملتهم الاولى هذه أخذوا يستكملون تقائص جيشهم ، ويتأهبون للقيام بحملة ثانية . فأصلحوا شؤون منازلهم على طول الطريق ، وعبدوا الطرق ، ومدوا السكك الحديدية ، واستخدموا عدداً كبيراً من الجنود كعمال لهذه الغاية . وعهدوا بهذه الاعمال كلها إلى (قيادة الصحراء) التي وضعت تحت إمرة القائد الالماني (الميرالاي فون قرس بك) . ورابطت قوة الصحراء هذه في العرش وقلة النخل والابن . وقد اتخذت هذه الاخيرة مقراً للقيادة .



الميرالاي فون قرس الالماني

وفما كان الاتراك يتأهبون للقيام بحملتهم الثانية على القنال حدث في ساحات

القتال الآخر^(١) حوادث اضطرتهم للتريث في الامر . فقد اضطروا لارسال الفرق الثامنة والعاشره والخامسة والعشرين من فرق الجيش الرابع إلى الدردنيل . كما ارسلا فرقة من فرق القليل الثاني عشر إلى العراق ، واخرى إلى القفقاس . ثم أخذوا من الجيش الرابع جميع المدافع السريعة الطلقات والمتراليوزات التي كانت لديه . فأغضت قوة هذا الجيش انخفاضاً هائلاً وأصبح مجموع افراده اثني عشر طابوراً فقط .

أضف إلى ذلك الانباء التي وصلت عن نشوب ثورة في بلاد الأرمن ، والاستياء الذي كان واضحاً للعيان في البلاد العربية من جراء انتشار فكرة الاستقلال بين العرب ، وللفاوضات التي كانت تدور حول هذا الموضوع بين الإنكليز وبين الملك حسين بن علي ، ذلك الملك العربي الذي تار ضد الترك وأعلن استقلال العرب . فلم يتمكن الاتراك ، بسبب الحوادث للتقدم ذكرها ، من القيام بمحلتهم الثانية على القتال قبل أن يأتيهم اللد من جهة ، وقبل أن يعهدوا السبيل إلى هذه الحملة وذلك بتعبيد الطرق وإنشاء السكك الحديدية من جهة أخرى .

٤ — شرع الاتراك في آذار عام ١٩١٥ بتعبيد الطرق من بئر السبع . وقد انتهوا من تعبيد القسم الواقع بين بئر السبع وبئر الحنة في شباط عام ١٩١٦ . وأما السكة الحديدية فقد وصلت إلى بئر السبع في ايلول عام ١٩١٥ ، وإلى عسلاج في شباط ١٩١٦ ، ثم تم تعديدها إلى القصيمة .

٥ — ولم يكن الإنكليز بغافلين عما يفعله الاتراك في هذه الجبهة . فقد زار مصر في اواخر عام ١٩١٥م وزير الحرية البريطانية اللورد كيتشنر ، واستحضر عدداً كبيراً من الفرق الانكليزية التي كانت في فرنسا وسلاويك والدردنيل والهند ، فأصبح مجموع الجيش البريطاني للرباط في مصر ٣٠٠٠٠٠٠ وعهد بقيادة هذا الجيش والدفاع عن مصر إلى الجنرال السر ارشيبالد موري . وأما قوة الاتراك التي كانت يومئذ مرابطة في هذه البلاد من مصر إلى اطنة فانها لم تتجاوز الاربعين ألفاً .

(١) كان الاتراك يحاربون خلال الحرب الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) في خمس جبهات : فلسطين ، العراق ، القفقاس ، رومانيا ، والدردنيل .

٦ — وعلى الرغم من أن المدد الذي كان يتوقعه الأتراك لم يصلهم وأن الوسائل التي كانت لديهم قليلة ، فانهم تحت ضغط الألمان الملح ، ولا سيما تحت ضغط الميرالاي فون فرسبك ، قرروا القيام بحملة جديدة على القنال . فساروا ليلاً وحلوا على قطية ، والروماني حملة كان النجاح حليفهم فيها ، وكان ذلك في ٢٣ نيسان ١٩١٦ . ثم زحفوا باتجاه القنال . وكانت قوتهم في هذا الزحف مؤلفة من ٢٠.٠٠٠ جندي نصفهم فقط محاربون . ولم يكن بينهم سوى كتيبة واحدة من الحيلة بينما كانت لدى الانكليز ثلاثة (آليات) من الحيلة . هذا عدا المشاة ورجال المدفعية ، والآلات الميكانيكية وما إلى ذلك .

فشل الأتراك أيضاً في هذه الحملة التي قاموا بها فجأة في الليلة الرابعة من شهر اغسطس ١٩١٦ ، فارتدوا على اعقابهم حتى العريش . وكانت خسائرهم في هذه المرة ألف شهيد وثلاثة آلاف اسير . وأما خسائر الإنكليز فانهم على قول الأتراك لم تتجاوز ١١٣٠ قتيلاً .

٧ — لقد تبدل الموقف في هذه الجبهة ، بعد فشل الحملة الثانية ، تبدلاً محسوساً . فبعد أن كان الأتراك مهاجمين والانكليز مدافعين ، انقلبت الآية فأصبح الانكليز مهاجمين والأتراك مدافعين . وراح الانكليز يفكرون في الاستيلاء على فلسطين بعد أن كانوا قانعين بالدفاع عن مصر فقط .

٨ — بعد أن تم للانكليز^(١) درء خطر الأتراك عن مصر وقناة السويس ، اعزموا القيام بحركات واسعة النطاق لاحتلال فلسطين . وكان ذلك بناء على قرار أصدرته وزارة الحرب البريطانية في بداية عام ١٩١٧^(٢) . ولقد صدر هذا القرار في نفس الوقت

(١) (The Palestine Campaigns, by Colonel A. P. Wavell)

(٢) ذلك لأن المستر لويد جورج (Mr. Lloyd George) الذي تولى رئاسة

الوزارة البريطانية بعد المستر اسكوت (Mr. Asquith) في ٧ من ديسمبر سنة ١٩١٦ كان يرى أنه لا بد من اشغال الألمان في جبهة أخرى غير الجبهة الغربية في أوروبا ، وقد ابرق إلى الجنرال ارشبالد موري يقول : (لا بد من الحصول على نصر في الشرق) .

الذي قرر فيه حلفاؤهم الروس أن يقوموا بقيادة الفرانديك نقولا بمحلتهم على القفقاس على أمل أن يستقوا الجيش التركي .

وما كاد قائد القوات البريطانية السير ارشيبالد موري يتلقى قرار حكومته حتى ابرق إليها طالبا تزويده بفرق أخرى من المشاة والفرسان . وكانت قوى الانكليز يومئذ مؤلفة من (٢٣٠.٠٠٠) جندي وهناك من يقول ان هذا العدد كان سبعين الفا فقط .

٩ — وضع السير ارشيبالد موري (Sir Archibald Murray) جميع القوى (١) الانكليزية للوجود شرق قناة السويس تحت إمرة الفئات جنرال السير تشارلس دويل (Sir Charles Dobell) فرسم هذا خطة وافق عليها القائد العام: وهي تقضي بالتقدم إلى الأمام ، واحتلال (وادي غزة) . على أن يتم ذلك وتهاجم غزة نفسها في اواخر شهر آذار . وكان لا بد من تمهيد الطريق لأجل ذلك . وقد كانت هذه من العريش إلى غزة صلبة إلا في بعض المواقع فإنها رملية . ولكن كان في مقدور كتاب المشاة والفرسان أن تسير عليها . وأما المياه فإنها وإن كانت متيرة في المناطق الساحلية إلا أنها لا تكفي للعدد الكبير من الجيوش التي كان عليها أن تعبر الصحراء . ولذلك كان لا بد من جر مياه النيل ، وقد جرت بالفعل بواسطة انابيب حديدية . وعهد إلى الاسطول البريطاني المقود لواؤه للأميرال (وه ميس) بحماية هذه المناطق . وقد شرع الإنكليز في نفس الوقت بمدون السكة الحديدية شمالا ليمكنوا من نقل جنودهم وعتادهم .

(١) كانت هذه مؤلفة من (أ) فيلق الصحراء (وهو مؤلف من: (١) فرقة للمشاة الثالثة والخمسون و (٢) فرقة الأتراك الفرسان و (٣) فرقة الفرسان الامبراطورية) .

(ب) والفرقة الثانية والخمسون .

(ج) والفرقة الرابعة والخمسون .

(د) ولواء من الفيلق الامبراطوري للهجاة .

وأما فرقة الفرسان الامبراطورية فقد كانت مؤلفة من اللواء الثالث للخيالة ، واللوائين الخامس والسادس للفرسان اليونانيين والبريطانيين، واللواء الرابع للخيالة الاسرائيليين . وكان مع كل من اللواء الثالث والرابع كتاب من المستشفيات والمؤسسات الصحية التي تعمل منفصلة بين القطع المختلفة .

وأما فرقة الأتراك الفرسان فقد كانت مسؤلة من اللواء الثاني للخيالة النيوزيلنديين والآلاي الثاني والمشرين للفرسان البريطانيين .



١٠ — عندما اتصل
بأ هذه الاستعدادات
بالأتراك شعروا بالخطر ،
فراحوا يميلون على تلافيه .
وقد جاء القائد العام أنور
باشا من استانبول ، وعقد
مجلساً حربياً حضره كل من
جمال باشا وفون قرس بك
للتشاور في الأمر . فقرروا
تأسيس خط للدفاع بين غزة
— وتل الشريعة — وبئر
السبع . كما قرروا تقوية
الجيش الرابع بإضافة كتائب
جديدة إليه من الشاة

الفتانت جنرال سر تشارلس دويل

والفرسان . ولم يكد العام الجديد يطل حتى كانت هذه الكتائب قد وصلت :
فرقة الفرسان الثالثة (وقد كان معها ألفا رمح) ، والفرقة السادسة عشر للشاة
من الجيش الخامس ، والفرقة (٥٣) وقد جاءت هذه من حلب . فتألف من هذه
الفرق الثلاثة فيلق سمي (الفيلق العشرون) ، وعهد بقيادته إلى فون قرس باشا ،
وكان مجموع افراده ثلاثة وثلاثون ألفاً رابط نصفهم تقريباً في خط الدفاع المتقدم
ذكره بين غزة — وبئر السبع .

انسحب الأتراك من العريش في ٢٠ من كانون أول عام ١٩١٦ ، فاحتلها
الانكليز في صبيحة اليوم التالي . وفي ٢٣ احتلوا اللقبة . وفي شباط عام ١٩١٧
وصلوا إلى رفح . وفي ٢٨ من شباط احتلوا خان يونس . ومن هناك أخذوا يستعدون
للزحف على غزة . وقد انسحب الأتراك إليها ، وأخذوا يتأهبون للدفاع عنها دفاعاً
لا هوادة فيه .

حصن الأتراك مدينة غزة تحصيناً كاملاً من الساحل إلى تل المنطار . هذا

بالإضافة إلى أشجار الصبر والتحصينات الطبيعية الأخرى. وقد هجرها أهلها، وانتشروا في المدن والقرى المجاورة. وكان يربط فيها بقصد الدفاع عنها آلايان من المشاة، وأربع بطاريات من المدافع الثقيلة، وبطارتان من مدافع الصحراء، وثمانية بلوكات



الضباط الانزال الذين قادوا عملية غزة

متراليوز. وكان لدى الجميع (٣٥٠٠) بندقية. وعقد ضباط الجيش التركي مؤتمراً تشاوراً فيه ورسموا أحسن الخطط للدفاع عن غزة.

١١ — في ٢٠/٣/١٩١٧ اتخذ الجنرال دوبل (رفع) مقراً لقيادته. ثم أصدر أوامره للجند بالزحف على غزة (٢٦ آذار سنة ١٩١٧)، وكان مجموع القوة التي اشتركت في هذا الزحف ٤٤,٠٠٠ بين مشاة وفرسان. وكان على الفرقة ٥٣ أن تحاصر غزة من الجنوب. فتقدمت نحو (تل جمة)، وتمكن جناحها الأيمن من الوصول إلى تل المنطار. وقد كان هذا التل في وضع مسيطر على المدينة وعلى السهول التي تحيط به. وطلّقت فرقة الانزال (١) الفرسان غزة من الشمال، وتمكنت من الوصول إلى بيت حانون جبالياً. إلا أنها لم تتمكن من احتلال غزة نفسها. إذ كان

(١) المنصردين (الانزال) الأستراليين والنيوزيلانديين معاً.

الضباب كثيفاً ، وكانت النجيدات العسكرية قد وصلت إلى الأتراك وهي مؤلفة من فرقة للمشاة السادسة عشرة وفرقة الحياطة الثالثة . فاضطر اللقنات جنرال شت وود (Shetwode) لإصدار أوامره بالانسحاب . فانسحب الانكليز من مواضعهم ، وكان ذلك قبل القروب . وهناك من ينتقد امر الانسحاب هذا ، ويقول أن الانكليز لو ثبتوا قليلاً لاحتلوا المدينة . وفي الكتاب (١) الذي اصدرته وزارة الحرب الاوسترالية تقد مرير وعتاب لاذع في هذا الصدد .

إن الانكليز وإن كانوا استأنفوا القتال في اليوم الثاني ، وحاولوا الاستيلاء على غزة ، إلا أنهم فشلوا فارتدوا على أعقابهم تاركين وراءهم ٢٧٠٠ قتيلًا ، و ٢٩٣٢ جريحاً . وأما الأتراك فقد خسروا ١٥٠٠ رجلاً في هذه المعركة .

اجتاز الانكليز (وادي غزة) أثناء رجوعهم وفي الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي (٢٧ آذار ١٩١٧) وصلوا إلى منازل (التصبرات) فدير البلح ، وخانيونس .

١٢ — إن معركة غزة الاولى وإن كانت قد انتهت بنصر الأتراك ، إلا أنها زادت في انتباههم ، وجعلتهم يشعرون بالخطر المهدق بهم أكثر من أية مرة سبقت . فأخذوا يحصنون مواقعهم ، واستحضروا فرقتين (هما السابعة والرابعة والخمسون) ، وأتوا بفرقة ثالثة كانوا قد ادخروها للشدائد . فأصبح لديهم في ١٩ نيسان سنة ١٩١٧ قوة مؤلفة من (٣٠.٠٠٠) محارب (٢) .

١٣ — وكذلك فعل الانكليز فإنهم بعد فشل المعركة الاولى بغزة ضاعفوا نشاطهم ، واستحضروا كتائب جديدة اضافوها إلى قوام الحاضرة . وكان بين النجيدات الجديدة احد عشر طابوراً من الهنود المشاة ، وثمانى مصفحات وعدد من المدافع الثقيلة . وقد مدوا السكة الحديدية فأوصلوها إلى دير البلح في ١٩١٧/٤/٥ . وكذلك فعلوا بالأنايب التي جروا ماء النيل فيها إلى الجبهة . وقد اتخذوا دير البلح مقراً للقيادة ، وكانت الفرقة ٧٤ قد وصلت إليها فبلغت بذلك قوة الانكليز المشاة أربعة فرق . وكانت وزارة الحرب البريطانية قد صممت على احتلال القدس . فرسم اللقنات الجنرال دوبل خطة جديدة لمهاجمة غزة مرة ثانية . وكانت هذه الخطة

« The Australian Army Medical Services » (١)

(٢) الفرقة الثالثة في عرة ، والفرقة ٥٣ في أبي هريرة ، والفرقة ١٦ في تل الصرية ، والآلاى ٧٩ من الفرقة ٥٤ في دير البلح ، وفرقة الفرسان الثالثة وقسم من فرقة القليات في هوج .

تتضي بمهاجمة غزة على درجتين : تقوم الفرقان ٥٢ و ٥٤ بأدىء ذي بدء بمهاجمة غزة من البحر إلى الشيخ عباس . ثم بعد يومين تقوم الفرق ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ مصعوبة بالآي من المهاجمة بمهاجمة غزة من الجنوب الغربي ، ومن الجنوب ، والجنوب الشرقي . وكان على فرق الانزاك والفرسان أن تقوم بهجوم في الجناح الأيمن بأجماع أبي هريرة .

١٤ — بدأ الهجوم الثاني على غزة في ١٧/٤/١٩١٧ فاحتل الانكليز يومئذ التلال الواقعة في (شيخ عباس) ، ونشب عراك شديد بين مشاة الفريقين ، حتى أن الفرسان ارغموا على الترحل . وفي ١٩ من نيسان ظلت مدافع الانكليز تقذف ببنارتهم غزة من البحر طيلة ذلك النهار من الساعة الخامسة صباحاً حتى الساعة الثامنة . وقد أصابت هذه القنابل الجامع العمري الكبير وعدداً كبيراً من المنازل .



واقفرت شوارع غزة من السكان للمرة . وما كادت أصوات للدافع تخفت حتى شرع المشاة من الفرقة ٥٣ يسبرون على الشاطئ بأجماع غزة . وقد احتلوا خطأ ممتداً من الشيخ مجلين إلى الشيخ عباس على بعد ثلاثة أميال من غزة . وراحت الفرق الانكليزية الأخرى تهاجم الجبهة في أنحاء أخرى . لكن القشل كان حليف الانكليز في هذه المرة أيضاً . ولم يستطيعوا الاستفادة من مصفعاتهم بسبب طبيعة الأراضي من جهة ويران للدافع التركية من جهة أخرى .

كان موقف الأتراك في هذه

الحرب الذي أصاب الجامع الكبير

١٩ نيسان ١٩١٧

المرحكة مجيئداً للناية . إذ ناضلوا عن غزة نضال الأبطال ؛ فانتصروا على الانكليز ، وردوهم على أعقابهم (١٩ / ٤ / ١٩١٧) بعد أن كبدهم

خسائر (١) فادحة : ٢٠٨٥ قتيلًا و ٤٣٥٩ جريحًا وعدداً كبيراً من الأسرى . وأما خسائر الأتراك فقد كانت ١٩٧٠ رجلاً . وقد جاء في التقارير الرسمية الانكليزية



الجنود المترك

يستملون المدافع سرية الطلقات في معركة غزة الثانية

أن الأتراك كانوا شديدي الاحترام للأطباء والمرضات والمؤسسات الصحية . فلم يعتدوا عليها قط ، رغم وجودها أمام انظارهم في ساحة الوغى .

١٥ — قال (ليون فون ساندرس) رئيس البعثة العسكرية الألمانية التي اتدبت لتدريب الجيش التركي وتنظيمه في كتابه (خمس سنوات في تركيا) ص ١٩٦ ما يأتي :

« كانت خسارة الأتراك في موقعة غزة الثانية ٣٩١ من القتلى و ١٣٢٦ من الجرحى و ٢٤٢ من الفارين . وكان القارون من الجيش التركي عرباً ، لبوا دعوة الشريف حسين ، والتحقوا بالثورة العربية الكبرى ، وانخرطوا في صفوف الجيش العربي الفتى الذي تم تنظيمه في اوائل عام ١٩١٧ » .

(١) هناك من يقول ان قوى الانكليز في هذه المعركة كانت مؤلفة من ٥٠٠٠٠ مقاتل ، والأتراك ٣٠٠٠٠ وأن الانكليز خسروا في هذه المعركة ١٥٠٠٠ رجلاً بين قتيل وجريح وأسير .

١٦ — أقال الانكليز على أثر فشلهم هذا الجبرال دو بل من قيادة القوى الشرقية ، واستبدلوه بالجبرال (شت وود) وجعلوا الماجور جبرال (شوفل Chauvel) قائد القوة الصحراء ، وتولى الماجور جبرال (شيتور E. W. C. Chaytor) قيادة فرقة الانزاع الفرسان . وأما القيادة العامة لجميع هذه القوى فقد انتزعت من يد السير ارشبالد موري ، وسلمت في حزيران سنة ١٩١٧ ليد السير ادموند اللنبي بصفته القائد العام للحملة المصرية : Sir Edmund Allenby, Commander in Chief of the Egyptian Expeditionary Force.



منح اللورد اللنبي
صلاحيات واسعة ، واعطى
كل ما طلبه من جند
ومدافع وآلات ميكانيكية
وذخائر وعتاد ، وأخذ
يرسم الخطط لا للاستيلاء
على غزة فحسب ، بل وعلى
فلسطين بأسرها . فشرع
في تنسيق القيادة ، وقام
بتمرينات عسكرية لاختبار
حالة جيشه ، وضاعف من
الجهود التي سبقت له
الانايب وجرمياه النيل في
الصحراء . وقد مدت هذه
بالفعل على مسافة ١٣٥ ميلا ،
كما مدت السكة الحديدية حتى
وصلت إلى دير البلح ، وانشأ

فانح فلسطين : اللورد اللنبي

لها بعض الفروع من رفح إلى الشلالة ، ومن هناك حتى الكرم والبقار . وقد اتخذ
القطرة مركزاً لقوس جيشه بدلا من الاسكدرية . وأعد نظام القوى التي وضعت
تحت إمرته على النسق التالي :

- ١ — الفيلق العشرون (وهو مؤلف من فرق المشاة العاشرة ، والثالثة والخمسون ، والستون ، والرابعة والسبعون) ومجموع قوته ١٤٣٥ ضابطاً و ١٧١٠٤٤ جندياً .
- ٢ — فيلق خيالة الصحراء (وهو مؤلف من الفرق الثلاثة للفرسان الأستراليين والآنزاك واليومانين) ومجموع قوته ٧٤٥ ضابطاً و ١٧٠٩٣٥ جندياً .
- ٣ — الفيلق الواحد والعشرون (وهو مؤلف من فرق المشاة ٥٢ و ٥٤ و ٧٥) ومجموع قوته ١١٥٤ ضابطاً و ٣٤٠٧٥٩ جندياً .
- وأما القوة التي احتفظ بها في المقر العام فقد كانت مؤلفة من لواء واحد من فيلق المهجانة واللواء السابع من فرقة الفرسان اليومانية ، ولواء من الفرسان التابعين للقوة الامبراطورية ، واللواء العشرون من الهنود المشاة .
- وقد كان مجموع القوى الحاربة التي وضعت تحت إمرة اللورد اللني ١٩٩٠٠٠ رجلاً . إن شخصية الجنرال اللني ومقدرته ونفوذه بصيرته بدت للجند بزياراته الكثيرة المتوالية للقطعات ولا سيما في المناطق الامامية . وهذه الصفات احدثت تطوراً عجبياً في معنوية الجيش الانكليزي ، وبعد ان كان الاعتقاد سائداً بأن هذا الجيش الذي كان يحارب في الجبهة الفلسطينية ، كان منسياً ، تبدل هذا الاعتقاد وانقلب اليأس إلى رجاء . ولا سيما عندما وصلت التجديدات الجديدة ومعها طائرات حديثة الصنع .
- ١٧ — رأى الاتراك استعداد الانكليز هذا ، فحسبوا له حساباً ، وراحوا يعدون له العدة من جديد . وعقدوا في حلب مجلساً حريباً (٢٧ من حزيران سنة ١٩١٧) حضره كل من :

القائد العام	أنور باشا
قائد جيش القفقاس	أحمد عزت باشا
قائد الجيش الثاني	مصطفى كمال باشا
قائد الجيش الرابع	جمال باشا
قائد الجيش السادس	خليل باشا
مستشار وزارة الحرب التركية	محمود كامل باشا
وغيرهم من الرؤساء والقواد .	

ان هذا المجلس وان لم ينته يومئذ إلى قرار حاسم في صدد الخطة الواجب اتباعها (١) إلا أن القيادة العامة عادت قهرت (٢) إرسال الجيش السابع والثامن من (جيوش يلدريم) (٣) إلى الجبهة الفلسطينية . ولما كان غلزي باشا قائد الجيش السابع مخالفا لهذا الرأي فقد استقال من القيادة بإيعاز من أنور باشا ، وعهد بقيادة هذا الجيش إلى أمير اللواء فوزي باشا .

١٨ — وفيما كانت هذه التبدلات في القيادة تجري كانت احوال الجيش التركي تسير من سيء إلى اسوأ . إذ كانت ارزاقه قليلة للغاية . ولم يحسن ضبط الجيش استعمال هذا القليل من الارزاق بدرجة ان الجوع كان يلزم الكثيرين من الجنود في كثير من الاحيان . وقد جاء في التقارير الرسمية انهم لم يستطيعوا توزيع كمية من الخبز أكثر من ٧٥ طن في أي يوم من أيام شهر ايلول ١٩١٧ ، مع أن احتياج الجيش اليومي للخبز كان ١٥٠ طناً على اقل تقدير . وقد فتكت الامراض بالجنود فتكا ذريعا ، فأخذ عددهم يتناقص ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ في كل شهر ، دون ان يأتي من يقوم مقامهم ويشغل مراكزهم . ووسائل النقل كانت في بعض القطعات ناقصة ، وفي بعضها الآخر في حكم العدم . وقد هلك عدد كبير من حيوانات الجيش بسبب الجوع وقلة العلف . واما حاجة الاهلين إلى الأرزاق واللؤن فقد كانت أعظم من ذلك بكثير .

١٩ — وفي تشرين أول من تلك السنة (١٩١٧) كان اللورد اللنبي قد أتم تعبئة جيشه . فأمر بالزحف نحو القدس وفلسطين . وكان خط الدفاع التركي يمتد

(١) كان بعض اعضاء هذا المجلس يرى وجوب الاهتمام بجبهة العراق ، واسترداد بغداد التي سقطت بيد الانكليز في ١١ آذار سنة ١٩١٧ ، والبعض الآخر كان يؤثر الجبهة الفلسطينية على غيرها .

(٢) ولكن بعد خراب البصرة ، وبعد تلكؤ دام اربعة شهور !...

(٣) كانت جيوش يلدريم هذه بادية دى بده مؤلفة من القطعات التالية :

الفيلق الثالث (الفرق ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٩) والفيلق الخامس عشر (الفرق ١٩ و ٢٠) ثم اضيف إليها كل من الجيش السادس ، والجيش السابع ، والجيش الثامن . وكانت الغاية من تأليفها القيام بحملة جديدة في العراق واسترداد بغداد . وقد عهد بقيادتها إلى القائد الألماني الجنرال فالكنهايم .

على مسافة طولها ثلاثون ميلا من البحر بالقرب من غزة حتى بُر السبع . فرأى بين صالبة انه ليس من السهل الاستيلاء على غزة قبل الاستيلاء على بُر السبع . ولذلك قرر الاستيلاء على بُر السبع (١) أولا . وقد استولى عليها فعلا .

٣٠ — وفي اليوم الاول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩١٧ أخذ الانكليز يزحفون نحو غزة ، وقد عهدوا بهذه المهمة إلى القليل الواحد والعشرين . فشرعوا بالقاء قتالهم على خطوط الدفاع التركية بشدة . وفي اليوم الثاني من تشرين الثاني احتلوا موقع (الشيخ حسن) ، ووصلوا إلى موضع يبعد عن غزة اربعة كيلو مترات الى الجنوب . وقد هدمت المدفعية الانكليزية ، وقذفت المدينة بقنابلها ؛ وتمكنت فرق انكليزية اخرى من التقدم نحو هوج والجمامة . فأخذ الجيش التركي الثامن يتجمع في (حليقات) لا ليصد تقدم الانكليز من هناك فحسب ، بل وليقوم بحركة تعرضية يكون من ورائها الالتفاف حول الجناح الايمن الانكليزي المهاجم .



فيلس الجمامة ينقل للبيس الانكليزي معدات القتال

ولكن الانكليز كانوا قد تمكنوا من الوصول إلى (ام دبك) . ففصلوا بذلك بين الجيشين التركيين : السابع والثامن . فاضطر الاتراك في اليوم السابع من شهر تشرين الثاني ١٩١٧ لتخليه غزة ، واحتلها الانكليز في ذلك النهار . وأخذوا من فورهم يتقدمون نحو الشمال .

(١) راجع ما كتبناه عن بُر السبع واحتلالها في كتابنا (تاريخ بُر السبع وقبائلها) .

٢١ — أصاب غزة خراب كبير بسبب هذه المعارك التي دارت فيها وحولها . وقد ضربت من قبل الاسطول الانكليزي بحراً ، ومن الجيش برأ . حتى تهدم منها ما ينوف عن ثلثها (١) ، وهجرها اهليها .



غزة المهجورة بسبب الحرب سنة ١٩١٧

أضف إلى ذلك ان الجيش التركي كان يخلم الأبواب والسقوف والاماث ليستعمل خشبها في تشييد الاستحكامات . فقت هذا في عضد هذه المدينة التاريخية ، وهبط بها من الأوج إلى الحضيض .

٢٢ — ان السبب (٢) في هذا الاندحار هو قلة اعتماد الاتراك في هذه الجبهة ، وعدم اتبائهم إليها في بادئ الحرب ، وعدم تعاون رجال القيادة من أترك وألمان ، وقلة وسائل النقل ، وقلة التخار والمؤن . كانت وسائل الانكليز أكثر وأمتن ، ولا سيما من حيث السكك الحديدية . فقد اقتربت هذه من غزة . وهناك خط آخر اقترب من بئر أبي غليون . واما الخط الحديدي إلى العريش فقد كان مزدوجاً

(١) عوض الانكليز بعد الحرب بعض التعويض على الاشخاص الذين خربت منازلهم اثناء الحرب .

(٢) هذا ما يقوله الأتراك انفسهم . راجع كتاب (فلسطين جبهة سي) .

ومد فساطل الماء على طول السكك الحديدية ، وبذلك تم ذلك في مدة قصيرة
والخلاصة وافي غليون كانت بأيديهم . وكان لديهم ٧٤٠٠٠ عاملاً مصرياً يشتغلون
بالطرق والاستحكامات الحربية ، وكان لدى الفيلق العشرين ٢٨٠٠٠ جنلاً . وكان
لدى القيادة العامة فضلاً عن ذلك ٣٥٠٠٠ جنلاً . أضف إلى ذلك وسائل النقل
البحرية . وقصارى القول كانت قوة الانكليز اربعة اضعاف القوة التركية وكانت هذه
القوة مجهزة تجهيزاً تاماً ، وكانوا يسيطرون على البحر والجو .
ومع ذلك فقد قاوم الاتراك مقاومة شديدة ، وابدوا بسالة متميزة استحقوا
الاعجاب من اجلها .



الامير فيصل بن الحسين

ويقول الذين تتبعوا مجرى الحرب في
ذلك العهد ان الاتراك ما كانوا ليندحروا
في هذه الجبهة لو كانت قلوب العرب سكان
البلاد معهم . إذ كانت هؤلاء تواقين إلى
الاستقلال وكانوا في اواخر الاحتلال التركي
ينظرون إلى الاتراك نظرة بغض وازدراء .
وقد هرب قسم كبير من الضباط والجنود
العرب الذين كانوا في الجيش التركي
والتحقوا إما بجيش النبي رأساً أو بالجيش
العربي الذي كان يقوده الأمير فيصل بن
الحسين ، والذي كان يؤلف الجناح الأيمن
لجيش النبي . حتى ان اللورد اللنبي نفسه
قد اعترف بعد انتهاء معارك فلسطين بفضل
العرب الأكبر في سقوط العقبة وبر السبع

وغزة . ولو لا سقوط العقبة لما سقطت غزة ، تلك البلدة الواقعة على شاطئ البحر
والتي دافع عنها الاتراك وحلفاؤهم الالمان دفاعاً يستحق الذكر والاعجاب . ولو لا
سقوط غزة بيد الانكليز ، لما تمكن هؤلاء من احتلال فلسطين . ولما فتحت في
تاريخ هذه البلاد صفحة جديدة من صفحات التاريخ الحديث .

٢٣ — ولقد انشأ الانكليز في غزة مقبرة دفنوا فيها رفات مؤداهم في المدارك
الثلاثة الدامية . ولما حضر اللورد اللنبي فاتح فلسطين لتدشين مسددة المقبرة عام
(١٩٢٣) قال : وكانت غزة من غر التاريخ حتى يومنا هذا براءه الفاتحين .

السباع وجوابو الأمصار بغزة

هبط غزة بين القرن الثامن والقرن العشرين لليلاد عدد كبير من السائحين وجوابي الأمصار (١)، من عرب وافرنج . ومن هؤلاء من جاء إليها خصيصاً ليدرس حالتها الاجتماعية والعمرانية والدينية والاقتصادية ، ومنهم من عرّج عليها في طريقه من مصر إلى بر الشام أو العكس بالعكس . ومن هؤلاء من استفاد من زيارته وأفاد واعلمنا عن انبائها الغابرة ما لم نكن لتعلم به من قبل ، ومنهم من لم يأت بالشيء الجديد بل أعاد ما قاله قبله الأقدمون . واني عند حد الاعتقاد أنه قد لا يخلو من فائدة ان تأتي على ذكر بعض ما قاله هؤلاء عن غزة في كتبهم ورحلاتهم على ان تغفل البعض الآخر الذي لا فائدة فيه فنقول :

في عام ٧٢٣ م زار غزة القديس فيلبالد St. Willibald وقال انه قد بصره فيها . وقد زارها الرحالة التاسع الصيت برنارد الملعب بالحكيم وكان ذلك بتاريخ ٨٦٧ لليلاد فقال عنها : انها غنية في جميع الاشياء .

وهبطها السائح الاسلامي المعروف (القديس) قال عنها : « انها كانت إحدى المدن الرئيسية في فلسطين وانها لا يعادها في الأهمية سوى الرملة التي كانت يومئذ عاصمة فلسطين . وكانت تحت حكم الفاطميين بمصر » ثم قال : « انها لا تزال مركزاً للقوافل التجارية التي تأتي من جزيرة العرب ومن مصر . وقد طار حبتها يومئذ وتحديث الركبان عن مسجدتها الجميل ، وقد تحدثت عن النصب (٢) التذكاري الذي كان فيها لعمر . كما تحدثت عن (الرباط) الذي كان فيها . وقال ان غزة كانت إحدى المحطات السبعة الواقعة على الشاطئ ، تلك المحطات التي كانت سفن اليرانطين ترسو فيها بقصد تبادل الاسرى ، والمظنون ان ذلك جرى حوالي القرن التاسع لليلاد .

وهبطها قاضي القضاء ابو اليمن القاضي مجير الدين الحنبلي ، فقال عنها في كتابه (الانس الجليل) ما يأتي : « عن مصعب بن ثابت عن ابن الزبير يرفعه (طوبى لمن سكن إحدى العروسين عسقلان وغزة) . وهي من أحسن المدن المجاورة لبيت المقدس

(١) History of the City of Gaza

(٢) لا تدري أى نصب يقصد ؟ واين كان ؟ وماذا جرى له ؟ تلك نقاط لا تزال مامضة .

وفيه ولد سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام . وهي من الثغور قلب البحر قريب منها . وبها كثير من الاشجار والنخيل وحولها كثير من الفارس وللزراع وفيها انواع الفواكه والخضار . وهي من أحسن مدن فلسطين ، مأواها كثير ، وهوؤها عذب ، وارضها خصبة . وفيها خلق من سلف من العلماء والصلحين . وتقدم ان الامام الاعظم محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ولد بها ، وموضع مولده معروف يقصد للزيارة . ولو لم يكن لفزة من الفخر إلا مولد النبي سليمان والامام الشافعي بها لكفاها .

وزارها السائح الاسلامي والبحاث المعروف في علم الجغرافية الادريسي عام ١٠٥٤م قال عنها : « انها مدينة مقدسة وانها آهلة جداً بالسكان وانها يد الروم (يقصد الصليبيين) » وما قاله الادريسي عنها : ان لها مرفأ يدعى Taïda أو Tida . وفي اواخر القرن الثاني عشر زارها ابو الفداء فقال عنها « انها مدينة متوسطة الحجم ذات حدائق واسعة ، وذكر اشجار النخيل والنب . وذكر الرمال بين المدينة والبحر . وقال ان فيها قلعة حاكمة على المدينة .

وفي عام ١٢٨٠م زارها السائح الانكليزي المروف (بوخارد اوف ماونت تسيون)

• Buchard of Mt. Zion

وفي عام ١٣٢١م زارها السائح الابيطالي (مارينو سانوتو) Marino Sanuto وذكرها في كتابه الذي ألّفه بعنوان : (اسرار الصليبيين المخلصين) . وفي عام ١٣٢٢م زارها السائح الافرنسي (ماوند ويل) Maundeville فقال عنها : « انها على بعد اربعة ايام من عسكا ، وانها مدينة عامرة ومليئة بالسكان » .

وقد زارها السائح الالماني (ويلهلم فون بولدنزيلة) Wilhelm Von Boldenselle في عام ١٣٣٣م والسائح الافرنسي (لودولفوس دوسودهايم) Ludolphus de Sudheim في عام ١٣٤٧م قال عنها في كتابه عن البلاد المقدسة : « انها آهلة بالسكان وانها المدينة الوحيدة من المدن الفلسطينية القديمة التي لا يمتنع فوق طولها يوم الخراب » . وقد زارها ابن بطوطة في اواسط القرن الرابع عشر للميلاد ، قال عنها في رحلته التي اسماها (تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ما يأتي :

« ثم سرنا حتى وصلنا إلى مدينة غزة ، وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر ، متسعة الاقطار ، كثيرة المبارة ، حسنة الاسواق ، بها المساجد الكثيرة ، والاسوار

عليها . وكانت بها مسجد حسن . والسجد الذي تقام الآن به الجمعة بنسائه الامير العظيم الجسولي ، وهو انيق البناء ، بحكم الصنعة ، ومنيره من الرخام الابيض . وقاضي غزة بدر الدين الساجي الحوراني ، ومدرسها علم الدين بن سالم . وبنو سالم كبراء هذه المدينة . ومنهم شمس الدين قاضي القدس .

وفي عام ١٣٤٨ م مر منها السائحان الفرنسيان (رودولف دو فرايمانسبورغ) Rudolph de Fraymensburg و (جاك دو فيرون) Jacque de Verone طريقهما إلى القاهرة . وقد قطعوا المسافة الواقعة بين غزة والقاهرة عن طريق صحراء سيناء في سبعة ايام .

وفي عام ١٣٧٦ م مر منها السائحان الالمان (هانس فون بوديمان) Hans Von Bodeman و (ديثلونجن در شيلتر) Diethelungen der Shilter وبحثا عن الشروط التي كانت سائدة يومئذ بين الحجاج والتراجم . إذ كان على الحاج او السائح ان ينقد التزجمان ثلاثا وعشرين مجدياً : النصف قبل مغادرة القدس والنصف الآخر ساعة الوصول إلى غزة . وكان على التزجمان تلقاء ذلك ان يرافق السائح ، وان يدفع عنه جميع الموائد والرسوم ، وان يستأجر له حماراً ، ومكاريماً مسيحياً ، وان يقدم له في غزة كل ما يحتاج إليه من طعام خلا البئذ ، وان يجد في غزة من يقوم مقامه في اصطحاب السائح حتى القاهرة .

وفي عام ١٤٢١ م زارها السائح الانكليزي (جون بولنر) John Polner . وفي عام ١٤٢٢ م زارها السائح الفرنسي (انطونينوس دو كرمونا) Antoninus de Cremona فقال انه قضى خمسة عشر يوماً في الطريق بين غزة وسيناء . وفي عام ١٤٢٣ م زارها السائح الفرنسي (بتروودون دو لا بروكيري) Betraudon de la Brocquerie فوصفها وصفاً جميلاً . ولكنه شك من سكانها وقال انهم يعاملون السياح معاملة خشنه . وزعم انه اوقف وهو في غزة ثلاث مرات لحله سيفاً ولاخلافه مع المكاري . وكاد يصيبه ما لا تحمد عقباه لو لا عدل حاكم المدينة . وقال انه وجد في غزة طبيباً سامرياً داواه ضد الملاريا .

وفي عام ١٤٣٣ م زارها السائح الالمان (فيليب فون كاتسنلنوبغن) Philip von Katzenellenbogen .

وفي عام ١٤٦٥ م زارها تاجر روسي يدعى (بلسيل) Basil فقال عنها انها تاجة

لكنييسة القدس وان استقفا ميخائيل ، وان عدد المسيحيين فيها كان يومئذ كبيراً .
وفي عام ١٤٧٩ م زارها السائح (توخر) Tucher و (ريتر) Rieter و (شيكل)
• Spiegel

وفي عام ١٤٨١ م زارها السائح اليهودي المعروف (ميشولام اوف فولتيرا)
Meshullam of Volterra وهو يهودي من يهود ايطاليا قال : « غادرت وصحبي
خان يونس في يوم الاربعاء الموافق ٢١ تموز ١٤٨١ وكانت وجهتنا غزة . وفي
الطريق سمعنا ان العرب قتلوا ثلاثة رجال على بعد ميل واحد من غزة ، ونهبوا
ثلاثة جمال كانت محملة بضائع . وقيل لنا انه لن يتيسر لنا الوصول الى غزة إلا إذا
كان برفقتنا اربعة الاف (؟) رجل من الرجال الاشداء المسلحين . ولكننا بالرغم
من ذلك وصلنا . وقد سمعنا ان الله لوصولنا سالمين . وفي غزة دخلنا خاناً يدعى
(الحيونوس) وكان هذا مزدهراً بالزآرين وقوافل السائحين بسبب المياج التي عم
المدينة . وكان في غزة يومئذ سبعة الاف (؟) رجل وعشرة الاف (؟) جمال على
أهبة السفر إلى الشام . وآمانا الخبز ونحن في اثنان ان السبب في هياج المدينة ان
نائبها كان على أهبة السفر للنعرة زميله نائب الرملة إذ كان البدو قد غزوا الرملة
وحرقوا جانباً منها . »

هذا ما قاله ميشولام عن غزة . وقد امتدحها وامتدح هؤلاء العذب وأطرب في
مدح ثمارها وفواكهها . وقال ان الخبز موجود فيها بكثرة ، وكذلك النبيذ . وأضاف
الى ذلك قوله ان اليهود قطع هم الذين يشتون بصنع النبيذ وتجارته .
وبما قاله هذا السائح عن غزة انه لم يكن حولها يومئذ سور . وانه كان يعيش
فيها ستون عائلة يهودية واربعة من السامريين . وانه كان لليهود في غزة كنيس صغير
وكانت لهم فيها دور واراخي وكروم .

وقطع امير غزة الذي قلنا انه ذهب لنجدة زميله امير الرملة رأس احد عشر بدوياً
وارسلهم الى غزة . ولكن البدو حملوا عليه في نفس اليوم حملة شعواء وقتلوا من
رجاله ثلاثة وعشرين ألفاً (؟) ولم ينج من شرهم أحد سواء ومئة من رجاله . قفل
راجماً الى غزة والحزن بملأ فؤاده .

وفي عام ١٤٨٣ م زار غزة السائح الالماني المعروف (برنارد فون برايتباخ)

• Bernard von Breitenbach

وفي العام نفسه زارها (فيليكس فابري) Felix Fabri القس الفرنسيسكاني المعروف فقال عنها انها تدعى (غزارة) (؟) وهي واقعة على طريق الحجاج النصارى الذين كانوا يؤمنون طور سيناء . وقال انه وصحه دخلوها ليلا وخشوا ان يدخلوها نهاراً خوفاً من ان يذبهم الاولاد الصغار فيرمونهم بالحجارة ، ويحطمون الجرار التي يحملون فيها نبيذهم . ولما دخلوها ألم بهم مرض ، فأراد فريق منهم ان يرجع واعتزم الفريق الآخر البقاء ولم يدر آخرون ماذا يسمعون . وبعد اللثيا والتي ازمعوا استئناف المسير معاً مهما كلفهم الامر . إلى ان قال ان غزة كانت يومئذ المدينة الرئيسية في فلسطين . وانها كانت أكبر من القدس على مرتين . وانها كانت عاصمة السكان ومزدهرة . وان فيها كل ما يحتاج إليه الانسان من بضائع ومؤون ، وان هذه البضائع واللؤلؤ كانت تباع بأرخص الأثمان ، وانه كان حول المدينة بساتين كثيرة فيها عدد كبير من اشجار النخيل . ولكن منازلها كانت مبنية من اللبن والطين . إلا الحمامات والمساجد فاتها كانت مبنية من الحجارة الغالية . ولم يكن ثمة سور حول المدينة ولكن كان فيها أبراج عديدة .

وقال فابري عن سكان غزة يومئذ انهم مزيج من عرب ومصريين وأجاش وسوريين وهنود ويهود ومسيحيين شرقيين . ولم يكن فيها أحد من اللاتين . ولكنهم بوجه العموم طييون ، وسلوكهم حيال الحجاج والسباح ممتاز لا غبار عليه . وقد كانوا يربحون من هؤلاء ارباحاً طائلة .

وفي عام ١٤٨٨ م زارها (عباديا اوف برتينرو) Obadiah of Bertinoro وهو حاخام ومؤلف يهودي . وقد نزل ضيفاً على يهودي من يهود ألمانيا كان يعيش يومئذ في غزة . وكان مضيفه (موسى) هارباً من القدس لجريمة اقترفها هناك .

وفي عام ١٤٩٦ م زارها (بروقارديوس) Brocardius .

وفي عام ١٤٩٩ م زارها (آرنولد فون هارف) Arnold von Harf وقال انه سجن فيها ثلاثة اسابيع .

وفي عام ١٥٠٧ م زارها (مارتين فون بلوم غارتن) Martin Von Baumgarten وفي عام ١٥٢٣ م زارها (داود رويني) David Reubeni وقد نزل ضيفاً على الحاخام دانيال وهو أغني حاخام عاش في غزة . وقد طاف هذا السائح القسم الغربي من اوربا ، وزار قداسة البابا ، واخذ يدعو بني قومه اليهود للبحث عن آثار اسباط

بني اسرائيل الذين تاهوا في الصحراء .

وقد زارها بعدئذ (بيريلون) Pierre Belon وامتدح فواكهها . وكان ذلك في عام ١٥٤٨ م .

ثم زارها (عمانوئيل اورتيل) Emanuel Oertel في عام ١٥٦١ م .

و (داود فورتنباخ) David Furtenbach في عام ١٥٦٢ م .

و (يوحنا هلفريخ) Johann Helffrich في عام ١٥٦٥ م .

و (فراهير خريستوفر) Freiherr Christopher و (هاران فون بولشيتس)

Haran von Polschitz و (وه زلس) Wesenz في عام ١٥٩٨ م .

و (جلبرت دو لانوي) Ghillebert de Lannoy في عام ١٥٩٩ م .

و (هنري تمبرلايك) Henry Timberlake في عام ١٦٠١ م .

و (سباستيان اسحق) Sebastian Sehach في عام ١٦٠٤ م .

وفي عام ١٦٠٦ م زارها (قريانوس ايتافيودس) Cyprianus Eichaviodes

وفي عام ١٦٢٥ م زارها (فريدريك ايكر) Friederich Eckker وقد سجن

فيها لخالفته قوانين الجمارك وغرم بألف قرش ، وكذلك كان مصير زميله (كارل

فون غروننغ) Karl von Grünning الذي زارها في نفس العام .

وفي عام ١٦٢٨ م زارها سائح مسلم يدعى (ناصر خسرو) في طريقه من

عسقلان إلى مصر .

وفي عام ١٦٤١ م زارها السائح اليهودي (سموئيل بن داود) Samuel Ben David

وهو من يهود كريت . وقد قال عنها انها مدينة جميلة وان فيها كنيساً لليهود وحماماً

وخاناً ، ومئة دكان تباع فيها انواع المؤن والبضائع التجارية .

وفي عام ١٦٤٩ م زارها السائح التركي المشهور (اوليا جلبي) وذكرها في

رحلته التي اسمها (اوليا جلبي سياحته ما سي) وقد نقلت كل ما قاله عنها في الفصل

الذي خصصته للبحث عن غزة في عهد الاثراك ، لما له من صلة وثقى بذلك البحث .

وفي عام ١٦٥٩ م زارها (فرا يوحنا باوتستا) Fra Juan Bautista

وفي عام ١٦٦٠ م زارها (شفالیه دارفيو) Chevalier D'Arvieu . وقد

كان هذا يومئذ قنصلاً لفرنسا في صيدا . ولما هبط غزة اجتمع بحسين باشا وجرى

بينهما حديث طويل . وقد قال (دارفيو) هذا عن غزة انها كانت عاصمة فلسطين ،

وان حسين باشا كان الحاكم المسيطر على البلاد كلها . وانه لم يكن ثمة سور حول المدينة . وانما كان في وسطها قصر هو من بقايا الصليبيين . وان دارالحكومة شيدت من حجارة هي من بقايا الحصن الروماني القديم . وهناك منازل خصوصية هي من أجل ما بني في ذلك العهد . ولا سيما ذلك المنزل الذي كان يقطنه حسين باشا . وكان في غزة يومئذ ستة مساجد كبيرة عدا الجامع الكبير . واما حملات غزة واسواقها فقد امتدحها دارفيو وقال عنها انها لا تقل جمالا وترتيا وتنسيقا عن حملات باريس واسواقها . واللغات الدارجة على ألسنة سكان غزة هي العربية والتركية واليونانية . وكان بزمة يومئذ كنيستان : واحدة ارمنية واخرى وهي الاكبر يونانية .

وفي عام ١١٠١ للهجرة زارها الرحالة الاسلامي المشهور الشيخ عبدالغني النابلسي (١) وقال عنها في رحلته المخطوطة ما يأتي :

«... قبل وصولنا إلى بلدة غزة المحروسة بنحو ساعة خرج إلى لقائنا قاضيهما الفاضل أحمد حايي بن البهي الدمشقي ، وخرج معه مفتي الحنفية الشيخ صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن محمد الترنش الفزي العمري الحنفي . والشيخ صالح نسل ذوي الكمال الشيخ محمد بن الشيخ عبد القادر الشهير بابن النعين . والشيخ الكامل علي بن الشيخ عمر المشرقي . وكان والده مفتيا بالديار الغزية . والشيخ علي الضرير الشافعي الشهير بالبدري . والشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ محي الدين النخال الشافعي شيخ الاسلام والفقي سابقا بالديار الغزية . والشيخ محي الدين بن الشيخ شمس الدين القدسي الساكن بزمة . وغيرهم من العلماء الافاضل والاعيان . وزلنا في دار صديقنا الشيخ محي الدين القدسي المذكور . فتلقانا بصدره الفائق على الصدور ووجهه الذي هو بهجة السرور . وحضر عندنا علماء تلك البلدة وأكابرها وصاحبتها وافاضلها بقصد الزيارة في ذلك الحين . وحصل بيننا وبينهم بعض المذاكرات العلمية والمائل القهية . وقلت من النعام بحسب ما اقتضاه المقام . قال : ثم قفنا عند اذان العصر وصلينا في الجامع الكبير وهو مكان مشرق منير ، ويقال ان أصله كان كنيسة . ثم ذهبنا لزيارة قبر الشيخ عبد القادر النعين بالتصغير عليه رحمة الرب

(١) ولد في دمشق وتوفي فيها . وهو علم من اعلام الطريقة القشبندية والقادرية .

وهو من حواري الامصار المشهورين . له عدة تأليف في الأدب والتصوف والنطق واللغة .

التدبير . وهو مدفون في مدرسة مع اولاده وذريته . وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله بنية سالحة . وجلسنا عند اولاده في المدرسة المذكورة ننظر الكتب التي عندهم ونذاكر معهم في المسائل المستورة . ثم عدنا إلى المنزل المهود والناس بين صدور إلينا وورود ، يأتون بالمواد على ما تقتضي العوائد . وحضر الافاضل والاعيان ، وسهروا عندنا تلك الليلة مع جملة من الاخوان . وقام النشدون وصار السماع المطرب على الآلات بالقانون ، ثم انصرفوا . وقد طاب الحضور وزاد السرور إلى ان أصبح صباح يوم الجمعة الثاني والعشرون من شهر ربيع الأول سنة ١١٠١ هـ . فصلينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير . ثم ذهبنا فزرنا الشيخ فرج في مكان واسع عليه قبة لطيفة وهناك عمارة انيقة . ثم ذهبنا إلى مكان آخر هناك مشهور فيه جنيئة لطيفة محفوفة بأنواع الزهور ، وفيه قبر الشيخ عبد الرحمن الوزاعي . وبجانبه قبر السلطان النوري رحمه الله على ما يقال والله اعلم بحقيقة الحال . وفي هذا المكان مفارة يقال انه مدفون فيها هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنسب إليه غزة . ويقال ان هذه المفارة متصلة بمقام سيدنا ابراهيم الخليل واولاده الكرام عليهم الصلاة والسلام . ثم خرجنا وزرنا في تلك الجهات الجبلة التي فيها قبر الشيخ علي بن مروان وعليه قبة مرفوعة وعمارة موضوعة ، وله كرامات مذكورة ، وخوارق مشهورة . ثم زرنا الشيخ عبد الرحمن بن سلطان . ثم جئنا إلى الجامع المشهور بجامع شهاب الدين بن أحمد بن عثمان وهو جامع مبارك عظيم الجوانب والبيان . فزينا هناك حلقة التذكر على طريقة الطوعية ، ورأينا الفقراء يذكرون الله تعالى بأحوال قوية . ثم خرجنا وزرنا في الطريق الشيخ مجاهد في مكان له مستقل ، وزرنا بجانبه قبر الشيخ محمد العجبان من اولياء الله تعالى صاحب كرامات مشهورة عند أهل البلاد . ثم ذهبنا إلى جامع الجاولي وهو جامع كبير واسع ، جميعه مبني بالواح الرخام واحجار السماقي من أول الزمان ، وهو خراب الآن ، والرخام ساقط حول جدرانها وفي صحنه الخارج من عدم تقييد النظر عليه بجلونه وحرمة . وهو منفصل الآن عن العمران ، وقد رموا به واستغنى الناس عن الصلاة فيه . ثم مررنا بعد ذلك على مدرسة الطواشي وهي الآن مسكن قضاء غزة وموضع حكمهم ، فتلقانا أحمد حلي المتقدم ذكره النائب في الحكم يومئذ ، فجلسنا عنده حصّة من الزمان . ثم زرنا الولي الصالح الشيخ ططاج . وزرنا الشيخ ذكي وقبره في رأس تل عال من الرمل . ثم مشينا بين البساتين من

النخيل في ذلك السهل إلى أن مررنا على قبر هناك عند البحر فوق تل من الرمال يقال أنه دفن فيه الشيخ حسن الأغبر وهو رجل من أهل الخير والصلاح ، ثم سرنا إلى أن وصلنا قبر الشيخ رضوان بن الشيخ أبو عرقوب بن الشيخ علي بن عليل قدس الله أسرارهم ، ورأينا ضريحاً عليه المهابة والتورانية . وهناك بالقرب منه بعض القبور ، وذلك المكان مملوء بالبهجة والتور . وقلنا في ذلك المقام من النظام . ومكان الشيخ مرتفع في أرض منبسطة ، وهو قبر واسع عال ، عليه قبة بأربع عقائد متفتح الجوانب ، بحيث أنه يشرف على أمان كن بعيدة ، فأشرفنا منه على قرية جباليا وهي قرية لطيفة الهواء ، عذبة الماء ، في أهلها الصلاح وحسن اللقاء . وقد انشدنا الفاضل الكامل الشيخ علي النخال بيتين من لفظه لنفسه . ثم ذهبنا إلى جينة الدرويش أحمد بن عميرة وهو في داخل زاوية الشيخ شعبان أبي القرون . ثم عزمنا على الرحال ، فخرج لوداعنا نائب البلدة حضرة أحمد أفندي والشيخ علي النخال والشيخ محي الدين المقدسي وجناب صديقنا الشيخ مصطفى أفندي تقيب أشرف بيت المقدس وغيرهم « أهـ .

وقد هبطها مصطفى أسعد اللقيمي الحسني سبط العلامة نور الدين علي بن غانم المقدسي السعدي الخزرجي الحنفي . فقد قام هذا رحلة من دمياط من أعمال مصر : وذلك في يوم الثلاثاء من ذي القعدة عام ١١٤٣ للهجرة ، وعرج على غزة في طريقه إلى بيت المقدس ، قضى فيها بضعة أيام . وقد دون رحلته هذه في مخطوط (١) أسماء : (سوانح الانس برحلي لوائي القدس) . نقل عنه الأسطر التالية :

« . . . فوصلنا إلى خان بونس بمطتين ظهور الخيل ، وكانت وقت العصر قد حان . فبتنا في قلعة النبعة ، نكحل العيون بعين السهر ، وندير ما بيننا كؤوس السمر ، مستبشرين بدنو للزار ، وقرب هاتيك الديار .

فلما انقضت تلك الليلة التي كيلة القدر ، قصدنا غزة ، فوافيناها ضحوة النهار ، وقد فاح شذا نسيمها المعطار . فأطلقت عنان الطرف في نأديها ، وصلت بصولجان الفكر في واديها ، فإذا هي بمجوحة جنان ، وللحمايم بروض زهورها الحان ، فأسرعت إلى نحوها السير ، وكدت من فرحي إليها أطيّر .

سرى إلى غزاة الفيحاء أن بها رياض زهر تحاكي جنة الخلد
مر النسيم عليها والصبأ سحرأ يروى حديثاً لنا عن ساكني نجد
فهاجني بلبل الأفراح حين شذا بلحن معبد فوق الأغصان اللد
فلما وصلت لحانها ساقني يد التقدير إلى خاتما ، فزلت به مصاحباً لبعض الرفاق ،
وانا بما به من عسكر الدولة في غاية الاشفاق ، فبت فيه ليلة كنت خلالها بين ملسوع
ومفجوع ، اروي عن السها حديث السهاد من وثبات براغيثها الاوغاد ، فتذكرت
قول القائل من الشعراء الاوائل :

عندي براغيث سوء كلها اجتمعت قد يتوني بأنواع من النقص
يروح هذا يجيء هذا فاقصه فتقضي ليلتي في الصيد والنقص
ولا يغفرك ايضاً ما للناموس من السطوات ، وترقص النائم بنم تلك النايات...
ولما كثر علي وثباتها من كل جانب ، وضافت علي السالك والمسارب ، ارتجلت مبهشداً ،
حيث لم أجد لي منجداً ، وكعدت ان اشقي بنمها في النظام ، لكن نهى عن
سها سيد الأنام :

براغيث هذا الحان اسهرت ناظري بلع كسقط الزند ما خلته يطفي
لها وثبات الليث مع ضعف جسمها ولكنها قد اورثت جنتي ضعفا
قد كدت أهوها بحسن تلتف ولكن جاء النهى عن سها كفا
وما زلت به إلى أن لاح الصباح ، ونسخ حديثه آية الصباح . ولما جرد عن الليل
برده السكي ، اقبل علينا صديقنا محمد مكي ، وحيانا بأحسن خطاب ، وعاتبنا بالطف
عتاب ، ثم اقم علينا بالتزول في داره ، أو بقصر بيستان له بجواره . فأجبت بالامثال ،
وسرت معه في الحال . فلما وصلت إلى بستانه البديع ، وروض حمام المريع ، قابلتني
خطباء طيوره فوق منابر الأغصان تروي احاديث السرور يديع الإلحان . فصبوت
بما شاهدته من الجمال ، وانشدت على الارشجال :

قصر زهي فروى عليل نسيمة خبر الشفا لحداثق الازهار
صدحت بلابله على اغصانه علي حديث العود والزمارة
فلك به المصكي شمس نهارة وبنوه تحاكي بهجة الاقمار
انعم بقصر يتطيل إلى السها فاح النذا من عرفه العطار
من أمه يلقى لديه مطراً ككز الصفا ومشارق الانوار

وقد وفد على الملوك الأديب والطبيب الرئيس الموزعي الأريب الشاب محمد (١)
 الرئيس (٢) الحكيم فتلقته بالإجلال والتكريم ؛ إذ هو في حذاق الأطباء معدود ،
 فكأنما بحث الله لنا داود ؛ فشفاي بشفاء قانون لطفه ، ودأوى فؤادي بمنوبة
 القاطلة وظرفه ؛ منحني من مفرداته بكل غريبة ، وأحفني من منهاجه بكل عجيبة ؛
 وأنشدني لصاحب النفس القدسي مولانا الشيخ عبد الغني النابلسي :

سقى الله غنة وإبل السحب اثنا وجدنا بها ما لا بعصر وجلق
 بدوراً وغزلاناً وماءاً وخضرة وكشبان من رمل على بحر ازرق

ثم استروحت النفس لرؤية رياضها ، والتعلي بمحاسن غياضها ؛ فوافيت روضة
 أظهرت يد الغيث آثارها ، وابدأ الربيع للعين أنوارها ؛ فهي كالعروس في حليها
 وزخارفها ، والقينة في وشها ومطارفها ؛ تناخت بنوافح المسك أزهارها ، وتمازجت
 بفرائب النطق أطيافها . ذات ظل ظليل ، وماء أعذب من السلسيل ؛ نعمتها
 وأوصافها متناقة ، وأشعارها كالخبيث متعاقبة ؛ أرحاؤها موفقة ، وجسداؤها
 متدفقة ؛ سمت بالحنن والابتهاج ، وفرشت أرضها بالسدر والدياج ؛ فكأنها
 روضة ابن المعتز البديع ، حيث مدحها ابن الربيع .

ثم سألتني الإخوان عما يحضرن من الآراء والأفكار ، عن بعض الأزهار وما
 فيها من منافع وأسرار ؛ فحدثتهم (٣) عن الورد والياسمين ، والزرع والنسرين ،
 وعن الآس والريحان ، والسوسن والاقحوان ، والبنفسج والرمات ، والجلتانر
 وشقائق النعمان .

ثم ثبت العزم لزيارة ما بها من للشاهد التي ينجح بها القصد وتطيب منها الموارد:

(١) في الأصل ورد اسم (أحمد) مكتوباً بنفس الخط والمدا الذين استعملها
 الكاتب في سائر الكلام ، ويظهر أن أحد الذين اطلعوا على هذا الكتاب بماء ووضع
 فوقه بقلم الرصاص كلمة (محمد) .

(٢) إن هذه الكلمة أيضاً محرفة ، وفي الأصل (الحرش) . ويجزم الاستاذ الشيخ
 عثمان أفندي الطباع صاحب الباع الطويل في تاريخ الاسر الغزية ان هذا هو الصواب أحد
 الحرش الطبيب من عائلة سني الله ، وإن الطبيب محمد الرئيس عاش بفترة قبل هذا التاريخ .

(٣) ان هذا الحديث الذي وصف به الأزهار والذي جاء في اثنتي عشر صفحة اكتفيت
 بالإشارة إليه ، ولم أر لزوماً لذكره كله .

فمنها البشير الذي بشر يعقوب بولده يوسف عليه السلام ، والدارقطني أحد الأئمة الستة
الحفاظ الامام ، وسيدني علي بن مروان ذي الكرامات الظاهرة ، والشيخ ابو العزم
صاحب الامدادات الباهرة ، والشيخ أكرم السولي الممام وسيدنا هاشم جد نبينا
عليه الصلاة والسلام ، وعجل مولد نبي الله سليمان بن داود ذو الملك العظيم عليه
أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وحيث ولد إمامنا الشافعي ابن ادريس صاحب المقام
السامي والعلم النفيس ، وبه قبر والدته واخته والشيخ عطية عليهم الرحمة والرضوان
والنحية . ومآثر خلاف ذلك يطول مختصر شرحها ، وتهديي الزائر إليها بطيب
نفحها . وسرنا تأمل في مشارعها وتتملى برؤية جوامعها لاسيا جامعها القبي هو
للحسان جامع ، وفلك حسنها الذي به قر السرة طالع ؛ فرأيت غالب البلاد خراب ،
من ظلم الامراء وتحكم لظ الاعراب ؛ فارتحلت عنها لهفأ ، وانشدت اقول والسفا:

يا وبع غزة مذ اوحت مراتبها إلى الحضيض وقد ناحت سواجها
كانت معاهدها للانس جامعة من كل معنى سما والحسن جامعها
فأصبحت من سطى الاعراب خاوية على العروش مخيفات بلاقمها
فقل لمينيك تبكي عندها أسفا بحق للعين ان تهني مدامها
وقل لقلبك يدي من تلفه ان البروق دجى تخفي لوامعها
واستجد الصبر ان ودعتها سحرآ فلففوس جوس عن يودعها

فسرنا منها يوم السبت وقت الصبح بسلام وهو الثامن عشر من ذي القعدة
الحرام قاصدين خان سدود لنهل من منهله المورود . فازلنا بين نقيات اطياف ،
ونفحات معطرات الازهار ، تستلذ بحاسنها النفس ، وتنعم بها الحواس الخمس ،
حتى وصلنا إلى ذلك المكان ، وكان وقت العصر قد حان...»

وقد زار غزة بعدئذ عدد كبير من السياح نذكر منهم :

(يوحنا بوركهارت) Johannes Burckhardt ١٨١٧ م و (ايربي) Irby
١٨١٧ م و (مانغلس) Mangles ١٨١٨ م و (ادوارد روبنسون) Edward Robinson
١٨٣٢ م و كان يطلق عليه لقب أمير التقين والباحثين ؛ و (سيب) Sepp ،
١٨٤٥ م و (طومسون) Thomson ١٨٤٦ م و (تيتوس توبلر) Titus Tobler
١٨٦٠ م و (رينات) Renan ١٨٦١ م و (ترسترام) Tristram ١٨٦٢ م

و (كليمان غانو) Clermont - Ganneau ١٨٦٤ م ولم يكن ثمة رجل اقدر منه على البحث عن الآثار القديمة بفلسطين .

وقد زارها اللورد كيتشنر ، الذي تولى وزارة الحرب البريطانية عام ١٩١٤ الميلاد ، فسمح لارضها ودرسها دراسة فنية من وجهة عسكرية ؛ والخارطة التي نظمها بعدئذ أشهر من أن تذكر .

ولقد هبطها الوزير البريطاني للثهور للستر تشرشل في عام ١٩٢١ ، يوم كان وزيراً للمستعمرات وذلك في طريقه إلى القدس بعد انقضاء مؤتمر القاهرة ، ذلك المؤتمر الذي حضره مندوبو بريطانيا العظمى في مصر والسودان وفلسطين والعراق بقصد التداول في شؤون الشرق الأدنى . هبطها زائراً متفقد الأماكن التي وقعت فيها المعارك الرهيبة اثناء الحرب السكونية ، تلك المعارك التي فشل فيها الجنرال موري ونجح اللورد النبي . وقد رافق للستر تشرشل في رحلته هذه السرمهرت صموئيل للندوب السامي لفلسطين والكولونيل لورنس المعروف بصداقته للعرب واعماله في الثورة العربية . كما كان معه عدد كبير من السيدات والقواد ورجال الحكم في مصر وفلسطين . جاءوا إليها في القطار ، ومن المحطة إلى المدينة سار الجمع مشياً على الاقدام . وعند دخولهم المدينة وجدوا الناس متجمهرين وواقفين على الصفيح لا لاستقبال الزائرين ، وانما لبدء السخط والاحتجاج على الانتداب وعلى وعد بلفور القاضي بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

قال للساجورث . س . جارفيس Major C. S. Jarvis, C.M.G., O.B.E. بحافظ سينا سابقاً التسمية أشار إلى هذه الحادثة في الصفحة ٨٢ من كتابه Arab Command أن أهالي غزة الميالين بطبيعة الحال للعناد والمشاكاة كانوا يومئذ على أشد ما يكون من الكره والبغضاء لسياسة الانتداب والفكرة الصهيونية في فلسطين بالرغم من أن هذه السياسة لم تكن قد مستهم بسوء ؛ ولا كان ، حتى ذلك اليوم ، زل أحد المستعمرين أو للهاجرين اليهود هذه المدينة الفلسطينية القديمة . أجل ، إنه بالرغم من ذلك كله ، فقد كان الفريزون في الجنوب كاخوانهم النابلسيين في الشمال على استعداد لاهتبال اية فرصة تسنح للنظام ضد الانتداب وضد سياسة الوطن القومي اليهودي . ولهذا اصطفوا على جانبي الشارع عند دخول اعضاء مؤتمر

القاهرة إلى مدينتهم ، وأخذوا يحطرونهم بوابل من العبارات التي تم عن كره وعداء .
فهم بعض الاعضاء العبارات التي كان للتظاهرون يلفظونها ، ولكن البعض الآخر لم يفهمها ؛ حتى أن سيدة من السيدات اللواتي رافقن البعثة ظنت انها مظهرة ودية ، غاطبت للستر تشرشل قائلة : « أليس مما يدعو إلى الاغتياب ان تقابل من لمن الجماهير للتحمة بمثل هذا الترحاب الحار ؟ وانه ليخال لي ان علامة الامتنان مرتسمة على ككل وجه . »

ولكن للستر تشرشل كانت تحدهه نفسه ان ابتسامات الترحيب التي تخيلتها السيدة على وجوه الجماهير ما كانت تدل في الحقيقة إلا على غضب شديد . ولذلك التفت إلى لورنس الذي كان يسير من خلفه وسأله : « لورنس ! هل هؤلاء القوم خطرون ؟ يظهر انهم ليسوا بمتعطلين لرؤيتنا . ما الذي يقولونه ؟ » .
فقال لورنس : « انهم في الواقع ليسوا بخطرین . ولكن الكلمات التي يلفظونها لا تدل على ترحيب كما قيل ، بل انها تدل على عداوة . إنهم يصرخون : يسقط الانتداب الانكليزي ! تسقط السياسة الصهيونية ! »





غزة في يومنا هذا

(١) غزة في يومنا هذا

مدينة من أجمل المدن الفلسطينية الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . ترتفع عن سطح البحر (٥٥) متراً . القسم القديم منها بني على تفرع عال ، وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات من البحر . وأما الآن فقد امتد البناء في (غزة الجديدة) حتى كاد يتصل بالبحر .

فيها حدائق غناء ، وحول المدينة القديمة بساتين تزرع فيها جميع أنواع الخضار واشجار الفاكهة . ماؤها عذب ، وهوؤها عليل . إنك إذا جئتها صيفاً وجدت بها أحسن مصيف ، وإذا زلتها شتاءً ألفتها أبرد مشق في فلسطين .

إنها من أهم الأسواق الفلسطينية (٢) لتصريف المنتجات الزراعية . وهي تأتي

(١) قد نجد ، أيها القارئ الكريم ، في هذا الفصل ما يرضيك وما لا يرضيك . وقد يتألمك أحياناً شيء من الآفة والملل ، ولا سيما عندما تراقى اسهبت في وصف ناحية من نواحي الحياة الفرية ، فنصوب نحوى سهام لومك وتقريتك . أرجو أن لا تتسرع في الحكم . خذ ما صفا لك ، واترك لغيرك ما لا يستسيغه ذوقك . تذكر أن ما لا يروق في منك قد يروق في عين غيرك . وكما أن ما نعتبره اليوم من المسائل الاجتماعية الهامة قد تسخر به الأجيال القادمة ، فإن ما لا نأبأ به اليوم قد يعبأ به أبناء الغد عند ما يقلبون صفحات التاريخ ليفاضلوا بين يومهم وأمسهم .

(٢) النظام الاقتصادى في فلسطين — سعيد حمادة .

بعد الدلاء^(١) من هذه الناحية . وأهم المنتجات التي تصرف فيها هي الحيوانات ، والأغنام ، والحبوب ، والخضار ، والالبان ، والطيور الداجنة ، والبيض ، والأسماك ، والنسوجات القطنية والصوفية ، والالوان الخزفية . ويزيدها أهمية وقوعها على مقربة من البحر ، والسهل ، والبادية ، واعتدال الطقس ، وكثرة المياه .

٢ — يعيش في غزة في يومنا هذا ثلاثة وثلاثون ألف نسمة : كلهم عرب ، إلا أنقراً من الانكليز للموظفين ، وبعض الاغراب الذين ينتمون إلى قوميات مختلفة . وأكثر السكان مسلمون . وهناك ما يقرب من ألف مسيحي . ولقد دلت الاحصاءات الرسمية على انه يوجد ثمة (١٠٢٥) امرأة لكل ألف رجل .

قيل انه كان يعيش في غزة في يوم من أيام مجدها القابر عدد من الناس أكثر من الذين كانوا يعيشون في مدينة القدس ، وإن هذا العدد تناقص خلال المئة سنة الأخيرة مراراً كثيرة :

مرة عام ١٨٤٠ لليلاد ، وذلك على أثر الحرب المصرية التي شنها ابراهيم باشا . واخرى عام ١٩٠٥ م ، وذلك على أثر المحل الشديد الذي أصاب الزرع ، وضرائب الحكومة ، والفوائد الباهظة التي كان يدفعها الفلاحون للبرايين . اولئك الفلاحون الذين كانوا رازحين تحت عبء ثقيل من الديون . فترج الكثيرون من أبناء المدينة عنها يومئذ طلباً للرزق .

وثالثة عام ١٩١٤ — ١٩١٨ م وذلك بسبب الحرب الكبرى ؛ تلك الحرب التي أضرت بغزة أكثر مما أضرت بأية مدينة أخرى من المدن الفلسطينية . وبعد أن كان عدد سكانها في السنة التي سبقت الحرب (١٩١٣) اثنين وأربعين ألفاً ، انخفض هذا العدد أثناء الحرب انخفاضاً مريعاً حتى انقرضت شوارعها إلا من الجند^(٢) وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أخذ الغزيون يرجعون إلى بلدنهم ؛ فاصبح عددهم عام ١٩٣١ سبعة عشر ألفاً ، وفي ١٩٣٨ م ١٩٠٦٩٥ ، وفي ١٩٣٩ م ٢٠٠٦٦٨ ، وفي ١٩٤٠ م ٢١٠٢٥٢ ، وفي ١٩٤١ م ٢٧٠٤٠٩ ، وفي ١٩٤٢ م ٣٠٠٠٠٠ وهما م أولاء اليوم ٣٣٨٠٠٠ .

(١) ويأتى بعدها بالترتيب : عكا وصفد ونابلس والناصرة ورام الله والقدس واما قوجينا .

(٢) انظر إلى الصفحة ٢٢٢ من هذا الكتاب .

٣ — وعلى ذكر الحرب النصرمة هؤل ان الفزین هجروا مدينتهم خلال تلك الحرب مرتين :

الاولى : عندما أعلنت تركيا الفير العام ، وأخذ الجيش التركي يتأهب لغزو قناة السويس . ولا سيما عندما ضرب الاسطول الاباطلي غزاة بقنابله من البحر . إن هذه القنابل وإن لم تصب غزاة بضرر ، إلا أن عدداً من السكان اختار الهجرة على اترها . ولكن هذا العدد لم يتعد يومئذ المائتين ، وكانت الهجرة يومئذ اختيارية بحثة .
والثانية : عندما اتخذ الجيش الانكليزي خطة الهجوم ، وأخذ يزحف نحو غزاة ؟ الامر الذي اضطر جمال باشا ان يختار خطة الاجلاء . فجمع القاطنات ممين بك المرعي كبار المدينة وزعماءها ، وبلغهم أمر الرحيل ، وكان ذلك إجبارياً ؟ فرحل على اثر ذلك ثمانية وعشرون ألف شخص ، لم يرجع منهم إلى غزاة عندما وضعت الحرب اوزارها سوى ثمانية عشر ألفاً ، وبقي الآخرون في يافا وحيفا وحمص وحماء ، وفي نواح اخرى من سوريا وفلسطين .

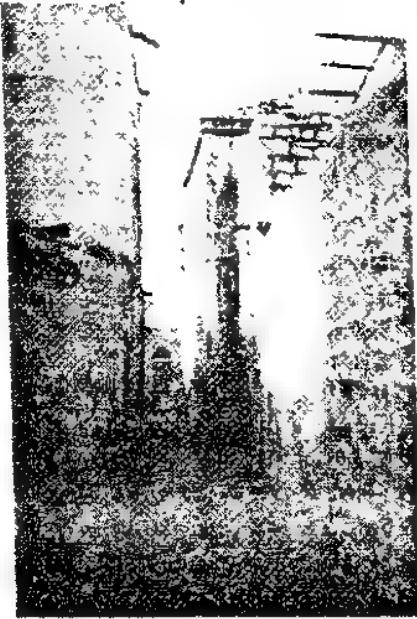
ويقال ان عدد الذين بقوا في حمص وحماء من الفزین بلغ ثلاثة آلاف . وأما الذين استوطنوا حيفا ويافا فقد تاسلوا في تلك المدينة ، وكثروا حتى أصبح عددهم في يومنا هذا قريباً من ٧٠٠٠ في الاولى و ١٥٠٠٠ في الثانية . وللجالية الفزية في كل منهما حي خاص ، وكيان خاص ، ومخاتير يرعون مصالحها الخاصة . ويحدثك الرواة عن نجاح هذه الجالية في مضمار التجاروة والصناعة احاديث تدعو إلى الفخر والاعجاب .

٤ — تقوم للمدينة في وقتنا هذا ، بقسميها القديم والحديث ، على بقعة من الارض مساحتها ستة آلاف دوام (١) يحدها من الغرب البحر ، ومن الشرق مقبرة التونيسي

(١) يقولون ان غزاة كانت في القرون الماضية أكبر مما هي عليه الآن بكثير . ولطالما سمعت الفزین يتحدثون عن ماضيها ، ويقولون أنها كانت تمتد (من الدير إلى الدير) : أي من دير سنيد في الشمال ، إلى دير البلح في الجنوب . بيد انني لم أعثر في كتب التاريخ ، ولا سيما تلك التي تصفحتها لأستقي منها المعلومات التي اطلبها عن (تاريخ غزاة) ، ما يبرر هذا القول . فبر اني لا ارتاب قط في أن غزاة كانت هكيرة جداً ، وإن العرب الاوائل الذين كانوا يقعدون إليها من كل حذب وصوب كانوا يجتمعون بين الديرين ، وإن الجيش الذي كان يحلها كان مضطراً للاحتفاظ بمخفرين ، واحد من الامام وآخر من الخلف ، ليتمكن من درء عادية للفرين . ومن يدري ؟ قلل أحد هذين المخفرين كان في دير سنيد ، والثاني في دير البلح .

على طريق بئر السبع ، ومن الجنوب العواميد الكثنة بالقرب من بركة أم الليمون ، ومن الشمال ملتقى السكة الحديدية بطريق يافا .

٥ — أما المدينة القديمة فإنها عبارة عن منازل قديمة ، وبيوت مبنية من الحجر الرملي ؛ غير أنها صغيرة ومتلاصقة بشكل لا يتلائم مع طلبات العصر الحالي والحضارة الحديثة من حيث الصحة والتنظيم . أضف إلى ذلك ان الحراب أصاب أكثر هذه



زقاق من أزقة غزة القديمة

البيوت والمنازل أثناء الحرب الكبرى . إذ كانت هدفاً لقنابل الجيش الانكليزي من البحر والبر والمهواء . وان الأتراك انفسهم هدموا قسماً كبيراً من هذه البيوت وللمنازل بأيديهم ، واستعملوا أخشابها متارس في الحرب . وكذلك قل عن حديدتها وبلاطها . وأما أزقتها فحدث عنها ولا حرج . فهي ضيقة للغاية حتى ان أكثرها يكاد لا يتسع لأكثر من شخصين يسيران جنباً إلى جنب في وقت واحد . وتتجمع الأتجار والحوامل في هذه الأزقة ، ولا سيما في فصل الشتاء ، بشكل يعجزه النوق ؛ فضلاً عما

فيه من خطر على اللارة . ذلك لأنه ليس في غزة في يومنا هذا (مجاز) منظمة . (١)

(١) عثروا في غزة على أثر الحجري قديم ، يعتقد أنه انتهى في عهد الرومان ، ولكنه اليوم مهجور . ولا يعلم أحد مبدأه أو انتهاءه . إلا أنهم عثروا على قسم منه في (سوق التجار) القديم ، عندما أنحسفت الأرض تحت بعض الحوائط التجارية الكثنة في ذلك السوق ، وكانت ذلك في أوائل القرن العشرين . وقد اكتشف جانب آخر من الحجري على مقربة من السكان الأول عندما تهدمت بضعة حوائط أخرى عام ١٩٣٥ وسقطت لنفس السبب . ولدى الكشف على أسس الحوائط التهدمة عثر المتقنون على جانب من الحجري المذكور . ويظهر من هذا القسم الذي اكتشف ان الحجري كان قسيماً للغاية ، حتى ان المتقنين استطاعوا ان يسيروا فيه مسافة طويلة رافعين رؤوسهم ، حاملين المعامل والمصاييح .

وكل ما فيها حفر بسيطة حفرت أمام النازل بشكل مؤقت ، يربط الحفرة والنزل القريب منها مجرى بسيط . وكثيراً ما يكون هذا المجرى مفتوحاً بشكل يأوى إليه البعوض ؛ فيبيض فيه ، ويفرخ ، ويكون ذلك سبباً في انتشار الملاريا والأمراض الفتاكه الأخرى .

إن ضيق الشوارع ، وتلاصق الأبنية والنازل في المدينة القديمة ، وقذائف المجاري فيها ، وعدم نظافة الطبقة الجاهلة من السكان ، وكثرة أشجار الصبر في الحواكير المجاورة ، والرمال الواقعة بين المدينة والبحر ، وما إلى ذلك من العوامل ، أثرت في صحة السكان تأثيراً كبيراً . حتى أن نسبة الوفيات بين الأطفال في غزة كبيرة بدرجة تبعث على القلق . ولقد أحصت مصلحة الصحة هذه النسبة في عام ١٩٤٠ فوجدت أنها ١٦٦ في الألف (أي أنه يموت ١٦٦ طفلاً من كل ألف طفل يولدون)

واليك بيان الأمراض كثيرة الوفوع بمدينة غزة وعدد الذين ماتوا بسببها خلال السنوات التالية :

١٩٤٠	١٩٣٩	١٩٣٨		
٣١٦	١٩٠	١٧٤	١ —	التهاب الأمعاء
١٨٦	١١٣	١٢٠	٢ —	التهاب الرئة
٤٥	٣٢	٣١	٣ —	التهاب القصبات
٢٢	٢٦	٢٥	٤ —	التهاب الكلية
١	—	١	٥ —	التهاب الزائدة الصفوية
٢٩	٣٥	٢٨	٦ —	أمراض الطفولة الأولى
٣٠	١٨	٣٥	٧ —	أمراض القلب
١٨	٨	١١	٨ —	أمراض الجهاز الهضمي
٢٧	٣٠	٢٦	٩ —	أمراض الجهاز البولي
٤	١	٣	١٠ —	أمراض الكبد والمرارة
٥	٣	٤	١١ —	أمراض الدورة الدموية
٢	—	٥	١٢ —	الأمراض العصبية
١٠	٣	٤	١٣ —	الأمراض الجلدية والمغظمية

١٩٤٠	١٩٣٩	١٩٣٨		
١٦	٨	٤	الأمراض الاتانية والطفيلية	—١٤
—	—	١	الامراض الزهرية	—١٥
٧	٣	١٠	الحملى التيفوئيدية	—١٦
—	١	—	الحملى البردلاء (الملائريا)	—١٧
٣	—	١	الحملى الاسبانيولية (اغلوتز)	—١٨
٢	١	١	الحملى النفاسية (وامراض الولادة)	—١٩
٥٩	١	٦	الحصبة	—٢٠
—	—	٢	السعال الديكي	—٢١
١	—	١	الحناق (ديفتريا)	—٢٢
٢	١	—	السكري	—٢٣
١	١	١	الروماتيزم الزمن	—٢٤
١٣	٧	١٢	التزيف الدماغى	—٢٥
٢١	٩	٧	السل	—٢٦
—	—	٣	الاورام السليمة	—٢٧
٧	٦	٨	السرطان والاورام الخبيثة	—٢٨
٨	١	٥	التسمم الداخلى للزمن	—٢٩
—	٣	١٣	القتل الجبري	—٣٠
٩	٦	٧	الموت الفجائى	—٣١
—	١	١	الانتحار	—٣٢
٣١	١٨	١٥	الشيخوخة	—٣٣
٦٠	٤٠	٤٣	الموت لأسباب غير معروفة	—٣٤

وأما (مرض الميون) فحدث عنه ولا حرج . إنه منتشر في غزة بشكل خفيف . لا بل انه رافق غزة منذ أقدم عصور التاريخ . ولقد قامت مصلحة الصحة بمكافحة هذا المرض على قدر استطاع ، فتمكنت الى درجة ما من الجيلولة دون توسع الحرق . وإليك عدد الذين اصابوا بمرض الميون من سكان مدينة غزة وعولجوا في العيادة

الطبية (١) التي خصصتها الحكومة لمعالجة هذا المرض خلال السنوات الخمس الأخيرة:

السنة	عدد المصابين في بحر السنة	عدد الذين عولجوا في بحر السنة	عدد المصابين بالرمد الصديدي	عدد المصابين بالرمد الصديدي مع القرحة
١٩٣٨	٢٠٩٢	٧٦٣٠٧	٩٤٤	١٥
١٩٣٩	٢٣٢٥	٨٣٣٨٢	١٠٥٥	٩
١٩٤٠	١٨٠٩	٧٧٢٣٧	٨١٣	٣
١٩٤١	١٧٨٥	٦٦٨٣٩	٨٦٦	٦
١٩٤٢	١٨٧١	٧٨٥٠٢	٩٥٩	١٩

٦ - هناك في غزة القديمة خمسة أحياء هي : الدرج ، والزيتون ، والتفاح ، والشجاعية (بقسميها : الجديدة ، والتركان) .

أما حي (الدرج) فلا نعلم عن أسباب تسميته شيئاً . وأنا نظن أنه سمي كذلك لأنه أعلى من الأراضي المجاورة له . والذهاب إليه يشعر كأنه يرتقي سلماً أو يصعد درجاً . وأما حي (الزيتون) فإنه من أكبر الأحياء وأوسعها . وفيه عدد كبير من أشجار الزيتون .

وكذلك قل عن حي (التفاح) فإنه سمي كذلك لكثرة أشجار التفاح فيه ولا سبباً في القطعة المسماة (السيف) من أراضيه . ويسميه الأهليون بلفتهم الدارجة (التفين) . وهناك حارة في حي التفاح تدعى (بني عامر) . وقد سميت كذلك بالنسبة إلى سكانها الذين ينتسبون إلى عامر بن لؤي .

وأما (الشجاعية) فهي حي كبير ينقسم إلى فرعين : التركان والجديدة . ولعل تسميته بالشجاعية (٢) نسبة إلى شجاع الدين عثمان الكردي الذي استشهد في غزة سنة ٦٣٧ للهجرة إبان الحروب الصليبية .

ويعتقد الأستاذ مصطفى الدباغ أن سكان الجديدة أصلهم من الجديدة المدينة القريبة من الموصل . وأما سكان التركان فإنهم من بقايا القبائل التركمانية التي نزلت

(١) أن هذه الأرقام لا تشمل الأشخاص الذين أصيبوا بمرض من أمراض العيون المختلفة وعولجوا عند الأطباء غير الحكوميين .

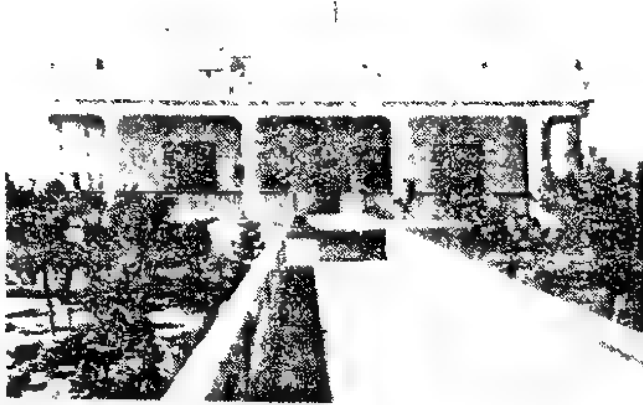
(٢) بلادنا - فلسطين : للأستاذ مصطفى الدباغ

غزة في عهد الملك الصالح ايوب الذي تولى للكل عام ٦٣٧ للهجرة .
وفصل بين حي الدرج والزيتون شارع فسيح انشاء جمال باشا خلال الحرب
الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٧) واطلق عليه اسمه . ولكن المجلس البلدي اسماء عام
١٩٣٢ (شارع عمر المختار) .

٧ - وأما (غزة الجديدة) فإنها انشئت فوق الرمال الممتدة من تل السكن
على حدود المدينة القديمة إلى البحر . ويسمونها (الرمال) أو (الحارة الغربية) .
ومساحتها ثلاثة آلاف دونم . خصصت الحكومة منها ما يقرب من ألف دونم للبناء .
وقد قسمت عام ١٩٣٤ هذه المساحة من الاراضي إلى بقع مختلفة للمساحة : بعضها
دونمان ، والبعض الآخر دونم واحد ؛ وباعتها لمن شاء البناء من الاهلين بعمريت اروح
بين الثلاثة ملات (للتر الواحد من الاراضي الواقعة على شارع من الشوارع الفرعية)
والخمس ملات (للتر الواحد من الاراضي الواقعة على شارع من الشوارع الرئيسية) .
واشترطت لذلك أن يهيئ المشتري تصميماً للبناء الذي ينوي إقامة فوق الارض التي
اشتراها ، وذلك خلال سنتين من تاريخ التوقيع على العقد ؛ وأن يشرع بالبناء فعلاً
فيتمه خلال السنوات الخمس الاولى . فإذا قام بهذه الشروط سجلت الارض وما عليها
على اسمه في دائرة الطابو ، وإلا فلا .

ولكي تتمكن من صد الرمال التي كانت تزحف في كل سنة من جهة البحر
انشأت غابتين جميلتين : الاولى على بعد ميلين من شمال المدينة إلى الغرب ، والثانية
على بعد ميل واحد من جنوبها إلى الغرب . وكلتاها تعتمدان حتى البحر . والفضل في
نجاح هاتين الغابتين يرجع إلى أحد أبناء غزة المثقفين سعد الله بك البورنو . فقد
احتضن هذا المشروع بكلتا يديه ، وأولاه معظم اوقاته وجهوده ، وأخذ يفرس في
تلك الرمال من الاعشاب والاشجار ما حال دون سيرها فزال عن غزة خطر طلما
تهدها من قبل . وأصبحت تلك الرمال الجرداء جنة غناء . وهما هي في المنازل تبنى على
الطراز الحديث في غزة الجديدة ، فتزيد منظر المدينة رونقاً وبهاء . وبين هذه المنازل
شوارع فسيحة ، وفي أكثرها حدائق غناء ؛ وأوسعها حديقة البلدية الجميلة المعروفة
(بالمتزه) ، وهي قائمة في نقطة متوسطة بين المدينة القديمة والجديدة .

٨ - وفي غزة الجديدة تقع منازل الدوائر والطبقة الراقية من الاهلين



دار صه دور الحى الجدير فى الرمال

(١٩٣٠ م)

والموظفين . وفيها ملعب كبير لكرة القدم انشاء النادي الرياضى العزى (١) ، وآخر للتنس ، ومقهى ودار للسينما (٢) من الطراز الحديث . وفيها تقدم مدارس الحكومة



دار الحكومة الجديرة فى الرمال

- (١) تأسس هذا النادي عام ١٩٣٤ م (١٣٥٣ هـ) ورئيسه السيد رشاد بن المرحوم الحاج سعيد اتدى الثوا هو الذى أسسه .
- (٢) بناها السيدان رشاد الثوا وغالب النشاشي وشركاؤهما . وقد كلفهم بناؤها اثني عشر ألفاً من الجنيهات .

للذكور والانات ، وبستان للأطفال أسسته نخبة ممتازة من رجال غزة المثقفين .
وفيها دار الحكومة الجديدة المعروفة : Tegart Building ؛ وهي دار نخبة (١)
مؤلفة من أربعة قصور شاهقة ، متصل بعضها ببعض ، وفيها تقيم جميع مصالح
الحكومة ودواوينها .

٩ - اختفت (مسرحية الزيت) من غزة في منتصف القرن التاسع عشر ،
وحل مكانها (مصباح البترول) . ولا يزال السواد الاعظم من أهالي غزة يستعملون
هذا المصباح بقصد الانارة في منازلهم . ولم تعرف غزة النور الكهربائي إلا في سنة
١٩٣٨ م يوم تم الاتفاق بين المجلس البلدي وشركة كهرباء فلسطين (٢)
The Palestine Electric Corporation Ltd. على إضاءة غزة بالكهرباء . غير
أن الفزين لم يرتاحوا لهذا الاتفاق بل سخطوا عليه ، بسبب العداء المستحكم بين
العرب واليهود من جراء مشروع (الوطن القومي) اليهودي . فثاروا عليه ، وحطموا
مصابيح الكهرباء كلها وقسموا كبراً من الأعمدة . ولما هدأت الثورة في عام ١٩٤٠ م
استأنفت الشركة المذكورة عملها فأضاءت الشارع العام بمئة وثلاثين مصباحاً كهربائياً
كما أضاءت بعض المنازل الواقعة في حي الرمال . ولكنها ما لبثت أن اضطرت ، بعد
بضعة شهور ، للمدول عن إضاءة الشارع ، وذلك على أثر الانظمة التي فرضتها السلطة
والتي تقضي بإطفاء الأنوار بسبب الحرب . فأضحى استعمال الكهرباء في غزة منحصراً
في استخراج الماء من (بئر الصفا) وفي عدد محدود من منازل الذوات والموظفين .
وأما المنازل الأخرى فإنها ما برحت تضاء بمصابيح البترول كالعتاد .

١٠ - في غزة مدرسة حكومية للبنين ، قائمة في بناء شيد في عهد الاتراك
(عام ١٩١١ م) وهي ابتدائية كاملة وفيها قسم ثانوي ذو صفين .
تأسست هذه المدرسة في العهد التركي عام ١٨٨٧ م وكانت في بادئ الأمر

(١) تم بناء هذه الدار عام ١٩٤١ ، وقد كلف بناؤها مبلغاً يقرب من مئة ألف
جنيه . وهي من أضخم الدور بنيت على هذا الشكل في جميع أنحاء فلسطين . وواضح تصويبها هو
السردنارلسن تشارلت الجببر في مكافئة الثورات ، الذي استحضرت الحكومة لتنفيذ من
اختباراته على أثر ثورة ١٩٣٦ .

(٢) مؤسس هذه الشركة (روتنبرغ) ، وهو مهندس كهربائي من يهود روسيا .

ابتدائية بحجة ، ذات صفوف ثلاثة . وكان طلابها ينتفون من البرزين من طلاب (الكتاتيب) مثل كتاب العجمي ، وكتاب الشيخ عطية ، وكتاب جامع أبي ركب في حي الزيتون ؛ وكتاب الشيخ ظريف ، وكتاب الشيخ خالد ، وكتاب الشيخ فرج ، وكتاب المليس في حي الدرج ؛ وكتاب جامع السدرة ، وكتاب جامع ابن سلطان في حي التفاح ؛ وكتاب جامع المحكمة ، وكتاب جامع السيدة رقية ، وكتاب جامع الغزالي ، وكتاب جامع المغربي ، وكتاب جامع الظفر دمري ، وكتاب جامع الطيار في حي الشجاعية . ومن اسمائها يفهم أن هذه الكتاتيب كانت في المساجد . ثم انقلبت المدرسة إلى (رشدية) ذات اربعة صفوف تعلم فيها العلوم التالية باللغة التركية وهي : التاريخ ، والجغرافيا ، ومبادئ العلوم الطبيعية ، واللغة العربية . وظلت كذلك حتى الانقلاب العثماني وعلان الدستور عام ١٩٠٨ م . وفي عام ١٩١٤ أصبحت مدرسة غزة ذات ستة صفوف مقسمة كما يلي :

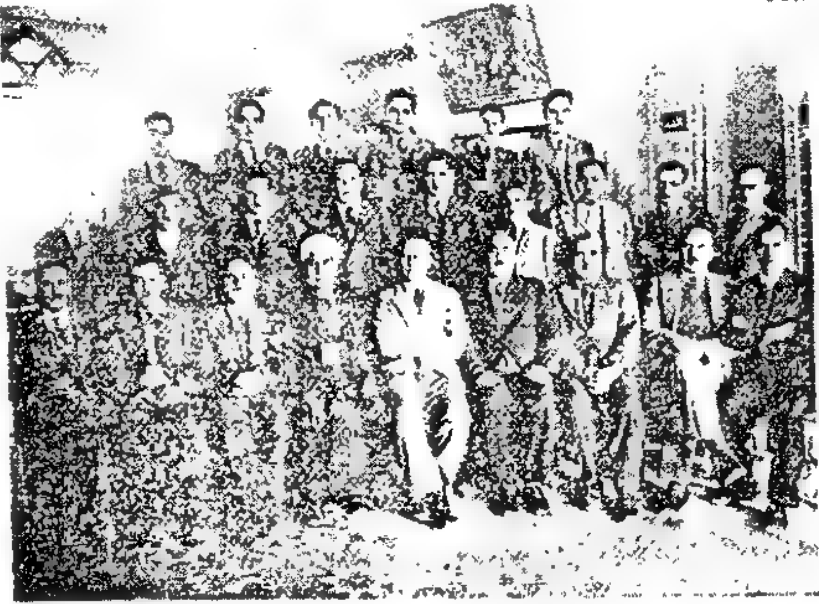
الدورة الابتدائية الدنيا	ومدتها ستان
الدورة الابتدائية الوسطى	ومدتها ستان
الدورة الابتدائية العليا	ومدتها ستان

كان هذا كله في البناء الذي اتخذ فيها بعد مدرسة للبنات في حي الدرج . ثم انتقلت إلى البناء الجديد (عام ١٩١١ م) الواقع أمام زاوية أبي العزم للجهة القبليّة من مقبرة علي بن مروان . وهو مكون من جناحين يفصلهما بهو كبير . وفي كل جناح بهو وأربع غرف . وقد اضيف إليها في عام ١٩٣٣ م طابق علوي . وفي عام ١٩٣٥ اضيف إليها غرفتان جديدتان . وبعد ذلك بسنتين انشئت غرفة كبيرة جعلت لتعليم التجارة .

وظل التدريس قائماً في هذا البناء إلى ان نشبت الثورة الفلسطينية (١٩٣٨ م) ، ثم اعلنت الحرب الحاضرة (١٩٣٩ م) ؛ فاحتلها الجيش البريطاني وأقام بدلا منها راكمات خشبية اتخذت مدرسة . وهذه الراكات قائمة على أرض يبارة فراس المقابلة لدار سينما السامر .

ولقد كان في مدرسة غزة عام ١٩٢٧ مثنان واربعة وثمانون تلميذاً واثنان عشر

معلماً . فأصبح عدد تلاميذها عام ١٩٤١ م ١٣٣٧ تلميذاً و ٣٦ معلماً (١) يدرس فيها أبناء غزة كلهم وأبناء الموظفين الذين يعيشون فيها على اختلاف طوائفهم .



معلمو مدرسة البين بغزة

(٣١ اذار ١٩٤٣)

وإليك عدد التلاميذ من المسلمين والمسيحيين الذين تعلموا في هذه المدرسة خلال السنوات الست عشرة الاخيرات ، وعدد المعلمين في كل سنة منها :

- (١) الصف الامامي (من اليمين إلى اليسار) : ١ : حنا دمهه فرح — غزة .
- ٢ : الحاج سمعي بدران — نابلس . ٣ : صليبا الصائغ — غزة . ٤ : نمر سابا — غزة .
- ٥ : ممدوح الخالدي (المدير) — القدس . ٦ : الشيخ محمود سرداج — النزلة . ٧ : عبدالله عمار — غزة . ٨ : حسن ابراهيم — سبسطية . ٩ : حلي ابو رمضان — غزة .
- الصف الثاني (من اليمين إلى اليسار) : ١ : ابراهيم حبيب — القدس . ٢ : جميل ناصر — ديرغاشة . ٣ : حلي امان — غزة . ٤ : راسم فاخرة — غزة . ٥ : محمد الشيخ سالم — كرابيا . ٦ : صبحي فرح — غزة . ٧ : محمد الكيلاني — نابلس . ٨ : عبد الحائق بضور — الخليل . ٩ : شريف برزق — غزة .
- الصف الثالث (من اليمين إلى اليسار) : ١ : أكرم دودين — الخليل . ٢ : رشدي الزعبي — طوباس . ٣ : حسي شراب — غزة . ٤ : عدنان كمال — نابلس . ٥ : أحمد عبد الشافي — غزة . ٦ : محمود شراب — غزة .

سنة	عدد المعلمين	مجموع الطلاب	مسلمون	مسيحيون
١٩٢٧	١٢	٢٨٤	٢٢٩	٥٥
١٩٢٨	١٢	٢٠٩	١٦٦	٤٣
١٩٢٩	١١	٢٥٠	٢٠٢	٤٨
١٩٣٠	١١	٢٨١	٢٣٠	٥١
١٩٣١	١٢	٣٠٢	٢٥٢	٥٠
١٩٣٢	١٣	٣٧٨	٣١٥	٦٣
١٩٣٣	١٦	٥٣٦	٤٦٦	٧٠
١٩٣٤	١٨	٦٧٥	٥٩٤	٨١
١٩٣٥	١٩	٧٨٣	٧١١	٧٢
١٩٣٦	١٩	٨٣١	٧٦٢	٦٩
١٩٣٧	٢٢	١٠٠٩	٩٣٩	٧٠
١٩٣٨	٢١	٩٨٧	٩٢٣	٦٤
١٩٣٩	٢٤	١١٩٠	١١٢١	٦٩
١٩٤٠	٢٣	١١٠١	١٠٤٣	٥٨
١٩٤١	٢٦	١٢٣٧	١١٦٣	٧٤
١٩٤٢	٢٣	١٠٤٥	٩٧٠	٧٥
١٩٤٣	٢٤	١٠٠٤	٩٣٣	٧١

وفي غزة مدرسة حكومية أخرى ذات أربعة صفوف ، تعتبر فرعاً للمدرسة المتقدم ذكرها . وهي واقعة في حي (الشجاعية) .

وهناك مدرستان للأوقاف : واحدة ابتدائية وهي ذات سبعة صفوف وفيها ثمانية معلمين وثلاثمائة تلميذ ، وقد أنشأها المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى عندما تسلم الأوقاف المدرسة . والسكان الذي انشئت فيه يعرف بجاكورة الباز . وقد ألفت المجلس لجنة من اعيان غزة برئاسة مفتيها لتشرف على عمارتها المؤلفة من جناحين يفصلهما بهو كبير ، وكل قسم يتألف من أربع غرف وبهو كبير ، واختارت اللجنة لها اسماً هو (مدرسة الفلاح الاسلامية الوطنية) .

وهناك مدرسة للكشوفيين أنشأتها مصلحة الوقف قبل الحرب العامة (١٩١٤م)

والغاية منها تعليم العجزة القرآن الكريم واسمها (المدرسة الهاشمية) وهي واقعة في جامع السيد هاشم .

وفيه ثلاث مدارس للبنات : واحدة حكومية ، واخرى بلدية ، وثالثة اهلية .
أما مدرسة البنات الحكومية فانها كانت في بادئ الأمر في دير اللاتين ، ثم انتقلت إلى بناء لآل رضوان واقع بالقرب من بئر الرفاعية . وكان هذا البناء بيتاً معدياً للسكن ، وظل كذلك حتى عام ١٨٨١ م فجعل مدرسة للذكور . وظل كذلك حتى عام ١٩٢١ م إذ جعل مدرسة للبنات . وانتقلت مدرسة الذكور إلى بنائها الجديد الذي اقيم امام زاوية ابي العزم للجبهة القبلية من مقبرة علي بن مروان . وقد اضيف إلى مدرسة البنات بعض الغرف في عام ١٩٢٦ م . ثم اخلي البناء بالمرة لتصدع أصابه بسبب الامطار الغزيرة ؛ فقامت الحكومة بدلا منه ، على عرصه للمدرسة نفسها ، بناء اثني على الطراز الحديث (عام ١٩٣٣) وكان هذا البناء مؤلفاً من ست غرف فسيحة جعلت إحداها للتدبير المنزلي . ثم اثنيء فوقه (١٩٣٥) طابق علوي وهو مؤلف من ثلاث غرف امامها رواق جميل . وفي عام ١٩٣٧ انشئت فيها مراحيض عديدة على الطراز الحديث .

وفيما كانت المهمة منصرفة نحو هذه المدرسة وتوسيعها هبت عاصفة هوجاء (في ٦ آذار ١٩٣٨) وهطلت امطار غزيرة دامت خمس ساعات متواليات تصدعت على اثرها جدران للمدرسة . فأمرت الحكومة ، خشية الخطر ، بهدم الركن الجنوبي الشرقي الذي كان على وشك الانهيار . ثم امرت باخلاء البناء كله ، وبثقل المدرسة إلى دارين متجاورتين واقعتين على طريق البحر بالقرب من سينما السامر : واحدة للسيد محمود شراب ، والاخرى للسيد محمد الريس .

وقد تولت إدارة هذه المدرسة الآنسة بهية فرح من سنة ١٩٢١ — ١٩٢٤ م
والآنسة ليديا شاهين حاطوم من ١٩٢٤ — ١٩٣٨ والآنسة نهيرة بدران من ١٩٣٨ — ١٩٤٣ .

وبعد أن كان (١٩٢٤) عدد الطالبات في المدرسة المذكورة مئة وخمسين ، والمعلمات تسماً أصبح الآن (١٩٤٢ م) ٥٢٧ والمعلمات ست عشرة . وإليك تفصيل هذا العدد خلال السنوات التسع عشرة الاخيرة :

السنة	معلمات	طالبات	السنة	معلمات	طالبات
١٩٢٤	٩	١٥٠	١٩٣٤	١٤	٥٤٥
١٩٢٥	٩	٢٣٧	١٩٣٥	١٥	٥٧٣
١٩٢٦	٩	٢٥٣	١٩٣٦	١٥	٥٩٩
١٩٢٧	١٠	٣١٠	١٩٣٧	١٦	٦١٠
١٩٢٨	١١	٣١٢	١٩٣٨ ^(١)	—	—
١٩٢٩	١١	٣١٢	١٩٣٩	١٦	٥٨٨
١٩٣٠	١١	٢٩٦	١٩٤٠	١٦	٥٧٢
١٩٣١	١١	٢٧٩	١٩٤١	١٦	٥٥٩
١٩٣٢	١١	٣٠٧	١٩٤٢	١٦	٥٢٧
١٩٣٣	١٣	٤٢٣			

وتلقى الطالبة في هذه المدرسة العلوم الأولية في الدين ، واللغتين العربية والانكليزية ، والحساب ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والصحة ، والطبيعة ، والرسم . وتعلم أيضاً اصول الخياطة ، والتفصيل ، والتدبير المنزلي ، وتربية الطفل ، مما يهيئها لأن تكون ربة بيت نافعة . وفي المدرسة مكتبة فيها ما يقرب من ألفي كتاب .

وأما مدرسة البنات البلدية فقد أسسها المجلس البلدي من اموال المدينة وكان ذلك بتاريخ ١٦/٢/١٩٣٠ . ذات ثمانية صفوف . وتعلم فيها ما يقرب من اربعمئة طالبة ، وفيها عشر معلمات . وتسير في تعليمها على منهاج مصلحة المعارف العامة . وأما مدرسة البنات الأهلية فقد انشأتها سيدة من سيدات غزة تدعى (زهية النقا) ، فيها ٣٥ طالبة . وهي ذات صفين . تعلم فيها مبادئ العلوم الأولية .

وهناك مدرستان أهليتان: أحدهما في الشجاعة تدعى (مدرسة الشجاعة الاهلية)، والاخرى في حارة الزيتون تدعى (مدرسة ابي شهلة الأهلية) . أما الاولى فقد أسسها السيد سليم فروانة ، وكان ذلك عند مطلع عام ١٩٣٧ . فيها ثمانون طالبة ، وهي ذات صفين فقط . وأما الثانية فقد أسسها الشيخ حسن ابو شهلة وكان

(١) ظلت المدرسة مغلقة طيلة عام ١٩٣٨ بسبب احتلال الجيش لبناتها .

ذلك في علم ١٩٢٤ . فيها مئة طالب ، وهي ذات ثلاثة صفوف ابتدائية . ومنهاج التعليم في هاتين المدرستين يرمي إلى تعليم اللغة العربية والقرآن ومبادئ الدين والعلوم الأولية . وفي غزة (بستان للأطفال) أسسه مؤلف هذا الكتاب مع ليف من اصدقائه ، وكان ذلك بتاريخ ١/٩/١٩٤٢ . فيه مملتان وواحد وعشرون طفلا من ذكور وإناث ، ويحمل هؤلاء الاطفال من منازل آبائهم إلى البستان بناية تلمة وفي سيارة أعدت لهذه الغاية .

ولقد قام ثلاثة من شبان غزة المثقفين (وديع نرزي وأخوه شفيق وجعفر فلفل) بتأسيس كلية عربية أسموها (كلية غزة) . وكان ذلك بتاريخ ١ أكتوبر ١٩٤٢ وهي ذات ثمانية صفوف : خمسة منها (الاول والرابع والخامس والسادس والسابع) ابتدائية ، واثنان (الاول والثالث) ثانويان ، وبستان للأطفال من اولاد وبنات . فيها سبعة اساتذة واربع معلمات . ولغة التدريس فيها العربية ، وأما اللغة الانكليزية فاتها تدرس كلغة . وفي الكلية قم داخلي يضم بين جدرانها ستة وعشرين طالبا .

١١ — وفي غزة اربع مكتبات عربية للمطالعة تحتوي على كتب قيمة : الاولى في الجامع العمري الكبير . والثانية في النادي الرياضي الاهلي . والثالثة في مدرسة الذكور . والرابعة في مدرسة الاناث . وهناك مكتبة انكليزية في دار حاكم اللواء . وأكبر هذه المكاتب هي مكتبة الجامع العمري الكبير فقد استت عام ١٣٥٢ هـ وفيها الآن ألفان وخمسمائة كتاب بين مطبوع ومخطوط ، وناظرها الشيخ عثمان افندي الطباع . وهو في نفس الوقت نائب رئيس جمعية المصداية الاسلامية بغزة . وفيها مكتبتان تجاريتان : واحدة للشيخ هاشم نعمان الخزندار ، والاخرى لمجيس بن سعيد ابي شعبان .

١٢ — ولقد تأسس في غزة عام ١٨٩٣ أول (مجلس بلدي) . فكانت ميزانيته ضعيفة للغاية ، وكان رئيسه الحاج مصطفى افندي العلمي . وبعد ان بقي هذا في البلدية خمسة اعوام ، تنحى عنها فترأسها ولده الحاج أحمد افندي العلمي . ثم علي افندي الشوا وبقي فيها ستة اعوام . ثم تولاها الشيخ عبدالله افندي العلمي سنتين . ثم تولاها خليل افندي بيسو سنة واحدة . ثم تولاها الحاج سعيد افندي الشوا وقد بقي فيها عشرة اعوام . وعلى عهده اثنىء المستشفى البلدي فوق تل السكن .

وبعد الاحتلال تولى رئاسة البلدية محمود افندي ابو حصرة ثلاثة اعوام . ثم تولاهما
عمر افندي الصورياني ثلاثة اعوام ايضاً . ثم تولاهما فهمي بك الحسيني ومكث فيها
احد عشر عاماً . إلى أن تولاهما في ١٩٣٩/١/٢٩ رئيسها الحالي رشدي بك الشوا
وهو ابن المرحوم الحاج سعيد افندي الشوا .

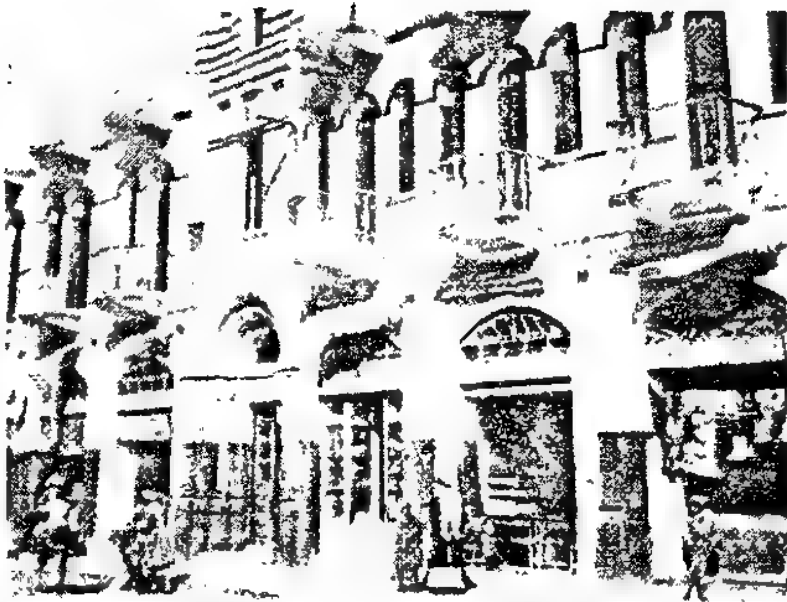


رشدي بك الشوا



فهمي بك الحسيني

وقد تم على يد الرئيسين الآخرين فهمي بك الحسيني ورشدي بك الشوا وكلاهما
من الطبقة المثقفة متقياً عالياً اصلاحات حجة : إذ وسع الاول الشارع الكبير الذي يشطر
المدينة شطرين وهو المعروف بشارع (عمر المختار) ، وانشأ دار البلدية الجديدة ، كما
انشأ حديقة البلدية المروية (بالخرز) . وبعد الثاني الشوارع العديدة في البلدة القديمة
وفي الرمال ، وحضر (بر الصفا) الذي تحول عليه المدينة اليوم في شربها وفي جميع
مشاريعها العمرانية .



دار البلدية الجديدة في شارع عمر المختار

وأما المجلس البلدي الحالي فقد انتخب عام ١٩٣٤ وهو الآن يتألف من رئيس وستة أعضاء هم الذين تزام في الصورة المثبتة (١) في الوجه ٢٦٧ :

ويجد ان كانت ميزانية البلدية في السنة لا تتعدى البضع مئات من الجنيهات فقد اصبحت الآن تعد بالالوف. ولنا بهذا كرين ميزانيات السنين الاولى ، إذ كانت هذه لا تتعدى عدد اصابع اليد . وانما لا بد لنا من ذكر الارقام التي تحققت خلال السنوات الاربع عشرة الاخيرة .

(١) من اليمين إلى اليسار (الجالسون) : ١ - عبد القادر حنحت . ٢ - الحاج سعيد ابو رمضان . ٣ - موسى الصوراني . ٤ - رشدي الشوا (رئيس) . ٥ - محمد الرئيس . ٦ - الحاج رافع ابو شعبان . ٧ - موسى البورنو .
الواقفان : حافظ ترزي - عضو . هاشم الاولو - كاتب المجلس .



المجلس البلدي بغزة

(٣١ آذار ١٩٤٣)

السنة	الواردات جنيه	المصروفات جنيه	السنة	الواردات جنيه	المصروفات جنيه
١٩٢٩	٧١٢٩	٧٢٥٦	١٩٣٦ ^(١)	٧٩٤٥	٨٤٨٥
١٩٣٠	٨٤٠٣	٨٥٥٩	١٩٣٧	١٣٩٦٢	١٣٨٣١
١٩٣١	٨٥٢٧	٨٨٧٤	١٩٣٨	١٣٢٢٨	١٢٢٥٨
١٩٣٢	٩٢٣٥	٩٠٩٢	١٩٣٩	١٤٠١٦	١٣٤١١
١٩٣٣	١١٣١٨	١١٢٥٠	١٩٤٠	١٨٥٠٠	٢٠١٢٩
١٩٣٤	١١٤٠٣	١١٣٢٥	١٩٤١	٢١٠٦٨	٢٢١٩٧
١٩٣٥	١٤٢٥٨	١٤٠٩١	١٩٤٢	٢٣٩٩٧	٢٦٥١٠

(١) نقصت ميراثية هذه السنة (١٩٣٦) بسبب الاضراب العام الذي اعلته العرب احتجاجاً على سياسة الحكومة من حيث الانتداب والوطن القومي . واشتركت مدينة غزة في هذا الاضراب الذي دام ستة شهور ، نطقت خلالها جميع المصالح والأعمال .

١٣ — وفيما يلي عدد الدكاكين والمخازن والفنادق والطاعم والافران والمطاحن
وجميع انواع الحرف والصناعات المرخصة في غزة حسب الاحصاء الذي قامت به مصلحة
الصحة خلال عام ١٩٤١ :

عدد		عدد	
٢٨	مخازن جبوب	٤	فنادق
١٣١	دكاكين بقالة	٧	معاصر
٣٩	دكاكين خضرة	٩	خمارات
٣٥	دكاكين حلاقة	٨	مقاهي
١٤	مصانع	١٢	مخابز
١٣	دكاكين لبيع اللحوم	٣	معامل بلاط
١٢	محلات عطارة	٦٩	معامل نخل
١	مسمكات	٣	مطاحن
٥	خانات	٢	ميدليات
٥	اتوال حياكة	٤	كراجات
٣	حمامات	١٤	مخازن للكاكز والبزير
٩	محلات للنسيل والكوي	١١	محلات صياغة
٤٥	متاجر متنوعة	١٥	محلات صنع القراوي
٦٠	باعة متجولون	٦	محلات لبيع الحلويات
٣	سروجية	٥	مصانع نادر بالسكهرباء

١٤ — ويقام في غزة اسواق عديدة : منها سوق الحيوانات ، ويسمونها
(سوق الجمعة) اذ انها تقام يوم الجمعة في بركة نصار الواقعة شرقي المدينة . حيث
يفد الناس من جميع اطراف المدينة ومن القرى المجاورة فيتسوقون ما يعرض فيهم من
خيل وغنم وحمير وبقر وبنال وإبل . ويكثر في هذه السوق عرض الابل والاعنام
النجدية التي يأتي بها تجار من عقيل . وهي سوق قديمة العهد جداً ، قد ترجع بالأصل
إلى عهد المينيين وبني سبأ الذين قلنا عنهم في الفصول الاولى من هذا الكتاب انهم اذا
لم يكونوا هم الذين شيّدوا غزة فأنهم بلا مرأى أول من ارتادها وغشى اسواقها من

العرب الاوائل الذين وصلتنا اخبارهم .

ومنها (سوق الجبوب) في خان ابي شعبان ؛ و (سوق الخضر) في خان المعارف بالقرب من موقف السيارات ؛ و (سوق الحاجيات) الواقع غربي المستشفى الذي اقامته الارسالية الانكليزية . وبعرض في هذه السوق الكلس والتبن والحصر والفخار وما إلى ذلك من السلع والحاجات . وهذه الاسواق الثلاث تقام في كل يوم . هذا بالاضافة إلى (سوق التجار) وفيها الدكاكين والمحازن التجارية التي اوردنا ذكرها في الاسطر المتقدمة .

أما الخطة والشعر والذرة وسائر انواع الجبوب فقد اعتاد النزيون كيلها بـ (الصاع) . وسعة من الخطة ستة ارطال ، ومن الشعر اربعة ارطال ونصف الرطل ، ومن الذرة خمسة ارطال ونصف الرطل . وهناك (السعة) أيضاً وسعتها من الخطة خمسة ارطال ونصف الرطل ، ومن الشعر اربعة ارطال ، ومن الذرة خمسة . وبطلت (الكيلة) وقد كانت معروفة حتى الربع الاول من القرن العشرين ، وهي ثلاثون كيلو من القمح وعشرون من الشعر وثمانية وعشرون من الذرة والقطاني .

وأما الاقشة فانها تقاس بـ (الذراع) وهي ثمانية وستون سنتيمتراً ، و (اليارد) وهو ذراع وثلاث ، و (المتر) وهو مئة سانتيمتراً او ما يعادل ذراعاً ونصف الذراع تقريباً وهناك (الذراع المماري) وهو خمسة وسبعون سانتيمتراً .

وأما (الموازين) السائدة في اسواق غزة فهي نوعان : نوع خفيف يعرف بـ (الميزان) وهو آلة ذات كفتين من النحاس توضع السلعة المراد وزنها في كفة ، وعبارة الوزن المطلوب في الكفة الاخرى . وآخر يعرف بـ (القبان) وهو معد لوزن الاثقال . فيوضع الموزون فوقه ويزج العيار على الذراع المقنوش فيها ارقام الوزن . وبطل التاجر يزلج العيار على هذا الذراع إلى ان تحصل العادلة بينه وبين الموزون . وإليك (الاوزان) المعروفة في غزة :

$$١ - (\text{الرطل}) = ٩٠٠ \text{ درم} = ١٢ \text{ اوقية} = ٢ \frac{١}{٢} \text{ اوقية}$$

$$٢ - (\text{الاقية}) = ٧٥ \text{ درهماً} = ٢٤٠ \text{ غراماً}$$

$$٣ - (\text{الاقية}) = ٤٠٠ \text{ درم}$$

$$٤ - (\text{القنطار}) = ١٠٠ \text{ رطل}$$

$$٥ - (\text{الكيلو}) = ٣١٢ \text{ درهماً} = ١٠٠٠ \text{ غرام}$$

واكثر هذه الاوزان شيوعاً هو (الرطل) و (الاوقية) . ولم يعرف الفزبون (الكيلو) إلا في الاعوام الاخيرة .

والاراضي تقاس : (الدونم) وهو ألف متر مربع .

١٥ — لم يكن في غزة مطاحن قبل خمسين عاماً . وكان الفزبون يطحنون قحهم بمطاحن اعتيادية تدار باليد . وكان في كل دار من دور غزة طاحون من هذا النوع . ثم انشئت في غزة مطحنة تدار بالخليل ، وهي ذات حجر كبير مستدير . ثم ادخلت المطاحن التي كانت تدار تارة بالقصل وطوراً بالقحمة الحجرية . ثم صارت هذه بعد الاحتلال تدار بالترول . ولم يستعمل الفزبون بعد المطاحن التي تدار بالكهرباء رغم اتصال مدينتهم بشروع الكهرباء بفلسطين . ذلك الاتصال الذي وقع عام ١٩٣٨ . وفي غزة اليوم خمس مطاحن تدار كلها بالترول . واجرة الطحن فيها قرش واحد (أي عشرة ملات) لكل ثلاثة ارطال (١)

١٦ — وفي غزة ست معاصر لعصر السمسم واستخراج السبرج منه : معصرة الغلاييني ، والقرم ، والشجاعية ، وابي شعبان ، والبربري ، والمهندي . وتدار المعاصر الاربع الاولى على الطرق القديمة المألوفة من عهد الاجداد أي بواسطة الدواب . وأما الاثنتان الاخيرتان فقد طرأ عليهما بعض التحسن ، فأصبحتا تداران بآلات حديثة تحرکہا الكهرباء .

١٧ — كانت صناعة البغاة ونسج الجلود تمارس بالاكثري في ناحية غزة . وكان معظم الطرق المستعملة فيها بسيطة اولية . وكانت صناعة الاحذية من الصناعات الشائعة . لكن هذه الصناعة تضائلت بسبب كثرة الجلود المدبوغة المستوردة من الخارج ، فأخذ صناع الاحذية يستعملون الجلود المستوردة في صنع الاحذية من النوع الجيد ، وراحوا يستعملون الجلود الوطنية في صنع الاحذية من الدرجة الدنيا ، وبالأحرى الاحذية التي يجتذها الفلاحون والبدو . وليس في غزة الآن سوى ١٤ مصبغة .

١٨ — إن صناعة النسيج في غزة قديمة للغاية . لا يعرف أحد بالضبط متى

(١) كانت اجرة الطحن في عهد الأتراك مثلياً كتركياً (أو ما يعادل ملين) للرطل الواحد ، ثم صارت بعد الاحتلال قرشاً واحداً .

وكيف انتقلت هذه الصناعة إليها . وأما الاعتقاد سائد بأنها أتت إليها عن طريق الهند ومصر ، لا عن طريق الشام .

ويبدو لنا ان صناعة النسيج كانت متعشة في الماضي اكثر مما هي عليه الآن . ولقد عثرنا في كتاب انكليزي ألفه الدكتور ماري J. A. H. Murray بعنوان : English Dictionary on Hist. Principles على كلمة Gauze وهي تستعمل للدلالة على نوع من الخمار الشفاف وضع على الوجه . ويتقدانه سمي كذلك لانه مأخوذ من غزة خلال العصر السادس عشر . وهناك نوع من القماش مصنوع من الحرير أو الكتان يسميه الاوروبيون Gazzatum ويتقدون ان مصدره مدينة غزة ، وقد سمعوا به لأول مرة في تاريخ ١٢٧٩ م وذكروا عنه الشيء الكثير مأخوذاً من كتاب كتب علم اللغة اللاتينية بعنوان Glossarium .



مائل غزي يعمل في نور البلي

هناك أربعة وأربعون نوعاً لنسيج الاقشة الصوفية : كالسط ، والسجاد البلدي ، والبي والراير وما إلى ذلك . وعشرون نوعاً لنسيج الاقشة القطنية والجريرية : كالدياء والالبسة التي يستعملها الفلاحون . ويعمل في هذه الانواع ما ينوف عن المئة عمل .

وتدار هذه الانواع كلها باليد . ولا تعرف غزة الانواع الحديثة والممكنات التي تدار بالكهرباء بعد . وخيوط الصوف المنزولة والعدة لصنع الاقشة تستورد كلها من الخارج (١) وكذلك قل عن خيوط القطن والحرير المبرومة . وأما ما يستعمل

(١) من الهند وانكلترا .

منها لنسج السجاد فإنه ينزل في غزة ، وتنزله بعض نساها من الصوف الخالص .
والكميات التي تنتجها هذه الأنوال في الوقت الحاضر قليلة تسكاد لا تكفي لتعويض
أهل المدينة أنفسهم ، والقرى المجاورة ؛ دع عنك التصدير إلى خارج فلسطين .

أما (السداء) فيستعمل من القطن المبروم بنسبة $\frac{1}{3}$ أو $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{5}$ وبلونه
الطبيعي والابيض ، وهذا يستورد من الهند . وأما (اللحمة) فإنها من الصوف الطبيعي
المقصود من النعم (١) والتي تنزله النساء بمخازل يدوية (٢) . ونسبة السداء القطني
إلى اللحمة الصوفية هي بمعدل ١ إلى ٧ أي أنه لكل واحد من القطن سبعة من
الصوف . وينسج النول الواحد في اليوم ما زنته ستة كيلو غرامات .

ولقد تأسس في غزة حديثاً مصنعان للنسج الالبسة الصوفية والقطنية والكثانية
والحريرية : الاول للسيد ابراهيم اليازجي (١٩٤١م) والثاني لشركة النسيج
العربية (١٩٤٢ م) . وهذان المصنعان وإن كانا قد أحدثا تحسناً كبيراً في نوع
النول الخشبي المروف في هذه البلاد منذ آلاف السنين إلا أنهما لا يزالان من النوع
الذي يدار باليد ، ولا تستعمل فيه الماكينات الحديدية ولا الكهرباء .

عادت صناعة النسيج في غزة فاقمت ووجدت أن كانت منسوجاتها غير قادرة على
مزاومة المنسوجات الحديثة ولا سيما المستوردة من أوروبا فقد أخذت تسبقها في مضار
التجارة وذلك بسبب الحرب الحاضرة (١٩٣٩) ومعوية المواصلات مع أوروبا من
جهة ، وانتشار الفكرة الوطنية وتحمس أهل البلاد وإشارهم للمنسوجات الوطنية على
المنسوجات الأوروبية من جهة أخرى .

(١) أنه وإن كان في غزة وبئر السبع وما جاورها من البلدان عدد كبير من الماشية
وكان بالإمكان أن يستغل الأمر فلا يستعمل في الأنوال غزة إلا ما ينتجه هذا العدد من الماشية
من صوف . إلا أن أصحاب الأنوال لا يرغبون كثيراً في استعمال الصوف المحلي ، بل يؤثرون
عليه الصوف المستورد من مصر والبلاد الأخرى لنظافته . وأما الصوف المحلي فإنه يباع إلى
التجار الذين يصدرونه إلى البلاد الأخرى . حيث ينظف بالطرق المصرية الحديثة ، ثم ينسج
ويطرح للبيع في أسواق الشرق المختلفة ومنها غزة .

(٢) كانت اجرة المرأة التي تنزل الصوف قبل الحرب ٢٠ ملا في اليوم . وأما الآن
فإنها ٨٠ ملا .

ان (شركة النسيج العربية) شركة مساهمة استت في عام ١٩٤٢ م من السادة عبد الرزاق بدران ورشاد الشوا وعبد الرحمن الخضر ومنيب ابي غزالة . وقد كانت عند تأسيسها مؤلفة من ثمانين سهماً قيمة السهم الواحد منها خمسون جنيهاً . ثم زيدت الاسهم إلى ضعفها بعد عام واحد . وها هي اليوم تسير بقدم ثابتة إلى الامام . وللشركة في يومنا هذا لجنة ادارية مؤلفة من السادة جعفر فلفل رئيساً وعبد الرحمن الخضر ، ومنيب ابي غزالة ، وهاشم اللولو ، وعبد الرزاق بدران اعضاء . ولها سكرتير هو السيد عبد الرحمن طيارة . ومدير فني هو السيد خيرى بدران (١) والصنع ما يرح في دور التكوين . فان فيه الآن ثمانية ائوال يعمل فيها خمسة عشر عاملاً . ومعدل انتاجه اليومي ثمانون متراً . وفي مقدورهم الآن ان ينظفوا الصوف الهلي وينزلوه وينسجوا منه اقمشة صوفية متنوعة لاقت من الرواج ما لا عهد لائوال غزة به من قبل .

وقد حسنوا صناعة الصبغ لمختلف انواع الفزل ، فما عادوا في حاجة للمصايغ الاجنبية كما كانوا من قبل .

وقصارى القول أن صناعة النسيج من الاسس التي ترتكز عليها اقتصاديات غزة . فبعد أن كانت كمية الصوف المنزول فيها عند نشوب الحرب (١٩٣٩) عشرة اطنان والخيوط القطنية طين فقط ، بلغت في يومنا هذا (١٩٤٣) عشرة اضعاف ما كانت عليه . وبعد أن كانت قيمة الفزولات المستعملة في صناعة النسيج يومئذ لا تتجاوز الالف وخمسة جنية ، اصبحت الآن تتعدى عشرة آلاف . وقد جاء في الاحصاءات الرسمية التي نشرتها الحكومة أن ائوال غزة صنعت عام ١٩٣٩ م ٢١٢٠ عباءة من الصوف النقي و ٣١٣٠ عباءة من الصوف المزوج بالقطن و ٤٤٠ بساطاً من الصوف النقي و ١٢٠ بساطاً من الصوف المزوج بالقطن .

وأما في عامنا هذا فاني اقدر الكمية التي صنعتها ائوال غزة بما لا يقل عن عشرة اضعاف ما تقدم .

١٩ — وأما صناعة الفخار (الخزف) فهي قديمة العهد جداً . ذكر الفخار في أسفار العهد القديم سبع مرات ، وفي أسفار العهد الجديد ثلاثاً . وقد ذكر ايضاً

(١) درس هذا الفن في مصر وانكلترا . وألم به من ناحية الرسم والطباعة والنسيج .

عام ٧٢٧ ق. م . ويظن أنه كان معروفاً في عهد الفرعنة أيضاً . وقد عثر المتحبون على آثار للفخار في كثير من القبور واللال والاماكن الأثرية سواء كان في غزة أو في ما حولها من البلاد والمدن . واليوم نرى الفخار في الابنية القديمة التي هدمت أثناء الحرب الكبرى . ولا سيما في الأقيية والاسطحة التي بنيت على الطراز القديم فيما سلف من الأزمان . وقد ذكر نابليون فخار غزة في مذكراته . ويقال عنه أنه ظن للزاريب المصنوعة من الفخار مدافع صغيرة نصبت على الاسطحة لمكافحة جيشه الذي احتل يومئذ غزة . وفي قبور الميكسوس (ملوك الرعاة) التي اكتشفها السر فلندرس بيري في تل العجول عثر على اوان صنعت من الفخار .



ولا يزال الفخار يستعمل في كثير من الأواني المنزلية بجزء : فلا بريق ، والازيرة ، والكشاكيل ، والطناجر ، واواني الطهي ، ولقائات النسيل ، والعجين ، وقدر الأرز ، والمجاري ، والزاريب كلها من الفخار . ولم تنتشر صناعة الفخار في بلد فلسطين انتشارها في غزة . ولا سيما الفخار الأسود الذي لا يوجد منه في بلد سواها .

الابريق والجرار وباقي الاواني الخزفية تصنع في اشكالها بواسطة دولا ب الخراف ، ثم تشوى في اتون قليل النور يتراوح قطره بين ٨ و ١٠ اقدام ، ويبلغ حمته ٤ اقدام وتحته موقد النار . وكثيراً ما يقوم بهذا العمل نساء واولاد .

فواخير غزة

كان الغزيون ولا يزالون يستعملون شقف الفخار المكسر لبناء (القود) في المنازل ، ولبناء الجدران والاسوار حول المنازل . ويظهر أن طين غزة صالح لصنع الفخار ، لأن فيه قليلاً من الحديد . ولذلك فان فخارها وان كان خشناً إلا أنه متين ويستعمل لمدة طويلة . ان فواخير غزة قائمة كلها في مكان قريب من (تل السكن) . وتفكر البلدية الآن في نقلها إلى مكان خارج المدينة . لأن المكان

الحالي أصبح في وسط المدينة بين قسميها القديم والحديث بعد أن كان في الطرف الأقصى من المدينة القديمة للشمال الغربي .

وتصدر كميات كبيرة من مصنوعات الفخار إلى جميع مدن فلسطين وشرق الأردن وحووران . وفي غزة اليوم (٦٩) مصنعا للفخار .

٣٠ — في غزة شركة تدعى (شركة مناجم الكبريت الفلسطينية المحدودة)

Palestine Sulphur Quarries Ltd. أسست عام ١٩٣٠م وهي تعمل على استخراج الكبريت من ارض يقال لها (المشبة) على بعد ستة اميال من غزة إلى الجنوب الغربي . واقتضت في هذه الفكرة رجوع إلى مؤسسيها الكبتن ويليامز الذي رمته يد التقدير في هذه البقعة من بقاع فلسطين أثناء الحرب الكبرى (١٩١٤-١٩١٧) فشر على نوع من المجارة استدلت منها على وجود الكبريت فيها . فاحتفظ لنفسه بما رأى ، وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى نهض يعمل على استغلال ما اكتشف . وقد منحه الحكومة (امتيازاً) حصرت بموجبه حق الاستغلال فيه . ولما كان ما بيده من المال لا يكفي لهذه الغاية ، فقد اشرك معه عدداً من الممولين العرب في غزة وبئر السبع ، وآخر من الانكليز القيمين بفلسطين . فتألفت على اثر ذلك شركة عربية-انكليزية رأسمالها ٣٧٥٠٠ جنياً (جنيه واحد لكل سهم) ، ٤٥ في المائة من اسهمها للعرب و ٥٥ للانكليز .

أسست هذه الشركة مصنعاً ضخماً في المشبة ، واستحضرت من انكلترا عدداً من الماكينات والآلات الحديثة ، واستخدمت عدداً من المهندسين الاختصاصيين . وأما العمال فكلهم من العرب : بعضهم من غزة والبعض الآخر من البدو المجاورين . ولقد نجحت الشركة في عملها ، فاستخرجت الكبريت على درجات متفاوتة : منها ما هو ناعم بدرجة انك لا تعرضه في الفضاء حتى تتطاير ذراته في الهواء ؛ ومنها ما هو خشن ؛ ومنها ما هو متوسط الحجم ، وهذا هو الأكثر . وهو ينفع لمكافحة الحشرات الزراعية الفتاكة . ويقال ان قوة الفتك فيه ٩٧ في المائة بينما هي لا تتجاوز ٩٢ في المائة في الكبريت الايطالي مثلاً . واسعار الكبريت تتراوح بين العشرين والاربعين من الجنيهات للطن الواحد . ويجري تصريفه في اسواق الهند وسيلان وتركيا واليونان ومصر ، وقليل منه ما يصرف في سوريا وفلسطين . لا يمكن الجزم في تقدير كمية الكبريت الذي يمكن العثور عليه في هذا النجم .

وكل ما نعلمه هو أن أعرق قطعة توصلوا إليها تبعد عن سطح الأرض عشرون متراً فقط ، وإن نسبة الكبريت في هذه الطبقات تراوحت بين ١٥ / ٠ — ٣٠ / ٠ . وإن معدل الاستخراج طن واحد في الساعة ، هذا عندما تكون نسبة الكبريت في القار ٢٠ / ٠ . فقد استخرج في عام ١٩٣٦ م ٤٢٢ طناً من الكبريت ، يمت كلها ١٧٩٢ جنياً . غير أن هذه الكمية لا تسير على نمط واحد بسبب تفاوت النسبة في مختلف الطبقات من جهة ، والخلل الذي يطرأ على الماكينات من جهة أخرى . ولقد ألم بهذا المشروع شيء من الفتور في السنوات الأخيرة ، ولا سيما منذ اندلاع نار الثورة الفلسطينية في عام ١٩٣٦ وتبلل الأحوال بوجه عام ، وزاد الطين بلة نشوب الحرب الأخيرة (١٩٣٩) وما تلاها من صعوبة في النقل ، وارتفاع في الأجور ، ومضد في جلب القطع اللازمة من أوروبا لتصليح الآلات التي كثيراً ما يعثرها العطب . وما دما قد اتينا من ذكر كبريت المشبة قد يكون من المفيد أن نذكر نوعاً من الرمل يكثر وجوده في هذا الموقع أيضاً . إن هذا الرمل ليس من النوع الاعتيادي الأصفر ، الذي نراه في الصحاري أو على شواطئ البحار ؛ وإنما هو أبيض اللون يستعمله الاختصاصيون في صنع الزجاج . وكثيراً ما يأتي التجار إلى المشبة فيشترونه من أصحاب الأرض ، ويبيعونه إلى مصانع الزجاج .

٢١ — لم يتعلم فن الهندسة من أبناء غزة سوى اثنين أحدهما السيد عبد الحق بن الشيخ عجي الدين أفندي عبد الشافي والثاني السيد نصوحي الشوا . وهناك ثمانية من أبنائها محامون نظاميون وهم السادة : رشدي الشوا ، وكمال البربري ، وفوزي البجاني ، والشيخ سعيد الشوا ، وسعيد الخلفاوي ، وسعيد زين الدين ، وفهمي الشوا ، وسعدي بيسو . كما أن فيها أربعة محامين شرعيين وهم : الشيخ هاشم البشاوي ، والشيخ مصطفى بيسو ، والشيخ حسين الشوا ، والشيخ تهمان الخزندار .

٢٢ — وفي غزة ثمانية أطباء : اثنان منهم حكوميان . والآخرون يعملون على حسابهم الخاص . ومن هؤلاء غزي واحد هو الدكتور صالح أبو كيل . وهناك دكتور في الكبداء هو السيد مجدي الشوا . ويتعاطى مهنته في العراق . وفيها مستشفيان : واحد تتفق عليه الحكومة مع أن البناء ملك البلدية . والثاني للإرسالية التبشيرية الانكليزية . وقد اتينا على ذكر شيء من تاريخه عند البحث عن تاريخ الإرسالية .

٢٣ — وفيها ثلاث عشرة مقبرة إسلامية ، إليك اسماءها :

- ١ — مقبرة الشيخ شعبان : في حي الدرج . في منتصف السوق وعند موقف السيارات . فيها جامع ومقام . وتبلغ مساحتها دونعين ونصف الدونم .
- ٢ — مقبرة الشيخ سالم : أكبر مقبرة في غزة وهي واقعة بين المستشفى البلدي والانكليزي في حي الزيتون . مساحتها ستة وستون دونماً . ويسمونها ايضاً مقبرة الشيخ شعبان . ذلك لأنهما كانتا في الأصل مقبرة واحدة . فانفصلتا عندما اشيع شارع عمر المختار .
- ٣ — مقبرة الحروبي : في حي الدرج . وبالقرب من مقام السيد هاشم . مساحتها دونان . ويظهر انها ومقبرة الأوزاعي واحدة . فانفصلتا عند انشاء الشارع .
- ٤ — مقبرة الأوزاعي : في حي الدرج وبالقرب من مقام السيد هاشم . فيها مزار الأوزاعي . وتبلغ مساحتها دونعين ونصف الدونم .
- ٥ — مقبرة علي بن مروان : في حي التفاح وعند مدخل المدينة من الشمال . مساحتها اربعة عشر دونماً .



جانب من مقبرة علي بن مروان

- ٦ — مقبرة الدمرداش : في حارة التفاح . مساحتها لا تتجاوز العشرة دونمات .
- ٧ — مقبرة ابي الكاس : ويقال لها ايضاً مقبرة التونسي وهي كائنة في حي الشجاعية عند مدخل المدينة من الشرق . مساحتها تسعة دونمات .
- ٨ — مقبرة المهادين : ويقال لها مقبرة الموايد وهي واقعة قبلي غزة في حارة

الزيتون عند مدخل المدينة من الناحية القبلية وفيها عدد من المجاهدين الذين
اشتركوا في حروب صلاح الدين . مساحتها سبعة دونمات . غير أن الشوارع
فصلتها إلى ثلاث مقابر .

٩ — مقبرة آل رضوان : خاصة بآل رضوان واحفادهم وهي واقعة بالقرب من
الجامع الكبير . ومساحتها أقل من نصف الدوم .

١٠ — مقبرة آل النصين : خاصة بآل النصين واحفادهم . انها في حي الدرج . وهي
قريبة من مقبرة آل رضوان . ومساحتها لا تزيد عن الدوم إلا قليلاً .

١١ — مقبرة آل الشوا : خاصة بآل الشوا واحفادهم وهي واقعة في حي التركان
بالقرب من حاكورة الجاولي . ومساحتها دوم واحد .

١٢ — مقبرة آل الحسيني : واقعة في حي الدرج . وهي صغيرة المساحة (ربع دوم
تقريباً) وحديثة العهد .

١٣ — مقبرة المنطار : فوق تل المنطار .
وهناك ثلاث مقابر للمسيحيين : واحدة للروم الارثوذكس وهي واقعة في ساحة
كنيسهم . واخرى للبروتستانت وهي خارج المدينة على طريق خانينوس . وثالثة
لللاتين في ساحة دير اللاتين .

وهناك (مقبرة الحرب) وهي مقبرة اقامها الإنكليزيون اثناء الحرب الكبرى .
انها واقعة في شمال المدينة على طريق بافا وبالقرب من بئر الصفا .

٢٤ — وفي غزة حمامات قديمة المهسد ، يجري إليها الماء من بئر الصفا ،
ووقودها الزبل والقصل . كانت كثيرة العدد إلا انه لم يبق منها في يومنا هذا سوى
ثلاثة حمامات هي : (حمام السمرة) في حارة الزيتون ، وقف آل رضوان وفقاً
ذرياً ؛ و (حمام السوق) في حارة الدرج ، وقد اوقف ريعه على الجامع الكبير القائم
بالقرب منه ؛ و (حمام الشجاعية) في حارة الشجاعية . وقد اشتراه المجلس البلدي
قبل بضع سنين . وصكان هناك حمام رابع هو (حمام للبشير) ، إلا أنه درس في
الأعوام الأخيرة وبُنيت مكانه الحوانيت التي يشغلها (سبني) في الوقت الحاضر .

٢٥ — وفي غزة عدد كبير من المساجد والجامع بعضها كبير تقام فيه صلاة
الجمعة ، والبعض الآخر صغير لا تقام فيه هذه الصلاة . وهناك مساجد قديمة أخى
عليها الدهر بكله فأصبحت خراباً . وقد اتينا على ذكر لحة من تاريخ هذه المساجد

في الفصل الأخير من هذا الكتاب ، فليرجع إليها من شاء الاطلاع على هذه الناحية من تاريخ غزة . ويصرف على هذه الجوامع والمساجد من اموال الوقف .

٣٦ — وعلى ذكر الوقف نقول : انه يوجد في غزة اوقاف كثيرة منها الصحيح ، والملحق ، والمدرس ، والفري .

أما الوقف الصحيح للضبط ، فإنه يدار من قبل المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بواسطة مأمور الأوقاف الذي يمثل في غزة . ويصرف ريعه في سبيل تعمير الجوامع التسعة الكبرى التي يصلى الناس فيها الجمعة والصلوات الخمس .

وأما الوقف الملحق ، فإنه يدار أيضاً من قبل المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى بواسطة مأمور الأوقاف ، غير ان ريعه يصرف في سبيل الجوامع من الدرجة الثانية التي تصلى فيها الصلوات الخمس فقط .

وأما الأوقاف للمدرسة ، فإنها تدار من قبل لجنة الأوقاف المحلية ، ويصرف ريعها على تعليم أبناء مدينة غزة . ويصرف من هذه الأوقاف أيضاً بعض المبالغ في سبيل (مدرسة الفلاح الوطنية الاسلامية) و (مدرسة المجزة) .

وأما الأوقاف الفرية ، فإن ريعها يصرف على المرتزة من أبناء الواقفين واحفادهم بعد ما ينضم منه ما يحتاجه هذه الاملاك من تعمير وانشاء وضرائب . وهذه قسبان : قسم يدار من قبل مصلحة الوقف رأساً كوقف الحاجة عالة ، ووقف سليمان بك آل رضوان ، ووقف الحرزاني والحزندار ، ووقف حسين باشا مكى ؛ وقسم يدار من قبل للتولين انفسهم مثل : وقف فطومة آل رضوان يتولاه الشيخ عثمان الطباع ، ووقف رقية آل رضوان يتولاه السيد إحسان البكرية ، ووقف تحفة آل رضوان يتولاه السيد زكريا العلمي ، ووقف علي بك آل رضوان يتولاه السيد شعبان الريس ، ووقف كلبهار آل رضوان يتولاه السيدان توفيق وعزة العلمي ، ووقف الملا أحمد يتولاه السيد خليل عاشور ، ووقف مرشد فارس يتولاه الحاج حافظ رجب ، ووقف الجبري يتولاه السيد رباح الريس ، ووقف الشرقي يتولاه السيد مصطفى الريس ، ووقف خليل آغا مكى يتولاه الشيخ سعيد مكى .

٢٧ — وفي غزة (محكمة شرعية) قديمة العهد جداً ، مهمتها الفصل في قضايا المسلمين واحوالهم الشخصية : كالزواج ، والطلاق ، والنفقة ، والهور ، والمساكن الشرعية ، والاختلافات التي تحدث بين الزوجين ، وما إلى ذلك من الامور . وقد

تولى القضاء الشرعي في هذه المحكمة في العهد التركي عدد كبير من القضاة لم نثر على
اسمائهم وإنما عثرنا على أسماء أولئك الذين تولوه بعد الاحتلال الانكليزي وهم :
الشيخ وهبة افندي شرف الدين (١) . والشيخ يونس افندي الخطيب (٢)
والشيخ أمين افندي الحلبي (٣) . والشيخ يوسف افندي الشرقاوي (٤) . والشيخ
محمود فوزي افندي الدجاني (٥) . والشيخ عبد اللطيف افندي الحاج ابراهيم (٦)
والشيخ رشيد افندي البيطار (٧) . والشيخ سعيد افندي ابو شعبان (٨) . والشيخ
سيف الدين افندي الخماش (٩) . والشيخ سليمان افندي السعدي (١٠) . والشيخ
رامز افندي مسمار (١١) . والشيخ مصطفى افندي الموري (١٢) . والشيخ نسيب
افندي البيطار (١٣) . والشيخ مطيع افندي الحامي (١٤) . والشيخ صبحي
افندي خيزران (١٥) .

وإليك عدد حوادث الزواج والطلاق التي سجلتها المحكمة للسذكورة خلال
الثنائي عشرة سنة الأخيرة في مدينة غزة وقراها :

السنة	الزواج	الطلاق	السنة	الزواج	الطلاق
١٩٢٤	٧٨٠	١٤٥	١٩٣٣	٨٧٢	١٠٢
١٩٢٥	٨١٣	١٤١	١٩٣٤	١٠٦٠	١٣١
١٩٢٦	٧٥٩	١٣٩	١٩٣٥	١٠٠٧	١٠٤
١٩٢٧	٤١١	١٠٧	١٩٣٦	٦٥٠	٩٢
١٩٢٨	٧٨٢	١٣٤	١٩٣٧	٨٢٩	١١٧
١٩٢٩	٥٣١	١٠١	١٩٣٨	٥٩٩	٦٩
١٩٣٠	٦٥٦	١٢٧	١٩٣٩	١٢٩٧	١٢٤
١٩٣١	٦٤٤	١٢٥	١٩٤٠	١٢٠٦	١٣٩
١٩٣٢	٧٤٣	٩٤	١٩٤١	١٥٧٦	١٦٦

(١) جاء مع الحملة الانكليزية وهو مصري الأصل . (٢) من حيفا وهو الآن خطيب
الجامع الكبير فيها . (٣) من الخليل وكان معروفاً بجملة للبهائية . (٤) من يافا . (٥) من
يافا . (٦) من طولكرم . (٧) من نابلس . (٨) غزي الأصل وقد كان مفتياً وتولى القضاء
الشرعي بالوكالة . (٩) من نابلس . (١٠) من صفد . (١١) من نابلس وهو الآن قاضي يافا .
(١٢) من القدس وهو الآن قاضي الرملة . (١٣) من نابلس شقيق القاضي الشيخ رشيد البيطار
وهو الآن قاضي الناصرة . (١٤) من يافا وهو الآن قاضي بئر السبع . (١٥) من عكا وهو القاضي الحالي .

٢٨ — وأما من حيث المياه فإن غزاة غنية للغاية . فيها مياه خزيرة ، ويمكن الشور على الماء في الاراضي الواقعة حول المدينة على عمق يتراوح بين الثلاثين والأربعين متراً من سطح البحر . وفيها أربع آبار نبع عمومية :

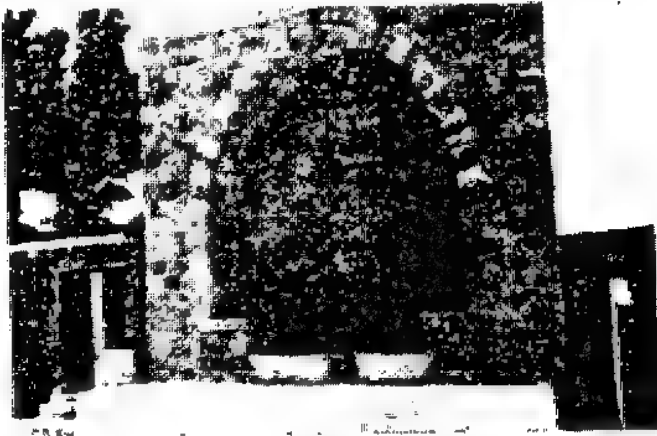
- | | |
|------------------|-----------------|
| ١ — بئر الأحمقية | ٣ — بئر المنتزه |
| ٢ — بئر الرفاعية | ٤ — بئر الصفا |

أما (بئر الأحمقية) فإنها أقدم هذه الآبار عهداً . لا يعرف أحد بالضبط من الذي حفرها ، ومتى ؟ غير أن جميع الفزيين يعتقدون أنها قديمة جداً . وإني لمعتقد أن اسم (الأحمقية) محرف من كلمة (الأحمقية) ، وأن هذه البئر حفرت في زمن الملك الظاهر جقمق بن الملك الأشرف برسباي (عام ٨٤٢ للهجرة) . ومن يدري ؟ لعلها هي العين التي أشار إليها السائح التركي المشهور (أوليا جلبي) عام ١١٦٠ م في رحلته التي سماها (أوليا جلبي سياحتنا مه سي) .

وهي واقعة في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة . ماؤها عذب ، غير أنه ليس من الغزارة بدرجة تشبع سكان غزاة . عمقها ٢٣ متراً وقطرها متران إلا قليلاً . وعمق الفجر ٢٥ متراً . وكان الفزيون ينشلون منها الماء بالبلو وينقلونه بالقرب للصنوعة من الجلد ، إلى أن وضعت البلدية موتوراً من نوع دويتش ذا قوة تعادل ٢٥ حصاناً ومضخة قطرها ٦ إنشات . وقد وضع الموتور والمضخة على البئر المذكورة في عام ١٩٢٦ . وكان ماؤها يصب في خزان منخفض في المدينة ، بينه وبين البئر مسافة ٥٥٠ متراً . ولقد أصاب هذا الخزان عطب شديد بسبب الزلزال الذي وقع عام ١٩٢٧ . كانت البئر المذكورة وقفاً ، وكانت البلدية تستأجرها من مصلحة الوقف بإيجار معين تدفعه كل سنة . ثم تملكها المجلس البلدي باسم المدينة . وقد احصي عدد الذين يشربون من هذه البئر عام ١٩٢٩ فكانوا عشرة آلاف نسمة . وكان معدل ما ينبع فيها من الماء خمسين متراً مكعباً في الساعة .

وأما (بئر الرفاعية) فقد حفرت عام ١٢٨٥ للهجرة ، والنسبة حفرها هو أحد حكام غزاة في العهد التركي (أحمد رضى بك التركي) . وكان هذا يومئذ متسلماً بغزة . ومن يدري ؟ فلهذا لم يحفر بئراً جديدة وإنما هو نظف البئر القديمة التي كانت هناك والتي كانت تعرف بـ (بئر البرج) . ويظهر أن لبهرام باشا آل

رضوان فضلاً كبيراً في تعبیرها . إذ أني رأيت الكلمات الآتية منقوشة عليها:
 بناءً أعدل الحكام بهرام بك أمير اللواء هو ابن المصطفى باشا تكون الجنة مشواه
 فلما انتهى تأسيس هذا قيل للتاريخ سبيل الله يا عطشان بسم الله
 سنة ٩٧٦

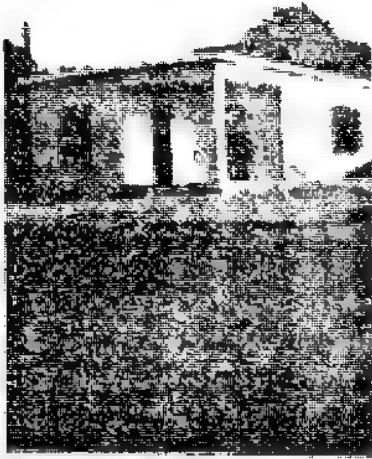


سبيل بُر الرفاعية بقرّة

ولقد عمّرت في سنة ١٣١٨ للهجرة من لدن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني،
 كما انتهى يومئذ (سبيل) أمامها . كما عمّرت مرة أخرى في سنة ١٣٣٢ من قبل
 ضابط تركي يدعى (إسماعيل حقي) . ولكن هذه البئر مهملة في الوقت الحاضر .
 لأن الماء الذي ينبع فيها قل مع تخادم المهد لدرجة أنه لا يتناسب مع ففقات استخراجها،
 وجره إلى أبيه مكان .

وأما (بئر للترّة) فقد حُفرت في عام ١٩٣٣ من قبل المجلس البلدي ، يوم
 كان فهمي بك الحسيني رئيساً له . عمقها ٣١ متراً ، وعمق الضجر فيها ٢٦ متراً .
 وقطرها ثلاثة أمتار ونصف المتر . وعليها موتور من نوع ديزل ذو قوة قدرها
 باثني وسبعين حصاناً . ماؤها غزير . وقد قدرت كمية الماء الذي ينبع منها بمئة
 وثلاثين متراً مكعباً في الساعة . غير أنه يال للأسف مالح لا يصلح للشرب .

وأما (بئر الصفا) فقد حفرت عام ١٩٣٩ من قبل المجلس البلدي الذي رأسه رشدي بك الشوا . وهي على بعد كيلو مترين من المدينة للشمال الشرقي . عمقها ٢٥ متراً وعمق النجر فيها ٢٧ متراً . وقطر البئر أربعة أمتار وعليها محرك يدار بالكهرباء ، قوته تقدر بمئة وعشرين حصاناً . تربطه بالحزان مواسير نحها ثمانية إنشات . وقد قدروا الكمية التي تنبع منها بمئتين وأربعين متراً مكعباً في الساعة . والمهم في الأمر أن ماءها عذب للغاية . لا يل هو أعذب المياه التي وجدت في غزة على الإطلاق . ولولاها لمطشت المدينة ولا سباً في الأعوام



بئر الصفا

الآخيرة عطشاً شديداً أو اضطرت لشرب مياه لا تعادلها في الجودة .

وهناك خزان يعد عن بئر الصفا (١٨٥٠) متراً تتجمع فيه مياه الآبار المتقدم ذكرها . ولقد انشئ هذا الخزان أمام مدرسة الذكور ، وكان ذلك عام ١٩٣٤ . وقد استعمل في بناءه الاسمنت المسلح ، وكلف بناؤه (٧٢٢) جنيهاً . وهو يتسع لثلاثمائة متر مكعب في وقت واحد . وقد لوحظ في عام ١٩٤١ أنه مائل بمقدار ١٤ سانتيمتراً . وإن هذا الميل يزداد بشكل يخشى عليه من السقوط . وهذا ناشئ عن المياه التي سالت من انبوبة قديمة يقربه ، فظلت هذه تسيل مسدة من الزمن دون أن ينتبه إليها المهندسون . فأضرت بأساس الخزان ضرراً كبيراً .

إن حالة الخزان المتقدم ذكرها من جهة ، وصغر حجمه وعدم اتساعه لكميات تكفي لجميع احتياجات المدينة من جهة أخرى ، جعلت ولاية الأمور يفكرون في انشاء خزانات أخرى غير . وها هو المجلس البلدي يدرس مشروعاً جديداً للماء يحتوي على انشاء خزان كبير في موقع (في المال) أنسب من موقع الخزان الحالي ، وعلى استبدال الانابيب القديمة البالية بأخرى جديدة . ذلك لأن عدد سكان المدينة

زاد في السنين الأخيرة زيادة تلفت الأنظار ، وحاجتهم لها - أيضاً قد ازدادت بنفس النسبة . إذ أثبتت الإحصاءات التي جمعتها البلدية أن لكل فرد من السكان يصرف تسعة غلونات من الماء في كل يوم من أيام الشتاء ، وعشرين غلونا في الصيف . وهذه النسبة أكثر من تلك التي يستهلكها سكان بيت المقدس . والسبب في ذلك كثرة الحدائق المنتشرة في الرمال .

وهناك بئران للحكومة : بئر للشتل الشمالي ، وبئر للشتل القبلي . وهما في وسط القاعة التي أنشأتها الحكومة لصد الرمال بين البحر والديانة .

وهناك آبار خصوصية أحصيتها فوجدتها ثمانية وأربعين بئراً : منها ثمانية في حي الدرج ، وثمانية في حي الزيتون ، وستة في حي الجديدة ، وسبعة في حي التركمان ، وتسعة في حي التفاح ، وعشرة في الرمال . من هذه الآبار الحصرية عشر ييارات مفروسة أشجاراً حمضية ، وعشرون مزروعة خضاراً ، والباقية مهجورة لا تنجد حولها زرعاً ولا زرعاً .

٢٩ - أن معدل كمية الأمطار التي هطلت في غزة منذ بداية القرن العشرين حتى يومنا هذا يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ ميليمتر في السنة وإليك البيان :

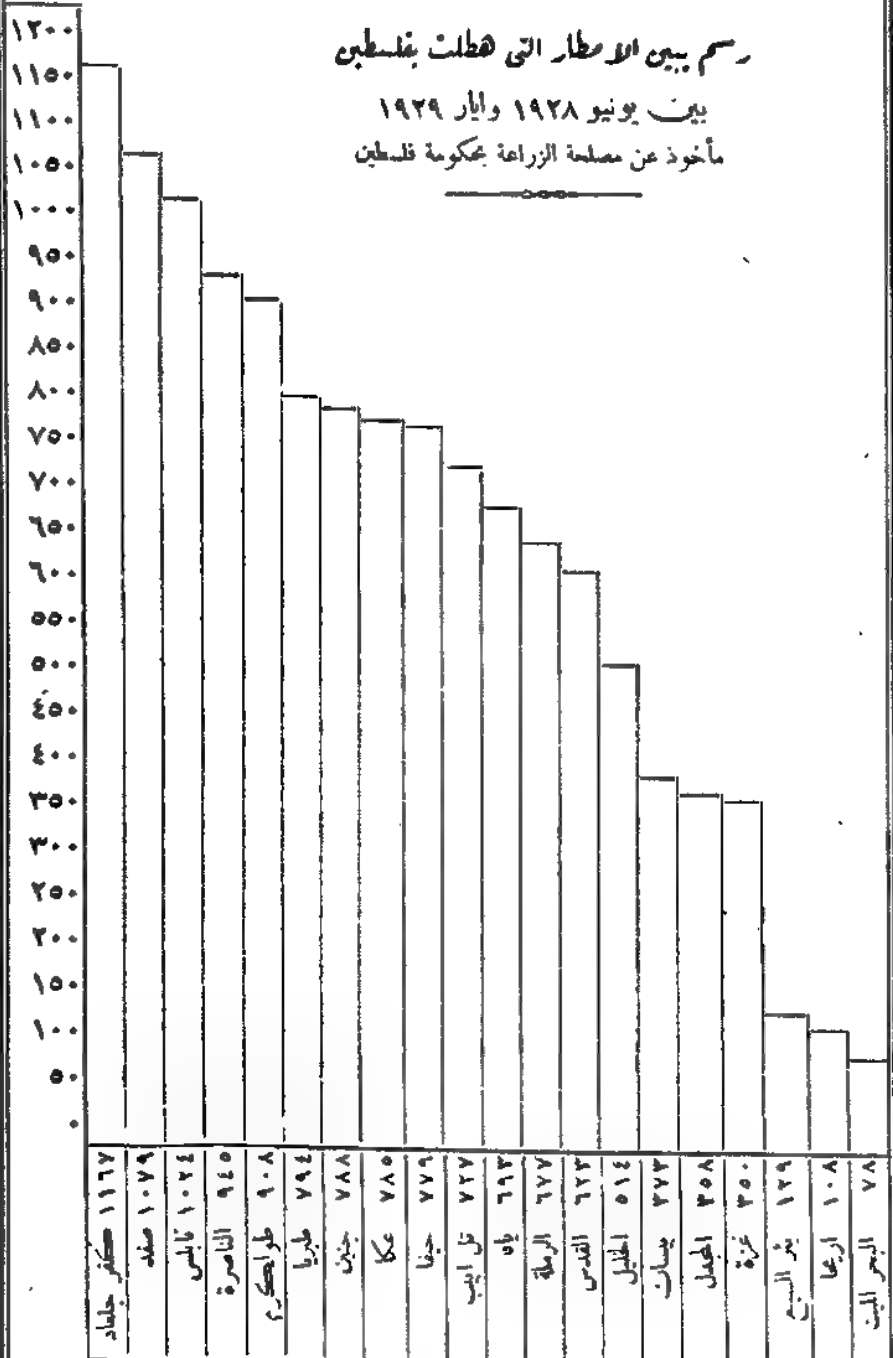
السنة	كمية المطر بالميليمتر	السنة	كمية المطر بالميليمتر	السنة	كمية المطر بالميليمتر
١٨٦٩	٢١٤	١٩٢٣	٣٣٤	١٩٣٣	٣٩٧
١٩٠٠	٣٠١	١٩٢٤	٣٣٤	١٩٣٤	٣٤٨
١٩٠١	٤٢٠	١٩٢٥	٣٢٢	١٩٣٥	٢٧٤
١٩٠٢	٥٠٩	١٩٢٦	٣٥٠	١٩٣٦	٤٠٠
١٩٠٣	٢٨٧	١٩٢٧	٢٨٠	١٩٣٧	٥٨٩
١٩٠٤	٤٦٥	١٩٢٨	٣٥٠	١٩٣٨	٥٢٠
١٩١٩	٨١٠	١٩٢٩	٤٩٧	١٩٣٩	٣٦٦
١٩٢٠	٤٠٥	١٩٣٠	٢٤٧	١٩٤٠	٣٥٢
١٩٢١	٤٦٢	١٩٣١	٢٨٢	١٩٤١	٤٣٠
١٩٢٢	٣٢٤	١٩٣٢	٢٣٨	١٩٤٢	٤٤٩
				١٩٤٣	٤٨١

ولكي تعطيك فكرة عن الأمطار التي تهطل في غزة ونسبتها إلى كمية الأمطار التي تهطل في البلاد الفلسطينية الأخرى ثبت فيما يلي رسماً بيانياً اقتبسناه من تقرير رسمي مأخوذ عن أرقام جمعها مصلحة الزراعة بـ فلسطين :

مليمتر

رسم بين الامطار التي هطلت بفلسطين

بين يونيو ١٩٢٨ و ايار ١٩٢٩
مأخوذ عن مصلحة الزراعة بحكومة فلسطين



٣٠ — وما دما قد انتهينا من بحث آبار غزة ومياهها نرى لازماً علينا أن نقول كلمة في زراعتها . وهذه تملخص في أن تربة غزة صالحة لجميع انواع الزراعة . وهي معروفة بخصبها منذ العهود القابرة . والأكثرية الساحقة في غزة تنتمي إلى طبقة الفلاحين والمزارعين . وهم مجتهدون ، لا يكلون أمر الأرض وفلاحتها إلى غيرهم . يزرعونها بأيديهم ويعتمدون في ذلك على سواعدهم الفتولة .

وأما الأفندية وأصحاب الاراضي الواسعة فإنهم يؤجرون اراضيهم إلى الفلاحين بشروط مختلفة أهمها — وهو السائد في هذه البلاد — أن الملاك يأخذ اربعين في المئة من الناتج والزارع يأخذ الستين .

وقد عرفوا المحراث العميق منذ عام ١٩١١ (١) ، وبهرهم الحصب الذي حل بالزرع على أثر ذلك فأعادوا الكرة في العام الذي تلاه ، وفيما بعدهما ، وظلوا كذلك حتى يومنا هذا . وقد حذت سائر القرى حذو غزة ، حتى كاد الاعتقاد يسود بأنه لن يبق شبر واحد من الأرض دون أن يحراث بالآلات الحديثة بمجرد انتهاء الحرب الحاضرة ، وإن المحراث البلدي القديم سيختفي من هذه البلاد بالمرّة .

وقد ارتفعت ، على أثر ذلك ، أسعار الأراضي ارتفاعاً هائلاً . فإن الدونم الواحد من الأرض بعد أن كان يباع بمجيدي واحد فيما مضى أو جنيه واحد خلال الاعوام الاولى من الاحتلال أصبح في يومنا هذا (١٩٤٣) يباع بعشرة جنيهات ، هذا إذا كان في اطراف المدينة وكان لا ينفع إلا لزراعة الحبوب . وأما كروم الزيتون فيباع دونها بخمسة وثلاثين جنيهاً . وأما الأرض المعدة للبناء فإن ثمنها يختلف بالنسبة لاختلاف موقعها : فيينا يكون بالامكان شراء الدونم الواحد من الأرض للمعدة للبناء في اطراف المدينة بمئة جنيه ، نجد من الصبر الحصول على مثل ذلك على طريق البحر بأقل من ثلاثمائة جنيه . وأما على شارع (عمر المختار) فلا يتيسر لك الدونم الواحد بأقل من ثلاثة آلاف جنيه .

ويزرع في غزة في يومنا هذا من الحبوب : القمح ، والشعير ، والذرة ، والسمسم ، والفول ، والعدس ، والكروسة ، والجلبانة ، والحمص ، والترمس ، والحلبة ، والبسلة ،

(١) ان أول من استعمل المحراث الحديث (تراكتور) هم السادة : الحاج سعيد الشوا ، و خليل بسبو ، وموسى البورنو ، وأحمد حلاوة . غرثوا ألفاً وخمسة دونم من اراضيهم بأجرة بلغت مئة وسبعين قرشاً تركياً للدونم الواحد .

واللوبيا ، والفاصوليا . ومن الحُضار : الباذنجان ، والجزر ، واللفت ، واللوخيا ،
والقلقاس ، والبطاطا ، والهلين ، والملفوف ، والقرنبيط ، والبقدونس ، والفلفل ،
والبقلة . ومن الاشجار الحمضية : البرتقال ، والليمون ، والصكرب قروت ،
والويسفندي ، والتندلينا ، والبنسيا ، والكباد ، والثارنج . ومن الزهور : الورد ،
والياسمين ، والفل ، والنسرين ، والآس ، والريحان ، والبان ، والأقحوان ، والجلتار ،
وشقائق النسمان ، والترجس ، والسوسن ، والبنفسج . ومن اشجار الفاكة : التين ،
والزيتون ، والعنب ، والزمان ، والبطيخ ، والنشم ، واللوز ، والقوز ، والجوز ،
والزعرور ، وللشمس ، والصفاح ، والبرقوق ، والحوخ (أو السراقن) ، والتوت ،
والسفرجل ، والكثري ، والجيز ، (١) والنخيل .

٣١ — وعلى ذكر النخيل قول :

ان النخيل كان أكثر اشجار الفاكة انتشاراً في غزة . حتى ان المستر شيشستر
H. Chichester الذي زار غزة في يناير سنة ١٨٨٤ م قال : « إنها كانت مليئة
بالكروم والبساتين . وكان فيها من جميع انواع الفاكة والنخيل والزيتون . وان
أكثر اشجار الفاكة انتشاراً فيها هو النخيل ، فالزيتون ، فالجيز ، فالخروب ، فالتين » .
إلا أن أشجار النخيل تناقصت بعدئذ . ذلك لأن الأتراك قطعوه أثناء الحرب
الكبرى (١٩١٤ — ١٩١٨) ليصنعوا منه سقوفاً لتأريسم في الجبهة . وقد كانوا
يأكلون له المعروف بالجار . وهو مادة بيضاء اللون ، طعمها لذيذ ، وهي منشطة للنابة .
ولأجل الحصول عليها كان لابد من قطع النخل لأن اللب المتقدم ذكره متوفر
عند رأسها .

٣٢ — وكذلك قل عن العنب . فقد كانت غزة مشهورة بعنبها . وكان فيها

مساحات واسعة من الكروم . وخر غزة كانت مشهورة في أكثر أنحاء العالم .
وتجارة الخمر كانت رائجة على مر العصور . وقد جاء في الروايات السالفة ان خمرأ
حملت من غزة إلى سوق (حجة) قرب مكة قبل الإسلام . وقد ذكره ابو ذؤيب في
شعره فقال :

(١) ان هذه الشجرة محبوبة لدى الفريين . وهي مباركة في نظرم . إذ أنت ثمرها
مفيد للبدن ومفد للنابة . يأكلونه طازجاً وجففاً . وخشبها ذو فائدة عظيمة . يستعملونه في بناء
النازل والأبواب لقوته ومثابته . فلا الماء ينفذ إليه ، ولا السوس يجد مجالاً لأن ينخر فيه .

سلافة (١) راح (٢) ضمنتها اداة (٣) مقيرة (٤) ردف (٥) المؤخرة الرحل (٦) تزودها من أهل بصرى وغزة على حصة (٧) مرغوعة الذيل والكفل (٨) فوافي بها عساف ثم أتى بها بحنة تصفو في القلال (٩) ولا تنلي وأما الآن فليس في مدينة غزة نفسها من كروم العنب إلا القليل . ولكن هذه الكروم كثرت وانتشرت في بربرة ، والجورة ، وحامة وغيرها من القرى القريبة من غزة بدرجة انها أصبحت تضاهي كروم الخليل ورام الله وغيرها من المدن الفلسطينية المشهورة . حتى أن عنب بربرة نال الجائزة الاولى في معرض لندن .

٣٣ — وأهم صادرات غزة هو الشعير . ذلك لأن شجير غزة وبئر السبع وما بينهما من الأراضي يصلح لصنع الحمة (البيرا) أكثر من أي نوع آخر من انواع الشعير الذي ينبت في انحاء فلسطين الاخرى . فقد ثبت ذلك يوم ارسلت حكومة فلسطين (عام ١٩٢٤) نماذج متنوعة من الشعير الفلسطيني إلى انكلترا ، ففحصت كلها ، ووجدت ان شجير هذه البلاد يحتوي على نسبة عظيمة من اللواد النافعة لصنع الحمة . وقد نال استحصان الخبراء والفاحصين . وتقدر مساحة الأراضي التي تزرع شعيراً في قضاء غزة : ١٥٠٠٠٠٠ دونماً ، وفي قضاء بئر السبع ١٠٥٠٠٠٠٠ وهذه المساحة تؤلف ٧٠ في المائة من مساحة اراضي فلسطين التي تزرع شعيراً .

ولقد كان تصدير الشعير إلى انكلترا قبل الحرب أكثر منه في يومنا هذا . فقد صدر في سنة ١٩٠٨ من غزة كمية قدرها ٣٨٠٠٠ طناً وفي سنة ١٩١٣ انخفضت الكمية الصادرة إلى ١٨١٤٠٠ طناً . وقد حدثني عدد كبير من رجال غزة فقالوا انه رسا على شاطئ غزة في سنة من السنين التي سبقت الحرب الكبرى (١٩١٤) — (١٩١٨) اربعون باخرة . ابحرت كلها إلى أوروبا حاملة ستين ألف طن من شعير هذه البلاد . واما في السنوات الأخيرة فقد تضاءلت هذه الكمية تضائلاً محسوساً وذلك للأسباب التالية :

(١) السلافة هي الحمر . (٢) الراح هو الحمر . (٣) الاداوة المطهرة . (٤) المقيرة المطلوبة بالقار . (٥) الردف الراكب خلف المعبان . (٦) الرحل مركب للبعير . (٧) النافعة العظيمة الماضية . (٨) الكفل مركب للرجال يؤخذ من كساء فيمقد طرفاه فيلقي مقدمه على الكاهل ومؤخره ما يلي العجز . (٩) القلال جمع قلة . وهي الجرة الكبيرة .

٢ ازدياد مساحة الأراضي التي هُرسَت أشجاراً حمضية .
ب رفع الزبل من الأراضي المعدة لزراعة الحبوب وبيعها لأصحاب البيارات
ليزبلوا به بياراتهم .

ج قلة الامطار
ويعمل البعض انخراط تجارة الشعير وتناقص صادراته بقانون الامتاع عن
المسكرات . ذلك القانون الذي سنته الولايات المتحدة في اميركا في اوائل القرن
الحاضر ، والذي عاش بضع سنين ثم انقضى . وفي اثناء المنع وجد الشعير الكاليفورني
مجالاً للبحث عن اسواق بأوروبا يروج فيها . وقد نجح في الوصول إلى ضالته للشودة
فوجد السوق التي ينتهيها ولا سيما في انكلترا . أضف إلى ذلك ان اجرة النقل من
كاليفورنيا إلى انكلترا أرخص بكثير منه إليها من فلسطين . كما أن الانكليز
انفسهم اخذوا يكثر من زراعة الشعير في بلادهم .

وكان بذلك القضاء على صادرات الشعير من هذه البلاد . حتى ان الكمية التي
صدرت من هنالك لم تعد في أية سنة من السنين التي تلت الحرب الكبرى ١٨٠٠
طنناً . وإليك بياناً بعدد السفن التي رست على شاطئ غزة وكميات الشعير التي حملتها
خلال السنوات التالية :

سنة	عدد السفن	كمية الشعير بالطن	سنة	عدد السفن	كمية الشعير بالطن
١٩٢٨	٦١	٢٣٦٦	١٩٣٢	٢٣	٩٠٧
١٩٢٩	٣٨	٢٦٣٠	١٩٣٣	١٩	١٠٧٩
١٩٣٠	٣٤	١٨٦١٦	١٩٣٤	٢٤	٥٢٧٧
١٩٣١	٤٣	٣٩٥٨	١٩٣٥	٢٤	٢٣٤٤

ومن العوامل الأخرى تذبذب حالة الامطار في منطقة غزة . إذ أن تجارة الشعير
في البلاد الأجنبية يؤثر من التعامل مع البلاد التي تستطيع تزويدكم بالكميات التي
يطلبونها في كل عام . ذلك خير من التعامل مع بلاد تعجز في بعض السنين عن تزويدكم
بما يطلبون بسبب قلة الامطار .

هذه مصيبة كبرى أصابت الشعير ، فطمنت اقتصاديات هذا البلد في
الصميم . ذلك لأن عدداً كبيراً من سكان هذه البلاد كان يعيش من وراء

زراعة الشعير وتجارته. فالملك الذي يملك الارض ، والزارع الذي يزرعها، والحصاد، والجمال ، والتاجر ، والنوتي ، حتى والعتال — وهؤلاء كلهم يؤلفون الأكتية الساحقة في هذه البلاد — ما كانوا يتفنون الصدهاء إلا في موسم الشعير . أما اليوم وقد زال الشطر الأكبر من هذه النعمة فقد أخذ الناس يتحدثون عن الشعير ، وتجارة الشعير ، وارباح الشعير كشيء كان وانقضى . وسبحان الذي لا يزول .

٣٤ -- وهناك مصيبة أخرى ألمت بسكان هذه المدينة عن طريق الزيتون . فقد كانت غزة ، حتى قبل زمن قريب ، مشهورة بزيتها وزيتونها . وكان زيتها يصدر إلى الخارج وإلى سائر المدن الفلسطينية بكميات كبيرة . وكان في غزة وحولها غابات كثيفة من أشجار الزيتون ، حتى قيل ان هذه الغابات كانت تمتد من وادي غزة إلى دير سنيد . وهناك من يقول انها كانت تمتد الى سدود أو إلى ما أبعد من ذلك . وكان فيها عدد كبير من معاصر الزيت^(١) . وفي يومنا هذا نجد اننا حلت بقايا من البدود القديمة ، والحجارة الكبيرة التي كانوا يستعملونها لعصر الزيتون واستخراج الزيت منه .

وكان تجارة الزيت من التجارات الرائجة التي تركز عليها اقتصاديات المدينة . وكان الفزيون يخزنونه في آبار يخفونها تحت الأرض لهذه الغاية .

ومن شدة شغفهم بالزيت واختراجه انهم يحدثونك عن بعض المنازل التي بنيت في غزة واستعمل في بنائها الزيت بدلا من اللاء . ويقولون ان الجامع الكبير بغي على هذه الطريقة . كما ان أحد وجوه غزة استعمل الزيت في بناء جدار له عندما علم ان الغزاة من البدو سيفزون غزة ، وان زيتهم واقع لا محالة في ايديهم .

وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها في القرآن الكريم ، وفي اسفار العهد القديم . والذي يتبع هذه الاسفار يرى أن أول من اتقن زراعة الزيتون وصناعة الزيت هم الكنعانيون . وقد أخذ بنو اسرائيل عنهم هذه الزراعة . وكذلك فعل الفلسطينيون وفي طليعتهم الفزيون . فقد كانوا يمتنون بشجرة الزيتون اعتناء شديداً . وكان الزيت يجمع في جرار ، أو في زقاق مصنوعة من الجلد . وكانوا يأكلونه مع الخبز ، ويصدرونه إلى مصر وإلى تركيا وبر الأناضول ، ويصنعون منه الصابون . وكان في غزة عدد كبير من اللصابين . وكان صابون غزة رائجا في اسواق

(١) يسمونها في هذه البلاد (بدود) وواحد (بد) .

الشرق الأدنى ولاسيما في مصر. وكان الفزيون يستعملون الزيت للضوء والملاج، فيدهنون به الجلد والجروح والرأس في حالة الصداع ، والصدر في حالة البرد ؛ كما يدهنون الشعر بقصد تطويله . وكانوا يقطفونه بطريقتين : اما بالصعود على سلم وقطف الحبة بعد الاخرى من الزيتون ، أو بجده جداً بعضا طويلة . وبلغ مجموع ما جني من عشر الزيتون عن غزة وما جاورها من القرى عام ٣٢٠ رومي (٩٠٤ م) ١٢٥٦٩ قرشاً تركياً . وبعضهم يقول انه بلغ في سنة من السنين ما لا يقل عن ١٥٠٠ ليرة عثمانية ذهباً .

وكان سعر الجرة من الزيت (أي ستة ارطال) مجيداً تركياً ونصف مجيدي . ومعنى ذلك انه كان بإمكانك ان تشتري كل اربع جرار من الزيت بجنيه من الذهب الانكليزي .

وأما اليوم فأشجار الزيتون في غزة قليلة وناتجها من الزيت يكاد لا يسد ربع حاجة سكانها ، دع عنك التصدير إلى الخارج . ذلك لأن الجيش التركي الذي كان مرابطاً في غزة أثناء الحرب الكبرى (١٩١٤-١٩١٧) قطع ٩٥ في المائة من اشجار الزيتون ليستعمل حطبها للوقود بدلا من الفحم الحجري في تسير القطارات . قضى بذلك على الغابات الكثيفة من اشجار الزيتون التي كانت تحيط بغزة من كل جانب . وبعد أن كانت غزة من اشهر المدن الفلسطينية (١) زيتونها وزيتونها وصابونها أصبحت اليوم أقل هذه المدن إنتاجاً من هذه الناحية . فليس في غزة اليوم مصبنة واحدة ، وقد دلت الاحصاءات التي قامت بها مصلحة الزراعة بفلسطين على ان المساحات المزروعة زيتوناً في فلسطين بلغت عام ١٩٣١ نصف مليون دونم وعدد اشجار الزيتون للغروة فيها ٤٠٠٥٩،٩٥٠ . وهذه توزع بين المدن الفلسطينية بالنسبة الآتية :

(١) قال النثر شيشتر H. Chichester الذي زار غزة في شهر يناير من سنة ١٨٨٤ م : « ان غزة كانت مليئة بالكروم والبساتين من جميع انواع الفاكهة وان اكثرها انتشاراً هو التخليل فالزيتون . وان زيتونها قديم جداً . وانه يوجد حول غزة غابات واسعة من الزيتون تمتد من الشمال والشرق إلى اربعة اميال ، وانه لم يكن في فلسطين كلها غابات للزيتون اوسع من الغابات التي كانت في غزة » .

عدد	المدينة	عدد	المدينة
٦٣٤١٨٥	نابلس	٩٠٠٠٠	القدس
٦٢٤٨٨٥	عكا	٧٧٨٦٥	طبريا
٦٠٠٠٠٠	جنين	٦٨٤٠٠	الخليل
٥٠٧١٢٠	الرملة	٤٥٠٠٠	بيت لحم
٤٩٥٠٠٠	طولكرم	٢٩٢٥٠	يافا
٣٥٧٥٠٠	رام الله	١٠٩٦٥	غزة
٢٢٥٠٠٠	صفد	٣٠٤٥	بيسان
١٥٠٠٠٠	حيفا	٣٠٠	اربع
١٤١٤٣٥	الناصرة		

٣٥ — وكان هاتين المصبتين مصيبة الشير ومصيبة الزيتون لم تكفيا ، فقد أتم بغزة مصيبة نائلة أصابت اقتصادياتها في الصميم . وهذه المصيبة الكبرى (نائلة الثاني) هي البرتقال . فقد انشأ عدد كبير من اصحاب الأراضى في هذه البلاد بيارات غرسوا فيها مئات الآلاف من الأشجار الحمضية . ولا سيما في عام ١٩٣٤ والاعوام التي تلتها فقد وصل اهتمام التزوين بالبيارات والأشجار الحمضية الذروة العليا . لأن تجارة الحمضيات كانت رائجة ، وقد ربح الكثيرون منها ارباحاً لا تحدر . غير انه سرعان ما اقلبت الآية ، وبادت هذه التجارة بالفشل والخسائر ، لكثرة ما غرس من البيارات بعد ذلك ، ولمشاكة الظروف والأحوال التجارية .

وقد زاد الطين بلة نشوب الحرب الأخيرة (١٩٣٩ — ١٩٤٢) فقد هارت هذه التجارة بلرة . إذ انه اصبح من العسير جداً تصدير البرتقال إلى خارج فلسطين بسبب الحرب القائمة وقطعان وسائل النقل وقلة المال وغلاء اجور النقل والشحن والتأمين وما إلى ذلك . هناك ٣٤١٨٤ دونماً من الأرض مغروسة اشجاراً حمضية . والكميات التي تنتجها أكثر مما يستطيع سكان البلاد استهلاكه . وهام اصحاب البيارات يلفظون انقاسهم الأخيرة ، لو لا أن الحكومة تدمم بالقروض المالية بين الفينة والفينة ، ولو لا المبالغ التي يستقرضونها من المصارف (البنوك) .

٣٦ — وفي غزة مصرفان يتعاطيان المرافة وخضم الكميات وسائر الأعمال المالية والتجارية والزراعية . احدهما فرع للسك الزراعي العربي في القدس وقد اطلق

عليه مؤخرآ (بنك الامة العربية) . وقد تأسس هذا الفرع عام ١٩٣٤ . والثاني فرع لبنك باركليز في يافا . وقد تأسس هذا الفرع عام ١٩٣٥ .

٣٧ — ويكثر في غزة صيد السمك بجميع انواعه ؛ واشهرها :

١ : السردين للبروم	٨ : الذهبان	١٥ : الطوبارة
٢ : للسقار	٩ : العطموط	١٦ : البرش
٣ : الفنبار	١٠ : السرغوس	١٧ : كلب البحر
٤ : اللقر	١١ : الطرخون	١٨ : النعيس
٥ : الفريدين	١٢ : السلطان ابراهيم	١٩ : الاتقياس
٦ : الداقور	١٣ : الليطي	٢٠ : الاسفرة
٧ : البوري	١٤ : البليدة	٢١ : العصفور

وهناك انواع اخرى من السمك ، لكنها غير مقبولة : كالاجاج ، والارفيدة ، والصبان ، والمكشيل ، والحفش ، والقشري ، والجريديت ، والنوريت ، والرامير ، وسمك موسى ، وصوفر ، والصلبي ، وسلحفاة البحر ، والاصداف وما إلى ذلك . ولقد تراوحت وزن ما اصطيده من السمك على شاطئ غزة بين عام ١٩٣٣ و ١٩٤١ بين خمسين ومئة وخمسين طنآ في السنة . بلغ ثمنها في سنة ١٩٤١ اثني عشر ألف جنيه .



قوارب الصيد على شاطئ غزة

وهناك في قضاء غزة ثمانية مواقع — خلا غزة — واقعة على شاطئ البحر المتوسط ،

وتعطى صيد السمك . وإليك اسماءها حسب اهميتها وكثرة عدد الصيادين فيها ؛ وهي من الشمال إلى الجنوب : حمامة ، الجورة ، هرييا ، التزة ، جباليا ، الشيوخ عجلين ، دير البلح ، خان يونس .

وانه لما استلقت النظر ان هذه المواقع كلها واقعة على بعد يتراوح ما بين كيلو مترين إلى ثلاثة كيلو مترات من الشاطئ . وليس بينها ما يقوم على الشاطئ . نفسه . واعتقد ان السبب في ذلك هو خوف السكان الاقدمين وخشيتهم من شر قرصان البحر .

ويجزي التقدم في صيد الأسماك إلى ازدياد عدد السكان ، والنماء الضخمة القديمة على الأسماك للصيد وقدرها ٢٠ في المائة ، وحماية المصايد بقانون سن لهذه الغاية عام ١٩٢٦ واسمه (قانون معائد الأسماك) . أضف إلى ذلك أن الأهالي انفسهم أصبحوا يعرفون ما في السمك من قوة غذائية ، وما في صيدهم والاتجار به من الفوائد الاقتصادية . غير ان هذا التقدم لم يخف من سعر السمك في الاسواق بل زاده صعوداً بسبب الحرب القائمة . وبعد أن كان رطل السمك يباع قبل الحرب الحاضرة بثمانية عشر قرشاً فلسطينياً أصبح اليوم (١٩٤٣) يباع بقسمين قرشاً بجزء ، وإذا ما قدر له الوصول إلى القدس ويافا وتل اييب يبيع فيها بما يقرب من الجنيهين .

ويظهر ان سكان غزة الاقدمين كانوا مولعين بصيد السمك ، وعلم الأسماك . حتى انهم كانوا يصنعون حلبيهم ومجهراتهم بشكل السمك الذي يحبونه .

ولقد رأى الاستاذ كليمان فانو ، سنة ١٨٧٠م ، عند صائغ من صياغ غزة قطعة ذات قيمة اثرية ، لم يستطع اتياعها بسبب غلائها ، وقلة المال لديه . ولكنه سمع مؤخراً انها اشترت باسم متحف (اللوفر) بفرنسا من لدن السيو دو صولسي

M. de Saulcy

وهذه القطعة عبارة عن حجر منبسط ذي صفائح خضراء اللون قائمة . وهذا الحجر مقطوع بشكل ممكك مساحتها ١٢ × ٧ سانتيمتراً وأطرافها مزينة بنقوش خفيفة . وفي مكان العين ثقب عميق مستدير . وفي القسم الأعلى من الحجر ثقب عميق آخر يظهر انه صنع خصيصاً للتعليق . ومن هذا نفهم ان الحجر مصنوع بشكل تمويذة . ومنه أيضاً نفهم ان (علم الأسماك) كان ذا شأن في غزة واللدن الساحلية الفلسطينية الاخرى .

٣٨ — ويكثر في غرة أيضاً صيد القر. انه ، على ما اعتقد، (السلوى) التي ورد ذكرها في القرآن والتوراة . ويحيى هذا في أغسطس وأيلول من اشهر الصيف . والمعتقد انه يحيى من الجزائر وتونس وسائر البلاد الواقعة في افريقيا الشمالية ، ومن ايطاليا وفرنسا وسائر البلاد الواقعة في اوربا الجنوبية.

٣٩ — ليس لغزة اليوم مرفأ . وإنما هناك (لسان) تمتد في البحر على طول



اللسان البحري بغزة

خمين متراً تقريباً . وهو مصنوع من الاسمنت المسلح . ولقد اثنى هذا اللسان في اوائل عهد الاحتلال الانكليزي على أمل أن يساعد السفن التي ترسو على الشاطئ . ولكن هذا المشروع قد اخفق ، وظلت السفن ترسو على بعد من الشاطئ .

والظاهر انه كان لها مرفأ صغير . غير أن مرفأها هذا كان في معظم ادوار التاريخ (١) دون سائر موانئ الشام . ولم يكتب له ان ينتفع به حتى الانشاع إلا في اوقات قليلة . وقد اثنى في نفس الموضع لسان من الحديد في العهد التركي . وبالرغم من عدم وجود مرفأ فقد كانت السفن تأتي إليها بكثرة ، فتسو عند اقرب نقطة

(١) خطط الشام .

من الشاطئ، يمكنها ان ترسو فيها، لتأخذ الكميات الكبيرة من الشعير (١) التي كانت تصدر من غزة أو من بئر السبع عن طريق غزة إلى أوروبا والبلاد الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط .
وإليك عدد المراكب الشراعية والسفن التجارية التي رست على شاطئ غزة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٩ :

السنة	المراكب الشراعية		السفن البخارية		مجموع المراكب والسفن	
	عدد	حوتها طن	عدد	حوتها طن	عدد	حوتها طن
١٩٢٩	٩٨	٣٤٢٢	١	٩٥٥	٩٩	٤٣٧٧
١٩٣٠	٥١	٢١٧١	١٥	٢٤٨٤٩	٦٦	٢٧٠٢٠
١٩٣١	٤٣	١٧٩٢	١	٢١٩٩	٤٤	٣٩٩١
١٩٣٢	٢٨	١٤٦٨	—	—	٢٨	١٤٦٨
١٩٣٣	٢٢	٩٨٤	١	٢٠٠	٢٣	١١٨٤
١٩٣٤	٣٠	١٠٥٨	٢	٤٤٦٠	٣٢	٥٥١٨
١٩٣٥	٣١	١٦٢٢	٥	٣٦٩٦	٣٦	٥٣١٨
١٩٣٦	١٠	٤٦٧	٣	٢٩٧٣	١٣	٣٤٤٠
١٩٣٧	٥٤	٢٩٤٤	١١	٥٢٤٦	٦٥	٨١٩٠
١٩٣٨	٤١	٢٠٧١	١	١١	٤٢	٢٠٨٢
١٩٣٩	٧	٥٩٢	—	—	٧	٥٩٢

ولم ترس على شاطئ غزة أية سفينة بخارية منذ نشوب الحرب الحاضرة (١٩٣٩-١٩٤٣).

٤٠ — وأما السفر من غزة وإليها فانه يجري في يومنا هذا بواسطة السيارات بالدرجة الاولى والقطار بالدرجة الثانية . واجرة السفر بالسيارة الصغيرة (التاكسي) من غزة إلى يافا ٤٠٠ ملا وإلى بئر السبع وخان يونس ١٥٠ ملا وإلى المجدل ١٠٠ ملا وإلى القلوجة ٣٠٠ ملا . وبالسيارة الكبيرة (الباص) من غزة إلى يافا ٢٠٠ ملا

(١) يقال ان المعدل الوسط من محصول الشعير الذي كان يشحن من غزة في السنة كان لا يقل عن مليون كيلة . والكيلة عشرون كيلو . فتكون الكيلة المصدرة عشرون مليون كيلو . وفي سنة من السنوات التي سبقت الحرب الكبرى رسا على شاطئ غزة اربعون باخرة حملت إلى أوروبا ستين ألف طن من شعير هذه البلاد . انظر إلى الصفحة ٢٨٨ من هذا الكتاب .

وإلى بر السبع ١٠٠ ملا وإلى المجدل وخان يونس ٦٠ ملا وإلى الفالوجة ١٤٠ ملا .
وأما بالقطار فإن اجرة السفر من غزة إلى يافا بالدرجة الاولى ٧١٥ ملا وبالدرجة
الثانية ٤٧٥ ملا وبالدرجة الثالثة ٢١٥ ملا . وإلى المجدل وخان يونس بالدرجة الاولى
٢١٥ ملا وبالدرجة الثانية ١٤٥ ملا وبالدرجة الثالثة ٩٠ ملا . أما السكة الحديدية
فاتها ملك الحكومة . وأما السيارات الصغيرة فاتها ملك اصحابها من الفزين . وأما
الباصات فاتها لشركة منح وحدها حق تسيير الباصات في هذه المنطقة . اسمها
(شركة سيارات غزة والقرى الجنوبية المحدودة) ، ورئيسها السيد محمد ابو
رمضان . رأسمالها كان في تاريخ تأسيسها (١٩٣٣) اربعة آلاف سهم ، كل سهم
بجنيه واحد ، وأما الآن فقد بلغ خمسين ألف جنيه .

٤١ — في غزة مطار واسع انتهى عام ١٩٢٧ . وهو واقع قبلي (تل المنطار) .
ولقد كان مطار غزة هذا المطار الرئيسي لنقل البريد والركاب عن طريق الجو ، لا
في فلسطين وحدها بل وفي الشرق الاوسط كله . وكان ثمة حركة نقل وسفر واسعة
النطاق بين فلسطين وشرق الاردن وسوريا ومصر والعراق ولبنان وتركيا واوروبا .
والشركات التي كانت تقوم بتنظيم هذه الحركة هي :

- ١ — شركة الطرق الجوية الامبراطورية المحدودة Imperial Airways Ltd.
- ٢ — شركة الخطوط الجوية الهولندية للملكية K.L.M. Royal Dutch Lines
- ٣ — شركة الطيران المصرية Misr Airlines
- ٤ — شركة لوت (Lot) البولندية

وكانت هذه الشركات تقارن في الجو من حيث السرعة والنظافة والاتقان .
ووصل تنافسها في عام ١٩٣٥ حداً تضاعفت معه مواعيد السفر ، فجعلت اربع مرات
في الاسبوع بعد ان كانت اثنتين فقط . وكذلك قل عن الاجور ، فجعلت اجرة الراكب
بين غزة والقاهرة وبين يروت خمس ليرات .

ولما كانت غزة في مركز متوسط لنقل البريد بين البلدان المتقدم ذكرها فقد
كان البريد يأتي إليها من كل صوب ، ويوزع منها الى جميع الانحاء بسرعة (١)
وبأوقات منتظمة لا يتورها الخلل إلا نادراً . وظلت الحال كذلك حتى عام

(١) كان باستطاعة المرء ان يتناول الرسالة التي ترسل إليه مر اثناً مثلاً في سبع ساعات .

١٩٣٧ ، إذ اتى مطار اللد . فاحتل ذلك المطار المكان الأول الذي كان يحتله مطار غزة .

ونلاحظ اليوم ان مطار غزة وان كانت قيمته قد تضاعفت من هذه الناحية (أي من حيث ثقل البريد والركاب) إلا انه احتفظ بأهميته من الناحية العسكرية ، ولا سيما خلال الحرب الحاضرة (١٩٣٩-١٩٤٣) .

٤٢ — ان مساحة قضاء غزة ١١٩٦ كيلو مترًا مربعًا . ويعيش في كل كيلو متر مربع من الأرض مئة شخص من السكان تقريبًا . وهذه المساحة تحتوي على ١٠٦٠٩٨٣ دونمًا من الأرض ، وإليك تصنيفها من الوجهة الزراعية :

دونم		دونم	
٦٩٩٠٨٢٣	اراضي زراعية	١٥٥٠	مدينة غزة (اجبة)
٣٤١٨٤	اشجار حمضية	٦٤٣	مدينة المجدل (=)
١٠٤٧٩٢	اشجار فاكية (غير الحمضيات)	٥٠٠	مدينة خان يونس (=)
٤٢٨٤٣	اراضي غير مزروعة	٢٦٩٣	قرى غزة (=)
٢٠٠٠٠٠٠	اراضي رملية	١٩٩٥٥	مساحة الطرق والوديان

كانت أراضي غزة ، المدينة والقضاء معاً ، من الصنف المعروف بالمشاع . ولم تكن مفروزة قط . وكثيراً ما عانى اصحابها الآلام من اجل اثبات ملكيتها وتقسيمها ووزرها إلى ان اعترمت الحكومة القيام (بتسوية) عامة . وبدأت في اخراج عزمها هذا الى حيز الوجود في عام ١٩٢٨ . فسحقت هذه اولا على الطريقة المصرية ؛ ثم قسمت الى قطعات صغيرة ، فقسام صغيرة عرفت مساحة كل منها على التام ؛ وقد اتبع لكل إنسان ان يدي رأيه ويقول قوله كما سمح له — في حالة فقدان التمام — ان يتقاضى وخصمه أمام مأمور التسوية بمفاته القضائية ، وأمام (محكمة الاستئناف العليا) عند مسيس الحاجة . وعلى هذا النوال تمت تسوية الاراضي ، أو كادت ، في غزة نفسها وفي جميع أنحاء القضاء ولما يتقضى على البدء بها سوى خمسة عشر عاماً . فتري ان كل إنسان يملك أرضاً في غزة يعرف أرضه ، ويعرف مساحتها بالضبط ، ويعرف أيضاً كيف السبيل إلى استغلالها على احسن وجه .

٤٣ — ويشتمل قضاء غزة على مدينتين في كل واحدة منهما مجلس بلدي: غزة،

وخان يونس (١) ، ومدينة ثلاثة فيها لجنة بلدية (٢) هي الجبل ، وراجة فيها مجلس علي هي القالوجة (٣) .

وهناك ثلاثة وخمسون قرية تعتبر من أعمال قضاء غزوة وهي :

بربرة (٤) ، برقة (٥) ، بربر ، بطاني شرقي ، بطاني غربي ، بلبين ، بني سهيطة ، بيت جرجا (٦) ، بيت حانون (٧) ، بيت دراس ، بيت طيما ، بيت عفا ، بيت لاهيا (٨) ، تل الترمس ، جباليا ، جسير ، جلدية ، الجورة (٩) ، جولس ، الحية ، حنا ، حليقات ،

(١) عدد سكانها في يومنا هذا عشرة آلاف . فيها مجلس بلدى مؤلف من ستة اعضاء ، ورئيس هو السيد عبد الرحمن القرا .

(٢) تولى مؤلف هذا الكتاب رئاسة هذه اللجنة في عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ . وقد تولاهما من بعده السيد يوسف الشريف ومعه خمسة اعضاء . والجبل مدينة زراعية وتجارية وصناعية في آن واحد . انها مشهورة بمنتوجاتها الحريرية والنظنية والكتانية . فيها سبالة تولى مدار باليد .

(٣) قرية كبيرة بنوف عدد سكانها على السبعة آلاف . وفيها مجلس علي ذو عشرة اعضاء ، رئيسهم الشيخ محمد عواد من خريجي الأزهر بمصر .

(٤) ولد فيها الشيخ يوسف البربراي ، وهو من الرجال الصالحين . قال بغير الدين ان الشيخ يوسف هذا هو ابو الحسن يوسف البربراي . وهو من العلماء الأعلام في الفقه والتفريع .

(٥) فيها نلسي (برق) .

(٦) يعتقد الأستاذ (كليرمان فانو) ان هذا الاسم محرف وان اسله (بيت جرجه) وهي التي ذكرها باقوت ، وقال عنها انها قرية من قرى عسقلان .

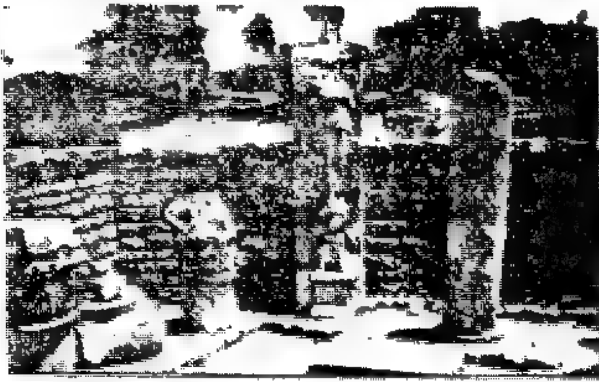
(٧) انها عاسة (حانون) ملك غزوة في عهد آشور . وهو الذى حالف المصريين ليتخلص من نير الآشوريين . غير انه قتل ، ووقع اسيراً في يد اعدائه .

(٨) ولد فيها ذاكر النبسي .

(٩) ويسمونها (جورة عسقلان) . كانت مروس سوريا . وقد جاء في الحديث

البوى : « طوى لمن سكن إحدى الروسين : غزوة وعسقلان » . ولقد اريق الكثير من دم المسلمين على اسوارها اثناء الفتح الاسلامي وانباء الحروب الصليبية . ولد فيها عسدد كبير من الادباء منهم واشهرهم القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اللخني العسقلاني كما ولد فيها الخليفة الفاطمي العسقلاني الملقب بـ (الحافظ لدين الله) . فيها آثار قديمة .

حماسة (١) ، خزاعة ، خصاص ، دمرة ، دير البلح (٢) دير سنبه، رفع، سلود (٣)
سكرير ، منسم ، سوافير شمالي ، سوافير شرقي ، سوافير غربي ، صميل، عبلدس (٤)
عبسان، هراق سويدان ، عراق المنشية ، القسطينة ، كراتيا ، الكونفة ، كوكبة ،
الحرقه ، المسية الكبيرة (٥) المسية الصغيرة ، نجد ، النزلة ، نعليا ، هريا (٦)
هوج ، بانور .



الوتار القديمة في عسقلان

وفي قضاء غزة عشيرة واحدة تدعى (ابو سويرح) يعيش قسم من افرادها بالجليل
ويوت الشعر ، والقسم الآخر في منازل مبلية من طوب الاسمنت والحجر الرملي ؛
ومنازلها قرية من وادي سكرير .

- (١) ولد فيها عبد الجبار الحشمى .
- (٢) ولد فيها ابو بكر البارون . وعلى مقربة منها خربة دائن التي بنيت فيها المعركة
الثانية بين الروم والعرب في الفتح الاسلامي تلك المعركة التي ابل فيها أبو اسامة الباهلي بلاءاً حياً .
- (٣) ان الصحابي المعروف عبدالله بن ابي سرح رضى الله عنه مدفون في هذه القرية .
- (٤) ولد فيها شهاب الدين أحمد بن عبدالله الكنانى .
- (٥) هناك خربة بالقرب من المسية الكبيرة تدعى (سناجية) اتخذها الصحابي
الجليل ابو قرصافة جندرة بن حبيشة مقاماً له ، حتى انها كانت تعرف بقرية ابي قرصافة (بلادنا
— فلسطين لمصطفى الدباغ) .
- (٦) ولد فيها محمد بن الفضل الطرى .

وفي قضاء غزة عشر مستعمرات يهودية هي التي نذكرها لك في البيان التالي .
وانك لتجد فيه تاريخ تأسيس كل واحدة منها ، ومساحتها ، وعدد سكانها في يومنا هذا :

العدد	اسم المستعمرة		سنة التأسيس	المساحة بالدونمات	عدد السكان
	العربي	العبري			
١	يار تيبيا (١)	באר טוביה	١٨٩٥	٤٧٠٠	٦٥٥
٢	غان يينا (٢)	גן-יבנה	١٩٣٣	٤٣٠٠	٤٥٠
٣	كفار بيسارون (٣)	כפר ביסרון	١٩٣٣	١٠٠٠	١٢٠
٤	تقبا (٤)	נגבה	١٩٣٩	٢٦٠٠	٢٤٥
٥	كفار واربورغ (٥)	כפר-ורבורג	١٩٣٩	٢٠٠٠	٢٠٠
٦	غات (٦)	גת	١٩٤١	٥٥٠٠	١٧٤
٧	دوروت (٧)	דורות	١٩٤١	٥٥٠٠	٢٠٥
٨	بحار — سمس	מחר שומשום	١٩٤٢	٤٠٠٠	٥٠
٩	نير حاييم	ניר-חיים	١٩٤٢	٢٣٠٠	٤٠
١٠	رامات هاشومرون (٨)	רמת השומרון	١٩٤٣	٦٠٠٠	٣٥
				٣٧٠٩٠٠	٢٠١٧٤

- (١) معناها (بئر خير الله) . وقد تضرع العرب فدمروها في اوائل الاحتلال . وانتشلت من جديد عام ١٩٣٠ .
- (٢) معناها (بيتان الحسكة) .
- (٣) معناها (القرية المحصنة) . كانت بادية ذي بدء مع غان يينا ثم انفصلت عنها عام ١٩٣٩ .
- (٤) معناها (إلى الجنوب) .
- (٥) نسبت الى (فيلكس واربورغ) أحد زعماء اليهود في امريكا .
- (٦) سميت على اسم (غات) الفلسطينية القديمة التي يعتقد انها بالقرب من هذا المكان .
- (٧) ان هذا الاسم يتكون من الاحرف الثلاثة الاولى للزعيم اليهودي (دوف هوز) وامرأته (رفة) وبنته (ترسة) .
- (٨) انها اول مستعمرة يقيمها اليهود اللذين .



مؤلف هذا الكتاب

يغتش مستمرة (قبا) وبجانبه مختارما
عن تنظيم هذا التعاون بالإضافة الى تدبير شؤون المستعمرة الاخرى : كشاريح
الماء والصحة والتعليم . وتنتخب هذه اللجنة من قبل سكان المستعمرة كلهم ذكورا
وإناثا . وعما يجدر ذكره في صدد هذا النوع من الاستعمار ان رب البيت نفسه يقوم
بجميع الاعمال التي تتطلبها مزرعته الخاصة . ولا يجوز له استخدام عمال من الخارج .
واما (غان بينا) فانها (موشاوا) מושבות اي انها تعيش على الجهود الفردي .
لكل امرئ من سكان هذه المستعمرة ملكه الخاص من أرض وحيوان وغفار .
وهو حر التصرف بملكه ومتجاته . وليس ثمة تعاون بين الافراد بالمعنى التقدم .
واما المستعمرات الاخرى فانها (كيونس) קיבוצים اي انها مؤسسة على الاشتراك
والتعاون بكل ما في هاتين الكلمتين من معنى . فليس ثمة ملك خاص إلا في النساء .
اما الأراضي فهي ملك الـ (كرت كابت) הקרן הקיימת לישראל واما
محصولها فانه ملك المستعمرة . وكذلك قل عن الطيور الداجنة ومتجاتها ، والنازل ،

أما الاولى والثالثة والخامسة فانها
(موشاوا) מושבות أي ان كل يهودي
يعيش في اية واحدة من هذه المستعمرات
الثلاثة يملك لنفسه ما يستطيع من الدور
والاراضي والحيوانات . غير ان سكان
المستعمرة يؤلفون (جمعية تعاونية)
تتولى شراء ما يحتاج اليه هؤلاء السكان ،
وجمع ما يتجونه من حبوب وبيض
والبان وما إلى ذلك ، وتخزن هذه
التوانج في مخزن واحد ، ثم تقوم
بتوزيعها في الاسواق الفلسطينية ،
وتوزيع اثمانها ، مع الربح ، على
اصحابها . ولكل واحدة من هذه
المستعمرات (لجنة ادارية) هي المسؤولة

والإبقار، والآلات الزراعية، والادوات المنزلية؛ وقصارى القول ان كل ما في المستعمرة من جراد ونبات هو ملك المستعمرة كلها، وليس يملك فرد من الافراد. والمستعمرة (لجنة ادارية) مسؤولة عن تدير جميع شؤونها، وهي منتخبة كافي المستعمرات الاخرى.

وهناك، فوق الجميع، (لجنة القضاء) ועד ישובי העובדים בדרום. وهي التي تدير الشؤون المشتركة لجميع المستعمرات اليهودية لا في قضاء غزة فحسب بل وفي جنوب فلسطين. انها تهتم بشؤون التغذية والتكوين والزراعة والاقتصاد والمواصلات والامن والسياسة. ولما كانت لها صفة عملية فهي التي تتولى الدفاع عن حقوق المستعمرات اليهودية لدى مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة. انها فرع من فروع (جمعية العمال الزراعيين) הסתדרות הפועלים החקלאים المعروفة باسم (الركز الزراعي) המרכז החקלאי التابع لقادة العمال العامة فلسطين. ويعمل الجميع تحت إمرة (الوكالة اليهودية) بالقدس.

ولقد قطعت المستعمرات اليهودية شوطاً لا بأس به في مضمار الرقي عن طريق التعاون والتنظيم المتقدم ذكرها: فهناك المدارس الابتدائية المختلطة (للذكور والاناث معاً)، وغرف القراءة، وبناتين الاطفال؛ وهناك مشاريع الري والمياه التي تدار بالآلات الميكانيكية وتصل إلى المنازل؛ وهناك الميادات الطبية وقبابات العمال. والمستعمرات المحس الاولى قضاء بالكهرباء. وفي كل من يارتميا وغان يينا بيت للشعب يدعونه (בית-עם).

٤٤ — يعيش في قضاء غزة في يومنا هذا ١٢٦٠٢٤٦ شخصاً. وقد كان هذا العدد في السنين القائفة كما يأتي: —

السنة	العدد	السنة	العدد
١٩١٢	٥٠٠٠٠٠	١٩٣٩	٩٦٠٥٩٦
١٩٢٢	٧٣٠٨٨٥	١٩٤٠	٩٩٠٩٠٦
١٩٣١	٩٤٠٦٣٤	١٩٤١	٩٨٠٥٢٠
١٩٣٨	٩٣٠١١٤	١٩٤٢	١٢٦٠٢٤٦

واليك تصنيف هؤلاء السكان بالنسبة إلى اديانهم: —

١٩٤٢	١٩٤١	١٩٤٠	١٩٣٩	١٩٣٨	١٩٣١	
١٢٣٠٥٢	٩٦٠٤٥٩	٩٧٠٩٠٤	٩٤٠٦٥٣	٩١٠٢٨٦	٩٣٠٣١٥	مسلمون
١٠٠٢٠	٩٩١	٩٤٥	٩١٥	٨٨٧	٨٩٧ ^(١)	مسيحيون
٢٠١٧٤	١٠٠٧٠	١٠٠٥٧	١٠٠٢٨	٩٤١	٤٢٢	يهود
١٢٦٢٤٦	٩٨٠٥٢٠	٩٩٠٩٠٦	٩٦٠٥٩٦	٩٣٠١١٤	٩٤٠٦٣٤	

وأما من حيث اللغات فقد تم تصنيف سكان قضاء غزة عام ١٩٣١ على الوجه التالي:

٢	الذين يتكلمون اللغة الجرجونية	٩٤١٥٠	الذين يتكلمون اللغة العربية
٢	الهندية	٤١٧	العبرانية
١	الفارسية	٢٨	الانكليزية
١	اليونانية	٢٣	الارمنية
١	الالمانية	٥	الكردية
		٤	التركية

وأما تصنيفهم بالنسبة إلى احوالهم الشخصية فهو كما يأتي :

اناث	ذكور	يكون	
٢٠٨٣٣	+	١٨٣٣٢ =	٣٩١٦٥ عدد المتزوجين
٢١٨٦٥	+	٢٧٧٠٠ =	٤٩٥٦٥ عدد العزاب
١٧٥	+	٧٦ =	٢٥١ عدد المطلقين
٤٩٢٩	+	٧٢٤ =	٥٦٥٣ عدد الارامل
٤٧٨٠٢	+	٤٦٨٣٢ =	٩٤٠٦٣٤

ان الوفيات في قضاء غزة ١٧٦ في كل الف . وهذه نسبة ، كما ترى ، كبيرة جداً . وهي تسترعي الانتباه . ولكي اعطيك فكرة عن الولادات والوفيات في القضاء اضع بين يديك الارقام التالية :

(١) من هذا العدد ٧٠٤ روم ارثوذكس و٥٦ لانين و٣٢ بروتستانت و٢١ ارمن كاثوليك و٦ روم كاثوليك و٣ اقباط و١ موارنة و٧٤ مذاهب اخرى .

١٩٣٨

وفيات			ولادات			
المجموع	اناث	ذكور	المجموع	اناث	ذكور	
١٩٩٧	٩٧٢	١٠٢٥	٤٨٩٥	٢٣٤١	٢٥٥٤	مسلمون
٦	٤	٢	٣٢	٢١	١١	مسيحيون
—	—	—	٢٤	٨	١٦	يهود
٢٠٠٣	٩٧٦	١٠٢٧	٤٩٥١	٢٣٧٠	٢٥٨١	المجموع

١٩٣٩

وفيات			ولادات			
المجموع	اناث	ذكور	المجموع	اناث	ذكور	
١٩٥٥	٩١٣	١٠٤٢	٥١١٩	٢٥٥٨	٢٥٦١	مسلمون
١٢	٦	٦	١٨	٦	١٢	مسيحيون
١١	٢	٩	٢٣	١١	١٢	يهود
١٩٧٨	٩٢١	١٠٥٧	٥١٦٠	٢٥٧٥	٢٥٨٥	المجموع

١٩٤٠

وفيات			ولادات			
المجموع	اناث	ذكور	المجموع	اناث	ذكور	
٣٧٣٦	١٩٣٨	١٧٩٨	٤٩١٢	٢٣٧٥	٢٥٣٧	مسلمون
١١	٤	٧	٢٩	١٤	١٥	مسيحيون
٧	١	٦	١١	٦	٥	يهود
٣٧٥٤	١٩٤٣	١٨١١	٤٩٥٢	٢٣٩٥	٢٥٥٧	المجموع

١٩٤١

وفيات			ولادات			
المجموع	اناث	ذكور	المجموع	اناث	ذكور	
٢٧٧٩	١٣٤١	١٤٣٨	٥٢٩٠	٢٥٤٥	٢٧٤٥	مسلمون
١٠	٦	٤	٣٣	١٨	١٥	مسيحيون
٥	٣	٢	٧	٣	٤	يهود
٢٧٩٤	١٣٥٠	١٤٤٤	٥٣٣٠	٢٥٦٦	٢٧٦٤	المجموع

٤٥ — هذا فيما يختص ببني آدم . وأما من حيث الحيوانات الأليفة والطيور الداجنة فإن في قضاء غزة ٤٩٣ رأساً من الخيل (١) و ٥٦١ من البغال و ١٣٠٣٨ من الخمر و ٤٩٩٧ من الجمال و ٧٥٧٤ من الماعز و ٢٧٠٦٢ من الضأن و ١٧٦٨٥ من الأبقار و ٤٣٦٠٠٠ من الطيور الداجنة .
منها في مدينة غزة نفسها ١١٧ رأساً من الخيل و ٦٣ من البغال و ٢٠٨٣ من الخمر و ٨٧٥ من الجمال و ٤٧٥ من الماعز و ٢٨١٠ من الضأن و ١٠٥٨ من الأبقار و ٣٣٠٠٠٠ من الطيور الداجنة .

٤٦ — وإليك نبذة مختصرة عن الضرائب والنظام المالي السائد الآن في غزة :
أُلغي النظام المالي التركي ، بطبيعة الحال ، بعد الاحتلال . وحل مكانه نظام مالي يجمع بين الأنظمة التركية القديمة والبادئ الانكليزية الجديدة . ولقد اجتاز هذا التغيير ادواراً عديدة لا مجال لبحثها هنا بالتفصيل . غير اني اجتزئ القول فاقول :
التي الانكليز بعد الاحتلال ويركو الاراضي وضريبة المسقفات واستبدلوها (١٩٢٨) بضريبة الاملاك في المدن . وهي ضريبة (١٠ / ٠) مبنية على قيمة الايجار الصافي السنوي للبيوت والاراضي الواقعة في المدينة . وتقوم بتخمينها لجنة مؤلفة من عدد من الموظفين وآخر من الأهليين .

غير ان البيوت المنخفضة الايجار التي يسكنها اصحابها فانها تفي من هذه الضريبة . وإليك بيان المبالغ التي فرضت على مدينة غزة وقضاها باسم ضريبة الاملاك في المدن منذ عام ١٩٣٥ :

عام	مدينة غزة	خان بونس والمجدل	المجموع	عام	مدينة غزة	خان بونس والمجدل	المجموع
ج . ف	ج . ف	ج . ف	ج . ف	ج . ف	ج . ف	ج . ف	ج . ف
١٩٣٥	١٦٥٤	٦٣٥	٢٢٨٩	١٩٣٩	٢٦٤٧	٨٩٢	٣٥٣٩
١٩٣٦	١٦٧٢	٦٣٢	٢٣٠٤	١٩٤٠	٢٨٥٤	٩٢٤	٣٧٧٨
١٩٣٧	١٦٩٠	٦١٤	٢٣٠٤	١٩٤١	٢٩٣٢	٩٢٨	٣٨٦٠
١٩٣٨	٢٠٥٧	—	٢٠٥٧	١٩٤٢	٣٤١١	٩٢٩	٤٣٤٠

وخفضوا ضريبة العشر اولا (١٩٢٥) إلى ١٠ بللثة ثم جلوها (١٩٢٧)

(١) إن خيل غزة مشهورة في فلسطين وفي جميع أنحاء الشرق الأدنى .

مبلغاً سنوياً مقطوعاً . وقد استندوا في تحديد هذا المبلغ على الاعشار المضمنة في السنوات الاربع التي سبقت تاريخ التقدير . واسموا هذه الضريبة (ضريبة العشر المستبدل) . وكانت هذه الضريبة أخف وطأة على المزارعين من التخمين . إذ انها مكنتهم من ازالة منتجاتهم الزراعية إلى السوق دون تأخير . ولكنهم لم يستفيدوا منها الاستفادة المطلوبة بسبب الحل من جهة ، وهبوط الاسعار من جهة اخرى .

وقد النوا ضريبة العشر المستبدل بحدوث ، واستبدلوها بضريبة اسموها (ضريبة الاملاك في القرى) ، وكان ذلك عام ١٩٣٥ . واستندوا في تقدير هذه الضريبة على الدخل الصافي أو الفائدة التي يجنيها الملاك من ارضه . وقد صفوا الاراضي إلى ستة عشر صنفاً وفرضوا على كل صنف منها ضريبة تتناسب مع قيمة الربح الذي يجني منها . فالضريبة مثلاً عن الدونم الواحد من الاراضي المزروعة اشجاراً حضية جلت ٨٢٥ ملا ثم خفضت إلى ٥٠٠ مل ؛ وعن الموز ٥٦٠ ملا ؛ وعن الاراضي التي تسقى بالماء والمفروسة اشجاراً شجرة من ٣٠ إلى ٤٠ ملا ؛ وعن الاراضي المستعملة لزراعة الحبوب من ٨ ملات إلى ٢٥ ملا . واستثبت بعض الاراضي من دفع الضريبة لقلة اتاجها وعدم فائدتها . ولقد ضوعفت هذه الضريبة في عام ١٩٤٣ بسبب ظروف الحرب . وإليك بيان المبالغ التي فرضت على مدينة غزة وقضاها باسم ضريبة الاملاك في القرى مذ وضعت موضع التنفيذ :

عام	مدينة غزة	قرى غزة (١)	المجموع جنه فلسطيني
١٩٣٥	٣٥١٨	١٤٠٥٠	١٧٥٦٨
١٩٣٦	٣٧١٢	٢٨٠٥٨	٣١٧٧٠
١٩٣٧	٥٨٧٩	٢٨٨١٦	٣٤٦٩٥ (٢)
١٩٣٨	٣٧٦٤	١٩٧٦٩	٢٣٥٣٣
١٩٣٩	٣٦٦١	٢١٠٧٤	٢٤٧٣٥
١٩٤٠	٣٧٣٨	٢١٤٨٦	٢٥٢٢٤
١٩٤١	٤٠٩٠	٢١٨٢٢	٢٥٩١٢
١٩٤٢	٤١٨٨	٢٢٧٥٤	٢٦٩٤٢

(١) تشمل هذه الأرقام ضريبة الاملاك في القرى المجموعة من خانيونس والمجدل والقالوجة أيضاً .
(٢) يبلغ مجموع ما جني من فلسطين كلها من هذه الضريبة سنة ١٩٣٧ (١٢٨٦٩٨٠ جنه) .

وأما ضريبة الحيوانات التركية فقد بقيت في عهد الاحتلال الانكليزي على ما كانت عليه قبلا . أي انها تجبي عن الاغنام (ماعز او ضأن) بنسبة ٤٨ ملا عن الرأس الواحد وبالجمال المعدة للثقل بنسبة ١٢٠ ملا عن الجمل الواحد وبالخنازير بنسبة ٩٠ ملا عن الخنزير الواحد . ويعفى منها الحملان ، والجمال المعدة للحراث . وقد بلغت هذه الضريبة التي جمعت من غزوة وقراها خلال الاعوام الاخيرة المبلغ التالي :

عام	جنيه	عام	جنيه	عام	جنيه	عام	جنيه
١٩٣٥	٦٠٠	١٩٣٧	٢٩٢	١٩٣٩	٦٠٩	١٩٤١	٧٤٥
١٩٣٦	١٠١١	١٩٣٨	٦٩٢	١٩٤٠	٦٣٤	١٩٤٢	٦٢٥

وقد ألغيت التجهيزات العسكرية بعد الاحتلال الانكليزي ، وألغيت ضريبة صيد الاسماك . كما ألغيت (ضريبة التمتع) التركية . إلا أن الانكليز عادوا يفرضوا في عام ١٩٤١ ضريبة من جنسها اسموها (ضريبة الدخل) . وهي تستند على تقدير قيمة الارباح الصافية التي يجنيها المرء من عمله خلال السنة التي تسبق سنة التقدير . فيخصم من هذه الارباح لمعيشته ٢٠٠ جنيه ولامراته ١٠٠ جنيه ولولده الاول ٤٠ جنيه والثاني ٣٠ والثالث ٢٠ والرابع ١٠ . هذا إذا كان متزوجا . وأما إذا كان أعزبا فلا يخصم له سوى ٢٠٠ جنيه عن نفسه و ٥٠ جنيه عن يعيش في كنفه ويتفق عليه من ماله الخاص . وبعد أن نخضع هذه المبالغ من مجموع الربح الصافي تفرض ضريبة الدخل على المبلغ الباقي وذلك بالنسبة التالية :

عن كل جنيه من	الاربمئة جنيه الاولى	٥٠ ملا
عن كل جنيه من	الاربمئة جنيه التالية	٧٥ ملا
عن كل جنيه من	الاربمئة جنيه التالية	١٢٥ ملا
عن كل جنيه من	الاربمئة جنيه التالية	٢٠٠ مل
عن كل جنيه من	الخمسمئة جنيه التالية	٣٠٠ مل
عن كل جنيه من	الخمسمئة جنيه التالية	٤٠٠ مل
عن كل جنيه من	المبالغ الباقية	٥٠٠ مل

ولقد قام مؤلف هذا الكتاب في السنة الاولى (١٩٤١) التي وضع فيها هذا

القانون موضع التنفيذ بتقدير دخل العزيزين الذين يشملهم القانون فبلغت الضريبة التي جبت منهم ٥٠٠ جنيه فلسطيني ، وفي السنة الثانية (١٩٤٢) ستة آلاف جنيه .
ولقد ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب شيئاً عن العملة التركية ، وعن الأدوار التي مرت عليها . فلما انهزم الاتراك واحتل الانكليز البلاد (١٩١٧) القوا النقد التركي واحلوا مكانه النقد المصري . وفي عام ١٩٢١ جعلوا النقد القانوني مؤلفاً من الليرة الذهبية المصرية ، والنقد الورقي للمصري ، والمسكوكات الفضية والنكالية المصرية ؛ والليرة الانكليزية الذهبية (بسعر ٩٧٠٥٠ من القروش المصرية) .
واستبدل النقد المصري بنقد فلسطيني عام ١٩٢٧ ، وسحب النقد المصري شيئاً فشيئاً من البلاد . والنقد الفلسطيني هو الآن عبارة عن اوراق نقدية (ذات خمسمائة مل ، وجنيه واحد ، وخمسة جنيهات ، وعشرة ، وخمسين ، ومئة) ؛ ومسكوكات فضية (ذات خمسين ملا ، ومئة مل) ؛ ومسكوكات نكالية (ذات خمسة ملات ، وعشرة ملات ، وعشرين ملا) ؛ ومسكوكات نحاسية (من فئة مل واحد ومليون) .
وتستبدل الاوراق النقدية على سعر كيبو الليرة الاسترلينية الانكليزية .
والليرة تقسم إلى ألف مل . وكثيراً ما يستعمل الناس لفظة (القرش) بدلا من قولهم عشرة ملات و (التعريف) بدلا من الخمسة ملات .

٤٧ — ولنبحث الآن عن غزة من ناحية الحكومة وتشكيلاتها : فمدينة غزة هي مركز اللواء المعروف بلواء غزة . وهو أحد الألوية الادارية الستة (١) التابعة لحكومة فلسطين :

وفلسطين كما تعلم من البلاد التابعة للاستداب الانكليزي . يديرها مندوب سام وضعت الدولة المنتدبة بريطانيا العظمى . ويساعده في ادارته مجلسان : مجلس استشاري ، وآخر تنفيذي . وجميع اعضاء هذين المجلسين بريطانيون يعينون رأساً من وزارة المستعمرات بلندن . فالمندوب السامي الحالي هو السير هارولد مكايكل Sir Harold Alfred Mac Michael G. C. M. G., D. S. O. ، وحاكم لواء غزة هو المستر ادوارد بلارد ، High Commissioner For Palestine .

(١) وأما الألوية الأخرى فهي : لواء القدس : يتبعه اقصية القدس ، ورام الله ، وبيت لحم ، والخليل . ولواء حيفا : يتبعه اقصية حيفا ، وعكا . ولواء الجليل : يتبعه اقصية الناصرة ، وطبريا ، وصفد ، وبيسان . ولواء الباصرة : يتبعه اقصية نابلس ، وجنين ، وطولكرم . ولواء اللد : يتبعه اقصية يافا ، والرملة .

وأما أقسام القضاء فانه مؤلف هذا الكتاب ، وزميله اسحق افندي النشاشيبي . الاول للشؤون الادارية ، والثاني للمالية . وهناك مساعد لحاكم اللواء هو اللورد او كسفورد .



حاكم لواء غزة المستر بلارد

فالحكومة في غزة مؤلفة في يومنا هذا من مصالح كثيرة منها : الادارة ، البوليس والسجون ، المعارف ، العدلية ، الشرعية ، الاشغال العامة ، الصحة ، الزراعة والاسماك ، السيطرة ، البرق والبريد ، الجمارك ، الآثار ، الحراج والغابات ، الطيريات المدني ، الطابو ، تسوية الاراضي ، مساحة الاراضي ، ضريبة الدخل ، تخمين المزروعات . وهناك مصلحتان جديدتان انشئت بسبب الحرب الحاضرة ، وهما : دائرة المؤن ، والوقاية من الغارات الجوية .

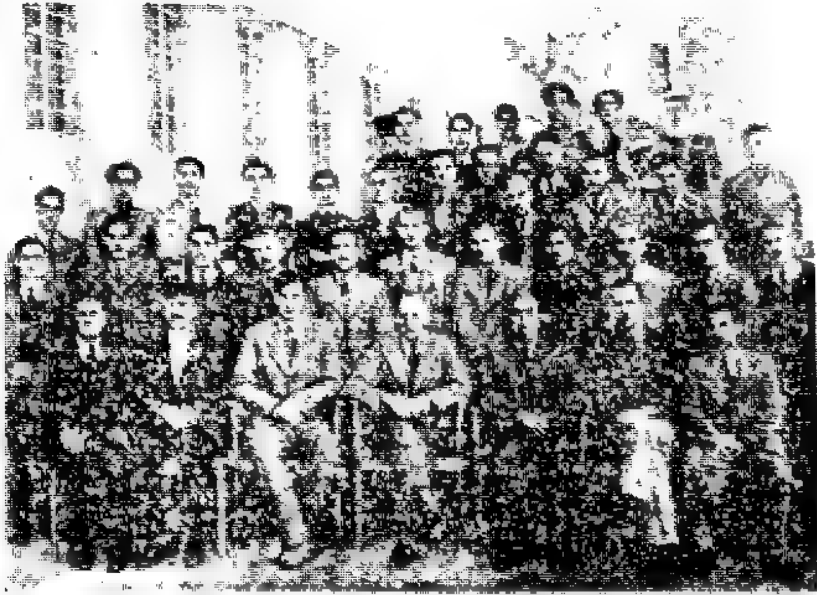
وفي المصالح المتقدم ذكرها كلها عدد من الموظفين بلغ عددهم عند تأليف هذا الكتاب ٢٧٧٥ منهم ٣١ من ذوي الرتب العليا (١٩ انكليز و ١٢ عرب) و ٢٤٣ من ذوي الرتب الدنيا (١٣ انكليز و ٢٣٠ عرب) و ٢١٩٣ آثار بوليس (١٣٠ انكليز و ٢٠٦٣ عرب) و ٣٠٨ خدامون (كلهم عرب) ويتقاضى هؤلاء رواتبهم من خزينة الدولة . فقد بلغ مجموع هذه الرواتب عند جمع هذه المعلومات (١٢٨١٣٢٩) جنيه فلسطينياً ، كما ترى ذلك في البيان التالي :

بيان عدد الموظفين المستخدمين لإدارة قضاء غزة (١٩٤٣) .

تسلسل	اسم المصلحة	عدد الموظفين				مجموع الرواتب السوية جنيه فلسطيني
		الرتب العليا	الرتب الدنيا	الجنود والخدم	المجموع	
١	الإدارة	٤ (١)	٢٨	٨	٤٠	٧٦٤٠٠
٢	البوليس والبعوث	١٤	٢٠	٢٦٦٦	٢٥٠٠	٨٨٦٨٠٠
٣	المصارف	—	٢٤	٥	٢٩	٤٦٠٠٠
٤	العسكرية	١	٤	٣	٨	١٠٤٢٠ (٢)
٥	الضريبة	١	٣	٢	٦	٩١٦
٦	الاشغال العامة	٢	٢١	١	٢٤	٤٦٢٠٨ (٣)
٧	الصحة	٢	٢٣	١	٢٦	٣٦٩٦٠ (٤)
٨	الزراعة والاسماك	١	٤	١	٦	٨٦٣ (٥)
٩	البيطرة	١	٤	١	٦	١٦٠٠٠
١٠	البرق والبريد	١	٢٠	٢	٢٣	٣٦٨١٦ (٦)
١١	النجار	—	١١	—	١١	١٦٢٦٠
١٢	الآثار	—	١	—	١	٦٠
١٣	الحراج والغابات	—	١٣	١	١٤	٧٩٠
١٤	الطيران المدني	—	١	—	١	٣٦
١٥	الطاسو	١	٧	١	٩	١٦١٨٠
١٦	تسوية الاراضي	١ (٧)	٣	٤	٨	٢٦٠٠٠
١٧	مساحة الاراضي	—	١٦	١	١٧	٢٦٢٩٠
١٨	ضريبة الدخل	—	١	—	١	٨٠
١٩	مراقبة المون (٨)	٢	١٢	٣	١٧	٣٦٠١٠
٢٠	تخمين المزروعات	—	١٥	—	١٥	٨٠٤
٢١	الوقاية من الفئران الجوية	—	٢	١	٣	٤٣٦
		٣١	٢٤٣	٢٥٠١	٢٧٧٥	١٢٨٣٢٩ (٩)

- (١) اثنان من ذوي الرتب العليا انكليزي
(٢) لا يدخل في هذا البند رواتب المحكة المركزية التي تقيم في يافا والتي تزور غزة كلما سمحت الحاجة . وكذلك قل عن القاضي البريطاني .
(٣) لا يشمل هذا البند العمال المؤقتين وخدمات الاشغال وللشوارع العامة . .
(٤) يشمل هذا البند رواتب الممرضات وخدمات المستشفى .
(٥) لا يشمل هذا البند العمال المؤقتين .
(٦) هذا عنا اجور العمال اليومية . مفتش الخطوط انكليزي من ذوي الرتب العليا .
(٧) رئيس هذه الدائرة انكليزي .
(٨) يقوم على رأس هذه المصلحة موظف يتناول راتبه من الادارة وهو انكليزي ، وكذلك قل عن مساعده ، واما من ذوي الرتب العليا .
(٩) هذا هو مجموع الرواتب السنوية فقط . ولا يشمل النفقات السفرية التي يتقاضاها الموظفون في رحلاتهم الرسمية .

إن مصلحة الإدارة وإن كانت لا تزال ، كما كانت في اليهود الفائرة ، تشغل المقام الأول بين المصالح المتقدم ذكرها من حيث الأهمية ، إلا أنها لا تمتع بنفس النفوذ



موظفو الإدارة في غزة^(١)

(٣١ آذار عام ١٩٤٣)

(١) الصف الأول من اليمين إلى اليسار : ١ — بشارة اسحق الصايغ مساعد رئيس الديوان . ٢ — والتر جوردن مارزدن السكرتير الخاص لحاكم اللواء . ٣ — عارف الحارثي قائمقام القضاء . ٤ — إدوارد بلارد حاكم اللواء . ٥ — إيلير أوف أكسفورد واسكوت مساعد حاكم اللواء . ٦ — كمال عبد الرحيم عيسى مدير المال . ٧ — حكمت صليبا الخوري رئيس الديوان .

الصف الثاني من اليمين إلى اليسار : ١ — عبدالله محمود زيد الكيلاني كاتب في دائرة المالية . ٢ — نؤاد شكرى مساعد كاتب في دائرة المالية . ٣ — نور الدين زكي أبو السعود كاتب في دائرة المالية . ٤ — وصفي طاهر أبو غزالة كاتب في دائرة المالية . ٥ — حمدي حسني المتجاوي كاتب في دائرة الجمعيات التعاونية . ٦ — بهجت عطا سيك كاتب ضريبة الدخل . ٧ — خضر عبد المجيد أبو رمضان مساعد أمين الصندوق . ٨ — جورج تحولا بيوك أمين الصندوق . ٩ — حسن علي نصر الله كاتب في قسم الإدارة . ١٠ — سعيد ادب كويك كاتب في قسم الإدارة . ١١ — فهم سابع كاتب في البوليس . (انظر الى الهامش في الصفحة التالية)

الذي كان لها في السابق . إذ أن المصالح الأخرى تربط برؤسائها ومديريها الذين يقيمون في القدس عاصمة البلاد . ثم تأتي مصلحة البوليس والسجون ، فإن في غزة قوة نظامية من البوليس مجموع أفرادها ألف وخمسة رجل بين ضابط وشاويش واوباشي ونفر بسيط . ووظيفة هذه القوة حفظ الأمن في القضاء . وهناك قوة إضافية أخرى مجموع أفرادها ألف رجل . وقد انشئت هذه بسبب الحرب (١٩٣٩م) لاجل خفارة معسكرات الجيش والقطارات وما إلى ذلك .

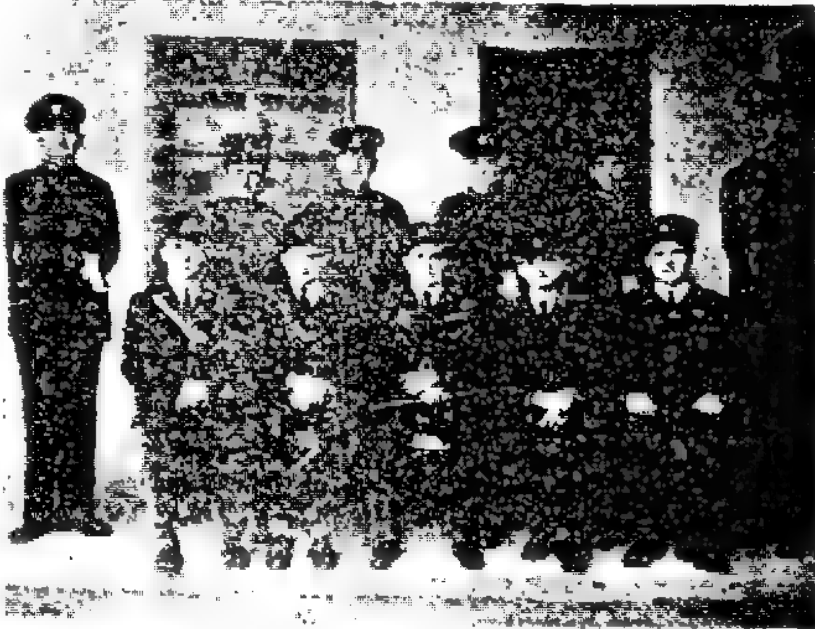
وهناك قوة ثالثة من البوليس المخصوص في المستعمرات اليهودية مجموع أفرادها خمسة رجل . ومهمة هذه القوة حراسة المستعمرات اليهودية . وم يهود ، يتقاضون رواتبهم من الوكالة اليهودية ، وتزودهم الحكومة بالإسلحة والعناد . وفي غزة ضمتها من القوة النظامية ثلاثمائة رجل ، ينتمون إلى الرتب التالية :-

المجموع	عرب	انكليز	
١٧	٤	١٣	ضابط
١٧	٤	١٣	شاويش
٣	٣	—	اوباشي
٢٦٣	١٣٣	١٣٠	جندي
٣٠٠	١٤٤	١٥٦	

الصف الثالث من اليمين إلى اليسار : ١ — محمد عبد رجب سائق سيارة حاكم اللواء . ٢ — مليا افضو اللداوي العامل على الآلة الكاتبة في دائرة الاشغال . ٣ — أسد اسماعيل حسنة كاتب في قسم الادارة (فرع المويات) . ٤ — جورج قسطندي فقة كاتب في دائرة المالية . ٥ — فوزي فهمي ابو شعبان كاتب موقت في قسم التخزين . ٦ — محمد سليم فروانة كاتب موقت في قسم التخزين . ٧ — ابراهيم مليا ساجا كاتب في قسم الادارة . ٨ — رؤوف كامل شعير كاتب في قسم الادارة . ٩ — بديع جبرا شعير كاتب موقت في قسم المالية . ١٠ — عمر مصباح حرزافه كاتب موقت في قسم الادارة . ١١ — محمد فياض ابو غزالة كاتب في قسم الادارة .

الصفان الاخيران من اليمين إلى اليسار : ١ — جيل كامل عبور آذن في دائرة حاكم اللواء . ٢ — مشيل غالي شعير كاتب في دائرة المالية . ٣ — نبيه هاشم الهباش آذن . ٤ — محمد سليم صيام آذن . ٥ — حمدي سليم فروانة كاتب موقت في قسم التخزين . ٦ — عمر محمد اللدن عامل على التلفون . ٧ — محمد سعيد عطافه آذن . ٨ — رباح محمد كميل كاتب موقت في دائرة المالية . ٩ — عدنان كامل المباشر كاتب موقت في قسم التخزين . ١٠ — شكري ابو هويدي عامل في دائرة المساحة .

وهناك خمس (نقاط بوليس) تعمل في المجدل ، وخان يونس ، والجورة ،
وعراق سويدان ، والبطاني . وتقيم هذه النقاط في عمارات ضخمة يسمونها عمارات
تيفارت Tegart بالنسبة إلى موجدتها البرتشارلس تيفارت الذي استحضرتة الحكومة
لستشيرته في انجع الوسائل لقمع الثورة عام ١٩٣٨ . وقد بنيت هذه من الامتنت المسلح .



(١) ضباط البوليس بفرقة

(٣١ آذار عام ١٩٣٤)

-
- (1) 2nd Police Inspector — Saleh Arif Azzouka M.B.E.
A.S.P. Roy Vincent Fracis Turner
D.S.P. Cecil Vernon Shepherd Tesseyman D.C.M.
A.S.P. Arthur Stacy Barham
British Inspector Laurie Henfrey O.S.M.
British Constable Hermon John Clark O.S.M.
Palestinian Const. Mohd Hafiz Filfil
British Sergeant John David Bevan O.S.M.
British Sergeant Harry Lauder Cassels O.S.M.
Palestinian Sergeant Jabra Eissa Shuheibar
British Constable John Joseph Walsh. O.S.M.

وهناك تسع نقاط لحفر السواحل في غزة ، ودير البلح ، وخان يونس ، ورفح ، ووادي غزة ، والجورة ، ، وهريريا ، وحمامة ، والنبي يونس .

وتعمل هذه النقاط تحت إمرة المركز العام للبوليس في غزة . والتعاضد على زمام هذا المركز ضباط انكليز يرأسهم نائب مدير بوليس اللواء ويسمونه Deputy District Superintendent of Police وكثيراً ما يرعونون إليه بهذه الأحرف الثلاثة D. D. S. P. وهذا يرجع بالمشورة إلى مفتش البوليس والسجون العام بفلسطين ، ومركزه القدس .

وإليك عدد الحوادث الخلة بالأمن التي اطلع البوليس عليها خلال السنوات التالية:

سنة	عدد	سنة	عدد	سنة	عدد
١٩٣٢	٦٥٠	١٩٣٦	٥٨٢	١٩٤٠	٩٦٣
١٩٣٣	٤٥٠	١٩٣٧	٦٤٦	١٩٤١ ^(١)	١٤٤٦
١٩٣٤	٣٩٩	١٩٣٨	٥٧١	١٩٤٢	١٩٥٠
١٩٣٥	٣٩٣	١٩٣٩	٦٩٥	١٩٤٣	٢١١٥

ولقد عقد موظفو الحكومة من الدرجة الثانية في مطلع عام ١٩٤٣ اجتماعاً ترأسه مؤلف هذا الكتاب وألفوا نقابة اسموها (نقابة الموظفين) . وكانت أول عمل قامت به هذه النقابة تأسيس (جمعية تعاونية) الناية منها تموين للموظفين . وفتحت الجمعية مخزناً تعاونياً بدأ العمل فيه في ١٨/١/١٩٤٣ . وبعد ان كان رأس مال هذه الجمعية اربعمئة وخمسين جنيهاً ، وكان عدد الاعضاء لا يزيد عن مئة وخمسين مساهماً (ثمن السهم الواحد ثلاثة جنيهات) قفز رأس المال في شهر واحد إلى ألف ومئتين وخمس وثمانين جنيهاً وأصبح عدد الاعضاء ثلاثمئة وخمسا واربعين . وها هي جمعية الموظفين التعاونية تمد من كبريات الجمعيات التعاونية العربية في فلسطين . تديرها لجنة (انظر الى الصورة التالية) مؤلفة من : عبد الحائق يغمور ، محمود شراب ، حكمت الحوري ، عارف العارف ، ودبيع خوري ، وصني ابو غزالة ، ابراهيم حبيب .

(١) ازداد عدد الجرائم خلال هذه السنة والسنوات التي تلتها سبب كثرة الترياء واللاجئين والمال الذين استخدمهم الجيش الم رابط في غزة بسبب الحرب .



غابة الموظفين بغزة

(٣١ آذار عام ١٩٤٣)

وقبل ان نغتم هذا الفصل الذي خصناه لبحث (غزة في يومنا هذا) نرى لزماً علينا ان نقول ثلاث كلمات : واحدة في (اخلاق الفريزين وطبائهم) والثانية في (ملابسهم وازياتهم) والثالثة في (اعيادهم ومواسمهم) فنقول :

٤٨ — اخلاقهم متباينة . قد تجد بينها ، ابها القاريء الكريم ، ما يرضيك وما لا يرضيك . او قد تجد وصفاً يناقض الوصف الذي انطبع في مخيلتك لرجل من الرجال او حادثة من الحوادث التي مرت بك في غزة . فرجائي إليك أن لا تتسرع في الحكم فتتهمني بقصر النظر واخفاء الحقيقة . إذ لا بد وانك تسلم معي : ان لكل قاعدة شواذ ، وان الحكم يكون بنسبة الشيوع ، وان النادر لا حكم له . هذه هي القاعدة التي وضعتها نصب عيني عندما شرعت في تدوين هذا الفصل . أما الشائع عن اخلاق الفريزين فهو الكرم (١) ، والتجدة (٢) وحفظ الجوار ،

(١) قد يظن الفري على نفسه وعياله بالقيء الكثير مما تملكه يده . لكنه يهود بالقيء الكثير من ذلك في سبيل ضيفه ، ولا سيما إذا كان هذا هرياً .
(٢) اذا قصده في امره ، لبك . ولا يردك خائباً مادام في مقدوره ان يرضيك .

والصبر (١) ، والشجاعة (٢) ، والوفاء ، وعدم القدر ؛ تلك الصفات التي اشتهرت عن العرب بوجه عام . غير ان الذين يتحلون منهم بالحلم ، تلك الصفة التي امتاز العرب بها ، فإنهم قليلون . فقد دلفي الاختبار على ان اكبرهم حادو المزاج ، سريعو الغضب . ومن آثار غضبهم هذا انهم كثيراً ما يخلفون بالطلاق . كما انهم يحبون للانتقام ، والأخذ بالثأر . حتى انهم لا يقيمون مأتماً على قتلهم قبل ان يثأروا لانفسهم ، ويقتلوا من قتلهم أو يقتلوا واحداً من اهلهم . وهم احزاب وحاميل وصفوف . وفيهم ، من هذه الناحية ، أثر من آثار العصبية الجاهلية .

ولا بد ان تدرك فيهم هذه الخلقة عند ما تنظر إلى لون بشرتهم القمحية ، وشعرهم الكستائي ، وعيونهم السود .

غير ان احزابهم لا يقتلون ، ولا يذهبون مذاهب بعيدة في السب والشتم والطعن كما هي الحال في الانحاء الشمالية في فلسطين . قد يصل التنافس إلى اشده بين الزعماء يوم تنور معركة الانتخاب مثلاً ، او يقع الجدل في حادثة من الحوادث ؛ فتقوم كل عائلة تناضل عن كيانها وتؤمن مصالحها . لكن ذلك كله يقف عند حد القول او الكتابة او الاجتماعات التي يكثر فيها القيل والقال . فلا قتل ، ولا اغتيال ، ولا حرق بيادر ، ولا قطع اشجار ، ولا تسميم ابقار ، ولا ما يهزونون .

انهم يمارون على دينهم وعرضهم وشرفهم . اكثرهم متدينون . بذلك على ذلك كثرة الجوامع والمساجد في غزة ، وعلساء الدين الكثيرون الذين انجبتهم غزة . ولكنهم ، في نفس الوقت ، ميالون للزهوة واللهو والطرب . مثلهم في ذلك مثل الشاعر النابغة :

ولله مني جانب لا اضيعه والله مني والخلاعة جانب

(١) لهم فيه الماع الطويل . وقدماً قبل عنهم انهم اهل صبر وجلد . لقد انخرطوا في تلك الجندية في العهد التركي ، وتفرقوا . وهدمت منازلهم اثناء الحرب الكبرى ، فهجروها ، وما كادت الحرب تضع اوزارها حتى رجعوا إليها ، ومهروها . ولا يخلو دور من ادوار التاريخ لم يصب فيه الغزيون بنوع من انواع الاذى والعذاب . ولكنهم والحق يقال صبروا على ذلك كله صبر السكرام .

(٢) انها من ابرز صفاتهم . انهم شجعان ، قووي البأس ، شديدي المراس . والمتفقد منهم ورثوا هذه الخلقة بسبب الحروب الكثيرة التي المت بديارهم على مر الأعقاب . ويقال انهم هم الذين خاف بنو اسرائيل بطنهم ، يوم قال هؤلاء لموسى : (ان فيها قوماً جبارين) .

عرضهم مصان . شأنهم في ذلك شأن العرب بوجه عام . ما سمعت بخوادث (الزناء) بينهم إلا نادراً . والنادر لا حكم له .

غير ان (تعدد الزوجات) عادة شائعة . ومن يدري ؟ لعل هذه العادة نفسها هي التي صانتهم عن التردّي في مهاوي الزناء .

مولعون بتدخين التبغ والتبناك . وأما الخشيش والكوكايين والمخدرات الفتاكة الأخرى فلا يستعملها منهم سوى افراد قلائل ينتمون إلى طبقة العمال . وأما الذين يتعاطون تجارة هذه المخدرات منهم فكثيرون . ولهم في ذلك حيل - واسمة تفوق الحيل السائدة في البلاد الأخرى .

عندهم ميل شديد للعلم . ويتهافون على للدارس ودور العلم . وعسدد الشبان المتقنين كل يوم في ازدياد . وكذلك قل عن البنات المثقات . غير ان الامية لا تزال سائدة ولا سيما بين طبقات العمال والصناع والزارعين والطاعنين في السن منهم .

ولما كان التعليم في مدارس الحكومة لا يرمي إلى اهداف فنية ، سواء أكان ذلك من الوجهة الزراعية ام من الناحية الصناعية ، فإنك تجد للتعليم منهم يميلون إلى الانخراط في سلك التوظيف ، والاستخدام في مصالح الحكومة ودواوينها أكثر من أي عمل آخر من الأعمال الحرة .

كانوا حاذقين في تربية الخيل وركبها ، وكان للخيل عندم المقام الأول . غير ان هذا الليل قد تضاءل مع الأيام بسبب اختراع السيارات وانتشار وسائل النقل المختلفة في البلاد .

من أحسن خصالهم (البشاشة) وهذه في نظرهم خير من القرى . ما اجتمعت إلى غري مرة إلا وكان بشاكاً . ومن يدري لعل في قلبه من الملم حين يلاقيك ما لا يقدر عليه بشر ؟ غير انه لا يريك ما في قلبه ، ولا يشكو إليك همه إلا إذا ألححت في السؤال .

(عيادة المريض) والاستفسار عن صحته فرض لازم في نظرهم . ولا يمكن أن يعودوا مريضاً دون أن يحملوا إليه هدية يسمونها (مطلة) . وقد تكون اللطلة تبغاً ، أو سكرآ ، أو فاكهة ، أو نوعاً من الحلوى ، أو ما إلى ذلك . غير انهم يتشاءمون من زيارة المريض في أيام السبت والأربعاء . وإذا مات المريض دعوا اهله لتناول الطعام

في منازلهم ، وارسلوا للنساء من أهل بيته طعامهن . ويدوم الحال على هذا للنوال بضعة أيام ، وفي بعض الاحيان بضعة شهور . وقد يتناسى الاعداء ما بينهم من غل وحقد فيتزاورون في الآثم . لا ، بل يدعون اعداءهم لتناول الطعام في منازلهم فبزول عن هذه الطريق ما في القلوب من غل وحقد .

ومن العادات الشائعة في غزة الاكثار من زيارة القبور ، حتى ان مساعي الصالحين في هذا الباب ذهبت هباء منثوراً . ولم ينجحوا في مساعيهم التي بذلوها لأجل اقناع الغزيين للمدول عن هذه العادة . وكانت هناك عادة سقيمة اخرى ، لكنها زالت في هذه الايام أو كادت ، ألا وهي استئجار الناعثات من النساء ، ليكون على البيت .

يكرهون في الزواج ، ويتهادون (التقوط) في الاعراس . والتقوط معروف في الطهور ايضاً ، والولادة ، والرجوع من الحج . وعادة للمسلمين في ذلك كمادة للمسيحيين عند العمد (أي التنصر) .

وهناك عادات وطباع اخرى لا تمتد إلا قليلا عن العادات والطباع المنتشرة بين سكان فلسطين الآخرين لم تر فائدة في تدوينها .

٤٩ — لفزة ، كما لكل صقع آخر من اصقاع العالم ، زبج خاص بها يلائم بيتها . فهي واقعة في الجنوب الغربي من آسيا ، وتعتبر من ضمن المناطق المعتدلة . ولذلك يرتدي اهلها الأزياء التي تلائم الجو الذي يسود هذه المناطق عادة . ومع ذلك فإن هذه الأزياء ليست على شكل واحد بين جميع الطبقات . بل انها على اشكال تختلف بنسبة اختلاف السكان من حيث ذهنيتهم ومبلغ رقيهم وطبيعة العمل الذي يقومون به . انظر مثلاً : ان الفباز (١) منتشر بين طبقات العمال والصناع واصحاب المتاجر الصغرى . فترام يرتدونه ، ويتمنطقون من فوقه بالحزام المصنوع من الجلد او الصوف او الحرير او القطن ، ويلبسون فوق ذلك المعطف القصير (٢) او المعطف الطويل (٣)

(١) رداء طويل يشطر من الامام شطراً من أعلاه إلى أسفله ويصنع من الحرير الأصلي والناتق ، أو من الروزة ، أو من الصوف ، أو القطن ، أو الكتان ، وبالألوان عديدة .

(٢) ويقال له في بومنا هذا (الجاكنة) في لغة العامة .

(٣) ويقال له في بومنا هذا (الباطو) أو (الكبود) في لغة العامة .

وفي بعض الأحيان يلبسون (العباءة) أيضاً ، وذلك عند اتجاههم إلى الراحة من العمل أو قيامهم بزيارة . وقد يكتسبون العباءة فوق التميز مباشرة ومن غير معطف . وأما أبناء الطبقة الراقية ، وأغلبهم مثقفون تقيفاً عالياً ، فانهم يلبسون (البذلة) الأوروبية المؤلفة من الجاكيت والبنطلون والصدرية والقميص وربطة الرقبة . فتكاد لا تميز بينهم وبين أبناء الطبقات الراقية عند أية أمة من الأمم المتقدمة من حيث النظافة والأناقة والدق والمهندام .

وكذلك قل من غطاء الرأس فهو يختلف عندهم بالنسبة لاختلاف الذهنية ومبلغ الرقي . فثمة من يلبس الطربوش المغربي ، مشدوداً بكوفية من الحرير أو القطن الأبيض . وقد تكون هذه ذات لون أبيض . وقد يتخلل هذا البياض خطوط صفراء . ومنهم من يلبس الكوفية من غير طربوش . ويثبتونها بالعقال (١) .

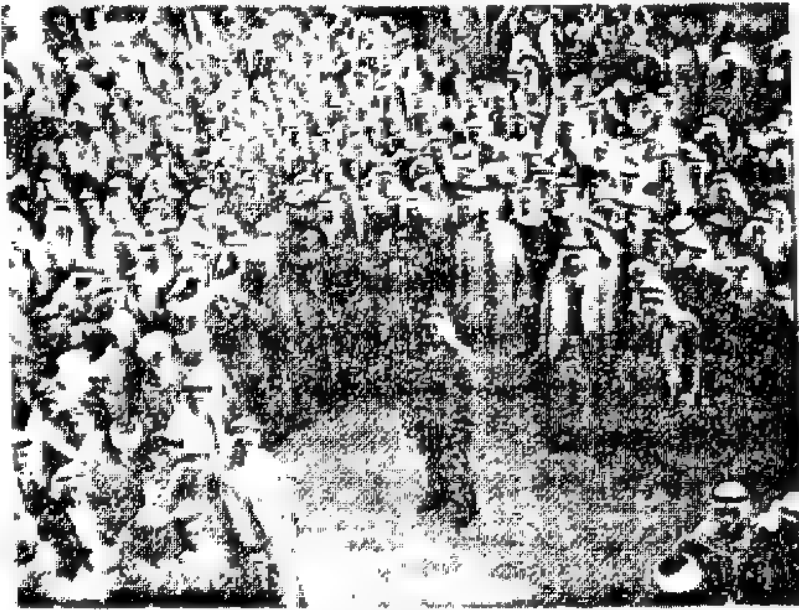
وأما أبناء الطبقة الراقية فانهم يلبسون على رؤوسهم الطربوش الأحمر . وبعضهم يرتدي (الفيصلية) (٢) وهؤلاء قليلون . وقد انتشرت بينهم الكوفية والعقال (انظر إلى الصورة في الصفحة ٣٢١) منذ الاضراب العام (١٩٣٦ م) والثورة الفلسطينية (١٩٣٨ م) . وذاعت في الأيام الأخيرة (موضة) (٣) بين الشبان وهي ان يظل الواحد منهم حاسر الرأس ابتداءً من حيثما سار .

وكذلك قل عن الاحذية فانها تختلف باختلاف الازواء والاذواق والذهنية ومبلغ الرقي : فهناك (الحف) و (البمل) و (الصندل) و (الكندرة) و (الجزمة) . هذا من حيث الرجال . وأما النساء فهن نوعان : نوع ينتمي إلى طبقة العمال والمزارعين ، وآخر ينتمي إلى الطبقة الراقية من وجوه البلد واعياتها وموظفيها . ان نساء النوع الأول يلبسن في الغالب (الحمار) على الرأس ويسمونه (الطرحة) . ولون هذا الحمار اسود في أكثر الحالات ، وابيض في بعض الحالات . ويفطين

(١) اصله (عقل) الفاية أي منها من الحرب . والبذو يسمونه . (مرب) وهو الأصح . وهذه الكلمة مأخوذة من امر قل الجبل أي احكمه واتقن فثله .

(٢) لباس الرأس في العراق . وقد وضعت في زمن ملك العراق المرحوم الملك فيصل الأول . وتسمى أيضاً (سدرة) . وعلى قول ان الملك فيصل اتبسها عن (كلميا نصر) الوزير الافرنسي المشهور .

(٣) (الموضة) كلمة اجنبية ، لكنها شائعة في هذه البلاد أكثر من اصلها العرب وهو (الزي الحديث) .



الفزيرة بفرورده بس الكوفية والقال

اتناء الاضراب العام (١٩٣٦)

وجوههن يرفع طويل يمتد من الناصية حتى اسفل الدقن . غير ان هذا البرقع لا يستر الوجه كله ، بل يستر بعضه . فيبقى الجبين والانف والقم وقسم من الحدين ظاهرة . والبرقع ذو شقين تخيط صاحبه على كل حافة من حافته ما يتيسر لها من نقود فضية او ذهب قديم .

ويرتدين ثوباً طويلاً اسم اللون يسمونه (مرطاً) وهو ذو كين واسمين وردنين طويلين . وقد يطرز صدر هذا المرط بشيء من الحرير للون .

وبعض النساء لا يلبسن البرقع . غير انهن يسترن وجوههن بقسم من الحمار الذي يرتدينه . كما يرتدين الثوب (المشلح) من لون الحمار نفسه . والمشلح في هذه الحالة سابع طويل بدرجة يمس معها الارض .

والبعض من نساء هذه الطبقة يغيرن وجوههن بشيء من (الوشم) . إلا أن هذه العادة القديمة اخذت مع الايام تزول .

واما نساء الطبقة الراقية فانهن يرتدين الأزياء الحديثة : فيضعن على رؤوسهن

(اللقاع) (١) او (النطاء) ؛ او ضمن (منديلاً) كبيراً ذا لون اسود او كحلي ، وهذا ما يسمينه (فيل) . وقد يصبن رؤوسهن بمنديل اسود ، وهذا ما يسمينه (ابونيه) . او يلبسن خماراً كبيراً سابغاً ، وهذا ما يسمينه (غطاء الللاء) . واما منديل الوجه فقد يكون منفرداً رقيقاً ، وقد يكون مزدوجاً مؤلفاً من منديلين رقيقين . ويلبسن (السكاب) وهو رداء طويل مصنوع من الحرير الخالص ذي اللون الاسود . وقد تنوعت الوان السكابات واشكالها في الايام الاخيرة بدرجة تكاد لا تحصى . فقد يكون طويلاً حتى يصل إلى القدم ، او قصيراً بشكل لا يتجاوز أسفل الركبة إلا قليلاً . وهو مشقوق من نصفه ، ويربط شقيه ازرار من النوع الثمين . وهناك نوع من السكابات يسمينه (تروا كار) وهو مؤلف من قطعتين : واحدة من تحت وهي طويلة ، والاخرى من فوق وهي قصيرة . وقد تستغني المرأة عن السكاب فلبس بدلاً منه معطفاً يسمونه (الكبود) وهو مختلف الاشكال ، والالوان . واما الاحذية الحديثة الشائعة بين نساء الطبقة الراقية فانها مختلفة الاشكال والالوان والازياء . بعضها يصنع من الجلد (الشيموا) ، والبعض الآخر من جلد الحية ، والزي الذي شاع اخيراً بينهم هو للمعروف (بالدابة) وهو حذاء مصنوع من القماش الثمين ونعله من الفلين غالي الثمن .

والغريب في الامر انك بينما ترى (السفور) منتشرة بين نساء الفلاحين وطبقات العمال ، ترى (الحجاب) سائداً بين نساء الطبقة الراقية . حتى ان الشطر الأكبر من السيدات المسيحيات ايضاً لا يزلن متمسكات بالحجاب . إلا بنات اليوم منهن فئات اكثرهن يخرجن سافرات .

٥٥ — لأهل عزة اعياد ومواسم خاصة بهم كوسم النبي موسى في القدس ، وموسم النبي صالح في الرملة ، وموسم وادي النمل في جورة عسقلان ، وموسم النبي روبيف في بافا .

وان بعض اللوامس الغزية يرجع بالأصل إلى عهد الوثنية ؛ وبعضها مسيحي الأصل ؛ والبعض سائر المهددين : الوثنية والنصرانية ؛ والبعض الآخر من وضع إسلامي محت .

ومن أشهر اللواسب المعروفة في غزة في يومنا هذا نذكر اللواسب التالية :

١ — باب الدارون (او الداروم)

٢ — الحسان

٣ — اربعة ايوب

٤ — السيد هاشم

٥ — للنطار

وهناك العيدان : عيد الفطر وهو الصغير ، وعيد الأضحى وهو الكبير . فان أهل غزة يحتفلون بهما كما يحتفل بهما سائر البلاد الاسلامية . وكذلك عيد رأس السنة الهجرية ، وللمراج ، وللولد النبوي مما لا نرى حاجة لذكره هنا ، لانه معلوم . اما (موسم الدارون) او الداروم ، فانه موسم مسيحي يبدأ يوم الأحد ؛ ويصادف غالباً أحد (الآحاد) الواقعة بين ١٦ فبراير و ٢٣ آذار (غربي) . قد يتقدم او يتأخر حسب طقوس الديانة المسيحية ، وبالأحرى حسب ترتيب الكنيسة الشرقية . ويسمونه (عيد الفصح) او (العيد الكبير) او (عيد القيامة) . وهو انتهاء صومهم الكبير . إذ يتبدى الصوم في يوم الإثنين الذي يلي يوم الأحد (١) مباشرة . فيمتعون عن أكل كل ذي روح وما ينتج عنه . ويمكثون على هذا للنوال ثمانية واربعين يوماً . فلا يفطرون إلا في يوم الاحد الذي يلي خميس النطار . وهو (عيد الفصح) عندهم . أي ان هذا العيد يقع في أحد الآحاد الواقعة بين ٤ نيسان و ٨ مايس (غربي) وفقاً لترتيب الكنيسة الشرقية .

ويبدأ هذا الموسم في الغالب عندما تنكسر حدة البرد ، ويطل فصل الربيع . وقد جاء في الامثال السائرة بين الغزيين (إذا صلبتم شتيتم ، وإذا دورتم صيفتم) (٢) . وما هو جدير بالذكر ان المسلمين والمسيحيين يشتركون في هذا الموسم على حد سواء . فتراهم يكترون من أكل البيض المصبوغ بكميات كبيرة ، ويضعون (اللمول) المحشو بالجوز و (السكك) المحشو بالتمر ، ويلبسون أمن ما عندهم من ثياب ، ويتجمعون في مكان فسيح يقع شرقي المدينة وسمى (باب الداروم) . ويغلب

(١) احد باب الدارون .

(٢) أي إذا حل الصليب دخل البرد للمؤذن بالشتاء ، وإذا جاء الداروم حل الدفء المؤذن بالصيف .

على الظن ان اصل هذه الكلمة هو (باب دير الروم) . وانه كان هناك ، في المكان نفسه ، دير للروم الارثوذكسيين .

واما (الحسان) (١) فهي سبعة . أي ان الفزين يمدون في كل خميس من الحسان السبعة التي تقضي خلال مدة الصيام عند المسيحيين الشرقيين . ولكل خميس منها اسم يعرف به عند النساء . لانهن هن اللواتي يمتن بالحسان أكثر من الرجال . ولا يعنى بالحسان من الرجال سوى عامة الشعب .

اما الخميس الاول فيدعى (خميس فات) ويقال له أيضاً (خميس الجعبري) وهو الخميس الذي يعقب الداروم مباشرة . وليست له اية صفة جديرة بالذكر سوى ان الناس يتأهبون فيه للخمسات التي تليه .

واما الخميس الثاني فانه (خميس النبات) ويقال له (خميس السيد) وهو الخميس الذي يلي ذلك . فيه يبدأ الزرع والنبات يتزعزع . فسير الفتيات في الفلا ، ويستشمن الهواء الطلق ، ويسرحن ويمرحن بين المروج الخضراء .

ومن بعد ذلك يأتي (خميس الزهور) او (خليفة) . فيه تفتح الزهور ، فيستشق الناس غيرها .

ثم (خميس الحلوى) او (ابو حرمة) وفيه ينكب الاطفال على شراء الحلوى بجميع انواعها ، فيأكلونها . وقد يقدم الشبان على شرائها ، فيقدمونها لخطيباتهم . ثم يأتي (خميس الأموات) او (ابو عبيد) وهو أكثر الحسان شهرة . إذ فيه تنفد كل امرأة قعيدها ، فتخرج إلى قبره باكية نائحة . وفيه يتصدق اهل البيت على الفقراء صدقات متنوعة عن ارواح موتاهم . وفي هذا العيد يكثر الفزبون من صنع السمك والمعمول ، فيأكلونه . وكثيراً ما يتهاذونه تهاً وغاراً .

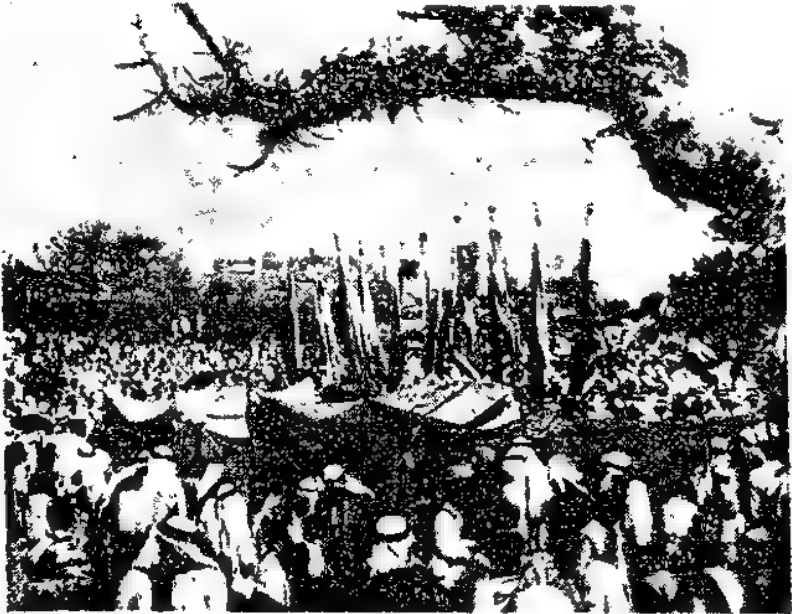
ثم يأتي (خميس النبات) او (ابو الكاس) . وفيه يقدم كل خاطب إلى مخطوبته ما يقدر عليه من ثياب وحلى وهدايا فاخرة .

وأخر الحسان واشهرها على الاطلاق (خميس المنطار) وسنأتي على ذكره فيما بعد . وأما (اربعة ايوب) فانها تقع في يوم الاربعاء الذي يسبق خميس المنطار . ففي ذلك اليوم يذهب الناس إلى البحر للاستحمام فيه اعتقاداً منهم بأن ايوب (ع . س)

(١) او (الأخنة) وهي جمع خميس .

انما ابرأه الله من مرضه بعد اغتساله بالبحر في تلك الليلة . حتى ان اصحاب الإبل من الفلاحين يأخذون إبلهم إلى البحر لينسلوها ، وليسقوها ولو شيئاً من ماء الملح ، اعتقاداً منهم بأن هذا يمنع عنها داء (الجماع) .

وفي يوم الاربعاء هذا ينهب الناس زرافات ووحداً إلى مكان واقع بالقرب من عسقلان يدعى (وادي النمل) . ويقال انه البقعة التي سمع فيها سليمان (ع.س) النمل يخاطب اخواتها وحندها بقولها : (يا أيتها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) . وفي هذه البقعة من الارض يجتمع سكان المجدل وقراها ، وسكان عسقلان ، ومعظم اهالي غزة وقراها : حاملين اعلامهم ، راكبين خيولهم ، مرتدين أجمل ثيابهم ، آكلين أحسن ما كلهم ، راقصين اجمل الرقص ، ومرتلين أعذب الاغان . ويبقى مهرجان وادي النمل حافلاً حتى قبل الغروب



وادي النمل في عسقلان

فيزور الناس مقام الحسين هناك ثم ينصرفون إلى منازلهم ثملين بلبنة ذلك العيد . وعلى قول ان هذا العيد — كالأعياد الأخرى المماثلة له في سائر أنحاء فلسطين — هو من وضع السلطان صلاح الدين ، وانه كان يرجو من وراء وضعه صديار السكره

الشديد الذي كاد يحتاج هذه البلاد المقدسة على اثر الحروب الصليبية .

واما (السيد هاشم) جند الرسول الأعظم فومعه يبدأ في اليوم الأول من شهر ربيع الاول من كل سنة وينتهي في يوم ميلاد النبي العربي محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور . ويقتصر موسم على إقامة معالم الزينة في المسجد المسمى باسمه (مسجد السيد هاشم) وهو واقع في حي الدرج وفيه قبره (١) . فتنصب الزيات وتزف الاعلام وتقام الاراجيح ويلبب الشبان وتبارى الخيول المطهمة في ميدان السباق . وتقام بجانب المسجد سوق تباع فيها جميع انواع (النقل) والحلوى . وفي الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول يزدان جامع السيد هاشم بالانوار المختلفة فيفد الناس إليه من كل حي ويصلون فيه صلاة المشاء ثم تقرأ قصة المولد النبوي . وبعد ذلك ينفض القوم على أن يجتمعوا في صبيحة اليوم التالي في ديوان آل الحسيني وفي مقبرتهم ، فيذكرون النبي عليه الصلاة والسلام ويذكرون جده السيد هاشم ويذكرون أيضاً أحد اجداد آل الحسيني بغزة ألا وهو المرحوم السيد أحمد محي الدين الحسيني الذي بني الجامع على عهدو وبطلب منه . وبعد ذلك ينصرف القوم ، وبانصرافهم ينتهي هذا الموسم ، على أن يقام في مثل هذه الايام من السنة القادمة .

واما (موسم النطار) فانه موسم مسيحي شرقي . انه نهاية صومهم . إذ انهم يفطرون من صومهم الطويل يوم الأحد الذي يأتي بعد خميس النطار مباشرة . وهو العيد الكبير عندهم . ويظهر ان هذا الموسم انقلب ، مع الزمن ، إلى عيد فري عام يشترك فيه المسلمون والسيحيون على حد سواء . فترى الناس يقدون إلى تل النطار وإلى السهول المنبسطة من خلفه والبساتين المنتشرة من امامه . يأتون مرتدين أحدث ما عندهم من ثياب ، حاملين احسن ما لديهم من طعام وشراب ، مرتلين أجمل ما يعرفون من اهازيج وطنية وانشيد قومية على نفس النمط الذي وصفناه لك في وادي النمل سواء بسواء . غير انه يختلف عن وادي النمل بالشموع التي تقدم على ضريح النطار من قبيل التذر . وفوق رأس التل المعروف بتل النطار يجتمع الدراويش الذين ينتمون إلى الطرق المختلفة ، فينصبون حلقات الذكر ويذكرون الله كثيراً . وفي اثناء ذلك

(١) راجع ما كتبناه عنه في الفتح الاسلامي ص ١١٣ . وفي جوامع غزة وساجدما .

ينزل الشبان بجيادهم للمطهمة إلى الميدان الواقع شمالي التل ، فيتبارون . وعند غروب الشمس يرجع الجميع إلى منازلهم ، ليزاولوا في صبيحة اليوم التالي أعمالهم المعتادة .



تل المنطار

وعلى ذكر تل المنطار هذا نقول انه واقع في الطرف الجنوبي الشرقي ، وعلى بعد ميلين من الجامع الكبير . وهو على ارتفاع ٨٣ متراً عن سطح البحر . وقد ورد ذكره في سفر القضاة (الاصحاح السادس عشر) من اسفار المهد القديم بانه (الجبل الذي مقابل حبرون) ، ذلك الجبل الذي نقل اليه ثمنون الجبار مصراعي باب المدينة والقائمتين اللتين قلعهما مع العارضة . عليه بضعة قبور ، ومقام لولي يقال انه (علي المنطار) . ويقال ان الوثنيين كانوا يعبدون ربهم (مارنا) هناك . وقد اختلفت الآراء في اسباب تسميته بالمنطار : فمن قائل (وهم السلوت) ان اصل هذه الكلمة (من) وهو اسم شيخ و (طار) بمعناه المعروف . اي ان الشيخ (من) قد طار . ومن رأي هذا القائل ان (من) كان شيخاً جليلاً ، وانه طار بعد موته .

ومن قائل (وهم المسيحيون) ان اصل هذه الكلمة (للطران) ، وانه كان

يعيش فوق ذلك التل في سالف الازمان اسقف جليل القدر. ولما مات هذا الاسقف دفن هناك . جاء السلون وحرّفوا الكلمة فجعلوها (منطار) بدلا من مطران . ومن قائل : لا هذا ولا ذلك . بل ان اصل هذه الكلمة (مينوتور) . ومينوتور هذا هو الملك الخرافي لجزيرة كريت الذي جاء ذكره في الاساطير القديمة . وقال ان الفلسطينيين عندما اتوا من كريت اتوا معهم بهذا الاسم .

والرأي عندي ان لا هذا مصيب في رأيه ولا ذلك ، وان كلمة للنظار كلمة اعتيادية جاءت من (نظر) . والنظار هو المكان الذي يجلس فيه الناطور لينظر المكان ، ويرى ما حوله من السهول والوديان . ذلك لان تل النظار أعلى تل في ذلك المكان . وليس اصح منه للنظر والرصد في جميع السهول والتلال الواقعة حول المدينة . ومنه تستطيع ان ترى من بعد جبال الخليل والبحر الابيض المتوسط ومدينة غزة والسهول الشاسعة التي تحيط به من كل جانب . وهو أحسن موقع للتحصن والدفاع عن غزة إذا ما هاجمها عدو من الجنوب او الجنوب الشرقي . كما جرى لها في أيام الحرب الكبرى . إذ نشبت في السهل الكائن في جنوب التل وشرقه ممالك هائلة شاب من هولها الولدان .

يستقبل الغزيون عيد المنظار بالترحاب في الربيع من كل عام ، ويسمونه (موسم المنظار) . وهم يحتفلون به احتفالا شعبياً رائعاً على النمط الذي وصفناه لك في الاسطر للتقدمة . وما حل هذا العيد مرة او سمعت به إلا وتذكرت معه ما كان عليه الغزيون في عهد الوثنية ، يوم كانوا يبدون الرب الأكبر (مارنا) فوق هذا التل . وفوق كل شيء علم عليم .



جوامع غزة ومساجدها



مئذنة الجامع الكبير بغزة

في غزة عدد كبير من الجوامع والمساجد . فقد تكون اغنى المدن العربية الاسلامية في الشرق بجوامعها ومساجدها . بعضها قديم جاء ذكره في كتب التاريخ ، والبعض الآخر حديث العهد . بعضها كبير : له مئذنة ، وفيه منبر ، ويقام فيه (صلاة الجمعة) والصلوات الخمس . والبعض الآخر صغير : ليست له مئذنة ، ولا تقام فيه صلاة الجمعة ، بل تصلى فيه الصلوات الخمس فقط .

أما الجوامع الكبيرة التي تقام فيها صلاة الجمعة والصلوات الخمس فهي :

في حي الدرج	١ — الجامع السري الكبير
	٢ — جامع السيد هاشم
	٣ — جامع الشيخ زكريا
في حي الزيتون	٤ — جامع كاتب الولاية
	٥ — جامع الشمة
في حي التفاح	٦ — جامع الشيخ عبد الله الأيكي
	٧ — جامع علي بن مروان
في حي الشجاعية	٨ — جامع ابن عثمان
	٩ — جامع المحكمة

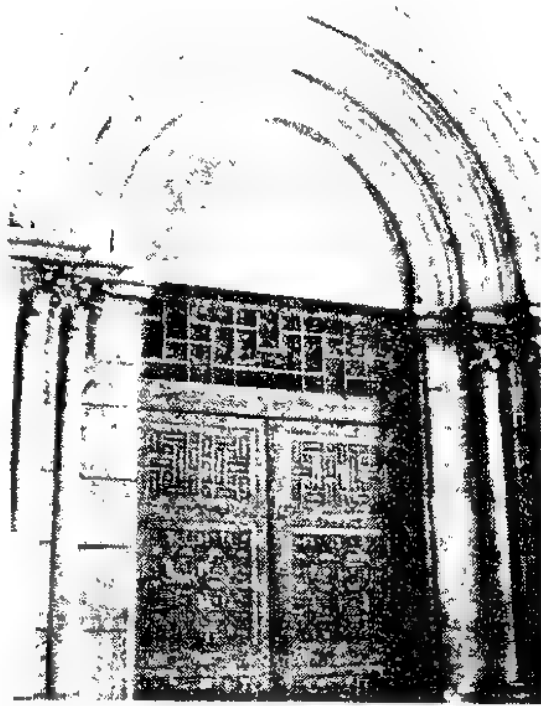
وبإليك ما اتصل بي من تاريخ الجوامع التسعة التقدمة ذكرها سواء أكان ذلك عن طريق الكتب والأسفار ، أم عن طريق الروايات والأخبار ، أم عن طريق الكتابات المنقوشة على الأبواب والجدران :

١ — الجامع الكبير

انه جامع كبير للغاية . بل هو أكبر جامع في غزة على الإطلاق . يدرس فيه المدرسون ، وتقام به صلاة الجمعة والصلوات الخمس . وبجانبه مكتبة علمية ، وردهة واسعة . وهو واقع في منتصف المدينة القديمة . والمعتقد انه بني في نفس المكان الذي كانت فيه الكنيسة التي بنىها الامبراطورة اندوكسية (١) ، او قد يكون هو الكنيسة نفسها . وقد بنيت الكنيسة المذكورة حيث كان معبد (مارنيون) في عهد الوثنية . والحجارة التي استعملت في بنائه قديمة جداً .

كانت جدران البناء في عهد الكنيسة مزينة بالفسيفساء ، والصور . ولكنها اليوم وبعد ان اصبح البناء مسجداً لا صور فيه ولا فسيفساء . بل تراها محوكة بالكس مسحة بسيطاً للغاية .

(١) اقرأ ما كتبناه عن تاريخ الكنيسة في الصفحة ٩٢ من هذا الكتاب .



الباب الغربي للجامع الكبير

ان الباب الغربي جميل للغاية وقد اثنى على الطراز القوطي الذي كان معروفًا في إيطاليا خلال القرون الوسطى ، ذلك الطراز الذي كثيراً ما تراه في الكنائس التي انشئت في فلسطين خلال القرن الثاني عشر .
وهناك من يدحض هذا الرأي ويقول غير هذا القول . ومن هؤلاء الارشمندرت (ميلاتيوس ميتا كسا كيس) فانه ذكر في مقال نشره عام ١٩٠٧ م وبحث فيه الخارطة الموجودة في مادبا والمصنوعة من الفسيفساء ان الذين يزعمون ان الجامع الكبير بني حيث كانت كنيسة افدوكسية يتمسكون بزعمهم هذا على اعتبار ان الكنيسة مبنية في وسط المدينة . فاذا كان يترتب علينا الاخذ بقولهم هذا والقينا نظرة على خارطة مادبا وجدنا ان الموجود في وسط المدينة هي كنيسة الروم الارثوذكس

الحالية ، تلك الكنيسة التي بنيت عام ١٨٥٦ م في زمن كبيريلوس الثاني (١٨٤٥-١٨٧٢) وعلى نفقة اخوة القبر المقدس .

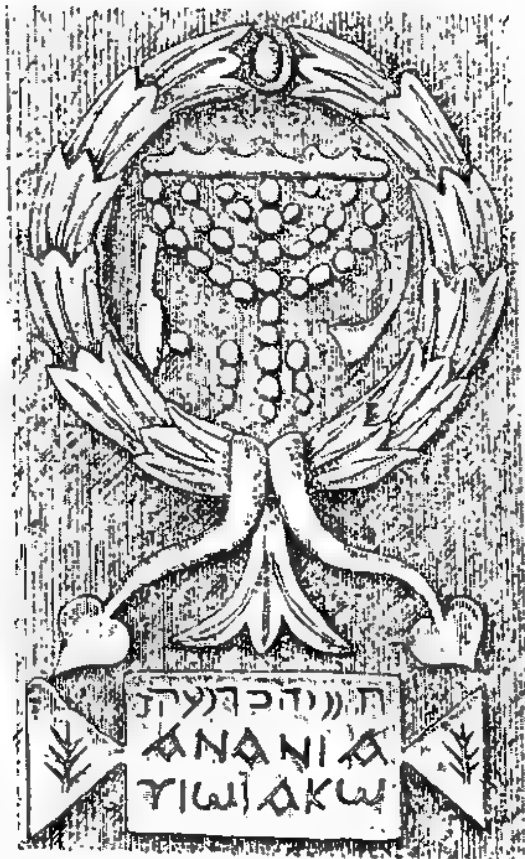
وأما الجامع فانه ، على قول ميلاتيوس هذا ، قد يكون احد الكنائس التي بناها مارقيانوس . إذ أن اعمدة هذه الكنيسة كانت في كنيس لليهود . وقد يكون هذا هو كنيس قيسارية بدليل انه منقوش على احد هذه الاعمدة الشمعدان ذو السبعة فروع الآتي ذكره ، وليست لهذه الاعمدة اية صلة بالاعمدة التي ارسلت من القسطنطينية لبناء كنيسة افدوكسية .

واما الاستاذ (كليرمان غانو) فانه يقول ان الجامع الكبير كان في الأصل كنيسة صليبية اضاف اليها المسلمون إضافات كثيرة حتى غيروا كثيراً من شكلها الأصلي . وان الصليبيين عندما بنوها استعملوا في بنائها كثيراً من الحجارة ومواد البناء والاعمدة الرخامية القديمة إلى ان قال :

« بعد أن احتل الصليبيون غزة واعادوا بناءها عام ١١٤٩ هاجمها صلاح الدين عام ١١٧٠ ثم استرجعها منهم نهائياً بعد موقعة حطين عام ١١٨٧ ويظهر ان البناء بني بين ١١٤٩ و ١١٧٠ وان الذين بنوه هم في الغالب فرسان الهيكل الذين عهد اليهم بلديون الثالث بحراسة غزة » .

وقد نقش على احد الاعمدة الملوية القائمة في وسط المسجد ، صورة شمعدان ذي سبعة اكواع يحيط به تاج كأنه مصنوع من القصون واوراق الشجر . وفوق التاج صورة جوهرة بحجم البيضة ، وتحتها بلاطة منقوش عليها ثلاثة سطور : السطر الاول منها مكتوب باللغة العبرية والسطران الآخران باللغة اليونانية . وبجانب الشمعدان من اليمين بوق وعلى يساره سكين . اما الكلمات العبرية فهي **בְּיָמֵינוּ** (اي حنايا بن يعقوب) . والكلمات اليونانية يعتقد انها كتبت بالاحرف اليونانية التي كانت تستعمل في القرن الثاني او الثالث بعد الميلاد ، ومعناها : « الى اثناناس ابن ياكو (ب) » .

ويقول الاستاذ (كليرمان غانو) الذي زار غزة عام ١٨٧٠ م ان العمود الذي نقش عليه هذه الصورة اما ان يكون قد نقل من كنيس كان لليهود في قيسارية أو من رواق كان مشيداً في احد الأبنية اليهودية بغزة او انه احد الاعمدة الثلاثين التي ارسلتها الامبراطورة افدوكسية لبناء الكنيسة في اوائل القرن الخامس للميلاد .



صورة ومبنة منقوشة على احد الاعمدة في الجامع الكبير

وهو (اي الاستاذ كليرمان غانو) لا يعتقد ان هذا العمود اخذ من كنيس يهودي كان في غزة . إذ ان اليهود لم يوطدوا اقدامهم في غزة طويلا . وليس من المعقول ان يمتنحوا حق بناء كنيس لهم في غزة في وقت توطدت فيه اركان النصرانية . ومهما كانت حقيقة الحال فيما يتعلق بهذه الكنيسة او تلك ، ومن الذي بناها ومتى بناها ؟ فانه مما لا شك فيه ان الجامع العمري الكبير كان يوم الفتح الاسلامي كنيسة . ولما كانت سواد المسيحيين الأعظم قد دخلوا يومئذ في دين الاسلام ، قد جاءوا إلى فلاح غزة القائد العربي الكبير عمرو بن العاص وطلبوا إليه ان يغني بينهم وبين اخوانهم الذين بقوا على دين النصرانية قائلين انهم ورثوا عن آبائهم واجدادهم

(من عرب ويونان) تلك العابد والكنائس ليقموا فيها صلواتهم وطقوسهم الدينية .
والآن وقد دخلوا في الدين الاسلامي وهم للملكون لتلك المعابد وليست لهم مقدرة
على تركها والاستغناء عنها ، فقد طلبوا تقسيم تلك المعابد بينهم وبين اخواتهم الذين
بقوا على دينهم بلحق لانهم ورثوها عن الآباء والاجداد .

قبل عمرو بن العاص دعواهم ، وجمع بين الفريقين ، وطلب اليهما ان يتخبا حكما
عدلا ليجري التقسيم . فأخذ المسلمون العبد الكبير لانهم الاكثرية . وأخذ
النصارى العبد الصغير لكونهم الاقلية . وقد تمت هذه القصة بطريقة الحكيم
المتقدم ذكرها .

ولقد عمر هذا الجامع مرارا عديدة من قبل عدد كبير من الملوك والوزراء
والصلحين ، كما تشهد بذلك الكتابات النقوشة على ابوابه وجدرانه . ومن ذلك ان
الداخل الى الجامع الكبير من باب الشرقي يرى فوقه بلاطة كتبت عليها الكلمات الآتية :
« بسم الله الرحمن الرحيم : تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات
تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا . أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والثنية
الباركة مولانا وسيدنا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين ابو القتح لاجين
النصوري (١) ادام الله ايامه ونشر في الخافقين بالنصر أوثقه واعلامه ، واعز انصاره
واعوانه ووزراءه وامراءه وحكامه وجنده وخدامه ، وحكم في عزم الشركين سهامه
وسنانه وحسلته ، واوزع شكر ما امنت عليه واحسن في الدنيا والآخرة عليه . وتولى
عمارته العبد الفقير الى ربه الراجي غفوه سنقر السلحدار الملائي النصوري بنظره
في ايام ولايته . وكان الفراغ منها في شهر شعبان في سنة ٦٩٧ هـ سيع وتسعين وستائة
غفر الله له ولجميع المسلمين » .

وعلى الباب القبلي للجامع تقرأ هذه الكلمات :
« بسم الله الرحمن الرحيم : إنا نمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام

(١) كان من ممالك السلطان ابيك . ثم صار الى السلطان قلاوون ، فاحتضه . وأخذ
يتدرج في معارج الرقي حتى اصبح اميرا . ثم واليا على سورية . وقد بويع له بالسلطنة سنة
٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) وتوفي بعد ذلك بثلاثة اعوام . تزوج ابنة السلطان الظاهر بيبرس .
وكان نموذجاً حسناً للسلام الكامل ، فقد امتدع عن الحر واليسر وكان يصوم الأشهر الثلاثة .
ويقال انه من اصل يوناني .

الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . امر بإنشاء هذه الزيادة الباركة بالجامع المعمور
بذكر الله تعالى مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد (١) بن مولانا
السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون خلد الله تعالى ملكه بإشارة المقر الأشرف
العالي المولوي الاميري الاجلي الكبير المصدي النصيري الحزبي الخدوني المجاهدي
الم رابط الشاعر المؤيدي الناصري المنصور السيني مولانا ملك الامراء تنكيز (٢)
الناصر كافل الممالك الصرخة بالشام المحروسة اعز الله انصاره وكان القراخ منه في
شهر محرم سنة ثلاثين وسبعائة (٢٥ أكتوبر ١٣٢٩ م) .
وعلى أحد شبايك الابوان القلي تقرأ الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : في ايام مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا
والدين لاجين الناصري ادام الله ايامه . فتح هذا شباك النور المبارك في ولاية العبد
الفقير الى ربه سقر السلحدار الملاقي في شهر ربيع الاول سنة سبع وتسعين وستائة
اثابه الله وغفر له ولجميع المسلمين » .

وعلى اسطوانة بلية القبلة من ساحة الجامع الكتابة الآتية :

« جدد هذه النارة وتم للمسجد بها شماره . ولام هذا الصريح ولاقى بهذا الخوض
البسيج ابتغاء مرضاة السلام امير الامراء الكرام درويش حسين باشا متصرف غزة
بلغه الله ما يشاء علم ثلاث ومائتين والفاء » .

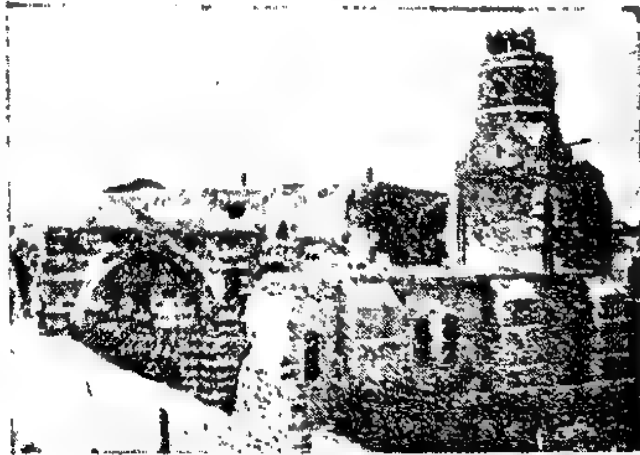
واما الباب الخارجى الكائن في الناحية الشمالية فقد انشاء السيد كمال الدين
البكري ، كما انشأ في تلك الناحية اربع غرف خصصها لطلاب العلم من ابناء غزة .
وكان ذلك قبل مئة سنة بالوجه التقريبي .

وفي زمن رؤوف باشا متصرف القدس عمر الجامع المذكور مرة اخرى

(١) تولى الملك وهو صغير (٦٩٣ — ٧٤١ — ١٢٩٣ — ١٣٤١ م) وقد خلع
سنتين . وفي مدته بلغ فن الباني والنقوش العربية اقصاه . كان شليل الجسم ، امرج ، امور .
إلا أنه كان قوي البأس ، شديد البطش ، ذا رأى شديد وعزيمة من حديد .
(٢) مملوك اشتراه اسلاف الناصر . وظل في خدمة الناصر ٢٨ عاماً . تلب عنه
في دمشق . وغامر بحياته من اجله في ميادين الحروب . وبعد ان كان الناصر يحبه ويستشير
في جلال الامور (حتى أنه تزوج ابنته كما عقد على اثنتين من بناته لولدى تنكيز) اقلب عليه
بدسائس الدسائسين فارسل تنكيز الى مصر مكبلاً بالسلاسل . وهناك قتل بعد ان اذيق ألواناً
من العذاب .

(١٢٩٢ هـ) . وقد تولى عمارته البكباشي الكنج احمد . كان هذا قد اتدب لجمع
العسكر من غزة لينخرطوا في الجيش التركي ويحاربوا السكوب . وكان من الغة
والزهد والاستقامة على جانب عظيم ، حتى ان رؤوف باشا اتدبه لاجل ادارة اموال
الوقت . فأحسن ادارتها ، وقام بتعمير الجامع العمري الكبير . فقد رصف محن
الجامع بالبلاط من النوع التين . وكذلك فعل في ساحته الكبرى ، كما قصر جدرانها
ومد السطح مداً يحول دون وكفه ، وانشأ بجانبه للراحيض والحفريات بشكل يسهل
للمصلين سبيل الرضوء والصلاة ، ومسح الانعمدة ودهنها . ورمم المئذنة التي كانت
اصابها العطب على اثر زلزال سابق .

وقد اصاب هذا الجامع (١) خراب كبير اثناء الحرب المزمرة (١٩١٤-١٩١٧)
بسبب القنابل التي كانت تساقط على غزة من البر والبحر والهواء ففقطت مئذنته ،



الخراب الذي حل بالجامع الكبير

١٩ نيسان ١٩١٧

وتهدمت جوانبه . وظل في حالة من الخراب (٢) نفتت الا كباد حتى عام ١٣٤٥ للهجرة
حيث قام المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى الذي يرأسه ساحه مفتي فلسطين الا كبير
الحاج أمين افندي الحسيني فعمره .

(١) يقال ان الأتراك استعملوه يومئذ لحزن اسلحتهم وعنادهم .

(٢) انظر الى الصورة للمئذنة في الصفحة ٢٢٦



منارة الجامع الكبير بعد ترميمها

١٣٤٥ هـ

وانك إذا فطرت إلى الباب
الواقع قبلي الحائط الغربي
وجدت مكتوباً عليه هذه
الكلمات :

« جدد عمارة هذا الجامع المجلس
الشرعي الاسلامي الاطلس سنة ١٣٤٥
للهجرة » . ونستطيع القول بان العمارة
التي احدثها المجلس الاسلامي عبارة
عن اقامة جامع جديد بني على اسس
الجامع القديم وبعض اعمدته وجدرانه
لان الخراب الذي ألم به اثناء الحرب
كان عظيماً للغاية . وقد اعاد المجلس
الاسلامي بناء المنارة بشكل فلق
شكلها السابق بدرجات .

٢ - جامع السيد هاشم

من أكبر جوامع غزرة واقفها بناءً . واقع في حي الدرج ، والمعتقد ان السيد
هاشم جد الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام مدفون فيه . وهناك من يقول : انه
مدفون في قبة الشيخ رضوان وليس في هذا المكان ، بدليل ما جاء في قول احد
اصحابه الاغراب الذين كانوا يرافقونه في رحلاته التجارية بين مكة وغزرة ، إذ قال :

وهاشم في ضريح وسط بلقعة تسفو الرياح عليه بين غزرات

ومن يدري ؟ لعل وقاته نقلت من موقع الشيخ رضوان إلى حيث هي الآن .

يعتقد المرحوم السيد كامل المياشر احد اصيان غزرة الذين توفوا فيها عام ١٩٤١
« ان هذا الجامع بني في اواخر القرن الثالث عشر للهجرة (١٣٦٨ هـ) من قبل
السلطان العثماني عبد المجيد (١) بطلب من الحاج احمد بن محي الدين بن عبد الحفي

(١) واما الاستاذ عبدة مخلص مدير الاوقاف بفسطين فانه يعتقد انه من منشآت

المماليك ، وقد عمره السلطان عبد المجيد في سنة ١٢٦٦ هـ ١٨٥٠ م .



جامع البر فاسم

الحسيني مفتي الأحناف جزة ، وانهم عندما بوه استعمالوا الحجارة الباقية من اتقاض جامع الجاولي والبيارستان وغيرهما . وقد تبرع سكان المدينة بمبالغ وفيرة من اموالهم لهذه الغاية . وامرت الحكومة التركية بتحويل اوقاف جامع البيارستان إلى جامع سيدنا هاشم لتقام فيه الشعائر الدينية .

وقد صدرت الارادة السنية بأن يتولى هو (أي المفتي) صلاة الجمعة في الجامع المذكور والخطبة . وتم تدشينه يومئذ باحتفالات شعبية رائعة . وهام اولاء آل الحسيني يحتفلون بذكرى هذا التدشين مرة في كل عام . وتدوم الاحتفالات ثمانية ايام آخرها يوم المولد النبوي . وفيه مدرسة انشأها المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى من مال الوقف . وقد اصاب الحامض قبله انشاء الحرب المتصرمة (١٩١٤-١٩١٧) غرقته . ولكن المجلس الاسلامي الأعلى عمره ، وارجمه إلى احسن ما كان عليه .

٣ - جامع الشيخ زكريا

واقع في حي الدرج . انتهى في القرن الخامس ، ودفن فيه الشيخ زكريا .



جامع الشيخ زكريا

وقد كتب على ضريحه : « هذا قبر العبد الفقير لله تعالى زكريا التدمري توفى في شهر صفر سنة ٤٤٩ هـ » .

٤ — جامع كاتب الولاية

وهناك من يسميه (جامع كاتب الأوليا) . وهو جامع قديم واقع في حي الزيتون وبالقرب من كنيسة الروم الارثوذكس . مثبته قرية من جرس الكنيسة ، ليس بينهما سوى بضعة امتار . على باب هذا الجامع بلاطة قرأت عليها هذه الكلمات : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك العبد الفقير أحمد بك كاتب الولاية في اوائل ذي القعدة سنة ١١٩٥ هـ . وأحمد بك هذا كان على ما يظهر كاتباً للولاية في أيام السلطان مراد بن السلطان سليم الثاني .

وهناك من يعتقد ان الذي امر ببناء هذا الجامع هو عمرو بن العاص ، وذلك عند فتحه غزة . وقد بناه قريباً من الكنيسة عملاً بوصية الخليفة عمر بن الخطاب الذي اوصاه ببناء جامع في القرب من الكنيسة كما امكن ذلك . وعلى قول ان أصله دير ، وأنه كان يسمى (دير كاتب سلم القضاة) .

كانت مثبته الجامع صغيره ، فأُعليت بعد الحرب الكبرى (١٩١٤ —

١٩١٧) .

٥ - جامع الشمعة

انه من الجوامع المشهورة بغزة . وهو قائم في ناحية من حي التجارين (حارة الزيتون) . لا يدري أحد من سكان غزة لماذا اطلق عليه هذا الاسم . غير انه يوجد فوق بابه الخارجي بلاطة من الرخام محطمة من ناحيتها اليسرى ، نقش عليها الكلمات بالنسخ الذي كان معروفاً في عهد المماليك :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك ابتغاء مرضاة الله واتباع سنة رسول الله العبد الفقير إلى الله تعالى سنجر بن عبد الله الجاولي (الملكي الناصري) نائب السلطنة الشريفة بالأعمال الساحلية والجلية بغزة المحروسة أعز الله انصاره بتاريخ ذي الحجة سنة اربعه . . . »

يقول الأستاذ ماير : « سنجر بن ابنة عديدة في غزة ، فأيهما هو هذا ؟ وسنجر كان نائباً في غزة من ٧١١ إلى ٧٢٠ اولا . ثم في المرة الثانية في زمن الملك الصالح اسماعيل في ٧٤٠ ، وهو يعتقد ان التاريخ الذي كتبت فيه تلك الكتابة كان ٧١٤ . وأما أنا فاني عند حد الاعتقاد ان جامع الشمعة لم يكن من قبل الأمير علم الدين سنجر الجاولي . واما البلاطة الرخامية الموجودة فوق بابه والتي تقول ان الجاولي هو الذي بناها فانه مأخوذة من بقايا جامع الجاولي عندما هدم ذلك الجامع واندثر ، واخذ الناس ينقلون حجارتها من مكان إلى مكان . ولقد ذكرنا في الاسطر للتقدمة ان قسما من الحجارة التي استعملت في بناء جامع السيد هاشم كان من بقايا جامع الجاولي . وبفهم من الكتابات الاخرى الموجودة في جامع الشمعة انه عمر مراراً عديدة خلال السدة الواقعة بين القرن الرابع عشر والقرن التاسع عشر .

٦ - جامع الشيخ عبد الله الايكي

... ملته جامع قديم ولقع في حي الفخاخ . وهو عامر في يومنا هذا . ومدفون بجانبه الشيخ عبد الله الايكي من مماليك عز الدين ايبك المشهور ، ومن رجال القرن السابع . كان للشيخ عبد الله هذا ولدان : احدهما وهو الشيخ عياد مدفون بالقرب من السيد هاشم ، والثاني وهو الشيخ احمد له مزار باسم الشيخ ايبك .

٧ - جامع علي بن مروان

انه من جوامع غزنة الشهورة . وهو عامر تقام الصلاة فيه . لعمدة ، وامه ، مقبرة ،



جامع علي بن مروان

وفيه ضريح يقولون انه لولي الله الشيخ علي بن مروان . يعتقد الناس به ، ويزورونه ، ويتركون به . ويقال انه حسني جاء من بلاد المغرب واستوطن غزنة . وكانت وفاته فيها في يوم الاثنين السابع عشر من شهر ذي القعدة سنة ٧١٥ هـ . وعلى باب المذنة كتبت الكلمات الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم . جد عمار هذه المارة المباركة وإيوان القاعة والنير والمحراب الشريف في جامع ابن مروان رضي الله عنه الفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الله سنة ٧٢٥ هـ . وعلى باب الجامع تقرأ الكلمات الآتية :

رحب لضياع الكون بالأكوان	لو لا الهبة في القلوب وانها
هي منة في جنة الرحمن	هي سر فرقان الاله وجمعه
امير غزنة هاشم الجزران	بجود وحلم ساد يحيى على الملا
جزاه خيراً خالق الانسان	بنا بناء خالصاً في صنعه
يبناه مسجد علي بن مروان	يحيى حياه الله كل فضيلة
وبالحليل مبرد النيران	حصته بالمشامي محمد

صلى الله عليه بعد نبينا والآل والأصحاب والاقربان
 مادام خير الدين يرجو رحمة من منزل الزبور والقرآن
 جبر وحرر في عشرة من شعبان المبارك سنة ١٢١٧ هـ .
 ومما هو جدير بالذكر عن هذا الجامع أنه الجامع الوحيد في غزة الذي يصلي فيه النساء
 صلاة الجمعة . وهناك في صحن الجامع قاطع خشبي يفصل مصلى النساء عن مصلى الرجال .
٨ - جامع ابن عثمان

إنه من الجوامع الكبيرة والمشهورة في غزة . يأتي بعد الجامع العمري الكبير
 من حيث الحجم ومتانة البناء . واقع في
 حي الشجاعية . والمعروف عنه أن الذي
 بناه هو (أحمد بن عثمان) من رجال القرن
 الثامن ، وفيه قبر لرجل لا يعرف الناس
 عنه شيئاً سوى أنه حُكِّمَ من
 الصالحين (١)



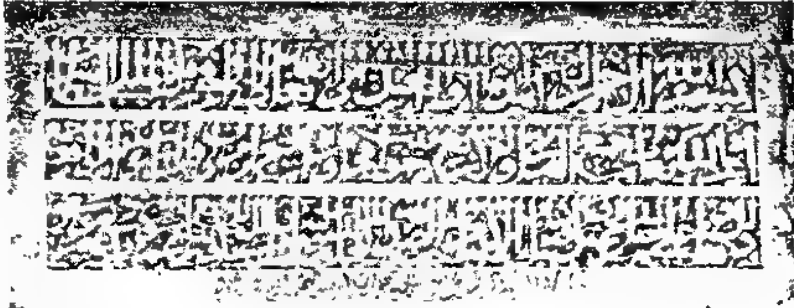
سُنة جامع ابن عثمان

ولقد قضيت بعض الوقت في بهو
 هذا الجامع ، وبين ردهاته . وأخذت
 له صوراً عديدة هي التي تراها في غير
 هذا المكان . واستنتج بالكراس
 الذي أصدره الأستاذ مايز (٢) على
 قراءة بعض الكتابات النقوشية على
 أبوابه وجدرانه . وها أنا ذا ألقها إليك
 في الأسطر التالية :

(١) يقول الأستاذ مصطفى افندي الديباغ أنه قبر بلخيا من ممالك الملك الظاهر برقوق .
 اشتراه مع أبوه وأعم بهم على ولده عبد العزيز الملقب بالنصور . وتقلت به الأيام إلى أن عين
 نائباً على غزة سنة ٨٤٩ وفيها توفى . ودفن بجامع ابن عثمان بظاهر غزة (٨٥٠ هـ) . وكان
 هذا النائب تركياً شجاعاً مقداماً كريماً جيلاً (إلى آخر ما جاء عنه في الضوء اللامع) .

(٢) (L. A. Mayer, Arabic Inscription of Qaza III in Journal of the Palestine Oriental Society, Vol. IX, 1929)

هناك بلاطة وضعت فوق الباب الشرقي نقش عليها في سنة ٧٩٧ (١) للجهرة
الكلمات التالية :



« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اوقف العبد الفقير إلى الله تعالى السني ابرزمك
الملكي الظاهري اعزه الله تعالى جميع القيسارية والاربع حوانيت مجاورة الشيخ ابن
مروان والدار سكن الواقف جميع ذلك وفقاً على مصالح المدرسة والسبيل وكتاب
الايتم وخبز الصدقة والدجدة المجاور سكنه وما فضل من ذلك يكون للجامع بتاريخ
شهر شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

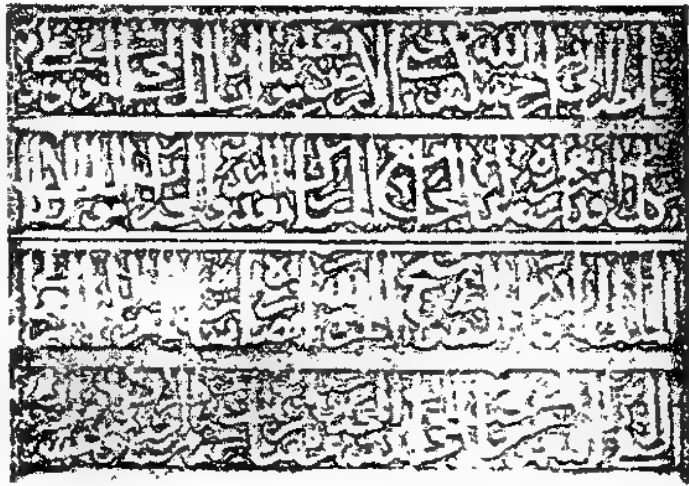
ومن الاملاك المذكورة قيراط ونصف للنبي عليه السلام ومثله للخليل عليه السلام
اتقده (؟) عنه . . .



وهناك بلاطة من
الرخام في وسط قوس
تعلو الباب الشمالي ، نقش
عليها الكلمات التالية :
« بسم الله الرحمن الرحيم :
إعما يصر مساجد الله من
آمن بالله واليوم الآخر
واقام الصلاة وآتى الزكاة
ولم يخش إلا الله . امر

بأنشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرف العالي المولوي السيدي المالكي المحدث المجددي الملائي
أقبا الطولوتي عمري المصلي الناصري اعز الله انصاره بتاريخ شهر رجب الفردسة
اثنين وثمانمائة هجرية « (١) »

ويقول الاستاذ مابر : « كان علاء الدين أقبا الطولوتي عمري الملقب باللقاش عبد
من عبيد السلطان برقوق . ولذلك لقبه ابن تقي الدين : (الظاهري) . ولا يعرف
عن ماضيه شيء سوى انه صار من جملة امراء الالوف (راجع كتاب النجوم الزاهرة) .
وقد عينه السلطان برقوق حاكما على غزة . ويقول ابن اياس انه وصل إليها في يوم الاربعاء ٨
صفر ٧٩٢ . وقد اشترك في مؤامرة ضد فرج . فالتقى القبض عليه ، وشقق بأمره .
وهناك فوق المهراب الكائن في صحن الجامع بلاطة نقشت عليها الكلمات التالية :



« فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي للوئي
وهو على كل شيء قدير . أمر بمارة هذا الجامع المبارك بعد الهدم والخراب مولانا
السلطان الملك اللؤي أبو النصر شيخ اعز الله انصاره بمباشرة المقر الكريم العالي
السيني أبو بكر اليموري حاجب الحجاب بمدينة غزة المحروسة بتاريخ شهر شعبان
سنة احدى وعشرين وثمانمائة « (٢) »

وهناك فوق المهراب في داخل المسجد بلاطة من رخام نقشت عليها الكلمات

(١) ١٣٩٨ بعد البلاد

(٢) ١٤١٨ بعد البلاد

التالية: « بسم الله الرحمن الرحيم : وصلى الله على سيدنا محمد وسلم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . والمحراب اشرف مكان من السجدة . عمر هذا المحراب وكذلك الفقية والقبة اعلاه بصحن الجامع ابتداء لوجه الله المبد الفقير إلى الله تعالى الصدر الأجل الكبير الحاج علم الدين سنجر المعامل بكرة اعزاه الله بعزه وجعله في صكفه وحرزه . وذلك في مدة آخرها العشر الاخير من شهر رجب سنة اربع وثلاثين وثمانئة (٨٣٤ هـ) — ١٣ ابريل ١٤٣١ م . ويقول الاستاذ ماير : « ان هذا لم يكن حاكماً في غزاة ، بل كان يشغل منصباً اقل أهمية من ذلك ، وانه في عام ٨٣٤ هـ كان حاكم غزاة اينال العلاني (الذي صار فيما بعد للملك الاشرف) وظل في هذا المنصب من ١٨ شوال ٨٣١ (٣١ تموز ١٤٢٨) إلى ٨٣٦ هـ . ثم ان الوالي او الحاكم في غزاة كان منذ نهاية القرن الثامن يلقب بـ (الكافل) وهو أعلى لقب يطلق على الحكام في عهد المماليك . »

وعلى بلاطة من رخام وضعت بين البابين في المدخل كتبت هذه الكلمات :



« بسم الله الرحمن الرحيم : رسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الظاهري السني اعلاه الله تعالى وشرفه وانفذه وصرقه ان يطول ما على الملح المجلوب إلى مدينة غزاة المحروسة من المكس الذي كان يؤخذ عند بيع للملح المذكور استجلاباً للأدعية الصالحة لهذه الدولة العادلة خلد الله ملك سلطانها بتاريخ خاتمة عام ثلاثة وخمسين وثمانئة . » (٣١ فبراير ١٤٥٠) .

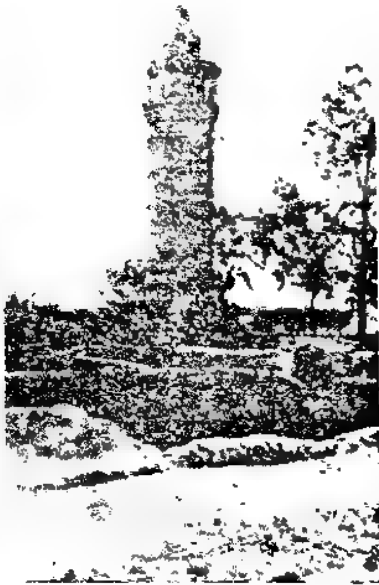
٩- جامع المحكمز البرديكية

جامع قديم انشئ في القرن التاسع ، وله مثذنة جميلة . كان مدرسة ثم محكمة للقضاة . وكانت تقيم فيه مدرسة الشجاعة الاميرية (١٩٣٨ م) . المدرسة أسسها الأمير بديك الدوادار سنة ٨٥٩ هـ أيام الملك الأشرف ابو النصر ايتال العلاني . وعلى باب الشمال توجد الكتابة الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : إنا بامر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . بنى هذه المدرسة للباركة ابتغاء لوجه الله تعالى للقر الأشرف العالي السبيي المالكي المندومي السبيي بديك الدوادار الملكي الأشرف امر الله انصاره بتاريخ في الحجة الحرام سنة ٨٥٩ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليماً ايدياً . »

وهناك مساجد يصلي الناس فيها صلواتهم الخمس فقط ، ولا تقام فيها صلاة الجمعة ، وهي :

- ١ — مسجد المغربي
- ٢ — مسجد الشيخ فرج
- ٣ — مسجد الشيخ خالد
- ٤ — مسجد الزاوية الأحمدية
- ٥ — مسجد زاوية الهنود
- ٦ — مسجد الهجاني
- ٧ — مسجد المعجمي
- ٨ — مسجد الشيخ القشقر



جامع المحكمز البرديكية

في حي الدرج

في حي الزيتون

في حي التفاح	٩ — مسجد السدرة
	١٠ — مسجد الغزالي
في حي الشجاعية	١١ — مسجد السيدة رقية
	١٢ — مسجد الظفر دمري
	١٣ — مسجد الطواشي
	١٤ — مسجد المواتي

وإليك ما نعرفه عن هذه المساجد :

١ — مسجد المفري ويسمونه أيضاً (مسجد الشيخ المغربي) . واقع في حي الدرج . وهناك على التبة العليا للباب المخصص للدخول بلاطة من رخام نقش عليها بالخط النسخي الذي كان معروفاً في عهد المماليك الكلمات التالية :

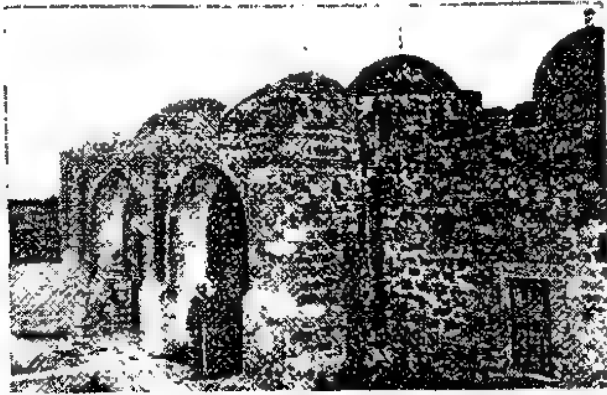
« بسم الله الرحمن الرحيم : أمر بإنشاء هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى شاهين بن عبد الله الكجكي مقدم القصر الشريف . إنه أوقف جميع البيت والقاعتين جوار المدرسة وجميع الحوش ظاهره وباطنه المعروف بالجوياني وجميع الحاكورة وما فيها المجاورة للمدرسة وفقاً صحيحاً شرعياً في سنة ستة وعشرين وسبع مائة . »

(٢٤ فبراير ١٣٨٤) .

٢ — مسجد الشيخ فرج لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه مسجد صغير ، واقع في حي الدرج . ولم يستطع أحد أن يقول لنا من التسمية بناء ، ومتى ؟ وكل ما نعرفه ان الشيخ فرج كان عبداً للسيد محمد خطاب في أواخر القرن العاشر ، وظهر له منه بعض كرامات ، فأجله . ولما مات دفنه في ذلك للوقع واتخذ عنده مسجداً ثم دفن بجانبه . وقد جعل بعدئذ مدفناً لدربة اسرة خطاب . تلك الاسرة التي انقرضت في القرن الرابع عشر .

٣ — مسجد الشيخ فالح اسس في القرن الثامن ، وفيه قبر كتب عليه هذه الكلمات :

« جدد هذا المكان المحتوي على ضريح ولي الله تعالى سيدنا الشيخ خالد التوفي سنة ٧٤٩ هـ ناظره الشيخ شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المقدسي الانصاري في أوائل



مسجد الشيخ همار

جمادى الاولى سنة ٩٥٥ هـ « ودفن فيه أيضاً الشيخ جماع جد أسرة جماع النقرضة
وليه تنسب ساقية الجماعية. (١)

٤ — مسجد الزاوية المصممة واقع في حي السرج . وهو عامر حتى يومنا هذا .
وقد انشأ الزاوية التي بجانبه للتمون إلى الطريقة البدوية في أوائل القرن الثامن
للهجرة . وذلك انتساباً إلى السيد أحمد البدوي المتوفي بطنطا عام ٦٧٥ هـ .
وإذا ما دخلت الزاوية للذكورة رأيت على يمينك غرفة ، ووُجِدَت فوق باب
الغرفة بلاطة من رخام كتبت عليها الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات
تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً . انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير
إلى الله تعالى طرنطاي الجوكنداري » . ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني فقال ان
حسام الدين طرنطاي الجوكندار كان والياً في غزة في أيام تكيز . وجاء في (صبح
الأعشى) للقلقشندي ان تاريخ تميمه إليها كان بتاريخ ١٥ رمضان ٧٣٦ هـ وقد
خلف منجر الجاولي في الحكم .

٥ — مسجد زاوية الرسود واقع في حي الدرج . لا نعلم عنه شيئاً سوى ان المنود
هم الذين انشأوه . ويظهر انه كان يعيش في غزة في زمن مسن الأزمنة الغابرة عدد

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذه الساقية في الصفحة ٢٨١ من هذا الكتاب .

غير قليل من الجالية الهندية لوقوعها على درب الحج وطرق التجارة .

٦ — مسجد الرحماني واقع في حي الدرج وهو مسجد صغير . ليس له إمام ولا مدرس ولا خادم .

٧ — مسجد المعجمي واقع في حي الزيتون . تقام فيه الصلوات الخمس . وهناك مسجدان آخران بهذا الاسم : واحد في حي المعجمي ، وآخر في حي المباشر . لكنهما في حالة من الحراب شديدة .

٨ — مسجد القشقر واقع في حي الزيتون . ويسمونه (مسجد الشيخ عثمان القشقر) . والمفنون ان الذي بناه رجل بهذا الاسم ألباني الأصل .

٩ — مسجد السدرة واقع في حي التفاح ، بجانب برّ الاجمقية . سمي كذلك لوجود سدرة بالقرب منه .



مسجد السدرة

١٠ — مسجد الغزالي واقع في حي الشجاعية . ليس نمة ما يدل على بانيه : غير ان الكثيرين يظنون ان الذي بناه هو الأمير جان بردي الغزالي الذي كان نائباً في غزة في اوائل سلطنة آل عثمان .

١١— مسجد البروة رقية واقع في حي الشجاعية . ويقال ان امرأة تدعى رقية هي التي انشأته ، وقد كانت زوجة لأحد الحكام الذين تولوا الحكم في غزة في العهد العثماني .

١٢— مسجد الظفر دمري هذا أيضاً في الشجاعية . أنشئ في القرن الثامن من قبل شهاب الدين أحمد ازفير بن الظفر دمري في سنة ٧٦٢ هـ نسبة إلى ظفر دمر من بلاد المغرب . ثم اشتهر بالقرن دمري . وفيه قبره . والمسجد عامر في يومنا هذا . وقد كتبت على بابه هذه الكلمات :

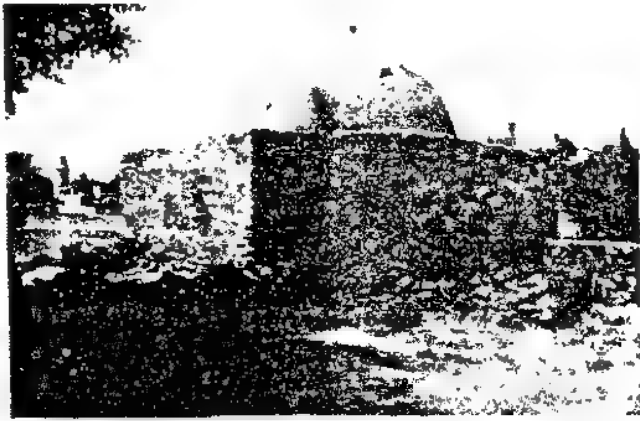
« بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فمضى أولئك ان يكونوا من المهتدين . انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى شهاب الدين أحمد ازفير بن الظفر دمري سنة ٧٦٢ هـ . »

١٣— مسجد الطواشي بناء رجل من امراء الباليك الصريين وسمي على اسمه (الطواشي) . وقد اعتاد بمئذ رجل من الغاربة يسمى (الشيخ علي) ان يصلي فيه ، وظل كذلك إلى ان مات فيه ، فسمي (مسجد المغربي) . وبجانبه مدرسة أنشأها في اواخر القرن الثامن للهجرة المقر السيدي شاهين بن عبد الله الكجكي . وكان ذلك في زمن الملك الظاهر برقوق . وقد نقش على بابها هذه الكلمات : « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة للمعز السيدي شاهين بن عبد الله الكجكي وكان ذلك في مدة الملك الظاهر برقوق » . ذكرها الشيخ عبد النبي التابلي في رحلته سنة ١١٠١ هـ وهي اليوم مسجد يعرف بزاوية ومسجد للمغربي . لأن الشيخ علي المغربي المتقدم ذكره دفن فيها ، وكان ذلك في القرن الثالث عشر للهجرة .

١٤— مسجد الهواشي واقع في حي الشجاعية . لا نعرف عن ماضيه شيئاً .

وهناك مساجد أخرى وجوامع كانت في سابق الأيام عامرة ، إلا انها خربت مع تقادم العهد ، وامحلت ؛ أو انها اندثرت بالمرّة ، فلم يبق لها أثر . أما الجوامع والمساجد التي هجرت هجراً لقلّة استعمالها ، أو لعدم تصلح الحراب الذي ألم بها فإليك اسماءها :

في حي الدرج : جامع المدرسة العنصرية ، وجامع الشيخ ظريف ، وجامع الشيخ منصور^(١) ، ومسجد الهليس^(٢) ، ومسجد الشيخ شعان ابي القرون .
في حي الزيتون : مسجد الشيخ الياس^(٣) ، ومسجد الشيخ عبدالله المغفري^(٤) .
ومسجد ابي الركاب ، وجامع الوزيري^(٥) ، ومسجد الشيخ عطية^(٦) .
في حي التفاح : مسجد الشيخ بشير^(٧)



مسجد الشيخ بشير

في حي الشجاعية : مسجد العابد^(٨)

- (١) بجوار خان الكنان .
- (٢) فيه دفن جد آل الهليس .
- (٣) أمام مقبرة آل الشوا والقرب من زاوية الشيخ عابد .
- (٤) جد النخالة . وهو واقع عند مفترق الطرق المؤدية الى خان يونس والمخالة وشارع عمر المختار .
- (٥) تحت دار البلدية الجديدة ، وعلى شارع عمر المختار . هجر اخيراً لتحت بسيط ألم به .
- (٦) مولد الامام الشافعي وهو الآن بيت معد للايجار . فيه قبر بنت الامام ، وخادمه الشيخ عطية .
- (٧) عند عزلقان السكة الحديدية ، والقرب من مقبرة المرداشي .
- (٨) في البقعة الواقعة عند مفترق الطرق المؤدية الى غزة وخان يونس ولفا .

وأما الجوامع والمساجد التي اندثرت بالمرّة حتى انه لم يبق لها أثر ، فمنها :
 في حي الدرج : مسجد الأوزاعي (١) ، ، ومسجد الشيخ رضوان ، ومسجد
 الأندلسي (٢) ، وجامع اليبارستان (٣) ، وجامع أبي مدين النوث .
 في حي الزيتون : جامع المحان ، وجامع الجاولي (٤) ، وجامع المدرسة الكاملية (٥)
 ومسجد القيدة ، ومسجد المعجمي ، ومسجد البطل ، ومسجد الشيخ رشيد (او النجرة) ،
 وجامع الشهداء الواقع بالقرب من مقبرة العواميد .
 في حي التفاح : جامع الجمعة (٦) ، ومسجد ابن سلطان (٧) ، ومسجد أبي العزم (٨)
 ومسجد الشيخ البار (٩) ، وجامع البطنة .

- (١) مجوار جامع السيد هاشم . وهو اليوم مقبرة .
- (٢) بني هذا في القرن الثامن . وسمى كذلك لأنه مدفون فيه الشيخ علي الأندلسي ،
 وقد كتب على قبره : « هذا قبر الفقير إلى رحمة ربه علي بن أحمد الأندلسي الأنصاري توفى في
 شهر رجب سنة ٥٧٩ هـ . ومن يري ليله هو الذي بنى المسجد . وقد هدم قبل توسيع
 الشارع الجديد للمسي (شارع فهمي بك) .
- (٣) كان شرقي الجامع الكبير ، وبه رباط انشاء الملك الناصر محمد بن الملك النصور
 قلاوون سنة ٧٣٠ هـ . وقد كانت له اوقاف كثيرة تحولت ، بدمه ، إلى جوامع اخرى .
 وكان قسم من اليبارستان مخصصاً لتداوي امراض العقول . وبني عامراً حتى سنة ١٢١٥ إذ
 خرب في حرب نابليون .
- (٤) كان قائماً في البقعة الواقعة تحاه حاكورة الحاج حسن البورنو ومسفل البلدية .
 وسكانت القعة المذكورة في وسط المدينة . ذكره ابن بطوطة في رحلته . وكذلك الشيخ
 عبد القني التابلي . انشاء الأمير علم الدين سنقر الجاولي نائب السلطنة الصريفة بقرطاجنة .
 وذلك بتاريخ ٧٠٨ للهجرة . وهدم أثناء فتح نابليون لفترة ، ثم اندثر وبثرت حجارته هنا
 وهناك . وقد استعمل قسم منها في بناء جامع السيد هاشم . وهناك بلاطة من رخام فوق باب
 جامع الجمعة بحارة الزيتون كانت في الأصل في جامع الجاولي هذا .
- (٥) في اول الشارع المؤدي إلى دير اللاتين من الجهة القبيلة بجوار دار السيد طالب
 الرئيس . وقد انشاءه الملك الكامل بن الملك العادل سنة ٦٣٥ للهجرة .
- (٦) في شمال جامع علي بن مروان . ويقال ان صلاة الجمعة ما كانت تصلى إلا به .
- (٧) غربي مقبرة علي بن مروان . وقد دفن فيه (محمد بن عبد الرحمن بن سلطان)
 الغزي الذي جاء ذكره في الضوء اللامع .
- (٨) عند مدخل مقبرة علي بن مروان من الساحة القبيلة الغربية امام المدرسة الثانوية .
- (٩) دخل في مدرسة الأوقاف .

في حي الشجاعة : جامع الباسطية (١) ، وجامع قايتباي (٢) ، ومسجد الطيار ،
ومسجد المقازين ، ومسجد الشيخ مسافر (٣) ، ومسجد ركن الدين التركاني (٤) .
وهناك جوامع سميت بها ، ولكني لم أعر لها على أثر ، كجامع اللارواني ، والجمع
للعلق الذي أقامه الأمير سيف الدين بليان .

وهناك جامعان شرع في انشائها حديثاً ، ولكن ظروف الحرب حالت دون
اتمامها . وهما :

١ — جامع البحر : وقد شرع الصيادون سكان الحي الواقع على شاطئ بحر
غزة ببنائه حوالي عام ١٩٣٤ ولكنهم لم يستطيعوا إتمامه بعد .

٢ — جامع الكنز : واقع في حي الرمال . شرع ببنائه السيد عبد الحميد بن
الشيخ محمود عباس الشوا ، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٣٩ ، إلا أنه لم يتم بعد . وقد
أوقف الشيخ سلامة بن سعيد ، شيخ عشيرة المعوديين المزازمة من قبائل
بئر السبع أرضاً له في بئر السبع لهذه الغاية .

وفي غزة مزارات لا تعد ولا تحصى ، نكتفي بأن نذكر منها :

١ — مزار الأوزاعي : وهو واقع بجوار جامع السيد هاشم . كان هذا
مسجداً ، ثم اندثر . وهو الآن مقبرة ومزار .

٢ — مزار الشيخ محمد بن طريف : وهو واقع في حي الدرج . أنه قبر وقد
كتب عليه هذه الكلمات : « هذا قبر العبد الفقير إليه تعالى الشيخ محمد بن طريف
الراجي غفر له اللطيف توفاه الله تعالى يوم الخميس عشر ذي الحجة سنة ٧٨٤ هـ »

(١) في المكان الذي فيه مطحنة زمو الآن .

(٢) وكان بجانبه مدرسة علم راية . انتهى في أواخر القرن التاسع للهجرة . والذي
انشأه هو الملك الأشرف أبو النصر قايتباي وخرب سنة ١٢٣٠ هـ . أنه كان في البقعة المجاورة
لساقية الطواوين في مدخل الفجائية وعند مفترق الطرق التي تربط غزة بخانيونس والمطحة .

(٣) انشاء الحاج سعد الدين مسافر بن قنبري أحد المالكين السلطانية . وكان ذلك
سنة ٧٠٦ هجرية .

(٤) بناه ركن الدين عمر بن خليل التركاني الفزى سنة ٧٨٢ هـ .

٣ - مزار الشيخ عفيفه فلنا في غير هذا المكان انه كان مسجداً ، وفيه ولد الامام الشافعي . وهو اليوم مرار . وفيه قبر بنت الامام ، وخادمه الشيخ عطية .
٤ - مزار الشيخ عابد : هو الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله زين العابدين . وينتهي نسبه إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني . استوطن غزة في اوائل القرن العاشر . وإليه تنتهي اسرة ابي بكر الموجودة الآن في الرملة والتي كانت في غزة في سابق الأيام .

٥ - مزار الشيخ بشير . هو واقع بالقرب من جامع ابن مروان . وبهذه البقعة قبور الشهداء والمجاهدين من القرن السابع . كتب على قبره : « هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى الطواشي الأجل الكبير سعد الدين بشير بن عبد الله الأشرفي رحمه الله تعالى توفي في الشهر الأخير من رمضان العظم سنة ٦٤٩ هـ » .
٦ - مزار الشيخ ابي العزم : هو الشيخ محمد شمس الدين ابو العزم من اولياء القارية . نزل غزة في القرن التاسع . ومن ذريته الشيخ أحمد بن محمد ابن يحيى الشهير بالموثق . وهذا المزار واقع بالقرب من مدرسة الفتح الاسلامية ، وشمالي المدرسة الثانوية الاميرية . وهناك من يعتقد ان ابا العزم هذا هو شمشون الجبار الذي جاء ذكره في التوراة والذي ذكرناه عند البحث عن غزة في زمن الفلسطينيين القدماء .

٧ - مزار الدارقطون : هو قبر واقع بداخل الساقية للعروفة باسم ساقية سويد ؟ وقد كتب على القبر : « هذا قبر العبد الفقير إلى الله الشيخ علاء الدين الدارقطون الككالي البصري » .

٨ - مزار تل المنطار : وقد دفن فيه ولي الله (الشيخ محمد البطاحي) من رجال القرن الخامس . وهذا يرجع بنسبه إلى علي زين العابدين بن الحسن بن فاطمة الزهراء .

وفيه مزار (الشيخ علي) وكنيته ابو سليمان . وعلى قول : اسمه سليمان وكنيته ابو علي . واشتهر بالمنطار . كان جامعاً واليوم مزار فقط .

٩ - مزار الشيخ رضوان : انه ابن الشيخ علي بن عليل ، وهو عم الشيخ هجين . ويقال انه الشيخ ابراهيم بن عرقوب المدفون في حمامة .
وقيل انه رضوان بن رسلان بن الشيخ محمد البطاحي المدفون بالمنطار .

١٠- مزار الشيخ مجلين : هناك بلاطة فوق الباب ، كتبت عليها الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم : إنا نعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك لله وفي طاعة الله وابتغاء مرضاته ورغبة في مغفرته وثوابه العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الياس بن سابق بن خضر غفر الله له وأتابه في شهر صفر سنة إحدى وسبعين وستمئة رحم الله من دعا له وجميع المسلمين » .

ان هذه الكتابة هي اقدم كتابة اثرية وجدت في غرة . ولكن : من هو الياس بن سابق ؟ ولماذا بنى هناك مسجداً ؟ ألا يمكن ان تكون البلاطة قد وضعت لسان آخر ، فاحذت منه في زمن من الأزمان ، ووضعت في هذا المكان ؟

إني ميال للاعتقاد بأن الشيخ مجلين هو ابن الشيخ ابراهيم بن الشيخ علي بن خليل ، وانه لا علاقة للشيخ مجلين هذا بالشيخ الياس الوارد اسمه فوق البلاطة ، وان البلاطة منقولة من مكان آخر . وفوق كل ذي علم عليم .



مكتبة دار الفکر

تاريخ مصر

علاء الدين

أحمد حسن

فَارِيجُ غَزَّةَ

تأليف

عارف العارف

قائمة غزوة

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٤٣م - ١٣٦٢هـ

مطبعة دار الأيتام الإسلامية في بيت المقدس

ثَلَاثُ مِائَةٍ عَشْرَةَ

عَازِفَاتُ الْعَارِفَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المؤلف

محتويات هذا الكتاب

المواضيع

الصفحة	الصفحة
٨٢ غزة والدين المسيحي	١ كلمة المؤلف
١٠٢ غزة والسامريون	٣ مصادر الكتاب
١٠٨ التقويم الغريغوري	٧ غزة : أهميتها التاريخية . اسمائها
١١٢ غزة والفتح الاسلامي	المتنوعة . معناها . أين سكنت
١٢٣ غزة في عهد الدولة الطولونية	في العهود العاربة
١٢٤ غزة في عهد الدولة الأحمديّة	١٠ بناء غزة الأقدمون :
١٢٥ غزة في عهد الدولة الفاطمية	المينيون ، البأيون ، المويون ،
١٢٧ غزة في عهد الدولة السلجوقية	المكفاريون ، العاقيون ،
١٢٨ غزة في أيام الصليبيين	الديانيون ، الأدميون
١٣٥ غزة في عهد صلاح الدين	١٣ غزة في عهد الكنعانيين
١٤٠ غزة في عهد للمالك	١٦ غزة في عهد الفراعنة
١٦٨ غزة في عهد الأتراك	٢٠ غزة في عهد الهكسوس (الملك الرعاة)
٢٠٧ غزة ونابليون	٢٤ غزة والفلسطينيون
٢١١ غزة وإبراهيم باشا	٣٣ غزة وبنو اسرائيل
٢١٧ غزة والاحتلال الانكليزي	٤٥ غزة في عهد الآشوريين
٢٣٤ السياح وجوابو الامصار بغزة	٤٧ غزة وبابل
٢٤٩ غزة في يومنا هذا	٤٩ غزة في عهد الفرس
٣١٦ اخلاق الغزيين وطبائهم	٥٢ غزة في عهد اليونان
٣١٩ ملابس الغزيين وازياهم	٦٣ غزة في عهد الانباط
٣٢٢ اعياد الغزيين ومواسمهم	٦٥ غزة وتدمر
٣٢٧ قل المنطار	٦٦ غزة تحت سيطرة الرومان
٣٢٩ جوامع غرة ومساجدها	٧٣ غزة الوثنية

المصور

الصفحة	المؤلف	الصفحة
١٤٠ غزة في عهد الماليك	٦ خارطة فلسطين	
١٦٨ غزة في عهد الأتراك	١٧ تاحوتس الثالث	
١٧٧ الدبويأ - قصر آل رضوان	١٨ أمين حوتب الثاني	
١٧٨ خان الزيت	١٩ رعمسيس الثاني	
٢٠٦ الملك حسين	٣٢ شمشون الجبار	
٢١٠ نابليون بونابرت	٣٣ موسى (كلم الله)	
٣١١ محمد علي باشا	٤١ مدينة غزة (عام ١٥٩٨)	
٢١٢ إبراهيم باشا	٤٣ حجر من بقايا كنيس يهودي	
٢١٩ قرص فون قرسنتاين	٤٤ ثيودور مرتسل	
٢٢٣ سر تشارلز دوويل	٤٤ اللورد بلفور	
٢٢٤ قواد حامية غزة	٥٢ اسكندر الكبير	
٢٢٦ الجامع الكبير (في حالة خراب)	٥٥ عملة الاسكندر	
٢٢٧ الجنود الأتراك (والمدافع سريعة الطلقات)	٥٦ سوتر (بطليموس الأول)	
٢٢٨ فاتح فلسطين : اللورد اللنبي	٦٦ يوليوس قيصر	
٢٣١ فيلق الجمالة	٦٩ النفود الرومانية	
٢٣٢ غزة المهجورة	٨٢ الاسرة المقدسة	
٢٣٣ الأمير فيصل بن الحسين	٨٦ القديس برفيريوس	
٢٤٨ غزة في يومها هذا	٩٦ الحوري الياس الرشماوي	
٢٥٢ رقائق من ارقعة غزة القديمة	٩٨ كنيسة الروم الارثوذكسين	
٢٥٧ دار من دور الحي الجديد في الرمال	١٠١ مستشفى الارشالية الانكليزية	
٢٥٧ دار الحكومة الجديدة في الرمال	١٢٢ قبر آسيا بنت الامام الشافعي	
٢٦٠ معلوم مدرسة البنين بغزة	١٢٨ البابا اربانوس الثاني	
٢٦٥ فهمي بك الحسيني	١٣٢ ريكاردوس قلب الأسد	
٢٦٥ رشدي بك الشوا	١٣٤ للوك والامراء الصليبيون	
٢٦٦ دار البلدية الجديدة	١٣٥ السلطان صلاح الدين	
٢٦٧ المجلس البلدي بغزة		

الصور

الصفحة	الصفحة
٣٢٧ تل المنطار	٢٧١ حاثك غزيب
٣٢٩ مئذنة الجامع الكبير بغزة	٢٧٤ فواخير غزة
٣٣١ الباب الغربي للجامع الكبير	٢٧٧ مقبرة علي بن مروان
٣٣٣ صورة منقوشة على أحد الأعمدة	٢٨٢ سبل بر الرفاعية
في الجامع الكبير	٢٨٣ بر الصفا
٣٣٦ الخراب الذي حل بالجامع الكبير	٢٩٣ قوارب الصيد على شاطئ غزة
٣٣٧ مئذنة الجامع الكبير بعد تعمیرها	٢٩٥ اللسان البحري بغزة
٣٣٨ جامع السيد هاشم	٣٠٠ الآثار القديمة في عسقلان
٣٣٩ جامع الشيخ زكريا	٣٠٢ مستمرة نقبا ومختارها
٣٤١ جامع علي بن مروان	٣١٠ حاكم لواء غزة الستر بلارد
٣٤٢ مئذنة جامع ابن عثمان	٣١٢ موظفو الإدارة في غزة
٣٤٦ جامع المحكمة البرديكية	٣١٤ ضباط البوليس في غزة
٣٤٨ مسجد الشيخ خالد	٣١٦ قهبة الموظفين في غزة
٣٤٩ مسجد السدرة	٣٢١ الفريزون يلبسون الكوفية والعقال
٣٥١ مسجد الشيخ بشير	٣٢٥ وادي النمل في عسقلان



للمؤلف

- ١ - مصائب : دروس ألقاها أستاذ علم الاقتصاد في جامعة استانبول على تلامذته عام ١٣٢٧ روي (١٩١١ م) . التقطها المؤلف من فيه ، فدونها . . ثم نسخها -- نطلب من استاذة -- ووزعها على اربابه من تلامذة الجامعة
- ٢ - نافذ الله : حريدة عربية انتقادة هزلية أصدرها في (قراسنوبارسق) من اعمال سوريا يوم كان أسيراً في تلك الديار . صدر العدد الأول منها في شهر رجب ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) والعدد الخامس والأربعون وهو الأخير في حمادى الآخرة ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) .
- ٣ - أسرار الكور : كتاب وضعه الفيلسوف الألماني (إرنست هيكل) Ernest Häckel وعنوانه Die Welträtsel شرح فيه نظرية داروين . نقله المؤلف من اللغة الألمانية إلى اللغة التركية (١٩١٦ م) وأسماء (أسرار جهان) .
- ٤ - سورية الجنوبية : حريدة عربية سياسية أصدرها المؤلف بالاشتراك مع السيد محمد حسن الدري الحامي بالقدس صدر العدد الأول منها في ٨ ايلول ١٩١٩ والعدد الثالث والسنون في ١١ حزيران ١٩٢٠ يوم اعتلق بسبب الاضطرابات الفلسطينية الاولى

- ٥ - انقضاء بين البرو : طبع في مطبعة بيت المقدس عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٣ م)
وترجم إلى اللغات الألمانية والعربية والإنكليزية . وهو يبحث عن
اخبار بدو بئر السبع وعاداتهم وبطونهم وانقاذهم وعددهم ومنازلهم
ونسائهم وطرق تقاضيم واغانيهم وما إلى ذلك .
- ٦ - تاريخ بئر السبع وقبائلها : طبع في مطبعة بيت المقدس عام ١٣٥٣ هـ
(١٩٣٤ م) . وهو كتاب يبحث في تاريخ بئر السبع وقبائلها من
تيها وترايين وجارات وخانجرة وعزازمة واحيوات وسعيديين من
اقدم عصور التاريخ إلى يومنا هذا .
- ٧ - المؤرخ في تاريخ عفره : طبع في مطبعة بيت المقدس عام ١٣٦٢ هـ
(١٩٤٣ م) ويعتبر متعمقاً لتاريخ غزة .
- ٨ - رؤياي : رسالة خيالية وضعها المؤلف يوم كان أسيراً في سوريا وهرب
من الأسر ليتحقق بالثورة العربية (١٩١٥ م) ، فأودعها أعز أمانيه
في هذه الحياة ، وأغلى احلامه من حيث مستقبل امته وبلاده . طبع
في مطبعة الآباء الفرنسيين بالقدس عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) .
- ٩ - تاريخ غزة : هو هذا الكتاب للوضوح بين يدك ايها القاريء الكريم .
وهو يبحث عن تاريخ غزة منذ عام ٧٥٠ . قبل الميلاد إلى يومنا هذا .



كلمة شكر

الآن وقد انتهت من تأليف كتابي هذا في (تاريخ غزة) أود أن اتقدم بالشكر الجزيل إلى الاخوان الذين آزروني مؤازرة لولاها ما كنت لانتجح في عملي . ومنهم :
رئيس المجمع العلمي في لبنان الاستاذ عيسى اسكندر معلوف . رئيس اساقفة شرق الأردن الطران بولس سلمان . رئيس جمعية الهداية الإسلامية وامام الجامع الكبير في غزة الاستاذ الشيخ عثمان الطباع . عميد معهد الدراسات الشرقية في الجامعة العبرية بالقدس الاستاذ مابر . استاذ علم التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت أسد رستم . منشيء ديوان رئاسة الوزراء في شرق الاردن يعقوب العسودات (السكي بالبدوي للثم) . قيم المكتبة في دار الآثار القديمة بالقدس الاستاذ اسطفان حنا اسطفان . مدير المتحف الحربي بمصر البكباشي عبد الرحمن بك زكي . قائد كلية اركان الحرب بمصر القاعنقام محمود بك هاشم . الكاتب العبري الاستاذ ويلنأثي . الكاتب العربي الاستاذ محيي الدين مكي . رئيس دير اللاتين بغزة الحوري سليمان عيسى . رئيس طائفة الروم الارثوذكس بغزة الحوري الياس الرثمائي . استاذ اللغة العربية في مدرسة غزة الثانوية الشيخ محمود افندي سرداح . استاذ اللغة العربية في مدرسة بئر السبع الشيخ خلوصي افندي بيسو . مدير مدرسة الطور الأميرية ابن خالي ربحي العارف . فصل تركيا في القدس جلال بك قره صابان ابن أخي عدنان . طبيب الجيش الاوسترالي للرباط بغزة الكبتن طوماس . الكاتبان على الآلة الكتابة محمد رجب خلف ورأفت ابو شعبان . نائب مدير المال في العهد التركي المرحوم داود افندي فرح وولدها حنا وجورج . وولدي سمير التميمي تعلم ، رغم حداثة سنه ، الطباعة على الآلة الكتابة خصباً ليكون عوناً في نسخ مسودات هذا الكتاب واعدادها للطبع .
فأله سبحانه وتعالى أسأل أن يجزي الجميع عني خير الجزاء .

مطبعة العمرانية للأوفست

الجيزة : ٣٣٧٥٦٢٩٩